جواهر البحار

في

فضائل النبي المختار ﷺ

تأليف

الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني

المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه

محمد أمين الضناوي

الجزء الرابع



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

[من جواهر عبد الكريم الجيلي]

قال سيدي عبد الكريم الجيلي في الإنسان الكامل يخاطب النبي ﷺ:

يا مركز البيكار يا سر الهدى ... يا مِحور الإيجاب والإمكان
يا عين دائرة الوجود جميعه ... يا نقطة القرآن والفرقان
يا كاملاً ومُكملاً لأكاملٍ ... قد جُمِلّوا بجلالة الرحمٰن
قطب الأعاجب أنت في خلواته ... فلَكُ الكمال عليك ذو دوران
نُزّهتَ بل شبهتَ بل لك كل ما ... يُدري ويُجهل باقيا أو فاني
ولك الوجود والانعدام حقيقةً ... ولك الحضيضُ مع العلا ثوبان
أنت الضياء وضده بل إنما ... أنت الظلام لعارف حيران
مشكاتُه والزيت مع مصباحه ... أنت المراد به وَمَنْ أنشاني
زيتٌ لكونك أوّلاً ولكونك المخـ ... ـلوقَ مشكاةٌ منيرٌ ثاني
ولأجل ربٍ عينُ وصفك عبده ... ها أنت مصباح ونور بيان
كن هادياً لي في دجى ظلماتنا ... بضيائكم ومكمّلاً نقصاني
يا سيد الرسل الكرام ومن له ... فوق المكان مكانة الإمكان
أنت الكريم فجد فلي بك نسبة ... عبد الكريم أنا المحب الفاني
خذ بالزمام زمام عبدك فُكّ كي ... يُرخَى ويُطلَقَ في الكمال عناني
يا ذا الرجاء تقيدت بك مهجتي ... بل للمحبة قد دعتك لساني
صلى عليك الله ما غنت على ... مغنىً تصاويرٌ لهن مغاني

ومنهم الإمام العلامة السيد الشريف علي نور الدين السمهودي(١) عالم المدينة المنورة المتوفى فيها سنة ٩١١ هـ

ومن جواهره رضي الله عنه

[أسماء المدينة المنوّرة]

كتابه «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى» ﷺ، وقد رتبه على ثمانية أبواب، وسأنقل منه ما يقع اختياري على لزوم نقله في كتابي هذا، وقد أذكر عبارته بحروفها، وقد اختصرها بحسب الحاجة.

فمن جواهره: قوله الباب الأول في فضلها ومتعلقاتها وفيه عشرة فصول:

الفصل الأول: في أسمائها وهي كثيرة وقد ذكرتها مرتبة على حروف المعجم الأول، فالأول مستقصاة لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وزدت على شيخ مشايخنا المجد اللغوي أسماء فبلغت خمسة وتسعين اسماً.

أثرب: لغة في يثرب اسم من سكنها أولاً سميت به أرض المدينة كلها عند أبي عبيدة، أو هي فقط عند ابن عباس، أو ناحية منها، لقول محمد بن الحسن المعروف بابن زبالة أحد أصحاب مالك، وكانت يثرب أم قرى المدينة، وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف أي من المشرق إلى المغرب، وما بين المال الذي يقال له البرقي إلى زبالة أي من الشام إلى القبلة، والجهة التي سماها بيثرب مشهورة اليوم بهذا الاسم «شامي المدينة»، بها نخل غربي مشهد سيدنا حمزة، وشرقي الموضع المعروف بالبركة، وربما قالوا فيها أثارب وبه عبر البرهان بن فرحون في منسكه.

قال المطري: وكانت منازل بني حارثة، وفيهم نزل قوله تعالى في يوم الأحزاب: ﴿وَإِذْ

---

(١) هو علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها ولد في سمهود بصعيد مصر سنة ٨٨٤ هـ، وتوفي بها سنة ٩١١ هـ.

﴿قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [الأحزاب:١٣] الآية فيترجح به القول الثالث وذلك أن قريشاً ومن معهم نزلوا يوم الأحزاب، ويوم أحد برومة، وما والاها قرب منازل بني حارثة من الأوس، وبني سلمة من الخزرج، وكان الفريقان معه ﷺ ولذلك خافوا على ذراريهم وديارهم يوم أُحد، فنزل فيها ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾ [آل عمران:١٢٢] قال عقلاؤهم: ما كرهنا نزولها لتولي الله إيانا.

وروى ابن شية نهيه ﷺ عن تسمية المدينة يثرب، وقوله ﷺ: «من سماها بذلك فليستغفر الله»[١]، وما في الآية السابقة حكاية عن المنافقين، ولذا قال عيسى بن دينار المالكي من سماها يثرب كتبت عليه خطيئة، وكرهه بعضهم إما لأنه من الثرب، وهو الفساد، أو من التثريب، وهو المؤاخذة بالذنب والتوبيخ عليه، أو لكونه اسم كافر، لكن في الصحيحين في حديث الهجرة: «فإذا هي المدينة يثرب»[٢].

وفي رواية: «لا أراها إلا يثرب». وقد يجاب بأنه قبل النهي. ﴿أَرۡضُ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٩٧] لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء:٩٧] قال جماعة: المراد المدينة أرض الهجرة. لحديث فيه: «آكالة البلدان آكالة القرى»[٣] لحديث: «أمرت بقرية تأكل القرى»[٤] أي لغلبتها الجميع فضلاً وتسلطها وافتتاحها بأيدي أهلها، فغنموها وأكلوها ﴿ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحشر:٩] لقوله تعالى في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحشر:٩].

قال عثمان بن عبد الرحمن، وعبد الله بن جعفر: سمى الله المدينة: «الدار والإيمان» أي لأنها مظهر الإيمان ومصيره. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن مَلَك الإيمان قال: أنا أسكن المدينة، فقال ملك الحياء: وأنا معك.

البارّة: سمّيت به لكثرة برها لأهلها، خصوصاً ولجميع العالم عموماً، إذ بها منبع الفيض والبركات.

البحرة. البُحيرة. البحيرة: نقلت ثلاثتها عن منتخب كراع والاستبحار السعة، لأنها من المتسع من الأرض، وقول سعد: لقد اصطلح أهل هذه البحيرة بالتصغير في رواية الصحيح، يعني المدينة.

---

(١) رواه الفتني في تذكرة الموضوعات (٧٦).
(٢) رواه صاحب أخلاق النبوة (٧٦) وفيه: «فإذا قدمت المدينة».
(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٢٨١). وفيه: «إلا حابستنا».
(٤) رواه ابن حنبل في المسند (٢: ١٧١). وفيه: «برأها من ذلك».

قال عياض: ويروى بالفتح على غير التصغير، ويقال: البحر أيضاً بغير ياء، ساكن الحاء، وأصله القرى، وكل قرية بحرة.

البلاط: جاء عن ابن خالويه: لكثرته بها واشتمالها على موضع يعرف به.

البلد: قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] قيل: المدينة، وقيل: مكة، والبلد لغة الصدر والقرية (بيت الرسول ﷺ) قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥] أي المدينة لاختصاصها به، اختصاص البيت بساكنه، وقيل: من بيته بها تَنْدَد. تَنْدَر: هما من أسمائها في الكتب القديمة، كما سيأتي في يندد ويندر.

الجابرة: كما في حديث للمدينة عشرة أسماء، لجبرها الكسير وأغنائها الفقير وتجبر على الإذعان لمطالعة بركاتها، وجبرت البلاد على الإسلام.

جبار: كحذام، رواه ابن شبة بدل الجابرة في حديثه.

الجبارة: نقل عن التوراة.

جزيرة العرب: لقول بعضهم: إنها المرادة بحديث «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب». وسيأتي أنه ﷺ التفت إلى المدينة وقال: «إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك».

الحبيبة: لحبّه ﷺ لها ودعائه به.

الحرم: لتحريمها، وفي الحديث: «المدينة حرم»[1] وفي رواية: «حرم آمن».

حرم رسول الله ﷺ: لأنه الذي حرمها. وفي الحديث: «من أخاف أهل حرمي أخافه الله» وفي آخر: «حرم إبراهيم مكة وحرمي المدينة». رواه الطبراني برجال وثقوا.

حسنة: قال تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ٤١] أي مباءة حسنة، وهي المدينة، وقيل: هو اسمها، لاشتمالها على الحسن الحسي والمعنوي.

الخيرة. الخيرة: تقول: امرأة خيرة، وخيرة، بمعنى كثيرة الخير. وإذا أردت التفضيل، قلت: خير الناس. وفي الحديث: «المدينة خير لهم».

الدار. دار الأبرار. دار الأخيار: لأنها دار النبي المختار والمهاجرين والأنصار، وتنفي شرارها، ومن أقام بها منهم، فليست في الحقيقة بدار، وربما نقل منها بعد الإقبار.

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٨٠٠).

دار الإيمان: كما في حديث: «**المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان**». وحديث: «**الإيمان يأرز إلى المدينة**».

دار السنَّة. دار السلام. دار الفتح: ففي الصحيح قول عبد الرحمن بن عوف: فإنها دار الهجرة والسنة. ورواية الكشميهني، والسلامة، وقد فتحت منها سائر الأمصار، وإليها هجرة المختار، ومنها انتشرت السنة في الأقطار.

الدرع الحصينة: لحديث أحمد برجال الصحيح: رأيت كأني في درع حصينة، وفيه، فأولت الدرع الحصينة المدينة.

ذاتُ الحُجَر: لاشتمالها عليها، والمراد بها: حجر زوجات النبيّ ﷺ.

ذاتُ الحرار: لكثرتها بها، ومعنى الحرَّة: الأرض ذات الحجارة السود.

ذات النخل: لوصفها بذلك، في الحديث: «**رأيت دار هجرتي ذات نخل وحرة**»[(١)].

السَّلقة: نقله الأقشهري عن التوراة، وهو محتمل لفتح اللام وكسرها وسكونها، إذ السلق بالتحريك القاع الصفصف والمسلاق البليغ، ربما قيل: للمرأة السليطة سلقة بالكسر، وسلقت البيض سلقاً، أغليته بالنار، فسميت به لاتساعها، وتباعد جبالها، أو لتسلطها على البلاد فتحاً، أو للأوائها، شدة حرّها، وما كان بها من الحمى.

سيدةُ البلدان: لما أسنده الديلمي عن ابن عمر مرفوعاً: «**يا طيبة يا سيدة البلدان**». قاله: للمدينة.

الشافية: لحديث: «**ترابها شفاء من كل داء**»[(٢)]. ولما صح من الاستشفاء بثمارها. وذكر ابن مسدي: الاستشفاء بتعليق أسمائها على المحموم، وهي تنفي الذنوب، فتشفي من دائها.

طابةُ طيْبةُ. طيِّبةُ. طائِب: هذه الأربعة مع المطيبة الآتية في حرف الميم أخوات لفظاً ومعنى مختلفات صيغة ومبنى وصح، حديث: «**أن الله سمى المدينة طابة**»[(٣)].

وفي حديث: «**كانوا يسمون المدينة يثرب**»، **فسماها رسول الله** ﷺ:

---

(١) رواه ابن حنبل في المسند (٤: ٥٦).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩: ٩). وفيه: «هجرتكم».

(٣) رواه مسلم في الصحيح (الحج: ٤٩١). وأحمد في المسند (٥: ٩٤). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٣٨). وابن حجر في فتح الباري (٤: ٨٨). وابن أبي شيبة في المصنف (١٢: ١٧٩).

«طيبة»[1]. وفي حديث: **«للمدينة عشرة أسماء هي المدينة وطيبة وطابة وروي طائب بدل طيبة»**.

وعن وهب بن منبه: والله إن أسماءها في كتاب الله. يعني التوراة، طيبة، وطابة، ونقل عنها أيضاً: طائب، والطيبة، وكذا المطيبة. وذلك لطيب رائحتها، وأمورها كلها، ولطهارتها من الشرك وموافقتهما موافقتها وحلول الطيب بها ﷺ، ولكونها تنفي خبثها، وتنصع طيبها. وقال الأشبيلي: لتربة المدينة نفحة ليست كما أعهد من الطيب، بل هي من أعجب الأعاجيب.

طِبايا أو ظَبايا: ذكره ياقوت، وهو بكسر المهملة، بمعنى القطعة المستطيلة من الأرض، أو فتح المعجمة من ظب وظبظب إذا حمُ، لما كان بها من الحمى.

العاصمةُ: لعصمتها للمهاجرين من المشركين، ولأنها الدرع الحصينة، أو هو بمعنى المعصومة، فلا يدخلنها الدجال ولا الطاعون، ومن أرادها بسوء أذابه الله.

العذراء: نقل عن التوراة، لصعوبتها وامتناعها عن الأعداء، حتى تسلمها مالكها الحقيقي ﷺ.

العُرَّاء: لعدم ارتفاع أبنيتها في السماء. يقال: جارية عراء، تشبيهاً بالناقة العراء التي لا سنام لها، أو صغر سنامها كصغر نهد العذراء، أو عدمه.

العروض: لانخفاض مواضع منها، ومسايل أودية فيها، أو لأنها من نجد، ونجد كلها على خط مستقيم طولاني، والمدينة معترضة عنها ناحية.

الغرَّاء: تأنيث الأغرذي الغرة، وهي بياض في مقدم الوجه، وخيار الشيء ووجه الإنسان، والأغر الأبيض، والذي أخذت اللحية وجهه إلا القليل، والرجل الكريم، واليوم الشديد الحر، والغراء: نبت طيب الرائحة، والسيدة الكبيرة، وقد سادت المدينة على القرى وطاب ريحها في الورى، وكرم أهلها، وكثر غرمها، وأبيض نورها، وسطع نورها.

غلبة: بمعنى الغلب، لظهورها على البلاد، وكانت في الجاهلية تدعى غلبة. نزلت يهود بها على العماليق، فغلبتهم عليها، ونزلت الأوس والخزرج على يهود فغلبوهم عليها.

الفاضحة: نقل عن كراع: إذ لا يضمر بها أحد عقيدة فاسدة، أو غيرها، إلا ظهر ما أضمره، وافتضح به، وهو أحد معاني «تنفي خبثها».

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٥: ١٩٥).

القاصمة: نقل عن التوراة، لقصمها كل جبار عناها، ومتمرد أتاها، ومن أرادها بسوء أذابه الله.

قبة الإسلام: لحديث: «**المدينة قبة الإسلام**»(١).

القرية: لحديث: «**إن الله قد طهر هذه القرية من الشرك إن لم تضلهم النجوم**»(٢).

قريةُ الأنصار: جمع ناصر الأوس والخزرج سماهم الله ورسوله به، لإيوائهم ونصرهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٧٤] وقيل لأنس بن مالك: أرأيتم الأنصار، أكنتم تسمون به أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله به. والقرية. بفتح القاف وكسرها، ما تجمع جماعة كثيرة من الناس من قريت الماء في الحوض إذا جمعته، وقيل: المصر الجامع.

قرية رسول الله ﷺ: لحديث الطبراني وغيره برجال ثقات. «**ثم يسير**» يعني الدجال «**حتى يأتي المدينة ولا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذاك الرجل**».

قلب الإيمان: أورده ابن الجوزي في حديث المدينة قبة الإسلام.

المؤمنةُ: لتصديقها بالله حقيقة لخلقه قابلية ذلك فيها كما في تسبيح الحصا، أو مجازاً لاتصاف أهلها به، وانتشاره منها، واشتمالها على أوصاف المؤمن، أو لادخالها أهلها في الأمن من الأعداء، والطاعون والدجال، وفي خبر: «**والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة**»، وفي آخر: «**إنها المكتوبة في التوراة مؤمنة**».

المباركة: لأن الله تعالى بارك فيها بدعائه ﷺ لها، وحلوله فيها.

مبوَّأ الحلال والحرام: رواه الطبراني في حديث: «**المدينة قبة الإسلام**». والتبوؤ: التمكن، والاستقرار، لأنها محل تمكن هذين الحكمين واستقرارهما.

مبيِّن الحلال والحرام: رواه ابن الجوزي وغيره بدل الذي قبله في الحديث المتقدم لأنها محل بيانهما.

المجبورة: ذكر في حديث: «**للمدينة عشرة أسماء**». ونقل عن الكتب المتقدمة لجبرها بخلاصة الوجود حياً، وميتاً، وبحثه على سكناها، وبنقل حماها، وتكرر دعائه بها ﷺ.

المحبةُ. المُحبَّبَةُ. المحبوبةُ: نقلت عن الكتب المتقدمة وهذه الثلاثة مع الحبيبة من

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ١٩٨). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٢٢٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٨٠٢). والألباني في السلسلة الضعيفة (٧٦١).

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ١٦). وابن حجر في المطالب العالية (٦٦٤).

مادة واحدة، وحبه ﷺ لها، ودعاؤه به معلوم، وحبه تابع لحب ربه.

المحبورة: من الحبر وهو السرور، أو من الحبرة، بمعنى النعمة، والمحبار من الأرض، السريعة النبات، الكثيرة الخيرات.

المحرَّمةُ: لتحريمها.

المحروسة: لحديث: «**المدينة مشتبكة بالملائكة على كل نقب ملك يحرسها**»[1]. رواه الجنيدي.

المحفوفة: حفت بالبركات، وملائكة السموات، وفي خبر المدينة ومكة محفوفان بالملائكة.

المحفوظة: لحفظها من الطاعون، والدجال وغيرهما، وفي خبر القرى المحفوظة أربع، وذكر المدينة منها.

المختارة: لأن الله تعالى اختارها للمختار من خلقه.

مدخل صدق: قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠] الآية، **فمدخل صدق المدينة، ومخرج صدق مكة وسلطاناً نصيراً** الأنصار، كما روي عن زيد بن أسلم.

المدينة: لتكرره في القرآن، ونقل عن التوراة، من مدن بالمكان: أقام به، أو من دان، إذا أطاع، إذ يطاع السلطان بالمدينة لسكناه بها، وهي أبيات كثيرة وتجاوز حد القرى ولم تبلغ حد الأمصار، وقيل: يقال لكل مصر، ويطلق على أماكن كثيرة، ومع ذلك فهو علم للمدينة النبوية بحيث إذا أطلق لا يتناول غيرها، ولا يستعمل فيها إلا معرفة والنكرة اسم لكل مدينة، ونسبوا للكل مديني وللمدينة النبوية مدني للفرق.

مدينة الرسول ﷺ: لقوله في حديث للطبراني: «**ومن أحدث في مدينتي هذه حدثاً، أو آوى محدثاً**». الحديث، فأضافها إليه لسكناه بها، وله، ولخلفائه دانت الأمم.

المرحومة: نقل عن التوراة، لأنها رحمت بالمبعوث رحمة، وبها تتنزل الرحمات.

المرزوقة: كما سبق، أو المرزوق أهلها، ولا يخرج أحد منها رغبة إلا أبدلها الله خيراً منه.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٤٥٠).

مسجد الأقصى: نقله التادلي عن صاحب المطالع، ولعله لكون مسجدها آخر مساجد الأنبياء.

المسكينة: نقل عن التوراة، وذكر في حديث: «للمدينة عشرة أسماء» وروي مرفوعاً: إن الله قال للمدينة: «يا طيبة يا طابة يا مسكينة لا تقبلي الكنوز أرفع أجاجيرك على أجاجير القرى»، والأجاجير: السطوح، والمسكنة: الخضوع والخشوع خلقه الله فيها، أو هي مسكن الخاشعين الخاضعين.

المسلمة: كالمؤمنة لخلق الله فيها الانقياد والانقطاع له، أو لانقياد أهلها وفتحها بالقرآن.

مضجع رسول الله ﷺ: لقوله في الحديث: «المدينة مهاجَري ومضجعي في الأرض»[1].

المُطيَّبةُ: تقدم الكلام عليها في طائب.

المقدسة: لتنزهها عن الشرك، وكونها تنفي الذنوب.

المقرُّ: ذكره بعضهم، أي لاستقرار النبيّ ﷺ فيها.

المكّتَان: قال سعد بن أبي سرح في حصار عثمان رضي الله عنه: وأنصارنا بالمكتين قليل. وقال نصر بن حجاج بعد نفيه من المدينة:

فأصبحت منفياً على غير ريبة ... وقد كان لي بالمكتين مقام

فالظاهر أنه أراد المدينة فقط، لانضمام المهاجرين إلى الأنصار بها.

المكينة: لتمكنها في المكانة والمنزلة.

مهاجر رسول الله ﷺ: لقوله: «المدينة مهاجري».

الموفيّةُ: أو **الموفِيَةُ**: بتشديد الفاء وتخفيفها، لتوفيتها حق الوافدين حساً ومعنى. وأهلها الموفون بالعهد.

الناجيّة: لنجاتها من العتاة، والطاعون، والدجال، أو لإسراعها في الخيرات، فحازت أشرف المخلوقات، أو لارتفاع شأنها.

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٣١٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٨٨٥). وفيه: «من الأرض».

نبلاء: نقل عن كراع، وكأنه من النُّبل، وهو الفضل والنجابة.

النحر: من نحر الظهيرة لشدة حرها، أو لإطلاقه على الأصل، وهي أصل بلاد الإسلام.

الهذراء: ذكره ابن النجار بدل العذراء، نقلاً عن التوراة، فإن كانت الذال معجمة، وهي الرواية، فذلك لشدة حرها. يقال: هاذر، شديد الحر، أو لكثرة مياهها، وأصوات سوانيها. يقال: هذر إذا كثر، وإن كانت مهملة، فهو من هدر الحمام إذا صوت، والماء انصب، وأرض هادرة: كثيرة النبات.

يثرب: تقدم في أثرب.

يندد: ذكره كراع من الند الطيب المعروف، أو الند للتل المرتفع، أو من الناد وهو الرزق.

يندر: كحيدر براء بدل الدال الثانية مما قبله، كذا في حديث: «للمدينة عشرة أسماء»[1] في بعض الكتب، وفي بعضها بمثناة فوقية ودالين، وفي بعضها بفوقية، ودال وراء وصوب المجد يندد فقط بالتحتية، ودالين وفيه نظر.

والحديث رواه ابن زبالة كذلك، إلا أنه سردها تسعة، ورواه ابن شبة، وسردها ثمانية، فحذف منها الدار، ثم روى عن ابن جعفر تسميتها بالدار والإيمان، ثم قال: فالله أعلم، أهما تمام العشرة، أم لا اهـ. وعن الدراوردي: بلغني إن للمدينة في التوراة أربعين اسماً.

ومن جواهر الإمام السمهودي رضي الله عنه

[تفضيلها على البلاد]

قوله في الباب الأول من خلاصة الوفا أيضاً: الفصل الثاني، وفي تفضيلها على البلاد. نقل عياض، وقبله أبو الوليد الباجي وغيرهما، الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة، حتى على الكعبة، كما قال ابن عساكر في تحفته وغيره، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي، أنها أفضل من العرش.

وصرح التاج الفاكهي بتفضيلها على السموات، قال: بل الظاهر المتعين، تفضيل جميع الأرض على السماء، لحلوله ﷺ بها. وحكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها، ودفنهم بها، لكن قال النووي: إن الجمهور على تفضيل السماء على الأرض، أي ما عدا ما ضم

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٥: ١٧٦٢).

الأعضاء الشريفة، وأجمعوا بعد ذلك على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد، واختلفوا فيها.

فذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعض الصحابة، وأكثر المدنيين، كما قال عياض: إلى تفضيل المدينة، وهو مذهب مالك وإحدى الروايتين عن أحمد، والخلاف، في ما عدا الكعبة، فهي أفضل من بقية المدينة باتفاق. وقال ابن عبد السلام: معنى التفضيل بين مكة والمدينة، أن ثواب العمل في إحداهما أكثر من ثواب العمل في الأخرى، وكذا التفضيل في الأزمان، وموضع القبر الشريف، لا يمكن العمل فيه فيشكل قول عياض: أنه أفضل إجماعاً. وأجاب بعضهم: بأن التفضيل في ذلك للمجاورة، ولذا حرم على المحدث مس جلد المصحف، لا لكثرة الثواب، وإلّا فلا يكون جلد المصحف، بل ولا المصحف أفضل من غيره، لتعذر العمل فيه.

وقال التقي السبكي: قد يكون التفضيل بكثرة الثواب، وقد يكون لأمرٍ آخر، وإن لم يكن عمل فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، وله عند الله من المحبة، ولساكنه ما تقصر العقول عنه، فكيف لا يكون أفضل الأمكنة؟ وأيضاً فباعتبار ما قيل: إن كل أحد يدفن في الموضع الذي خلق منه.

وقد تكون الأعمال مضاعفة فيه باعتبار حياته ﷺ به وإن أعماله مضاعفة أكثر من كل أحد، قال السمهودي: بعده قلت والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة، وهي غير متناهية لدوام ترقياته ﷺ، فهو منبع الخيرات، والكعبة عند من منع الصلاة فيها لا يصح القول: بتفضيل المسجد حولها عليها لأنه محل العمل جزماً. وأيضاً فسيأتي أن المجيء المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، حاصل بالمجيء إلى قبره الشريف، وكذا زيارته ﷺ وسؤال الشفاعة منه، والتوسل به إلى الله تعالى، والمجاورة عنده من أفضل القربات، وعنده تجاب الدعوات، فكيف لا يكون أفضل، وهو السبب في هذه الخيرات، وأيضاً، فهو من أعلى رياض الجنة، وفي الحديث: **«لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»**[١].

وفي حديث: مستدرك الحاكم، قال: صحيح، وله شواهد صحيحة عن أبي سعيد، قال: **مرَّ النبيّ ﷺ عند قبر فقال: قبر من هذا؟ فقالوا: فلان الحبشي يا رسول الله. فقال ﷺ:**

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٠). وأحمد في المسند (٣: ١٥٣). والسيوطي في الدر المنثور (١: ٣٧).

«لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها». ولابن الجوزي في الوفاء عن كعب الأحبار، لمَّا أراد الله عزَّ وجلّ، أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل، فأتاه بالقبضة البيضاء، التي هي موضع قبره الشريف ﷺ، فعجنت بماء التسنيم، ثم غمست بأنهار الجنة، وطيف بها في السموات والأرض، فعرفت الملائكة محمداً ﷺ، وفضله، قبل أن تعرف آدم عليه السلام.

قال الحكيم الترمذي في حديث: إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة، وإنما صار أجله هناك، لأنه خلق من تلك البقعة، وقد قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه:٥٥] وإنما يعاد المرء من حيث بدئ منه. وعن الجريري قال: سمعت ابن سيرين يقول: لو حلفت حلفت صادقاً باراً غير شاكٍ، ولا مستثن أن الله ما خلق نبيه ﷺ، ولا أبا بكر وعمر إلا من طينة واحدة، ثم ردَّهم إلى تلك الطينة. وجاء أن عزرائيل عليه السلام، لمَّا قبض القبضة من الأرض، وطئ إبليس الأرض بقدميه، وصار بعضها بينهما، فمن التربة التي لم يصل إليها قدمه الأنبياء والأولياء، وكانت درة رسول الله ﷺ من تلك البقعة، موضع نظر الله كما في العوارف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أصل طينته ﷺ من سرة الأرض بمكة، يعني الكعبة. وقيل لمّا خاطب الله السموات والأرض بقوله: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت:١١] الآية. أجاب من الأرض موضع الكعبة، ومن السماء ما يحاذيها، فالمجيب من الأرض درته ﷺ، ومن الكعبة دحيت الأرض، ولم يكن مدفنه ﷺ بها، لأنه لمّا تموج الماء رمي الزبد إلى النواحي، فوقعت جوهرته ﷺ إلى ما يحاذي تربته بالمدينة واستقرت بها، كما قاله بعض المحققين، فاستحق هذا المحل الشرف باستقرار ذلك فيه، كما أن السبب في تفضيل الكعبة، وجوده بها أولاً. ولابن الجوزي في الوفاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض النبيّ ﷺ، اختلفوا في دفنه، فقال علي رضي الله عنه: إنه ليس في الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس حبيبه ﷺ.

قال السمهودي: بعد ما ذكر قلت: فهذا أصل الإجماع على تفضيله، لرجوع الباقين إليه. ولقول أبي بكر رضي الله عنه: حينئذٍ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبض النبيّ إلاّ في أحب الأمكنة إليه»[١].

رواه أبو يعلى قال: وأحبها إليه أحبها إلى ربه، لأن حبه تابع لحب ربه، وما كان أحب إلى الله ورسوله، كيف لا يكون أفضل، قال: وقد سلكت في تفضيل المدينة هذا المسلك،

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ٢٧٧).

فقد صح قوله ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة**»[١]، أو أشد أي بل أشد كما روي به، وأحببت الدعوة حتى كان يحرك دابته إذا رآها من حبها. وقال: «**ما على الأرض بقعة أحب إليَّ من أن يكون قبري بها منها**».

مع أن الحاكم روى في مستدركه عن الصحيحين، حديث: «**اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إليَّ فأسكني في أحب البقاع إليك**»[٢]، أي في موضع تصيره كذلك فيجتمع فيه الحبان، والحب من الله تعالى إنالة الخير والتعظيم للمحبوب، فيتجدد بعد إن لم يكن قيل قد ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته، فالمراد أحب إليك بعد مكة، لحديث: «**أن مكة خير بلاد الله**».

وفي رواية: «**أحب بلاد الله إلى الله**»، ولزيادة المضاعفة بمسجد مكة. قال السمهودي: قلت ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره إذ القصد به الدعاء لدار هجرته بأن يصيرها الله كذلك، وفي ما قدمنا غنية عن صحته، وحديث أن مكة محمول على بدء الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة وإظهار الدين، وافتتاح البلاد منها، حتى مكة فقد أنالها الله وأنال بها ما لم يكن لغيرها من البلاد، فظهرت إجابة الدعوة وصيرورتها أحب مطلقاً بعد، ولهذا اقترض الله على حبيبه ﷺ، الإقامة بها، وحث هو على الاقتداء به في سكناها، والموت بها، فكيف لا تكون أفضل؟ وقوله في بعض طرق، حديث: «**إن مكة خير بلاد الله**».

إن النبيّ ﷺ، قاله، وهو على راحلته بالحزوّرة، وهي المكان المعروف اليوم بعزورة، وقد كان ﷺ في سفر الهجرة مستخفياً لا يقتضي تأخر هذا القول عن سفر الهجرة لأن خروجه ﷺ للغار كان ليلاً، بعد أن ذرّ التراب على رؤوس من كان يرصده، وقرأ أوائل يس يستتر بها، فلم يروه.

وفي رواية لابن حبان: فركبا، أي هو وأبو بكر حتى أتيا الغار، وهو غار ثور، فتواريا فيه. وأما مزيد المضاعفة فأسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك، فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة أفضل منها بمسجد مكة، وإن انتفت عنها المضاعفة، إذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا شمول المضاعفة النفل مع تفضيله بالمنزل، ولذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة بمسجد مكة، مع قوله بتفضيل المدينة، ولم يصب من أخذ من قوله بمزيد المضاعفة بتفضيل مكة، إذ غايته أن للمفضول مزية ليست للفاضل مع أن دعاءه ﷺ بمزيد

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥: ٣٠٩). والبيهقي في دلائل النبوة (٢: ٥٦٩). وفيه: «كما حببت إلينا مكة».

(٢) رواه الفتني في تذكرة الموضوعات (٥٩). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٢١٣).

تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للأمور الدينية أيضاً، وقد يبارك في العدد القليل فيربو نفعه على الكثير، ولهذا استدل به على تفضيل المدينة.

وإن أريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط، فالجواب: إن الكلام في ما عداها، فلا يرد شيء مما جاء في فضلها، ولا ما بمكة من مواضع الشكر، لتعلقه بها، ولهذا قال عمر لعبد الله المخزومي: أنت القائل: لمكة خير من المدينة، فقال عبد الله: هي حرم الله وأمنه، وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً، ثم كرر عمر قوله الأول، فأعاد جوابه، فأعاد له عمر: لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً، فأشير إلى عبد الله، فانصرف.

وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في إتيان مسجد قباء، وعن الحج ما جاء في فضل الزيارة، والمسجد والإقامة بعد النبوة بالمدينة. وإن كانت أقل من مكة على القول به، فقد كانت سبباً لإعزاز الدين وإظهاره، ونزول أكثر الفرائض، وإكمال الدين، حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها، ثم استقر بها ﷺ، إلى قيام الساعة.

ولهذا قيل لمالك: أيما أحب إليك المقام هنا، يعني بالمدينة، أو بمكة؟ فقال: هٰهنا، وكيف لا أختار المدينة، وما بها طريق إلّا سلك عليها رسول الله ﷺ، وجبرّيل عليه السلام ينزل من عند رب العالمين في أقل من ساعة.

وقد ثبت في الأحاديث، تفضيل الموت بالمدينة، فيثبت تفضيل سكناها لأنه طريقه. وروى الطبراني وغيره حديث: «المدينة خير من مكة»[1]. وفي رواية للجنيدي: «أفضل من مكة»، وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يخطئ. وقال أبو زرعة: لين، وقال ابن عدي: روايته ليست محفوظة. وقال ابن أبي حاتم: ليس بقوي. ومن تأمل ما سلف مع ما سيأتي في فضائلها وخصائصها استغنى عنه وانشرح صدراً بتفضيلها. وفي الصحيحين: «أمرت بقرية تأكل القرى»[2]. يقولون: يثرب، وهي المدينة تنفي الناس، كما ينفي الكير خبث الحديد، أي أمرني الله بالهجرة إليها، إن كان قاله بمكة، أو بسكناها، إن كان قاله بالمدينة.

وقال القاضي عبد الوهاب: لا معنى لقوله تأكل القرى إلاّ رجوع فضلها عليها، وزيادتها على غيرها.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (١٠٠٥).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٦). ومسلم في الصحيح (الحج: ٤٨٨). وأحمد في المسند (٢: ٢٣٧). ومالك في الموطأ (٨٨٧).

وقال ابن المنير: يحتمل أن يكون المراد بذلك، غلبة فضلها على فضل غيرها، أي أن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكون عدماً، وهذا أبلغ من تسمية مكة أم القرى، لأن الأمومة لا ينمحي معها ما هي له أم، لكن يكون لها حق الأمومة.

قال السمهودي: بعده قلت: وجعله احتمالاً، لأنه كنى بالأكل عن الغلبة، لأن الآكل غالب على المأكول، فيحتمل أن يكون المراد غلبتها في الفضل، أو غلبة أهلها على القرى. قال: والأقرب حمله عليها، إذ هو أبلغ في الغرض المسوق له ذلك.

وفي صحيح مسلم حديث: **«يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمّه وقريبه هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده ولا يخرج أحد رغبة عنها إلاَّ أخلف الله فيها خيراً منه»**[1] وفيه أشعار بذم الخروج منها مطلقاً، وهو عام أبداً، كما نقله المحب الطبري عن قوم، وقال: إنه ظاهر اللفظ. وفي حديث الصحيحين: **«إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها»**[2]، أي تنقبض وتنضم وتلجأ مع أنها أصل انتشار، فلكل مؤمن من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه في ساكنها ﷺ. وللجنيدي حديث يوشك الإيمان أن يأرز إلى المدينة، أي يرجع إليها أخيراً كما ابتدأ منها، ولذا روي: **«لا تقوم الساعة حتى يحاز الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيل الدمن»**.

وفي رواية: **«ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدئ منها، حتى لا يكون إيمان إلا بها»**. ولأبي يعلى عن العباس رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة، فالتفت إليها وقال: **«إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك»**. وفي رواية: **«إن الله قد طهر هذه القرية من الشرك إن لم تضلهم النجوم»**.

ومن جواهر الإمام السمهودي رضي الله عنه في كتاب خلاصة الوفا في الباب الأول منه

[الحث على الإقامة فيها]

أيضاً: قوله: الفصل الثالث في الحث على الإقامة والصبر والموت بها، أي المدينة

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢١٩٨). والطبراني في المعجم الكبير (٤: ٣٤٣). والهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٢٩٩).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٧). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٢٣٣). وابن ماجه في السنن (٣١١١). وأحمد في المسند (٢: ٢٨٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (١١٩٧).

المنورة، واتخاذ الأصل، ونفيها الخبث والذنوب، ووعيد من أحدث بها حدثاً، أو آوى محدثاً، أو أرادها وأهلها بسوء، أخافهم والوصية بهم.

وقد سبق حديث مسلم: **«يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه»**[1].

وفي الموطأ والصحيحين حديث: تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». الحديث. ويبسون بفتح أوله وضم الموحدة وبكسرها، أي يسوقون دوابهم مسرعين.

وفي الصحيحين حديث: **«من صبر على لأوائها وشدتها، كنت له شهيداً، أو شفيعاً يوم القيامة»**. ولمسلم عن سعيد مولى المهري: أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها. وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يصبر»**، وفي رواية: **«لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلاّ كنت له شفيعاً، أو شهيداً يوم القيامة»**.

وفي رواية، فقال أبو سعيد: لا تفعل. ألزم المدينة. وذكر الحديث. ولمسلم وغيره، أن مولاة أتت ابن عمر رضي الله عنها في الفتنة، تسلم عليه، فقالت: إني أردت الخروج يا أباعبد الرحمن، اشتد علينا الزمان. فقال لها عبد الله: اقعدي لكاع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلاّ كنت له شهيداً، أو شفيعاً يوم القيامة»**.

والظاهر كما قال عياض: «إن أوليست» للشك لكثرة رواته بها، بل للتقسيم، ويكون ﷺ شفيعاً للعاصين وشهيداً للمطيعين، أو شهيداً لمن مات في حياته، وشفيعاً لمن مات بعده، وكل من هذه الشفاعة، أو الشهادة خاصة تزيد على شفاعته وشهادته العامتين، أو تكون، أو بمعنى الواو، فقد رواه البزار برجال الصحيح عن عمر رضي الله عنه بالواو، والمفضل الجنيدي عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: **«لا يصبر أحد على لأواء المدينة»**، وفي نسخة «وحرها»، إلاّ كنت له شفيعاً وشهيداً». وفيه البشرى للصابر بها بالموت على الإسلام، لاختصاص ذلك بالمسلمين، وكفى بها مزية، بل كل من مات بها فهو مبشر بذلك، فقد ثبت حديث: **«من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة»**.

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٨٢٣٢). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٤١).

وحديث: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها». وفي رواية: «فإني أشهد لمن يموت بها».

وللبيهقي وابن حبان في صحيحه: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من يمت بها أشفع له وأشهد له».

وفي رواية: «فإنه من مات بها، كنت له شفيعاً، أو شهيداً يوم القيامة». وفي رواية: «عقب ذلك وإني أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون ثم أنتظر أهل مكة». ولأبي ذر الهروي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض. ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين»(١). وفي حديث: «أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف». وفي الموطأ: أن النبيّ ﷺ كان جالساً وقبر يحفر بالمدينة فأطلع رجل في القبر فقال: «بئس مضجع المؤمن»(٢). فقال رسول الله ﷺ: «بئس ما قلت»، قال الرجل: إني لم أرد هذا، إنما أردت القتل في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «لا مثل للقتل في سبيل الله، ما على الأرض بقعة أحب إليَّ من أن يكون قبري بها منها». يعني المدينة ثلاث مرات. ولأحمد برجال الصحيح: أن النبيّ ﷺ كان إذا دخل مكة قال: «اللهم لا تجعل منايانا بمكة حتى تخرجنا منها»(٣). وصح أن عمر رضي الله عنه قال: اللهم أرزقني شهادة في سبيلك، وأجعل موتي في بلد رسولك ﷺ. وروي أن ذلك كان من أجل دعائه.

وفي الكبير للطبراني في حديث: «من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً، فليأتين على الناس زمان يكون الذي ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها»(٤).

وفي رواية: «فليجعل له بها أصلاً ولو قصرة»، أي ولو شجرة وزناً ومعنى. ورواه ابن شبة بنحوه، ثم أسند عن الزهري مرفوعاً: «لا تتخذوا الأموال بمكة، بل اتخذوها في دار هجرتكم فإن الرجل مع ماله»(٥).

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٣). وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢: ٤٣٢).

(٢) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٤٦). وفيه: «مطيه».

(٣) رواه أحمد في المسند (٢: ٢٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ١٩). والهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ٢٥٣).

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٣٠١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٩٢٤).

(٥) رواه مسلم في الصحيح (الحج ب ٨٨ رقم ٤٨٧). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٤٠). والمتقي =

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ولا ترتدوا على أعقابكم بعد الهجرة، ولا تنكحوا بناتكم طلقاء أهل مكة»**. الحديث.

وفي مسلم عقب قوله في الحديث السابق: **«لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه إلا أن المدينة كالكير تنفي الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها. كما ينفي الكير خبث الحديد»** وسبق في الفضل قبله: **«تنفي الناس»**.

وفي رواية: **«تنفي الرجال»**، أي شرارهم، أو خبثهم ولذا روي خبث الرجال. وفي صحيح البخاري حديث: **«إنها طيبة تنفي الذنوب، كما ينفي الكير خبث الفضة»**.

وفي الصحيحين قصة الأعرابي القائل: أقلني بيعتي فأبى رسول الله ﷺ، فخرج الأعرابي، فقال ﷺ: **«المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها»**، وهو ظاهر في أن المراد أبعاد أهل الخبث، ولا يختص بزمنه ﷺ، لقوله ﷺ في الحديث السابق: **«لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها»**، أي عند ظهور الدجال، حين ترجف المدينة فيخرج إليه منافقوها، ولذا جاء في حديث أحمد وذلك يوم التخليص ذلك يوم تنفي المدينة الخبث.

وقال عمر بن عبد العزيز، إذ خرج منها بمن معه. أتخشى أن نكون ممن نفت المدينة؟ وقد أبعد الله عنها أرباب الخبث الكامل، وهم الكفار.

وأما غيرهم فقد يكون أبعاد من مات بها بنقل الملائكة، كما أشار إليه الأقشهري، فقوله ﷺ: **«تنفي خبثها وتنفي الذنوب»**، أي أهل ذلك، والمراد أبعاد أهل الخبث الكامل فقط، وهم أهل الشقاء، لعدم قبولهم للشفاعة، أو المراد في ما عدا قصة الأعرابي والدجال، أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها بما فيها من اللأواء والمشقات ومضاعفة المثوبات والرحمات، إذ الحسنات يذهبن السيئات، أو المراد من كان في قلبه خبث وفساد ميزته عن القلوب الصادقة، وأظهرت ما يخفي من عقيدته، كما هو مشاهد بها، ويؤيده قوله ﷺ عند رجوع المنافقين في غزوة أحد: **«المدينة كالكير»**، الحديث. قال السمهودي: والذي ظهر لي، أنها تنفي خبثها بالمعاني الأربعة وتنصع، أي تميز وتخلص طيبها، هذا هو المشهور.

وفي الصحيحين في أحاديث تحريم المدينة: **«فمن أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، «لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»**. ولفظ

= الهندي في كنز العمال (٣٨٦٠٢). وابن حجر في فتح الباري (٤: ٨٨).

البخاري: «**لا يقبل منه صرف ولا عدل**» والجمهور على أن الصرف الفريضة والعدل النافلة، وقيل: عكسه، وقيل: الصرف التوبة والعدل الفدية، أي أتى فيها إثماً، أو آوى من أتاه وحماه، فلا يقبل منه فريضة ونافلة قبول رضى، ولا يجد في القيامة ما يفتدى به من كافر وقيل غير ذلك.

ولعنه أبعاده عن رحمة الله وطرده عن الجنة أولاً، لا كلعن الكفار. وفيه دلالة على أن ذلك من الكبائر مطلقاً إذ اللعن خاص بها فيستفاد منه أن الصغيرة بها كالكبيرة بغيرها تعظيماً للحضرة النبوية. وفي صحيح البخاري مرفوعاً: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلاّ أنماع كما ينماع الملح في الماء**»(١).

ولمسلم: «**من أراد أهل هذه البلدة بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء**». وله في رواية: «**ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء**».

قال عياض: قوله في النار يبين أن هذه حكمه في الآخرة، أو المراد من أرادها في حياة النبي ﷺ بسوء اضمحل كما يضمحل الرصاص في النار، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير. ويؤيده قوله: «**أو يذوب الملح في الماء**». أو المراد: «**من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها، فيضمحل كيده، ولا يتم أمره، بخلاف من أتاها جهاراً**»، أو المراد: «**من أرادها بسوء مطلقاً، فإن أمره يضمحل في الدنيا كما عوجل مسلم بن عقبة وكذا مرسله بزيد عقب أغزائها**».

قال السمهودي: قلت: هذا هو الأرجح، إذ ليس في اللفظ ما يقتضي التخصيص بزمان، ولأنه لا يتم لمن أرادها بسوء ما أراده، بل الوعد بإهلاكه سريعاً، هذا هو المشاهد من شأنها، وقد يضاف لذلك الإذابة في النار أيضاً.

وللجنيدي حديث: «**أيما جبار أراد المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء**»(٢).

وللبزار بإسناد حسن حديث: «**اللهم أكفهم في دهمهم بيأس**»، يعني أهل المدينة، «**ولا يريدها أحد بسوء إلاّ أذابه الله كما يذوب الملح في الماء ودهمهم أي غشيهم بسرعة وأغار عليهم**»(٣). ولابن زبالة عن سعيد ابن المسيب، أن رسول الله ﷺ أشرف على المدينة ورفع

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٧). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٢٣١).
(٢) رواه حميدي في المسند (١١٦٧).
(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٣٠٧). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٢٤٢). والسيوطي =

يديه حتى رؤي عفرة أبطيه ثم قال: «**اللهم من أرادني وأهل بلدي بسوء فعجل هلاكه**»[١].

وفي الأوسط للطبراني برجال الصحيح حديث: «**اللهم من ظلم أهل المدينة، وأخافهم، فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل**».

وفي رواية لغيره: «**من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ولم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً**».

والنسائي: «**من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله**». ولابن حبان نحوه. ولأحمد برجال الصحيح عن جابر: أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة، وكان قد ذهب بصر جابر، فقيل لجابر: لو تنحيت عنه. فخرج يمشي بين أبنيه، فنكب، فقال: تعس من أخاف رسول الله ﷺ: فقال. ابناه أو أحدهما: يا بني، وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي**».

قال السمهودي: ولعل هذا الأمير بشر بن أرطأة كما رواه عبد البر. وفي الكبير للطبراني حديث: «**من آذى أهل المدينة آذاه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل**». ولابن النجار، عن معقل بن يسار المزني مرفوعاً: «**المدينة مهاجري فيها مضجعي، ومنها مبعثي حقيق على أمتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر ومن حفظهم كنت له شفيعاً، أو شهيداً يوم القيامة، ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال**».

قيل للمزني: وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار. رواه الطبراني بلفظ: «**المدينة مهاجري ومضجعي في الأرض حق على أمتي أن يكرموا جيراني ما اجتنبوا الكبائر، ومن لم يفعل ذلك منهم سقاه الله من طينة الخبال**». قلنا: يا أبا يسار وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار.

وفي فوائد القاضي أبي الحسن الهاشمي عن خارجة بن زيد مرفوعاً: «**المدينة مهاجري، وفيها مضجعي، ومنها مخرجي حق على أمتي حفظ جيراني، وفيها من حفظ وصيتي كنت له شهيداً يوم القيامة، ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال**».

قيل: وما حوض الخبال يا رسول الله؟ قال: «**حوض من صديد أهل النار**». ولابن زبالة حديث: «**أن الله جعل المدينة فيها مهاجري، وفيها مضجعي، ومنها مبعثي، فحق على أمتي**

= في جمع الجوامع (٣٨٢٤).

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٨١٦٣).

حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر، فمن حفظ فيهم حرمتي كنت له شفيعاً يوم القيامة، ومن ضيع فيهم حرمتي أورده الله حوض الخبال».

وفي رواية له: «**المدينة مهاجري، وبها وفاتي، ومنها محشري وحقيق على أمتي أن يحفظوا جيراني ما اجتنبوا الكبيرة، ومن حفظ فيهم حرمتي كنت له شهيداً، أو شفيعاً يوم القيامة**».

وفي مدارك عياض، قال محمد بن مسلمة: سمعت مالكاً يقول: دخلت على المهدي، فقال: أوصني. فقلت: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**المدينة مهاجري، ومنها مبعثي، وبها قبري، وأهلها جيراني وحقيق على أمتي حفظ جيراني، فمن حفظهم فيّ كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني، سقاه الله من طينة الخبال**».

قال مصعب، لما قدم المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما بصر بمالك انحرف المهدي إليه، فعانقه وسايره، فالتفت إليه مالك فقال: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة، فتمر بقوم عن يمينك وعن يسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، ولا بلد خير من المدينة. قال: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال: إنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض، غير قبر محمد ﷺ عندهم، فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم، ففعل ما أمر به. قال السمهودي: وفيه إشارة إلى التفضيل بمجاورة قبر النبي ﷺ، وقد قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، ولم يخص جاراً دون جار، ومن تأمل هذا الفضل لم يرتب في تفضيل سكني المدينة على مكة مع تسليم مزية المضاعفة لمَه فتلك لها مزيد العدد ولهذا تضاعف البركة والمدد**»[1]. ولتلك جوار بيت الله تعالى، ولهذا جوار حبيب لله ﷺ وأكرم الخلق على الله تعالى. وقال بو بكر بن حماد: إنه سأل أبا عبد الله، يعني ابن حنبل: أين ترى أحب إليك أن يسكن الرجل مكة أو المدينة؟ قال: المدينة لمن صبر عليها، وفي رواية: المدينة لمن قوي عليها. قيل له: قال لأن بها خبر المسلمين. واختيار سكني المدينة هو المعروف من حال السلف.

ولابن شبة عن الشعبي، إنه كان يكره المقام بمكة، ويقول: لأن أنزل دوران أحب إلي من أن أنزل مكة، وهي قرية هاجر منها النبي ﷺ. ودوران كحوران عند طرف قديد.

---

(١) رواه أبو حنيفة في المسند (١٦٧).

وفي مصنف عبد الرزاق أن الصحابة كانوا يحجون، ثم يرجعون ويعتمرون، ثم يرجعون ولا يجاورون.

قال السمهودي: ولم أرَ للسلف خلافاً في كراهة المجاورة بالمدينة بخلاف مكة، وإن اقتضى كلام النووي حكاية الخلاف فيهما بناء على أن العلة خوف الملل، وقلة الحرمة، والإنس، وخوف ملابسة الذنوب.

قال النووي: والمختار استحباب المجاورة بهما، إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في ما ذكر. وفي الأوسط للطبراني في حديث: «من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مشرب جفوة»[1].

ومن جواهر الإمام السمهودي في كتابه خلاصة الوفا في الباب الأول منه أيضاً

[الدعاء لها ولأهلها]

قوله في الفصل الرابع: في الدعاء لها ولأهلها، ونقل وبائها وعصمتها من الدجال والطاعون.

في الصحيحين حديث: «اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد». ورواه رزين والجنيدي بالواو وقد تكرر دعاؤه ﷺ بتحبيب المدينة، والظاهر أن الإجابة حصلت بالأول، والتكرير لطلب المزيد، حتى كان إذا قدم من سفر فنظن إلى جدرانها، وفي رواية إلى دوحاتها، أي كبار شجرها.

وفي رواية: «درجاتها»، أي طرقها المرتفعة، أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبها. كما في الصحيح.

وفي رواية لابن زبالة تباشرا بالمدينة، وفي أخرى، كان إذا أقبل من مكة، فكان بالإثاية، طرح رداءه عن منكبيه، وقال: «هذه أرواح طيبة».

وفي الدعاء للمحاملي عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا قدم من سفر من أسفاره، فأقبل على المدينة يسير أتم السير، ويقول: «اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً».

وفي الصحيحين حديث: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي، ما جعلت بمكة من البركة»[2].

ولهما أيضاً: «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٣١٠).
(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٩). ومسلم في الصحيح (٩٩٤). وأحمد في المسند (٣: ١٤٢).

مدهم»[١]، قال السمهودي: هذه البركة في أمر الدين والدنيا، لأنها النماء والزيادة والبركة لها حاصلة في نفس الملكين بحيث يكفي المدّ بها من لا يكفيه بغيرها، هذا محسوس لمن سكنها، ولذا قول: إن سكناها تزيد في الإيمان. ولمسلم: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا. اللهم بارك لنا في صاعنا. اللهم بارك لنا في مدنا. اللهم بارك لنا في مدينتنا. اللهم اجمع مع البركة بركتين**».

وله أيضاً: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه**».

وله وللترمذي، كان الناس إذا رأوا أول الثمرة، جاؤوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه قال: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا**»[٢].

الحديث وهو يقتضي تكرر الدعاء بتكرر ذلك. وللطبراني في الأوسط برجال ثقات عن ابن عمر رضي الله عنهما صلى رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل على القوم فقال: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا**». الحديث وله في الكبير برجال ثقات عن ابن عباس نحوه. وللترمذي وقال حسن صحيح، عن علي رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بحرة السقيا، التي كانت لسعد بن أبي وقاص، فقال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بوضوء، فتوضأ، ثم قام فاستقبل القبلة، فقال: اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك ودعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة بالبركة بركتين**».

وفيه إشارة إلى أن المدعو به ستة أضعاف ما بمكة من البركة.

ولابن زبالة عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن النبي ﷺ خرج إلى ناحية من المدينة، وخرجت معه فاستقبل القبلة، ورفع يديه حتى أني لأرى بياض ما تحت منكبيه، «**اللهم إن إبراهيم نبيك وخليلك دعاك لأهل مكة، وأنا نبيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم وقليلهم وكثيرهم ضعفي ما باركت لأهل مكة، اللهم من هٰهنا وهٰهنا وهٰهنا، حتى أشار إلى نواحي الأرض كلها، اللهم من أرادهم بسوء فَأَذِبْهُ، كما يذوب الملح في الماء**».

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٨٩). ومسلم في الصحيح (الحج: ٤٦٢).

(٢) رواه مالك في الموطأ (٨٨٥).

ولأحمد برجال الصحيح عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صلى بأرض سعد بأصل الحرة عند بيوت السقيا، ثم قال: «اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ورسولك ونبيك دعاك لأهل مكة وأنا، محمد عبدك ورسولك، أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة واجعل ما بها من وباء بخم». الحديث.

وللجندي حديث: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها لنا، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حماها واجعلها بالجحفة».

ولابن زبالة في حديث قدومه ﷺ، ووعك أصحابه أنه جلس على المنبر، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم انقل عنا الوباء»، فلما أصبح قال: «أتيت هذه الليلة بالحمى»، فإذا بعجوز سوداء ملَّبَبه في يدي الذي جاء بها، فقال: «هذه الحمى فما ترى فيها؟ فقلت: «اجعلوها بخم».

وفي رواية له أنه ﷺ أمر عائشة رضي الله عنها بالذهاب إلى أبي بكر، فرجعت فأخبرته، فكره ذلك، ثم عمد إلى بقيع الخيل، وهو سوق المدينة، وفيه ووجهه إلى القبلة، فرفع يديه إلى الله تعالى، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لأهل المدينة في سوقهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدهم، اللهم انقل ما كان بالمدينة من وباء إلى مهيعة».

ثم قال السمهودي: وإنما دعا ﷺ، بنقل الحمى إليها لأنها كانت دار شرك، ولم تزل من يومئذ أكثر بلاد الله حمى.

قال بعضهم وأنه ليتُقى شرب الماء من عينها التي يقال لها: عين خُم، فقل من شرب منها إلا حُم. وتحويل مثل هذا الوباء من أعظم المعجزات.

وللبخاري حديث: «رأيت امرأة سوداء، ثائرة الرأس، خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة، فتأولتُها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة».

ولابن زبالة حديث أصح المدينة من الحمى ما بين حَرة بني قريظة والعريض وحديث: «اللهم حبب إلينا المدينة، وأنقل وباءها إلى مهيعة وما بقي منها فاجعله تحت ذنب مِشْعط». وحديث: «إن كان الوباء في شيء من المدينة فهو في ظل مشعط».

قال السمهودي: ومشعط كمرفق أطَم لبني هذيلة، كان في غربي مسجدهم قرب البقيع، وقال: وهذا يؤذن ببقاء شيء من الحمى، كما هو اليوم، فالذي نقل سلطانه، أو أعيد الخفيف

منها للتكفير، لحديث أحمد وغيره برجال الصحيح عن جابر: استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ، فقال: «من هذه؟ فقالت أم ملد. فأمر بها إلى أهل قباء فلقوا ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فأتوه، فشكوا ذلك إليه، فقال: ما شئتم دعوت الله تعالى ليكشفها عنكم، وإن شئتم تكون لهم طهوراً. قالوا: أوَ تفعل: قال: نعم، قالوا: فدعها».

وفي رواية: «وإن شئتم تركتموها، وأسقطت بقية ذنوبكم». ولأحمد أيضاً، برجال ثقات: «أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأمسكت الحمى بالمدينة، وأرسلت الطاعون للشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجز على الكافرين».

قال الإمام السمهودي بعده: وإن الموجود منها اليوم ليس حمى الوباء، بل رحمة ربنا ودعوة نبينا. وفي الصحيحين وغيرهما حديث: «على أنقاب المدينة وملائكة يحرسونها، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

وللبخاري وغيره وحديب «المدينة يأتيها الدجال، فيجد الملائكة، فلا يقربها الدجال ولا الطاعون، إن شاء الله تعالى».

قال السمهودي: وقوله: إن شاء الله تعالى، للتبرك، للجزم كذلك في بقية الأحاديث، فلم تزل محفوظة في سائر الأعصار، كما جزم به ابن قتيبة، وتبعه جمع من آخرهم النووي.

وفي الصحيحين حديث: «ليس بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها، فينزل السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، أي بسبب الزلزلة التي تقع، فيخرج إليه كل كافر ومنافق»[1].

وفي رواية: «فيأتي سبخة الجرف، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة».

وللبخاري: «لا يدخل المدينة رعب المسيح، أي الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان».

والمسلم: «يأتي المسيح، أي الدجال، من قِبَل المشرق، وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قِبَل المشرق، وهناك يهلك».

وللبخاري ومسلم قصة خروج الرجل، الذي هو خير الناس، أو من خير الناس، من المدينة إليه، إذ أنزل بعض سباخها، فيقول له: أشهد أنك الدجال، الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، الحديث بطوله، فاختصت بذلك، لكونها حضرة المبعوث بالحق ﷺ.

---

(١) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٤: ١٠٤).

ولأحمد برجال الصحيح: أشرف رسول الله ﷺ على فلق من أفلاق الحرة ونحن معه، فقال: «نعم الأرض المدينة إذا خرج الدجال على كل نقب من أنقابها ملك لا يدخلها الدجال، فإذا كان ذلك، رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات، لا يبقى فيها منافق، ولا منافقة آلا خرج إليه وأكثرهم يعني من يخرج النساء، وذلك يوم التخليص، ذلك يوم تنفي المدينة الخبث، كما ينفي [الكير][1] وسخ الحديد، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود، على كل رجل منهم ساج وسيف محلى، فيضرب قبته بهذا المضرب الذي بمجتمع السيول»، الحديث بطوله، ثم ذكر أحاديث أخرى في هذا المعنى.

ومن جواهر الإمام السمهودي في كتابه خلاصة الوفا في الباب الأول منه أيضاً

[ترابها وثمرها]

قوله: الفصل الخامس: في ترابها وثمرها، روى ابن النجار وابن الجوزي في الوفاء حديث: «غبار المدينة شفاء من الجذام»[2].

وفي جامع الأصول لابن الأثير: لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، تلقاه رجال من المخلفين من المؤمنين، فأثاروا غباراً فجَمَّروا، فغطى بعض من كان مع رسول الله ﷺ أنفه، فأزال رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه، وقال: «والذي نفسي بيده، إن في غبارها شفاء من كل داء»، وأراه ذكر من الجذام والبرص.

ولرزين عن ابن عمر نحوه، وقال: فمدّ رسول الله ﷺ يده، فأماطه عن وجهه، وقال: «ما علمت أن عجوة المدينة شفاء من السقم، وغبارها من الجذام».

ولابن زبالة عن صيفي بن أبي مرفوعاً: «والذي نفسي بيده، إن تربتها لمؤمنة وإنها شفاء من الجذم».

وله عن سلمة، بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «غبار المدينة يطفئ الجذام»قال الإمام السمهودي: وقد شاهدنا من استشفى به منه، وكان قد أضرّ به فنفعه جداً.

وروى يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة العلوي وابن النجار كلاهما من طريق

---

(١) الكير: الزق الذي ينفخ فيه الحداد.

(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٨٢٨). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٠١).

ابن زبالة: أن النبي ﷺ أتى بني الحارث، فإذا هم روبي، فقال: «ما لكم يا بني الحارث روبى، قالوا: أصابتنا يا رسول الله هذه الحمى قال: فأين أنتم من صُعيب؟ قالوا: يا رسول الله ما نصنع به؟ قال: يأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء، ثم يتفل عليه أحدكم، ويقول بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضتنا بإذن ربنا». ففعلوا فتركوهم الحمى. قال طاهر بن يحيى العلوي عقب روايته لذلك صعيب، وأدى بطحان دون الماجشونية، أي الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية، وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه، وهو اليوم إذا وبئ إنسان أخذ منه.

قال ابن النجار: وقد رأيت أنا هذه الحفرة اليوم والناس يأخذون منها، وذكروا أنهم قد جربوه، فوجدوه صحيحاً، قال: وأخذت منه أنا أيضاً. قال الإمام السمهودي: قلت: وهذه الحفرة موجودة، يأثرها الخلف عن السلف، وينقلون ترابها للتداوي. وذكر المجد الفيروزأبادي، صاحب القاموس: إن جماعة من العلماء ذكروا أنهم جربوه للحمى، فوجدوه صحيحاً، قال: وأنا سقيت غلاماً لي مريضاً، من نحو سنة تواظبه الحمى، فانقطعت عنه من يومه.

وذكر هو في موضع آخر كالمطري: إن ترابه يجعل في الماء، يغتسل به من الحمى، قال السمهودي: فينبغي أن يفعل أولاً ما ورد، ثم يجمع بين الشرب والغسل.

وفي الصحيحين حديث: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة، أو جرح، قال: بإصبعه هكذا. ووضع سفيان سبابته بالأرض، ثم رفعها، وقال: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا تشفي سقيمنا بإذن ربنا». ولابن زبالة: إن رجلاً أتى به رسول الله ﷺ وبرجله قرحة، فرفع رسول الله ﷺ طرف الحصير، ثم وضع إصبعه التي تلي الإبهام على التراب بعدما مسها بريقه، وقال: «بسم الله ريق بعضنا بتربة أرضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا، ثم وضع إصبعه على القرحة، فكأنما حل من عقال.

وله مرفوعاً: «من تصبح بسبع تمرات من العجوة، لا أعلمه إلا قال: من العالية لم يضره يومئذ سم ولا سحر».

ولمسلم حديث: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها، حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي».

ولأحمد برجال الصحيح: «من كل سبع تمرات عجوة مما بين لابتي المدينة على الريق، لم يضره يومه ذلك شيء، حتى يمسي». قال فليح: وأظنه قال: «وإن أكلها حين يمسي، لم يضره شيء حتى يصبح».

وفي الصحيحين: «من تصبح بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»، ولمسلم: «إن في عجوة العالية شفاء، أو إنها ترياق أول البكرة».

ولأحمد برجال الصحيح في حديث: «وأعلموا إن الكمأة دواءٌ للعين، وإن العجوة من فاكهة الجنة».

وللطبراني في الثلاثة وغير بسند جيد: «الكمأة من الممن وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم».

وصح لأبي داود عن سعد بن أبي وقاص: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثديي، حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: «إنك رجل مفؤود ائت الحارث ابن كلدة أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة، فليلحأهن، ثم ليلدتهن، أي يسقيك، يقال لده إذا سقاه الدواء في أحد جانبي الفم».

وفي كامل ابن عدي مرفوعاً: «ينفع من الدوَّام أن تأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة كل يوم، تفعل ذلك سبعة أيام».

وفي غريب الحديث للخطابي عن عائشة رضي الله عنها: إنها كانت تأمر للدواء والدوّار بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الريق، والدوام والدوار ما يأخذ الإنسان برأسه فيدوّمه، ومنه تدويم الطائر، وهو أن يستدير في طيرانه.

وتخصيص العجوة دون غيرها وعدد السبع مما لا يعلم حكمته، فيجب الإيمان به واعتقاد فضله وبركته.

وسوق هذه الأحاديث وأطباق الناس على التبرك بالعجوة، وهو من النوع المعروف الذي يأثره الخلف عن السلف بالمدينة، ولا يرتابون في تسميته بذلك، يرد ما قيل هنا مما سوى ذلك.

والعجوة، كما قال ابن الأثير، ضرب من التمر، أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد.

قال ابن الأثير: وهو مما غرسه النبي ﷺ بيده بالمدينة وذكر هذا الأخير البزار أيضاً. ولابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أحب التمر إلى رسول الله ﷺ العجوة. ولأحمد: «خير تمركم البرني يخرج الداء ولا داء فيه».

قال السمهودي: وأنواع نمر المدينة كثيرة، استقصيناها في الأصل الأول، فبلغت مائة وبضعاً وثلاثين نوعاً، منها الصيحاني.

ومن جواهر الإمام السمهودي في كتابه خلاصة الوفاء في الباب الأول منه أيضاً

[تحريمها]

قوله: في الفصل السادس في تحريم المدينة المنورة: في الصحيحين حديث: **«أن إبراهيم حرم مكة، ودعا لها»**. وفي رواية: **«ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة»**.

وللبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: حرم ما بين لابتي المدينة على لساني، قال: وأتى النبي ﷺ بني حارثة، فقال: **«أراكم يا بني حارثة قد خرجتم من الحرم»**، ثم التفت، فقال: **«بل أنتم فيه»**.

ولأحمد: **«إن الله حرم على لساني ما بين لابتي المدينة»**، وللإسماعيلي نحوه، قال: ثم جاء بني حارثة، وهم في سند الحرة، أي في الجانب المرتفع منها، والمراد منزلهم الذي جاء الإسلام. وهم فيه من الحرة الشرقية يمين المتوجه في الطريق الشرقية لمشهد حمزة رضي الله عنه، لا كما قال المطري: إنهم كانوا غربي المشهد بيثرب، لما أوضحناه في الأصل، وكان ﷺ لما رأى منزلهم فيما ارتفع من الحرة، فلا يصدق عليه أنه فيما بين الحرتين، قال لهم ذلك، ثم رأى إن ذلك داخل فيما بين الجبلين، فقال: **«بل أنتم فيه»**. ولمسلم: **«اللهم إني أحرم ما بين جبليها، مثل ما حرم إبراهيم مكة»**.

ولمسلم أيضاً: **«اللهم إن إبراهيم حرم مكة، فجعلها حراماً، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها أن لا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف**. مأزما المدينة: جبلاها، كما صوبه النووي، وهما عَيروثور، لما في رواية مسلم في حديث الصحيفة عن علي رضي الله عنه: **«المدينة حرم ما بين عير إلى ثور»**. ولأبي داود مثله، وزاد إن رسول الله ﷺ قال: **«لا يُختلي خلاها ولا ينفر صيدها، ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد بها، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا أن يقطع منها شجرة، إلا أن يعلف رجل بعيره»**.

وللطبراني برجال ثقات: ما بين عير وأحد حرام، حرمه رسول الله ﷺ، ولأحمد نحوه. وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: لو رأيت الظبا في المدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول الله ﷺ: **«ما بين لابتها حرام»**. ولمسلم عنه: حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي المدينة.

قال أبو هريرة: فلو وجدت الظبا ما بين لابتيها ما ذعرتها، وجعل اثني عشر ميلاً حول

المدينة حمى. ولأبي داود حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريداً بريداً لا يخبط شجره ولا يعضد إلا ما ساق به الجمل. ولأحمد في حديث الصحيفة وهو صحيح: **«إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين حرتيها وحماها كله، لا يختلي خلاّها ولا ينفر صيدها، ولا يلتقط لقطتها، ولا يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره، ولا يحمل فيها السلاح لقتال»**. وللبيهقي في المعرفة: **«إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم المدينة ما بين حرتيها وحماها»**. الحديث.

وقال: **«ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد بها»**، يعني أنشد، ومقتضى رواية أحمد إنه حرّم ما بين حرتي المدينة وحرم حماها كله. وفي رواية البيهقي: إنه حرم ما بين اللابتين وحمام المدينة، وهن ثلاثة أجبل مما يلي حرتها الغربية. ولمسلم من حديث جابر: **«إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاهها، ولا يصاد صيدها»**.

ولأحمد: **«وأنا أحرم ما بين حرتيها»**، ولذا قال النووي رضي الله عنه: لابتيها، أي حرتيها الشرقية والغربية، والمدينة بينهما. وهو حد للحرم من المشرق والمغرب، وما بين جبليها بيان لحده من الجنوب والشمال، قال: ومعنى قوله: ما بين لابتيها، اللابتان وما بينهما.

قال السمهودي قلت: ويؤيده ما سبق في منازل بني حارثة، وإن التحديد بالجبلين مقتض لذلك، وللمدينة أيضاً حرة من القبلة وحرة من الشام، لكنهما يرجعان إلى المشرق والمغرب يتصلان بهما. والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جدّاً، وهي المعول عليه عندنا في تحديد حرم المدينة. وساق أحاديث أخرى في ذلك. وثور جبل صغير خلف أحد. والخلا مقصوراً النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً واختلاؤه قطعه.

ومن جواهر الإمام السمهودي في كتابه خلاصة الوفا في الباب الأول منه أيضاً

[أحكام حرمها]

قوله في الفصل السابع في أحكام حرمها: اتفق الأئمة الثلاثة وغيرهم عَلَى تحريم قطع شجرها وصيدها، خلافاً لأبي حنيفة رضي الله عنه وعنهم: وما سبق من الأحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه.

ولمسلم: أن سعداً ركب إلى قصره بالعقيق، فوجد عبداً يقطع شجراً، أو يخبطه، فسلبه

ثيابه، فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد على غلامهم، أو عليهم، ما أخذ من غلامهم، فقال: معاذ الله أن أرد شيئاً نفلنيه رسول الله ﷺ.

ولأبي داود: أن سعداً وجد عبيداً من عبيد المدينة يقطعون شجراً من شجر المدينة، قال: فأخذ متاعهم، وقال: يعني لمواليهم: سمعت رسول الله ﷺ: ينهى أن يقطع من شجر المدينة شيء. وقال: «من قطع منه شيئاً فلمن أخذه سلبه».

وذكر السمهودي في ذلك أحاديث كثيرة، ثم قال: ويجوز أخذ ما يتغذى به مما ينبت بنفسه كالرجلة ونحوه، كما قاله المحب الطبري: وهو ظاهر فهو أولى من أخذه للبهائم، وأطال في ذلك، ثم قال: ونقل النووي عن الماوردي أنه طرد الوجهين في سقوط فرض الاستنجاء بالذهب والديباج في حجارة الحرم.

قال السمهودي: قلت: ولعل مراده ما نقل منها إلى الحل، إذ لا خلاف في جواز البول في الحرم فالاستجناء بأحجاره كذلك، وصحح الرافعي كراهة نقل أحجار الحرم وترابه ما اتخذ منه، ونقله النووي عن كثيرين، أو الأكثرين، وصحح هو التحريم.

وقال أبو حنيفة: لا بأس به. وحمل تراب الحل وأحجاره إلى الحرم خلاف الأولى، كما في شرح المهذب وأطلق في الروضة والمناسك الكراهة عليه، ويظهر أن محل ذلك فيما لم تدع الحاجة إليه، فإن دعت الحاجة إلى نقل تراب الحل إلى الحرم، أو عكسه، كمن احتاج للسفر بآنية من تراب الحرم، أو دخوله بها جاز، وهو أولى مما سبق في جواز قطع نبات الحرم للدواء ونحوه، وأولى في تجويز آنية الذهب والفضة للحاجة.

وقد قال الزركشي: ينبغي أن يستثنى من منع تراب الحرم تربة حمزة رضي الله عنه، أي المأخوذة من المسيل الذي به مصرعه لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوي من الصداع.

قال السمهودي: قلت: فتربة صُعيب أولى بذلك لما سبق فيها، أي في الفصل الخامس من أن ترابه شفاء، وهو وادي بطحان، قال: ويجب على من أخرج شيئاً من تراب الحرم، أو حجره أن يرده، لا ضمان في تركه.

قال الدميري: فإذا نقل من أحد الحرمين إلى الآخر، هل يزول التحريم؟ أي فينقطع وجوب الرد، أو يفرق بين نقله للأشرف وعكسه، فيه نظر. وفي تغليظ الدية على القاتل خطأ بحرم المدينة كمكة خلاف مبني على الخلاف في ضمان صيدها، ولذا اختار السراج البلقيني أنها تغلظ، لأن المختار، كما سبق عن النووي وغيره، ضمان صيدها بالسلب، وهو متجه. واستحسن الروياني التسوية بين الحرمين، في أن من مات من الكفار بهما يخرج ويدفن

خارجهما، وعلى القول باختصاص مكة بذلك، فسببه أن الكفار أخرجوا منها حبيبه ﷺ، فعوقبوا بالمنع من الحلول فيها مطلقاً.

ومن جواهر الإمام السمهودي في كتابه خلاصة الوفا في الباب الأول منه أيضاً

[خصائصها]

قوله الفصل الثامن في خصائصها، أي المدينة المنورة: وهي كثيرة تزيد على المائة إلا أن مكة شاركتها في بعض ذلك، كالمذكور في الفصل قبله، من تحريم قطع الرطب من شجرها، وحشيشها، وصيدها، واصطياده، وتنفيره، وحمل السلاح للقتال بها، وأمر لقطتها، أي أنها لا تحل للتملك على بعض الأقوال، ونقل التراب ونحوه منها، أو إليها ونبش الكافر إذا دفن بمكة. وامتازت بتحريمها على لسان أشرف الأنبياء بدعوته ﷺ. وكون المتعرض لصيدها وشجرها يسلب، كقتيل الكفار، وهو أبلغ في الزجر مما جاء في مكة، وعلى القول بعدمه هو أدل على عظيم حرمتها، حيث لم يشرع له جابر.

وبجواز نقل ترابها للتداوي، واشتمالها على أفضل البقاع. ودفن أفضل الخلق بها، وأفضل هذه الأمة، وكذا أكثر الصحابة والسلف، الذين هم خير القرون وخلقهم من تربتها، وبعث أشرف هذه الأمة يوم القيامة منها على ما نقله في المدارك عن مالك، قال: وهو لا يقوله من عند نفسه. وكونها محفوفة بالشهداء، كما قاله مالك أيضاً. وبها أفضل الشهداء الذين بذلوا أنفسهم في ذات الله تعالى بين يدي نبيه ﷺ، فكان شهيداً عليهم، واختيار الله تعالى لها قراراً لأفضل خلقه وأحبهم إليه.

واختيار أهلها لنصرته وإيوائه ﷺ. وافتتاحها بالقرآن، وسائر البلاد بالسيف والسنان. وافتتاح سائر بلاد الإسلام منها. وجعلها مظهر الدين. ووجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة. والسكنى بها لنصرة النبي ﷺ. ومواساته بالأنفس على ما قال عياض: إنه متفق عليه. قال: ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة بمكة بعد الفتح، ورخص له في ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه. والحث على سكناها وعلى اتخاذ الأصل بها، وعلى الموت فيها، والوعد على ذلك بالشفاعة، أو الشهادة أوهما.

واستحباب الدعاء بالموت بها، وحرصه ﷺ على موته بها وشفاعته، أو شهادته لمن صبر على لأوائها وشدتها، وطلبه لزيادة البركة بها على مكة بما سبق بيانه. ودعاؤه بحبها، وأن يجعل الله تعالى بها قراراً ورزقاً حسناً. وتحريكه الدابة عند قدومها من حبها، وطرحه

الرداء عن منكبيه إذ قاربها. وتسميته لها بطيبة وغيرها مما سبق.

ومن خصائصها أيضاً: طيب ريحها، وللعطر فيها رائحة لا توجد في غيرها. وطيب العيش بها، وكثرة أسمائها، وكتابتها في التوراة مؤمنة، وتسميتها بالمحبوبة والمرحومة وغيره، مما سبق. وإضافتها إلى الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧] وإلى الرسول بلفظ البيت في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنفال: ٥] وأقسام الله تعالى بها في قوله تعالى: ﴿ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [البلد: ١]. والبداءة بها في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠]. مع أن المخرج مقدم على المدخل. وكثرة دعائه ﷺ لها خصوصاً بالبركة، ولثمارها ومكيالها ولسوقها، وأهلها. وقوله: «إنها تنفي خبثها وإنها تنفي الذنوب». وإنه لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله تعالى فيها من هو خير منه. ومن أرادها وأهلها بسوء أذابه الله تعالى، الحديث، فرتب الوعيد فيه على الإرادة كما قال تعالى في حرم مكة: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ ﴾ [الحج: ٢٥] الآية والوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثاً، أو آوى محدثاً محدثاً، والحدث الإثم، فيشمل الصغيرة فهي بها كبيرة، أي يعظم جزاؤها لدلالتها على جراءة مرتكبها بحرم سيد المرسلين وحضرته الشريفة. والوعيد الشديد ظلم أهلها، أو أخافهم. ووعيد من لم يكرم أهلها. وإن أكرمهم وحفظهم حق على الأمة. وأنه ﷺ شفيع، أو شهيد لمن حفظهم فيه، وقوله: «ومن أخاف أهل المدينة، فقد أخاف ما بين جنبي»[1].

واختصاصها بملك الإيمان والحياء، وبكون الإيمان يأرز إليها، واشتباكها بالملائكة، وحراستهم لها. وإنها دار إسلام أبداً، لحديث: «إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدي هذا». «وإنها آخر قرى الإسلام خراباً»، رواه الترمذي وحسنه. وعصمتها من الطاعون، ومن الدجال مع خروج الرجل الذي خو خير الناس، أو من خير الناس منها إليه. ونقل وبائها وحماها، والاستشفاء بترابها وثمرها.

وقوله في حديث الطبراني: «وحق على كل مسلم زيارتها». وسماعه ﷺ لمن صلى، أو سلم عليها بها عند قبره. ووجوب شفاعته لمن زاره بها. وكونها أول أرض اتخذ بها مسجد لعامة المسلمين في هذه الأمة، وتأسيس مسجدها على يده ﷺ، وعمله فيه بنفسه، ومعه خير الأمة، وإن الله تعالى أنزل في بنائه: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية، وكونه آخر مساجد الأنبياء، والمساجد التي تشد إليها الرحال، وكونه أحق المساجد أن يزار، وما به من

(١) رواه أحمد في المسند (٤: ٥٦).

المضاعفة الآنية، وإن من صلى فيه أربعين صلاة، كتبت له براءة من النار براءة من العذاب، وبرئ من النفاق، وإن من خرج على طهر لا يريد إلاّ الصلاة فيه، كان بمنزلة حجة، وما ثبت من أن إتيان مسجد قباء، والصلاة فيه تعدل عمرة، وغير ذلك.

وإن ما بين بيته ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة مع ذهاب بعضهم إلى أن ذلك يعم مسجده ﷺ. وإنه المسجد الذي لا يعرف بقعة في الأرض من الجنة غيره.

وإن منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة، وإن قوائمه ثوابت في الجنة، وإنه على حوضه ﷺ. وما جاء في أن ما بين منبره الشريف والمصلى روضة من رياض الجنة ما يقتضي أن المراد مصلى العيد، وهذا جانب من هذه البلدة. وقوله في أحد: **«جبل يحبنا ونحبه، وإنه على ترعة من ترع الجنة. وفي واديها بطحان إنه على ترعة من ترع الجنة»**[١].

ووصفه لواديها العقيق بالوادي المبارك، وإنه يحبنا ونحبه. وقوله في ثمارها: **«إن العجوة من الجنة»**[٢].

وسيأتي في بئر غرس أنه ﷺ رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة، فأصبح عليها. ورؤيا الأنبياء حق.

واختصاص مسجدها بمزيد الأدب، وخفض الصوت، وتأكد التأدب والتعليم به، وأنه لا يسمع النداء فيه، ثم لا يخرج منه إلاّ لحاجة، ثم لا يرجع إليه إلاّ منافق. واختصاصه عند بعضهم بمنع آكل الثوم من دخوله لاختصاصه بملائكة الوحي. والوعيد الشديد لمن حلف يميناً فاجرة عند منبرها. ومضاعفة سائر الأعمال بها، كما صرح به الغزالي وغيره. وسيأتي حديث صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها. وكون أهلها أول من يشفع لهم ﷺ، واختصاصهم بمزيد الشفاعة والإكرام. وجاء: **«بعث الميت بها من الآمنين»**.

وإنه يبعث من بقيعها سبعون ألفاً على صورة القمر، يدخلون الجنة بغير حساب، ومثله في مقبرة بني سلمة. وتوكل ملائكة بمقبرة بقيعها، كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤها في الجنة. وبعثه ﷺ منها، وبعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس. واستحباب الدعاء بها في الأماكن التي دعا بها ﷺ، وسيأتي بيانها. ويقال: إنه مستجاب بها عند الأسطوان المخلق، وعند المنبر وبزاوية دار عقيل، وبمسجد الفتح. وكثرة المساجد والمشاهد والمتبركات بها، كما سيتضح لك، واستحقاق من عاب ترابها للتعزيز أفتى مالك: في من قال: تربتها رديئة،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ١٤٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٥: ١٩٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥: ٣٤٦). وفيه: «فاكهة الجنة».

بأن يضرب ثلاثين درة، وأمر بسجنه. وكان له قدر. وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي ﷺ، يزعم أنها غير طيبة.

واستحباب الدخول لها من طريق، والرجوع من أخرى. والاغتسال لدخولها. وتخصيص أهلها بأبعد المواقيت. وذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بها قبل مكة، وإن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدؤون بالمدينة إذا حجوا، يقولون: نبدأ من حيث أحرم رسول الله ﷺ. وعن علقمة، والأسود، وعمرو بن ميمون: أنهم بدأوا بالمدينة.

وعن العبدي من المالكية: المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة. وسيأتي أن من نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء قولاً واحداً، في وجوب الوفاء بزيارة قبر غيره وجهان، ويكتفي بزيارته لمن نذر إتيان مسجده، كما قاله الشيخ أبو علي تفريعاً على القول: بلزوم الإتيان، كما في البويطي، وعلى أنه لا بد من ضم قربة إلى الإتيان، كما هو الأصح، والصحيح عدم لزوم الإتيان.

وجاء في سوقها: إن الجالب إليه كالمجاهد في سبيل الله، وإن المحتكر فيه كالملحد في كتاب الله. واختصت بظهور نار الحجاز المنذر بها من أرضها مع انطفائها عند حرمها. وبما تضمنه حديث الحاكم وغيره، وصححه يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة.

وكان ابن عيينة يقول: نراه مالك بن أنس، وقيل غير ذلك، وبما نقل عن مالك: من أن إجماع أهلها مقدم على خبر الواحد، لسكناهم مهبط الوحي، ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ. واختصاص أهلها في قيام رمضان بست وثلاثين ركعة، سوى الوتر على المشهور عند الشافعية.

قال الشافعي: رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة، منها ثلاث الوتر. ونقل الروياني وغيره عن الشافعي: أن سببه إرادة أهل المدينة مساواة أهل مكة، في ما كانوا يأتون به من الطواف، وركعتيه بعد الترويحات، فجعلوا مكان كل أسبوع ترويحة. قال الشافعي: ولا يجوز لغير أهل المدينة أن يماروا أهل مكة، ولا ينافسوهم، لأن الله تعالى فضلهم على سائر البلاد.

وقد بسطنا المسألة في كتابنا: «مصابيح القيام في شهر الصيام» وأهل المدينة اليوم يقومون بعشرين ركعة أول الليل، وبست عشرة آخره، ولم أتحقق ابتداء وقت التفريق، ويجعلون لكل من الصلاتين إماماً غير الآخر، ويقتصرون على إقامة الوتر جماعة أول الليل، فتفوت من عزم على القيام آخر الليل، وآخر وتره هذه السنة، فذكرت لهم ذلك، فصار إمام

آخر الليل يوتر بفرقته وإن اتحد الإمام قدم غيره فيه، فيوترهم، ثم غلبت الحظوظ النفسية فتركوا ذلك بعد سنين. ولا يخفى أن مكة تشارك المدينة في بعض ما سبق، ومما اشتركا فيه أن كلاً منهما يقوم مقام المسجد الأقصى، لمن نذر الصلاة، أو الاعتكاف فيه، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزئه إلا قضى، وأجزأ المسجد الحرام بناء على زيادة المضاعفة به، وإذا نذر المشي إليهما.

قال ابن المنذر: يلزمه الوفاء، وإن نذر المشي إلى بيت المقدس، يخبر بين المشي إليه، أو إلى أحدهما.

والذي رجحوه ما اقتضاه كلام البغوي: من عدم لزوم المشي في غير المسجد الحرام. وإذا نذر تطييب مسجد المدينة والأقصى، فتردد فيه إمام الحرمين، واقتضى كلام الغزالي تخصيص التردد بهما، فإن نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة، أو إلى امتياز الكعبة بالفضل، فلا قال السمهودي. قلت: فينبغي الجزم بذلك في نذر تطييب القبر الشريف، والله أعلم.

ومن جواهر الإمام السمهودي في خلاصة الوفا في الباب الأول أيضاً

[بَدء شأنها]

قوله: الفصل التاسع في بَدء شأنها. وما يؤول إليه أمرها، أي المدينة المنورة. ذكر السمهودي: هنا بعض أحاديث، ونبه على أنها واهية، ثم قال: وفي الكبير للطبراني مرفوعاً: **«إن الله عز وجل اطلع إلى المدينة وهي بطحاء قبل أن تعمر، ليس فيها مدر، ولا بشر، فقال: يا يثرب إني مشترط عليك ثلاثاً، وسائق إليك من كل الثمرات لا تعصي، ولا تعلي، ولا تكبري، فإن فعلت شيئاً من ذلك تركتك كالجزور لا يمنع من أكله»**.

ولزين وغيره مرفوعاً: **«لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظى ستة أشظاظ»**، وفي رواية شظايا: **«فنزلت بمكة ثلاثة: حراء، وثبير، وثور. والمدينة: أحد، وعَير، وورقان»**.

وفي رواية: و«رضوى» بدل «عير»، ورضوى ينبع من عمل المدينة. وفي رواية: **«عير وثور ورضوى»**، وفيه حكمه أخرى تحديد الحرم بها.

وللطبراني والبزار في حديث الإسراء أول ما أسري به ﷺ بأرض ذات نخل، فقال له جبريل: أنزل. فنزل، فصلى، فقال: **«صليت بيثرب»**.

وللنسائي، فقال: «أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة، وإليها المهاجرة». وللشافعي رحمه الله حديث: «أسكنت أقل الأرض مطرا، وهي بين عيني السماء: عين الشام وعين اليمن».

زاد ابن زبالة: «فاتخذوا الغنم على خمس ليال من المدينة». وفي رواية: «فأقلوا من الماشية، وعليكم بالزرع، وأكثروا فيه من الجماجم». وللشافعي: «توشك المدينة أن تمطر مطراً، ولا يكن أهلها البيوت، ولا تكنهم إلا مظال الشعر». وفي رواية: «إن يصيبها مطر أربعين ليلة، لم يكن أهلها بيت من مدر».

وفي أخبار المدينة للمرجاني، عن جابر رضي الله عنه، مرفوعاً: «ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدا منها، حتى لا يكون إيمان إلا بها»[1].

ولأحمد برجال ثقات: «يوشك أن يرجع الناس إلى المدينة، حتى تصير مسالحهم بسلاح»[2].

ولابن زبالة: «كيف بك يا عائشة إذا رجع الناس إلى المدينة، وكانت كالرمانة المحشوة، قالت: فمن أين يأكلون يا نبي الله، قال: يطعمهم الله من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، ومن جنات عدن»[3].

وفي رواية له: «وليوشكن أن يبلغ بنيانهم هيفا».

وللإمام أحمد عقب ذكر شجرة ذي الحليفة مرفوعاً: «ولا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء الشجرة». وله: «أريتك شرف السيالة، وشرف الروحاء، فإنه منازل أهل الأردن، إذا حيز الناس إلى المدينة».

ولمسلم: «تبلغ المساكن أهاب»، أو يهاب بكسر المثناة التحتية. ولأحمد في حديث أنه ﷺ خرج حتى أتى بئر الأهاب، قال: «يوشك البنيان أن يأتي هذا المكان». وبئر أهاب بالحرة الغربية، وقد بلغتها المساكن قبل خراب المدينة.

ولأبي يعلى عن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ «إذا بلغ البناء سلعا، فارتحل إلى الشام». فلما بلغ سلعاً، قدمت الشام. وللطبراني في الكبير: «سيبلغ البناء سلعاً، ثم يأتي على

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤: ٥٤٢). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٥٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢: ٤٠٢). وفيه: «مكة».

(٣) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٩٢٣).

المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها، فيقول: قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الأثر»[(١)]. وللنسائي: **«آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة»**. وللترمذي نحوه، وحسنه وكذا لابن حبان ثم ذكر أحاديث، وآثاراً كثيرة تتعلق بخرابها في آخر الزمان، وذكر وقعة الحرة في أيام يزيد، إلى أن قال: ولابن الجوزي عن سعيد بن المسيب: لقد رأيتني ليالي الحرة، وما في المسجد أحدمن خلق الله غيري، وإن أهل الشام ليدخلون زمراً، يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون، ولا يأتي وقت صلاة إلا سمعت آذاناً من القبر، ثم أقيمت الصلاة، فتقدمت فصليت، وما في المسجد أحد غيري.

وكان أمير عسكر يزيد، مسلم بن عقبة المري وسمي مسرفاً، لإسرافه في قتل أهل المدينة، ومجرماً لعظيم إجرامه.

وروي: أنه أتي بعلي بن الحسين رضي الله عنهما مع غيظه عليه، فلما رآه ارتعد، وقام له وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك. فلم يسأله في أحد ممن قدم للسيف إلا شفعه فيه. وانصرف، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال: قلت اللهم رب السمٰوات السبع وما أظللن والأرضين السبع وما أقللن، ورب العرش العظيم ورب محمد وآله الطيبين الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تريني خيره وتكفيني شره.

وقيل لمسلم بن عقبة: رأيناك تسب هذا الغلام، وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته، قال: ما كان ذلك برأي مني، لقد ملأ قلبي منه رعباً. ولما سار لقتال ابن الزبير في مكة المشرفة أهلكه الله في الطريق.

ومن جواهر الإمام السمهودي في خلاصة الوفاء في الباب الأول أيضاً

[ظهور نار الحجاز]

قوله: الفصل العاشر: في ظهور نار الحجاز المنذر بها من أرض المدينة، وانطفائها عند وصولها لحرمها: في الصحيحين حديث: **«لا تقوم الساعة حتى تظهر نار الحجاز»**[(٢)].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٦: ١٠٧). والهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ١٥). وفيه: «إلينا».

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٩: ٧٣). ومسلم في الصحيح (الفتن ب ٤ رقم ٤٢:). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٨٨٨٣).

وللبخاري: «تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى». وذكر أحاديث كثيرة في شأنها، ثم قال: وقد ظهرت هذه النار وأقبلت من قبلة المدينة مما يلي المشرق بجهة طريق السوراقية، وهي جهة بلاد بني سليم، قال البدر بن فرحون: سألت هذه النار في وادي أحيلين، وقال القطب القسطلاني ظهرت في جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة، في موضع يقال: له قاع الهيلا قرب مساكن قريظة بينها وبين أحيلين، ثم امتدت آخذة من المشرق إلى قريب من أحيلين. ثم أن أهل المدينة التجأوا في أمرها إلى نبيهم المبعوث بالرحمة، فصرفت عنهم ذات الشمال وقابلتها الرحمة، فكانت برداً وسلاماً، وظهرت بركة تربته ﷺ في أمته. وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام. قال السمهودي: وكانت في زمنه أي سنة ٦٥٤ هجرية. وقد أطال السمهودي الكلام عليه فراجعه، واستوفيت أنا الكرم عليها في كتابي: حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ﷺ.

ومن جواهر الإمام السمهودي في خلاصة الوفا قوله في الباب الثاني أيضاً

[فضل الزيارة والمسجد النبوي]

في فضل الزيارة والمسجد النبوي ومتعلقاتها، وفيه ثلاثة فصول: الفصل الأول في فضل الزيارة وتأكّدها وشدّ الرحال إليها، وصحة نذرها، وحكم الاستئجار عليها. وروي الدارقطني والبيهقي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[1]. وذكر هذا الحديث عبد الحق في الأحكام الوسطى والصغرى، وسكت عليه مع قوله في الصغرى: إنه تخيرها صحيحة الإسناد معروفة عند النقاد، قد نقلها الإثبات، وتداولها الثقات، وذكر نحوه في الوسطى.

ومعنى: وجبت، أنها ثابتة لا بد منها بالوعد الصادق. وللبزار من طريق عبد الرحمٰن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «من زار قبري حلّت له شفاعتي». وللطبراني والدارقطني وغيرهما عن ابن عمر أيضاً مرفوعاً: «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلاّ زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». وفي معجم ابن المقري عن ابن عمر

---

(١) رواه الدارقطني في السنن (٢: ٢٧٨). والدولابي في الكنى والأسماء (٢: ٦٤). والهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢).

مرفوعاً: «من جاءني زائراً كان حقاً على الله عز وجل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». وصححه الحافظ بن السكن.

وللدارقطني والطبراني عن ابن عمر مرفوعاً: «من حج، فزار قبري بعد وفاتي، وكان كمن زارني في حياتي». ولأبي داود الطيالسي عن ابن عمر مرفوعاً: «من زار قبري، أوقال: من زارني، كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين يوم القيامة».

ولأبي جعفر العقيلي عن رجل من آل الخطاب، مرفوعاً: «من زارني متعمداً، كان في جواري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وصبر على بلائها، كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة».

وللدارقطني عن رجل من آل حاطب عن حاطب، مرفوعاً: «من زارني بعد موتي فكأنما زار في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة». ولأبي الفتح الأزدي في فوائده، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً: «من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى في بيت المقدس، لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه».

ولأبي الفتح سعيد بن محمد في جزئه، عن أبي هريرة، مرفوعاً: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي، ومن زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة».

ولابن أبي الدنيا والبيهقي عن أنس، مرفوعاً: «من زارني بالمدينة كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة».

وفي لفظ البيهقي: «من مات في أحد الحرمين، بعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة، وكان في جواري يوم القيامة». ولابن النجار عن أنس، مرفوعاً: «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، من زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعة، ثم لم يزرني فليس له عذر».

وقال الذهبي في سمعان بن مهدي، راوي هذا الحديث عن أنس: أنه لا يعرف. ولأبي جعفر العقيلي عن ابن عباس، مرفوعاً: «من زارني في مماتي كمن كان زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري، كنت له يوم القيامة شهيداً، أو قال: شفيعاً».

وفي مسند الفردوس عن ابن عباس، مرفوعاً: «من حج إلى مكة، ثم قصدني في مسجدي، كتبت له حجتان مبرورتان». وليحيى بن الحسن عن علي رضي الله عنه، مرفوعاً: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني».

ورواه ابن عساكر من طريق آخر عن علي: أنه قال: من سأل لرسول الله ﷺ الدرجة والوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة، ومن زار قبر رسول الله ﷺ، كان في جوار رسول الله ﷺ.

وروي مثله عن ابن مسعود، وليحيى بن الحسن أيضاً عن بكر بن عبد الله، مرفوعاً: **«من أتى المدينة زائراً إليّ وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً»**. ولأبي داود بسند صحيح عن أبي هريرة، مرفوعاً: **«ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»**[1]. صدر به البيهقي باب الزيارة، واعتمد على ذلك جماعة، ومنهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى، لتضمنه فضيلة رده ﷺ، وهي عظيمة. وهذا الحديث استدل به البيهقي لحياة الأنبياء. ثم قال السمهودي. يعد أن ذكر أحاديث في رده ﷺ السلام على من يسلم عليه: وقد ذكر ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، كما نقله ابن عبد الهادي: أن الشهداء، بل كل المؤمنين، إذا زارهم المسلم وسلم عليهم عرفوا به، وردوا عليه السلام.

قال الإمام السمهودي: فإذا كان هذا في حق آحاد المسلمين، فكيف بسيد المرسلين ﷺ. فهو ﷺ يسمع من يسلم عليه عند قبره، ويرد عليه عالماً بحضوره عند قبره، وكفى بهذا فضلاً حقيقاً بأن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه.

وفي توثيق عرى الإيمان للبارزي عن سليمان ابن سحيم: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت: **«يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك، فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: «نعم وأردّ عليهم»**. ولابن النجار عن إبراهيم بن بشار: حججت في بعض السنين، فجئت المدينة، فتقدمت إلى قبر النبي ﷺ، فسمعت من داخل الحجرة: **«وعليك السلام»**، ونُقل مثله عن جماعة من الأولياء والصالحين، ولا شك في حياته ﷺ بعد الموت، وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام حياة أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله بها في كتابه العزيز، وهو ﷺ سيد الشهداء، وأعمال الشهداء في ميزانه.

وقد قال ﷺ، كما رواه الحافظ المنذري: **«علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي»**. ثم ذكر أحاديث في حياة الأنبياء عموماً، إلى أن قال ولابن ماجة بإسناد جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه، مرفوعاً: **«أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً لن**

---

(١) رواه أبو داود في السنن (المناسك ب ٩٩). وأحمد في المسند (٢: ٥٢٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٥: ٢٤٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ١٦٢).

يصلي عليَّ إلا عرضت عليَّ صلاته حين يفرغ منها». قال: قلت: وبعد الموت، قال: «وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام، فنبي الله حي يرزق»، هذالفظ ابن ماجة.

ثم قال: وقال الأستاذ أبو منصور البغدادي، قال: المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا ﷺ حي بعد وفاته، وإنه يسر بطاعات أمته، وإن الأنبياء لا يبلغون مع أنا تعتقد بثبوت الإدراكات كالعلم والسماع لسائر الموتى. ونقطع بعود حياة لكل ميت في قبره، ونعيم القبر وعذابه ثابت، وهو من الأعراض المشروطة بالحياة، ولكنه لا يتوقف على البنية، وأما أدلة الحياة في الأنبياء فمقتضاها أنها مع البينة، مع قوة النفوذ في العالم، والاستغناء عن العوائد الدنيوية.

ثم بعد أن ذكر الإمام السمهودي أحاديث وآثاراً كثيرة في فضل زيارته ﷺ، وأنه حي في قبره، قال: وإذا ثبت أن الزيارة قربة، فالسفر إليها كذلك، وقد ثبت خروجه ﷺ من المدينة لزيارة الشهداء، قد أطبق السلف والخلف، وأجمعوا عليه.

وحديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، معناه لا تشد الرحال إلى مسجد، لفضيلة، لما في رواية لأحمد وابن شبة بسند حسن عن أبي سعيد الخدري، مرفوعاً: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». وللإجماع على شد الرحال لعرفة لقضاء النسك، وكذا الجهاد والهجرة من دار الكفر والتجار ومصالح الدنيا. واختلفوا في شد الرحال لبقية المساجد غير الثلاثة، فقيل: يحرم. وقيل: وإنما أبان ﷺ أن القربة المقصودة فيها دون غيرها.

ونقل عياض: أن منع أعمال المطي في غير الثلاثة، إنما هو للنادر، على أن السفر بقصد الزيارة غايته مسجد المدينة، لمجاورته القبر الشريف، وقصد الزائر الحلول فيه لتعظيم من حل بتلك البقعة، كما لو كان حياً، وليس القصد بقعة القبر لعينها، بل من حل فيها. وقوله: «من زار قبري»[١]، أي زارني في قبري. ثم قال: وقال الحافظ المنذري في حديث: «لا تجعلوا قبري عيداً»[٢].

يحتمل أن يكون حثاً على كثرة الزيارة، وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات

(١) رواه ابن ماجه في السنن (١٦٣٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٣: ٢٤٩). والهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ١٤٤).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٣٢٦). والنسائي في السنن (٢: ٧٣). وأحمد في المسند (٢: ٢٣٤).

كالعيد، ويؤيده قوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»، أي لا تتركوا الصلاة فيها.

قال السبكي: ويحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا لها وقتاً مخصوصاً لا تكون الزيارة إلا فيه، أو لا يتخذ كالعيد في العكوف عليه، وإظهار الزينة والاجتماع وغيرهما يعمل في الأعياد، بل لا يؤتى إلاّ للزيارة، والسلام، والدعاء، ثم ينصرف عنه.

وقال عبد الحق الصقلي عن أبي عمران: إنما كره مالك رحمه الله تعالى أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ لأن الزيارة ومن شاء فعلها، ومن شاء تركها، وزيارة قبر النبي ﷺ واجبة. قال عبد الحق يعني من السنن الواجبة.

وقالت الحنفية: زيارته ﷺ من فضل المندوبات، والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات. وقد سرد السبكي المنقول في ذلك من كتب المذاهب الأربعة، فلا نطول به.

وقال القاضي ابن كج من أصحابنا الشافعية: إذ نذر أن يزور قبر النبي ﷺ، فعندي إنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، وإذا أنذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان. والقطع به هو الحق لأنه قربة مقصودة للأدلة الخاصة فيه، وقد وجب من جنس ذلك الهجرة إليه في حياته ﷺ.

وقال العبدي من المالكية في شرح الرسالة: وأما النذر للمشي إلى المسجد الحرام، والمشي إلى مكة، فله أصل في الشرع، وهو الحج والعمرة، وإلى المدينة، لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس، وليس عنده حج ولا عمرة.

وفي تهذيب الطالب لعبد الحق، قيل للشيخ أبي مهدي بن أبي زيد، فيمن استؤجر بمال ليحج، وشرطوا عليه الزيارة، فلم يستطع تلك السنة أن يزور، قال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة، وقال غيره: عليه أن يرجع ثانية، حين يزور، وقال عبد الحق: إن استؤجر لسنة بعينها سقط ما يخص الزيارة وإن استؤجر على حجة في ذمة يرجع ويزور، وقد اتفق النقلان.

قال السبكي: وهذا فرع حسن، والذي ذكره أصحابنا، يعني الشافعية، إن الاستئجار على الزيارة لا يصح لأنه عمل غير مضبوط، ولا مقدر بشرع، والجعالة إن وقعت على نفس الوقوف لم يصح أيضاً، لأن ذلك مما لا يصح فيه النيابة عن الغير، وإن وقعت على الدعاء عند القبر الشريف كانت صحيحة، لأن الدعاء مما تصح النيابة فيه، والجهل بالدعاء لا يبطلها، قاله الماوردي.

وبقي قسم ثالث لم يذكره وهو إبلاغ السلام، ولا شك في جواز الإجارة والجعالة عليه، ثم قال: والحق صحة الاستئجار للسلام عليه، والدعاء عنده ﷺ.

ومن جواهر الإمام السمهودي في خلاصة الوفا في الباب الثاني أيضاً

[توسل الزائر ﷺ به إلى ربه تعالى]

قوله [في] الفصل الثاني: في توسل الزائر به ﷺ إلى ربه تعالى، واستقباله في سلامه، ودعائه، وآداب الزيارة، والمجاورة. والتوسل والتشفع به ﷺ، وبجاهه، وبركته من سنن المرسلين، وسير السلف الصالحين، وصحح الحاكم حديث: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ لما غفرت لي، فقال: يا آدم كيف عرفت محمداً، أو لم أخلقه قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت عَلَى قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، وإذا سألتني بحقه، فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك». وللنسائي والترمذي، وقال حسن صحيح غريب عن عثمان بن حنيف. إن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: أدع الله لي أن يعافيني، قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضي اللهم شفعه فيّ»، وصححه البيهقي وزاد، فقام وقد أبصر.

وللطبراني عن عثمان بن حنيف، أيضاً: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة، فكان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فشكا ذلك لابن حنيف، فقال له: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلِّ ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه إلى ربي فتقضي حاجتي، وتذكر حاجتك. فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان، فأجلسه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، وقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى الساعة، وما كانت لك من حاجة، فأذكرها، ثم خرج من عنده، فلقي ابن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته فيَّ. فقال ابن حنيف: والله ما كلمته، ولكني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له ﷺ: «أوَ تبصر»، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد، وقد شق عليَّ، فقال له النبي ﷺ: «ائت الميضأة فتوضأ، ثم صلِّ ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات»[1].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩: ١٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ٢٧٩). والبيهقي في =

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط. وسيأتي في قبر فاطمة بنت أسد، قوله ﷺ في دعائه لها: «بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي». الحديث وسنده جيد. وذكر المحبوب: أن المعظم قد يكون سبباً في الإجابة، وفي العادة أن من توسل بمن له قدر عند شخص أجاب إكراماً له، وقد يتوجه لمن له جاه إلى من هو أعلى منه، وإذا جاز التوسل بالأعمال كما صح في حديث الغار وهي مخلوقة، فالسؤال به ﷺ أولى، ولا فرق في ذلك بين التعبير بالتوسل، والاستغاثة، أو التشفع، أو التوجه، أي التوجه به ﷺ في الحاجة. وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما في حال الحياة، إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من يسأله.

ومنه ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار: وكان خازن عمر رضي الله عنه قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: استسق لأمتك قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، فقال: «ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره إنهم مسقون، وقل له: عليك الكيس الكَيْسَ»[1]. فأتى الرجل عمر رضي الله عنه، فأخبره، فبكى عمر ثم قال: يا رب ما آلوا إلى ما عجزتُ عنه.

وبيّن سيف في الفتوح: أن الذي رأى هذا المنام بلال بن الحرث، أحد الصحابة رضي الله عنهم.

وقال الإمام أبو بكر ابن المقري: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ، وكنا في حالة اضطرار، وأثر فينا الجوع، وواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء، حضرت قبر النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله الجوع، وانصرفت. فنمت أنا وأبو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء، فحضر علوي معه غلامان مع كل واحد ونبيل فيه شيء كثير، فجلسنا، وأكلنا، وترك عندنا الباقي، وقال: يا قوم أشكرتم إلى رسول الله ﷺ، فإني رأيته في المنام، فأمرني أن أحمل بشيء إليكم.

وقال أبو العباس بن نفيس المقري الضرير: جعت بالمدينة ثلاثة أيام، فجئت إلى القبر، فقلت: يا رسول الله جعت، ثم بتّ ضعيفاً فركفتني جارية برجلها، فقمت معها إلى دارها، فقدمت إليّ خبز بر وتمراً وسمناً، وقالت: كُلْ يا أبا العباس، فقد أمرني بهذا جدي ﷺ، ومتى جعت فأت إلينا. والوقائع في هذا المعنى كثيرة جداً. قال أبو سليمان داود الشاذلي في كتابه

= دلائل النبوة (٦: ١٦٧).

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ٢: ٢٥).

البيان والانتصار: عقب ذكر كثير من ذلك قد وقع في كثير مما ذكر، وأمثاله الذي يأمره ﷺ إذا كان المسؤول طعاماً، إنما يكون من الذرية، إذ أن من أخلاق الكرام إذا سئلوا ذلك يتلونه بأنفسهم، أو بمن يكون منهم. وقال أبو محمد الإشبيلي: نزلت برجل من أهل غرناطة علّة عجز عنها الأطباء، وأيسوا من برئها، فكتب عنه الوزير ابن أبي الخصال كتاباً إلى رسول الله ﷺ يسأله فيه الشفاء لدائه، وضمنه شعراً ذكرناه في الأصل، أوله:

كتاب وقيذ من زمانته مشفى بقبر رسول الله أحمد يستشفى

قال: فما هو إلاّ أن وصل الراكب المدينة الشريفة، وقرئ على قبر رسول الله ﷺ هذا الشعر، وبرأ الرجل مكانه. وسيأتي ما يقتضي أمر عائشة رضي الله عنها بالاستسقاء عند الجدب بقبره ﷺ، بل يجوز كما قال السبكي: التوسل بسائر الصالحين وإن نقل عن ابن عبد السلام: أن سؤال الله بعظيم من خلقه ينبغي أن يخص بنبينا ﷺ، ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل بنبينا ﷺ، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا[1] ﷺ، فاسقنا، قال: فيسقون. وفي رواية للحافظ أبي القاسم هبة الله عن ابن عباس: إن عمر رضي الله عنه قال: اللهم، إنا نستسقيك بعم نبينا ﷺ، ونستشفع إليك بشيبته، فسقوا وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبته عمرْ

وفي رواية للزبير بن بكار: أن العباس رضي الله عنه، قال: في دعائه وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ، فأسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض. وفي رواية له عن ابن عمر أن ذلك عام الرمادة. وفي الشفا بسند جيد عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، ومدح قوماً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة، وأدعو ام أستقبل رسول الله ﷺ، فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

---

(١) يروى الحديث هذا بلفظ: «نبيك».

وفي المستوعب لأبي عبد الله السامري الحنبلي: ثم يأتي حائط القبر فيقف ناحيته، ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، وذكر السلام والدعاء، ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك ﷺ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، وإني أتيت نبيك مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ، إلخ. وقال عياض: قال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ، ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدعو ويسلم. وفي رواية عن المبسوط: إنه قال: لا أرى أن يقف عند القبر، ويدعو، ولكن يسلم ويمضي، وهي مخالفة لما سبق ولما نقله المواز في الحج، قال: قيل لمالك: فالذي يلتزم أترى له أن يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع، قال: لا ولكن يقف ويدعو. وقيل له: وكذلك عند قبر النبي ﷺ، قال: نعم اهـ. وحمل ما في المبسوط على من لم يؤمن منه سوء أدب في دعائه عند القبر. وفي رؤوس المسائل للنودي عن الحافظ أبي موسى الأصفهاني إنه روى عن مالك، قال: إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبي ﷺ فيستدبر القبلة، يستقبل النبي ﷺ، ويصلي عليه ويدعو له. ونقل ابن يونس عن ابن حبيب: أنه قال: ثم أقصد إذا قضيت ركعتين إلى القبر من وجاه القبلة فادن منه، ثم سلم على رسول الله ﷺ وأثن عليه وعليك السكينة والوقار، فإنه ﷺ يسمع ويعلم وقوفك بين يديه، وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتدعو لهما. وقال إبراهيم الحربي في مناسكه: تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه، يعني القبر.

وفي مسند أبي حنيفة رحمه الله لأبي القاسم طلحة عن أبي حنيفة جاء أيوب السختياني فدنا من قبر النبي ﷺ، فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر وبكى بكاء غير متباك. السختياني وأنا بالمدينة، فقلت: لأنظرن ما يصنع، فجعل ظهره مما يلي القبلة، ووجهه مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير متباك، فقام مقام رجل فقيه اهـ.

ويشهد له ما أخرجه أبو ذر الهروي في سننه في بيان الإيمان والإسلام، من أن حماد بن زيد حدث أبا حنيفة بالحديث في ذلك عن شيخه أيوب السختياني فقال له؛ أبو حنيفة: فحدثك أيوب بهذا، وبكى، ثم قال: ما ذكرت السختياني إلا بكيت، فقد رأيته يلوذ بقبر ر سول الله ﷺ شيئاً ما رأيته من أحد، وفيه مخالفة لما ذكره أبو الليث في الفتاوى، عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبي حنيفة: من أن الزائر يستقبل القبلة في سلامه.

قال: السروجي من الحنفية [من][1] يقف مستقبل القبلة. وقال الكرماني منهم: ويقف

(١) زيادة اقتضاها المعنى.

عند رأسه، ويكون وقوفه بين القبر والمنبر مستقبل القبلة، وعن أصحاب الشافعي وغيره: ويقف وظهره إلى القبلة، ووجهه إلى الحضرة، وهو قول ابن حنبل، انتهى.

وقال المحقق الكمال بن إلهام رحمه الله تعالى: إن ما نقل عن أبي الليث مردود، بما روي عن أبي حنيفة في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: من السنة أن تأتي قبر النبي ﷺ من قبل القبلة، وتجعل ظهرك إلى القبلة، وتستقبل القبر بوجهك، ثم تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وفي المنسك الكبير لابن جماعة [من] مذهب الحنفية: أنه يقف للسلام عند الرأس المقدس، بحيث يكون على يساره، ويبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع، ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس، مستدبر القبلة، وشذ الكرماني من الحنفية، فقال: يقف مستدبر القبر المقدس، ومستقبل القبلة، وتبعه بعضهم، وليس بشيء، فاعتمد على ما فعلته، انتهى.

ولا ينبغي أن يتردد فيه، إذ الميت يعامل معاملة الحي، والحي يسلم عليه مستقبلاً له، وما سبق عن علقمة القروي الكبير، من أن الناس كانوا قبل إدخال البيت في المسجد، يقفون على باب البيت يسلمون، سببه تعذر استقبال الوجه الشريف حينئذٍ، وكانوا يستقبلون القبر الشريف من ناحية باب البيت، ومن ناحية الرأس الشريف، لما سبق عن المطري: من أن موقف علي بن الحسين للسلام عند الإسطوانة التي تلي الروضة، قال: وهو موقف السلف قبل إدخال الحجرات كانوا يستقبلون السارية التي فيها الصندوق، مستدبرين الروضة، فلما أدخلت الحجرات، وقفوا مما يلي الوجه الشريف.

ولابن زبالة عن سلمة بن وردان، قال: رأيت أنس بن مالك إذا سلم على النبي ﷺ يأتي فيقوم أمامه (آداب الزيارة والمجاورة).

قال السمهودي: وآداب الزيارة والمجاورة كثيرة:

منها: ما يتعلق بسفرها من الاستخارة، وتجديد التوبة، والوصية، وإرضاء من يتوجه إرضاؤه، وإطابة النفقة، والتوسعة في الزاد، وعدم المشاركة فيه وتوديع الأهل والإخوان، والمنزل بركعتين، والدعاء عقبهما، والتصدق بشيء عند الخروج منه، إلى غير ذلك مما هو مذكور في آداب سفر الحاج.

ومنها: إخلاص النية، فينوي التقرب بالزيارة، وينوي معها التقرب بشد الرحل للمسجد النبوي، والصلاة فيه، كما قاله أصحابنا، أو غيرهم، لحثه ﷺ على ذلك، ففيه تعظيمه أيضاً بامتثال أو أوامره، والمراد من حديث: «لا تعمله حاجة إلى زرياتي»، اجتناب قصد حاجة لم

يدعه الشارع إليها، فلينو مع ذلك أيضاً، الاعتكاف فيه، والتعلم والتعليم، وذكر الله تعالى، وإكثار الصلاة والسلام على النبي ﷺ، والصدقة على جيرانه، وختم القرآن عنده، إلى غير ذلك، مما يستحب للزائر فعله، فنية المؤمن من خير من عمله، وينوي أيضاً اجتناب المكروهات فضلاً عن المحظورات، حياء من الله ورسوله ﷺ.

ومنها: أن يزداد بالعزم شوقاً وصبابة وتوقاً، وكلما ازداد دنواً ازداد غراماً وحنواً، إذ من لازم حبه ﷺ كثرة الشوق إليه، وطلب القرب من معاهده، وآثاره، وأماكنه ومهابط أنواره:

تلك الديار التي قلب المحب له ... شـوق إليهـا وتـذكـار وأشجـان

وأنـــة وحنيـــن كلمـــا ذكـــرت ... ولـوعـة وشجـيً منـه وأحـزان

ومنها: أن يقول إذا خرج من بيته: بسم الله، آمنت بالله، حسبي الله، توكلت عَلَى الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني. اللهم سلمني وسلم مني، وردني سالماً في ديني، كما أخرجتني. اللهم إني أعوذ بك أن أضِل، أو أُضَل، أو أزِل، أو أُذَل، أو أظلِم، أو أُظلَم، أو أجهل، أو يُجهل عليّ، عز جارك وجل ثناؤك وتبارك اسمك ولا إله غيرك. اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك، وآلى آخر الذكر المستحب لقاصد المسجد.

ومنها: الإكثار في المسير من الصلاة، والتسليم على النبي ﷺ، بل يستغرق أوقات فراغه في ذلك، وغيره من القربات. ويتتبع ما في طريقه من المساجد والآثار المنسوبة للنبي ﷺ، فيحييها بالزيارة والصلاة فيها، ولا يخل بما يمكنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والغضب عند تضييع شيء من حقوقه ﷺ، إذ من علامات المحبة غيرة المحب لمحبوبه، وأقوى الناس ديانة أعظمهم غيرة، وادعاء المحبة بلا غيرة كذب.

ومنها: إذا دنا من حرم المدينة الشريفة، وأبصر رباها وأعلامها، فليزدد خضوعاً، وخشوعاً، وليستبشر بالهنا، وبلوغ المنى، وإن كان على دابة حركها، أو بعير أوضعه تباشراً بالمدينة ولله القائل:

قرب الديار يزيد شوق الواله ... لا سيمـا إن لاح نـور جمـالـه

أو بشـر الحـادي بـأن لاح النقـا ... وبدت على بعد رؤوس جباله

فهناك عِيلَ الصبر من ذي صبوة ... وبـدا الـذي يخفيـه مـن أحـوالـه

ويجتهد حينئذ في مزيد الصلاة والسلام وترديدهما، كما دنا من تلك الأعلام، ولا بأس بالترجل والمشي إذا قرب، لأن وفد عبد القيس لما رأوا النبي ﷺ نزلوا عن الرواحل، ولم ينكر عليهم. وقال أبو سليمان داود: إن ذلك يتأكد لمن أمكنه من الرجال تواضعاً لله وإجلالاً

لنبيه ﷺ. وفي الشفا أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً؛ وقرب من بيوتها، ترجل باكياً منشداً:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فـؤاداً لعـرفـان الـرسـوم ولالبـا
نزلنا إلى الأكوار نمشي كرامة لمـن بـان عنـه أن نلـم بـه ركْبـا

ومنها: إذا بلغ حرم في المدينة، فليقل بعد الصلاة والتسليم: اللهم إن هذا هو الحرم الذي حرمته على لسان حبيبك ورسولك ﷺ، ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما هو بحرم بيتك الحرام، فحرمني على النار، وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك، وارزقني ما رزقته أولياءك، وأهل طاعتك، ووفقني فيه لحسن الأدب، وفعل الخيرات، وترك المنكرات. وإن كان طريقه على ذي الحيفة فلا يجاوز المعرس حتى ينيخ به، ويصلي بمسجده ومسجد ذي الحليفة.

ومنها: الغسل لدخول المدينة، ولبس أنظف ثيابه. صرح باستحبابه جماعة من الشافعية والحنابلة وغيرهم. وفي حديث قيس بن عاصم في قدومه مع وفده، وحديث المنذر بن ساوى التميمي، ما يشهد لذلك. وفي الإحياء، وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة، وليتطيب ويلبس أنظف ثيابه. وقال الكرماني من الحنفية: فإن لم يغتسل خارج المدينة، فليغتسل بعد دخولها، وليتجتنب ما يفعله بعض الجهلة من التجرد عن المخيط تشبيهاً بحال الإحرام.

ومنها: إذا شارف المدينة الشريفة، وتراءت له قبة الحجرة المنيفة، فليستحضر عظمتها، وتفضيلها وإنها البقعة التي اختارها الله لحبيبه ﷺ، ويمثل في نفسه مواقع أقدامه الشريفة عند تردده فيها، وإنه ما من موضع يطؤه إلاّ موضع قدمه العزيزة مع خشوعه وسكينته، وتعظيم الله له حتى أحبط عمل من انتهك شيئاً من حرمته، ولو برفع صوته فوق صوته، ويتأسف على فوات رؤيته في الدنيا، وإنه من ذلك في الآخرة على خطر لقبيح فعله، ثم يستغفر لذنوبه، ويلتزم سلوك سبيله ليفوز بالإقبال عند اللقاء. ويحظى بتحية المقبول من ذوي التقى.

ومنها: أن يقول عند دخوله من باب البلد: بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، رب أدخلني مُدخل صدق، وأخرجني مُخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً، آمنت بالله، حسبي الله، إلى آخر ما سبق أنه يقوله إذا خرج من بيته، وليقوّ في قلبه شرف المدينة، وأنها حوت أفضل البقاع بالإجماع، وتفضيلها مطلقاً عند بعضهم:

أرض مشى جبريل في عرصاتها والله شـرف أرضهـا وسمـاهـا

ومنها: أن يقدم صدقة بين يدي نجواه، ويبدأ بالمسجد الشريف، ولا يعرج على ما

سواه، مما لا ضرورة به إليه، فإذا شاهده فليستحضر أنه أتى مهبط أبي الفتوح جبريل عليه السلام، ومنزل أبي الغنائم ميكائيل، وموضع الوحي والتنزيل، فليزدد خشوعاً وخضوعاً يليق بالمقام، ويقصد باب جبريل، لقول بعضهم: إن الدخول منه فضل، لما سيأتي فيه، فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه، وليصف ضميره، مستحضراً عظيم ما هو متوجه إليه.

قال أبو سليمان داود: يقف يسيراً كالمستأذن، كما يفعله من يدخل على العظماء، ويقدم رجله اليمنى في الدخول، قائلاً: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبنوره القديم، من الشيطان الرجيم بسم الله، والحمد لله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله اللهم صلّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً اغفر لي ذنوبي وأفتح لي أبواب رحمتك، ووفقني وسددني، وأعني على ما يرضيك عني، ومنّ علي بحسن الأدب، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. ولا يتركه كلما دخل المسجد، أو خرج، إلاّ أنه يقول عند الخروج وافتح لي أبواب فضلك.

ومنها: أنه إذا صار في المسجد فلينو الاعتكاف، وإن قل زمانه، ثم يتوجه للروضة الشريفة خاشعاً غاضاً طرفه، غير مشغول بالنظر إلى شيء من زينة المسجد وغيره مع الهيبة والوقار والخشية والانكسار والخضوع والافتقار، ثم يقف في المصلى النبوي، إن كان خالياً، وإلاّ ففي ما قرب منه، وإلاّ ففي غير ذلك، فيصلي التحية ركعتين خفيفتين، يقرأ فيهما: قل يا أيها الكافرون، والإخلاص. فإن أقيمت مكتوبة، أو خاف فوتها صلاها وحصلت التحية، ثم يحمد الله ويشكره، ويسأل الرضا والتوفيق والقبول، وأن يهب له من مهمات الدارين نهاية السول، ويستجد شكراً الله تعالى، عند الحنفية. وفي التشويق للجمال بن المحب الطبري موافقتهم، ويبتهل في أن يتم له ما قصد من الزيارة النبوية، ومحل تقديم التحية إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف، فإن كان استحبت الزيارة أولاً كما قال بعضهم.

ورخص بعض المالكية في تقديم الزيارة على الصلاة، وقال: كل ذلك واسع ودليل الأول حديث جابر رضي الله عنه، قال: قدمت من سفر، فجئت رسول الله ﷺ أسلم عليه، فقال: «أدخلت المسجد فصليت فيه»[1]؟.

قلت: لا. قال: «فاذهب، فادخل المسجد فصلّ فيه، ثم ائت فسلم علي». وقال اللخمي: وتبتدئ في مسجد النبي ﷺ بتحية المسجد، قبل أن تأتي القبر، هذا قول مالك. وقال ابن حبيب، يقول: إذا دخل باسم الله والسلام على رسول الله ﷺ ويريد أنه يبتدئ

(١) رواه ابن خزيمة في الصحيح (١٨٢٨).

بالسلام من موضعه، ثم يركع، ولو كان دخوله من الباب الذي بناحية القبر، ومروره عليه، فوقف فسلم، ثم عاد إلى موضع يصلي فيه لم يكن ضيقاً ا هـ، مراد ابن حبيب، الإتيان أولاً بالسلام المستحب لداخل المسجد، لحديث: «إذ دخل أحدكم المسجد، فيسلم على النبي ﷺ»(١).

ومنها: أن يتوجه بعد ذلك إلى الضريح الشريف مستعيناً بالله في رعاية الأدب بهذا الموقف المنيف، فيقف بخضوع ووقار وذلة وانكسار، غاض الطرف، مكفوف الجوارح، واضعاً يمينه على شماله، كما في الصلاة، فيما قاله الكرماني من الحنفية مستقبلاً للوجه الشريف تجاه مسمار الفضة، وذلك في محاذاة الصرعة الثانية من باب المقصورة القبلي التي عن مستقبله، وقد حدث الآن شباك من نحاس، وموقف السلف قبل إدخال الحجرة في المسجد وبعده داخل تلك المقصورة، وهو السنة، إذ المنقول الوقوف على نحو أربعة أذرع من رأس القبر الشريف. وقال ابن عبد السلام: ثلاثة.

وقال ابن حبيب في الواضحة: وأقصد القبر الشريف من وجاه القبلة، وادن منه، وفي الإحياء بعد بيان الموقف بنحو ما سبق، فينبغي أن يقف بين يديه كما وصفنا، وتزوره ميتاً، كما كنت تزوره حياً، ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً. انتهى. ولينظر الزائر إلى أسفل ما يستقبله من الحجرة، والحذر من اشتغال النظر بشيء مما هناك من الزينة، فإنه ﷺ، كما قال في الإحياء: عالم بحضورك، وقيامك، وزيارتك له، قال: فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً في اللحد بإزائك، وأحضر عظيم رتبته في قلبك، انتهى. ثم سلم مقتصداً من غير رفع الصوت، ولا إخفاء، فتقول بحياء ووقار: السلام عليك أيها يا رسول رب العالمين. السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين. السلام عليك يا سيدالمرسلين وخاتم النبيين.

السلام عليك يا إمام المقين. السلام عليك يا قائد الغر المحجلين. السلام عليك أيها المبعوث رحمة للعالمين. السلام عليك يا شفيع المذنبين. السلام عليك يا حبيب الله.

السلام عليك يا خيرة الله. السلام عليك يا صفوة الله. السلام عليك أيها الهادي إلى صراط مستقيم.

السلام عليك يا من وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وبقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] السلام عليك يا من سبح الحصى في يديه، وحن الجذع إليه.

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٢٠٧٨٩). وفيه: «صلى».

السلام عليك يا من أمرنا الله بطاعته، والصلاة والسلام عليه. السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين. وعباد الله الصالحين. وملائكة الله المقربين. وعلى آلك وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين. وأصحابك أجمعين. كثيراً دائماً أبداً كما يحب ربنا ويرضى. جزاك الله عنا أفضل ما جزى به رسولاً عن أمته. وصلى الله عليك أفضل وأكمل وأزكى وأنمى صلاة صلاها على أحد من خلقه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وأقمت الحجة وأوضحت المحجة، وجاهدت في الله حق جهاده، وكنت كما نعتك الله في كتابه، حيث قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فصلوات الله، وملائكته، وجميع خلقه في سمواته، وأرضه، عليك يا رسول الله. اللهم آته الوسيلة والفضيلة، وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. اللهم فثبتني على ذلك، ولا تردنا على أعقابنا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

ومن عجز عن حفظ ذلك، أو ضاق عنه الوقت، اقتصر على بعضه وأقله: السلام عليك يا رسول الله ﷺ. وعن ابن عمر وغيره، الاقتصار جداً. وعن مالك يقول: السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته، واختار بعضهم التطويل وعليه الأكثر.

وقال ابن حبيب: ثم تقف بالقبر، فتصلي عليه، صلى الله عليه وسلم، وتثني بما يحضرك: انتهى. ثم إن كان أوصاك أحد بالسلام، فقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله ونحوه.

السلام عليك يا أبا بكر الصديق، صفيّ رسول الله ﷺ، وثانيه في الغار، ورفيقه في الأسفار، جزاك الله عن أمة رسول الله ﷺ خير الجزاء. ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع.

فيقول: السلام عليك يا عمر الفاروق، الذي أعز الله به الإسلام، جزاك الله تعالى عن أمة محمد ﷺ خَيْرَ جَزَاءٍ، هذا ما ذكره النووي، وغيره من أصحابنا، وغيرهم، وذكر ابن حبيب السلام والثناء على رسول الله ﷺ، وعطف عليه قوله: السلام عليكما يا صاحبَيْ

رسول الله ﷺ: يا أبا بكر، ويا عمر، جزاكما الله تعالى عن الإسلام، وأهله أفضل ما جزى وزيري نبي عن وزارته في حياته، وعلى حسن خلافتهما إياه في أمته بعد وفاته، فقد كنتما لرسول الله ﷺ وزيري صدق في حياته، وخلفتماه بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته، فجزاكما الله تعالى على ذلك مرافقته في جنته، وإيانا معكم برحمته.

قال النووي، وغيره: ثم يرجع الزائر إلى موقفه قبالة وجه رسول الله ﷺ، فيتوسل به، ويتشفع به إلى ربه، ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: ثم انصرفت، فغلبتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: «يا عتبي إلحق الأعرابي، فبشره بأن الله قد غفر له»[(١)].

قال السمهودي: قلت: وليقدم على ذلك ما تضمنه خبر ابن أبي فديك رحمه الله تعالى عن بعض من أدركه، قال: بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ﷺ عليك يا محمد، يقولها سبعين مرة، ناداه ملك صلى الله عليك: يا فلان، ولم تسقط لك اليوم حاجة قال بعضهم: والأولى أن يقول: صلى الله عليك يا رسول الله، إذ من خصائصه أن لا ينادى باسمه تعالى، والذي يظهر أن ذلك في النداء الذي لا يقترن به الصلاة والسلام، ثم يجدد التوبة عقب ذلك، ويكثر في الاستغفار والتضرع إلى الله تعالى، والاستشفاع بنبيه ﷺ في جعلها توبة نصوحاً. ثم يقول: يارسول الله إن الله تعالى قال: في ما أنزل عليك: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وأتيت بجهلي وغفلتي أمراً كبيراً، وقد وفدت عليك زائراً، وبك مستجيراً. وجئتك مستغفراً من ذنبي. سائلاً منك أن تشفع لي إلى ربي. وأنت شفيع المذنبين. المقبول الوجيه عند رب العالمين.

وها أنا معترف بخطئي، مقر بذنبي، متوسل بك إلى الله مستشفع بك إليه، وأسأل الله الرحيم بك أن يغفر لي ويميتني على سنتك ومحبتك، ويحشرني في زمرتك، ويوردني

---

(١) رواه ابن حجر في فتح الباري (١٠: ٢٨٦). وفيه: «يا عتبة بن فرقد».

وأحبائي حوضك غير خزايا ولا نادمين، فاشفع لي يا حبيب رب العالمين، وشفيع المذنبين، فها أنا في حضرتك وجوارك ونزيل بابك وعلقت بكرم ربي الرجاء لعله يرحم عبده وإن أساءو يعفو عما جنى، ويعصمه ما بقي في الدنيا ببركتك وشفاعتك يا خاتم النبيين وشفيع المذنبين:

أنت الشفيع وآمالي معلقة ... وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لي
هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له ... إلا جنابك يا سؤلي ويا أملي

غيره:

ضيف ضعيف غريب قد أناخ بكم ... ومستجيز بكم يا سادة العرب
يا مكرمي الضيف يا عون الزمان ويا ... غوث الفقير ومرمى القصد والطلب
هذا مقام الذي ضاقت مذاهبه ... وأنتمُ في الرجا من أعظم السبب

وعن الأصمعي وقف أعرابي مقابل القبر الشريف، فقال: اللهم هذا حبيبك، وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك، وفاز عبدك، وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك، ورضي عدوك، وهلك عبدك، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك، وترضي عدوك، وتهلك عبدك. اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، وإن هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره.

قال الأصمعي: فقلت: يا أخا العرب إن الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال. ويجلس الزائر إن شق عليه طول القيام، فيكثر من الصلاة والتسليم، ويتلو ما تيسر، ويقصد الآي والسور الجامعة لصفات الإيمان ومعاني التوحيد. وفي شرح المهذب عن آداب زيارة القبور، لأبي موسى الأصفهاني: أن الزائر بالخيار إن شاء زار قائماً، وإن شاء زار قاعداً، كما يزور أخاه في الحياة فربما جلس، وربما زار قائماً ومارّاً، انتهى. ويدعو بمهماته ولوالديه وإخوانه والمسلمين.

وقال النووي: ثم يتقدم، أي بعد الدعاء والتوسل، قبالة الوجه الشريف إلى رأس القبر، فيقف بين القبر والأسطوانة التي هناك، ويستقبل القبلة، ويحمد الله تعالى، ويمجده، ويدعو لنفسه بما أهمه، وما أحبه، لوالديه. ولمن شاء من أقار به وأشياخه وإخوانه وسائر المسلمين. وفي كتب الحنفية وغيرهم نحو هذا. وفي كتب بعض المالكية سرد الدعاء مع سلام الزيارة أولاً، من غير ذكر عود، وهو موافق لقول العز بن جماعة: إن ما ذكره من العود إلى قبالة الوجه الشريف، ومن التقدم إلى رأس القبر المقدس للدعاء، عقب الزيارة، لم ينقل عن فعل الصحابة والتابعين.

قال الإمام السمهودي: قلت غرض من رتب ذلك هكذا، تأخير الدعاء عن الوجه

الشريف عن السلام على الشيخين رضي الله عنهما، والجمع بين موقفي السلف قبل إدخال الحجرة، وبعده مع الدعاء مستقبل القبلة في الثاني، وهو حسن.

ومنها: أن يأتي المنبر الشريف، ويقف عنده، ويدعو الله تعالى ويحمده على ما يسر له، ويسأله من الخير أجمع، ويستعيذ به من الشر أجمع. فعن يزيد بن عبد الله بن قسيط: رأيت رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا خلا المسجد، يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التي كان رسول الله ﷺ يمسكها بيده، ثم يستقبلون القبلة، ويصلون ويدعون، ويصلي، ويدعو عند اسطوانة المهاجرين وغيرها من الأساطين ذات الفضل، ويكثر من الصلاة والدعاء بالروضة الشريفة.

ومنها: أن يجتنب لمس جدار القبر، وتقبيله، والطواف به. قال النووي: لا يجوز أن يطاف به ويكره إلصاق البطن والظهر به، قاله الحليمي وغيره، قال: ويكره مسحه باليد، وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه، كما يبعد منه لو حضر في حياته هذا، هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، من خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ من البركة، فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي في ما وافق الشرع وأقوال العلماء. انتهى.

وفي الإحياء: مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود، اهـ. وعن الزغفراني: إن ذلك من البدع التي تنكر شرعاً. وعن أنس بن مالك: أنه رأى رجلاً وضع يدعه عَلَى قبر النبي ﷺ، فنهاه، وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ، وقال السروجي من الحنفية: لا يلصق بطنه بالجدار، ولا يمسه بيده.

وفي كتاب أحمد ابن سعيد الهندي، كما في الشفاء في من وقف بالقبر، لا يلصق به، ولا يحسه، ولا يقف عنده طويلاً. وفي المغني للحنابلة: ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ، ولا يقبله، وقال أبو بكر الأثرم: قلت: لأبي عبد الله، يعني ابن حنبل: قبر النبي ﷺ يلمس ويتمسح به، قال: ما أعرف هذا، قلت: فالمنبر أي قبل احتراقه قال أما المنبر فنعم، قد جاء فيه شيء يروونه، عن ابن فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه مسح المنبر، ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة.

ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك: أنه حيث أرادالخروج إلى العراق جاء إلى المنبر، فمسحه ودعا، فرأيته استحسن ذلك، قلت لأبي عبد الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر، وقلت له: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه، ويقومون ناحية، ويسلمون، فقال أبو عبد الله: ونَعْمَ. وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك، نقله ابن عبد الهادي عن تأليف شيخه ابن تيمية. ولابن عساكر في تحفته عن ابن عمر: أنه كان يكره أن يكثر مس قبر

النبي ﷺ، وفيه تقييد لما سبق. وفي كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرجل يمس قبر النبي ﷺ يتبرك بمسه، وتقبيله، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال: لا بأس به.

قال العز بن جماعة: وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع. وقال السبكي: عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه، واستدل في ذلك بما رواه يحيى بن الحسن عن عمر بن خالد عن أبي نباتة عن كثير بن يزيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه، نعم، إني لم آت الحجر، ولم آت اللِبِّن، وإنما جئت رسول الله ﷺ. وذكر الحديث الآتي من رواية أحمد، لكن لم يصرح فيه برفعه في نسخة يحيى التي وقعت للسبكي، وصرح برفعه في غيرها، ثم قال المطلب: وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري، قال السبكي وعمر بن خالد: لم أعرفه، وأبو نباتة، ومن فوقه ثقات، فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر.

قال الإمام السمهودي: قلت: رواه أحمد بسند حسن، ولفظه: أقبل مروان يوماً، فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه، فقال: نعم، إني لم آت الحجر: إنما جئت رسول الله ﷺ، ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا على الدين إذا وليه غير أهله**»[1].

وسبق في الفصل الأول قصة زيارة بلال رضي الله عنه: وأنه أتى القبر، فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه. وذكر الخطيب ابن جملة: أن بلال رضي الله عنه وضع خديه على القبر الشريف، وأن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمين عليه، ثم قال: ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل علي الإذن في ذلك، والقصد به التعظيم، والناس تختلف مراتبهم كما في الحياة، فمنهم من لا يملك نفسه، بل يبادر إليه، ومنهم من فيه أناة فيتأخر اهـ. ونقل عن ابن الصيف والمحب الطبري: جواز تقبيل الصالحين.

وعن إسماعيل التيمي، قال: كان ابن المنكدر يصيبه الصمات، فكان يقوم فيضع خده على قبر النبي ﷺ، فعوتب في ذلك، فقال: إنه يستشفي بقبر النبي ﷺ.

ومنها: اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم، فهو من البدع، ويظن من لا علم له أنه من

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤: ٥١٥). والطبراني في المعجم الكبير (٤: ١٨٩).

شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر. قال العز بن جماعة: وليس عجبي ممن جهله فارتكبه، بل ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه، واستشهد له بالشعر. قال الإمام السمهودي: قلت: شاهدت بعض القضاة فعله، وزاد السجود بجبهته بحضرة العوام، فتبعوه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومنها: أن لا يستدبر القبر المقدس في الصلاة، ولا في غيرها، ولا يصلي إليه. قال ابن عبد السلام: وإذا أردت صلاة، فلا تجعل حجرته ﷺ وراء ظهرك، ولا بين يديك. قال: والأدب معه ﷺ بعد وفاته مثله في حياته، فما كنت صانعه في حياته فاصنعه بعد وفاته من احترامه، والإطراق بين يديه، وترك الخوض في ما لا ينبغي أن تخوض فيه في مجلسه، فإن أبيت فانصرافك خير من بقائك، اهـ.

وقال الأوزاعي: يجب الجزم بتحريم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركاً وإعظاماً. وفي التتمة أن الصلاة إلى قبر رسول الله ﷺ حرام، قال الأذرعي: وينبغي أن لا يختص هذا بقبره الكريم، بل هو كما ذكرنا، وعجب قول النووي في التحقيق: تحرم الصلاة متوجهاً إلى رأس قبر رسول الله ﷺ، وتكره إلى غيرها، اهـ.

ويجتنب ما يفعله الجهلة من التقريب بأكل التمر الصيحاني بالمسجد، وإلقاء النوى فيه.

منها: أن لا يمر بالقبر الشريف، ولو من خارج المسجد، حتى يقف ويسلم. حدث أبو خازم أن رجلاً أتاه، فحدثه أنه رأى النبي ﷺ، يقول لأبي حازم: «أنت المارّ بي معرضاً، لا تقف تسلم عليَّ». فلم يدع ذلك أبو حازم منذ بلغته الرؤيا. وفي جامع البيان لابن رشد: وسئل، يعني مالكاً، عن المارّ بقبر النبي ﷺ، أترى أن يسلم كلما مرّ؟ قال: نعم، أرى ذلك عليه كلما مرّ به، وقد أكثر الناس من ذلك فأما إذا لم يمر به، فلا أرى ذلك. وذكر حديث: «اللهم لا تجعل قبري وثناً»[1]، فإذا لم يمر عليه في سعة من ذلك.

وسئل عن الغريب يأتي قبر النبي ﷺ كل يوم، فقال: ما هذا من الأمر، ولكن إذا أراد الخروج، قال ابن رشد: معناه أنه يلزمه أن يسلم متى ما مر، وليس عليه أن يمر ليسلم إلا للوداع عند الخروج، ويكره أن يكثر المرور به والسلام عليه والإتيان كل يوم.

وقال مالك في المبسوط: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء، وقال فيه: لا بأس لمن قدم من سفر، أو خرج إلى سفر،

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤: ٤١٧). والقرطبي في التفسير (٢: ٥٨). ومالك في الموطأ (١٧٢). وابن سعد في الطبقات الكبرى (:). ٢: ٢: ٣٥).

أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له. ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر، ولا يريدونه، ويفعلون ذلك في اليوم مرة، أو أكثر، أو في الجمعة، أو الأيام، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها، أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلاّ لمن جاء من سفر، أو أراده.

قال الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء، لأن الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم.

قال السبكي: والملخص من مذهب مالك أن الزيارة قربة، ولكنه، على عادته في سد الذرائع، يكره منها الإكثار الذي قد يفضي إلى محذور، والمذاهب الثلاثة. يقولون: باستحبابها، واستحباب الإكثار من الخير خير.

وفي زيارة القبور من إذكار النووي: يستحب الإكثار من الزيارة، وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل رحمه الله تعالى: كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتي المسجد، فأبدأ بالنبي ﷺ فأسلم عليه. ولابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد: رأيت رجلاً من أهل المدينة، يقال له محمد بن كيسان، يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة، ونحن جلوس مع ربيعة، فيقوم عند القبر، فيسلم ويدعو حتى يمسي، فيقول جلساء ربيعة: أنظروا إلى ما يصنع هذا، فيقول: دعوه، فإنما للمرء ما نوى.

ومنها: الإكثار من الصلاة والسلام، واغتنام ما أمكن من الصيام والحرص على الصلوات الخمس بالمسجد النبوي في الجماعة، والإكثار من النافلة فيه مع تحري المسجد الأول والأماكن الفاضلة منه إلا أن يكون الصف الأول خارجه، وليغتنم ملازمة المسجد إلاّ لمصلحة راجحة، وكلما دخله نية اعتكاف، وليحرص على المبيت فيه ولو ليلة يحييها وعلى ختم القرآن العظيم به.

وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مخلد، قال: كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج.

قال المجد: ويديم النظر إلى الحجرة الشريفة، فإنه عبادة قياساً على الكعبة، فإذا كان خارج المسجد أدام النظر إلى قبتها مع المهابة والحضور.

ومنها: أنه يستحب الخروج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على النبي ﷺ، خصوصاً يوم الجمعة، قاله النووي: فيقول: إذا انتهى إليه السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله

بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منكم والمستأجرين اللهم أغفر لأهل بقيع الغرقد. اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، وأغفر لنا ولهم. ثم يزور ما سيأتي من القبور الظاهرة به، ولم يتعرض النووي لمن يبدأ به.

وقال البرهان بن فرحون: الأولى بالتقديم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأنه أفضل من هناك، واختار بعضهم البدأة بإبراهيم ابن رسول الله ﷺ، اهـ.

وقال العرمة فضل الله ابن الغوري من الحنفية: إذا أراد زيارة البقيع يخرج من باب البلد، ويأتي قبة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، ثم ذكر إتيان البقعة، ثم قال، ثم يختم بصفية بنت عبد المطلب، اهـ.

وملحظه في ذلك: إن مشهد العباس رضي الله عنه أول ما يلقى الخارج من باب البلد عن يمينه، فمجاوزته من غير سلام جفوة، فإذا عليه يسلم على من يمر به أولاً فأولاً، فيختم بصفية رضي الله عنها في رجوعه، وقد صرح النووي: بأنه يختم بها، ثم إذا دخل من باب البقيع، فليقصد مشهد سيدي إسماعيل، فإنه صار داخل السور، يذهب إلى مشهد سيدي مالك بن سنان والنفس الزكية وليسا بالبقيع، وليأت قبور الشهداء بأحد.

قال ابن الهمام من الحنفية: ويزور جبل أحد نفسه، ففي الصحيح: «أحد جبل يحبنا ونحبه»، ويبكر بعد صلاة الصبح بالمسجد النبوي حتى يعود ويدرك الظهر به، ويبدأ بسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، قالوا: وأفضلها يوم الخميس، وكأنه لضيق الجمعة عن ذلك، وقد قال محمد بن واسع: بلغني إن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويوماً قبله ويوماً بعده، اهـ.

ويستحب استحباباً متأكداً إتيان مسجد قباء، وهو في يوم السبت أولى، فيتوضأ، ويذهب إليه، ويستحب إتيان بقية المساجد، والآثار المنسوبة للنبي ﷺ مما علمت عينه، أو جهنه، وكذا الآبار التي شرب، أو تطهر منها، والتبرك بذلك.

وفي مناسك الشيخ خليل المالكي، بعد ذكر استحباب زيارة البقيع، ومسجد قباء ونحوهما: وهذا في من كثرت إقامته وإلاّ فالمقام عنده ﷺ لاغتنام مشاهدته أحسن.

قال ابن أبي جمرة: لما دخلت مسجد المدينة ما جلست إلا الجلوس في الصلاة، ما زلت واقفاً هناك، حتى رحل الركب، وخطر لي الخروج إلى البقيع، فقلت: إلى أين أذهب، هذا باب الله مفتوح للسائلين والمتضرعين، وليس ثم من يقصد مثله. قال السمهودي: هذا في من منح دوام الحضور، وعدم الملل، وألا فالتنقل في تلك البقاع أولى، وأدعى للنشاط.

ومنها: أن يلاحظ بقلبه مدة إقامته بالمدينة جلالتها وتردده ﷺ فيها، ومشيه في بقاعها، ومحبته لها، وتردد جبريل عليه السلام بالوحي فيها، ولا يركب بها دابة، مهما قدر على المشي، كما فعل مالك رحمه الله تعالى، وقال: أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة.

وروى: أخشى أن يقع حافر الدابة في محل مشى رسول الله ﷺ فيه. ويلزمُ نفسه مدة إقامته بزمام الخشية والتعظيم، ويخفض جناحه، ويغض صوته، قال الله تعالى: ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ [الحجرات: ٣] الآية.

ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه: آليت أن لا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار وحرمته ﷺ ميتاً كحرمته حياً.

ومنها: محبة سكان المدينة سيما العلماء والصلحاء والأشراف والخدام، قال المجد: وهلم جرا إلى أعوامها وخواصها على حسب مراتبهم، إلى من لا يبقى له مزية سوى كونه جاراً، فأعظم بها مزية، لأنه ﷺ أوصى بالجار، ولم يخص جاراً دون جار، قال: وكل ما أحتج به محتج من رمي عوامهم بالابتداع، وترك الاتباع، فإنه إذا ثبت في شخص لا يترك إكرامه، فإنه لا يخرج عن حكم الجار، وإن جار، ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف دار، بل يرجى أن يختم له بالحسنى، ويمنح ببركة القرب الصوري قرب المعنى:

فيا ساكني أكنافِ طيبة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

قالوا ويستحب أن يتصدق فيها بما أمكنه، قال في شرح المهذب: ويخص أقاربه به ﷺ بمزيد، لحديث مسلم: **«أذكركم الله في أهل بيتي»**[(١)].

ومنها: استحباب المجاورة بها لمن قدر عليها، مع رعاية الأدب، وانشراح الصدر، ودوام السرور والفرح بمجاورة هذا النبي الكريم، والإكثار من التضرع والدعاء بالتوفيق لشكر هذه النعمة، وقرنها بحسن الأدب اللائق بها، وجبر التقصير في القيام بحقها، والاعتراف بذلك مع الحرص على فعل أنواع الخيرات بحسب الإمكان، ولا يضيق على من بها بسكني الأرطة وأخذ الصدقة إلا أن يحتاج، فيقتصر على قدر الحاجة من غير تعرض لذلك، ولا أشرف نفس، ولا ينتحل عبادة ما صورته وفائدته دنيا كإمامة وأذان وتدريس وقراءة، أو خدمة في الحرم إلا أن يخلص النية، أو تدعوه الحاجة إليه، قاله الأقشهري.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٣٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٢: ١٤٨). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٢٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ٣٠٠). وابن كثير في التفسير (٦: ٤٦١). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ١٩٩). وابن أبي عاصم في السنة (٢: ٦٤٣).

ومنها: إذا اختار الرجوع، فليودع المسجد الشريف بركعتين بالمصلى النبوي، أو ما قرب منه، ثم يقول بعد الحمد والصلاة والسلام: اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما تحب وترضى، إلى غير ذلك ما يستحب للمسافر، ويدعو بما أحب.

ثم يقول: اللهم لا تجعله آخر العهد بهذا المحل الشريف. ويختم بالحمد والصلاة والسلام، ويأتي القبر الشريف ويسلم ويدعو بما تقدم أولاً، ويقول: نسألك يا رسول الله أن تسأل الله تعالى أن لا يقطع آثارنا من زيارتك، وأن يعيدنا سالمين، وأن يبارك لنا فيما وهب لنا، ويرزقنا الشكر على ذلك. اللهم لا تجعله آخر العهد بحرم رسولك ﷺ وحضرته الشريفة، ويسر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلة، وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصرح الكرماني: بتقديم وداع النبي ﷺ توديع المسجد بركعتين، والأول هو المشهور، والأصل في ذلك حديث، كان لا ينزل منزلاً إلا ودعه بركعتين. ثم ينصرف الزائر عقب ذلك تلقاء وجهه، ولا يمشي إلى خلفه، ويكون متألماً متحزناً على الفراق، وما يفوته من البركات. وهناك يظهر من المحبين سوابق العبرات. ويتصعد من بواطنهم لواحق الزفرات. ويكون مع ذلك دائم الأشواق لذلك المزار، متعلق القلب بالعود لتلك الديار. والله القائل:

أحن إلى زيارة حي ليلى … وعهدي من زيارتها قريب
وكنت أظن قرب الدار يطفي … لهيب الشوق فازداد اللهيب

ولا يستصحب شيئاً من تراب الحرم، ولا من الأكر المعمولة منه، ونحو ذلك، بل يستصحب هدية، يدخل بها السرور على أهله وإخوانه، من غير أن يتكلفها، سيما ثمار المدينة الشريفة، ومياه آبارها المباركة.

ومنها: أن يتصدق بشيء مع خروجه، وينوي حينئذ ملازمة التقوى، والاستعداد للقاء الله تعالى ورسوله ﷺ في يوم المعاد، وليحذر كل الحذر من مقارنة الذنوب، فإن النكسة أشد من المرض، ويحافظ على الوفاء بما عاهد عليه الله تعالى ولا يكون خواناً أثيماً: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ومن جواهر الإمام السمهودي في قوله في الباب الثاني أيضاً

[فضل المسجد النبوي]

الفصل الثالث: في فضل المسجد النبوي، وروضته، ومنبره، قال الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ

أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت لبعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصى، فضرب به الأرض، ثم قال: **«هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة»**.

ولأحمد والترمذي عنه: اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد النبي، فسألاه عن ذلك، فقال: وفي ذلك، يعني مسجد قباء خير كثير.

وقال مالك: كما في العتبية، إنه مسجد المدينة، قال: أين كان يقوم رسول الله ﷺ، أليس في هذا. ويأتونه أولئك من هناك، وقال تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١] فإنما هو هذا.

ثم قال السمهودي: وسيأتي في مسجد قباء ما يدل، لأنه المراد، والجمع أن كلاً منهما أسس على التقوى، من أول يوم تأسيسه، والسر في إجابته ﷺ عند السؤال عن ذلك، بما سبق، دفع ما توهمه السائل، من اختصاص ذلك بمسجد قباء، والتنويه بمزية هذا على ذلك، ولذا قال: **«وفي ذاك خير كثير»**.

وفي الصحيحين حديث: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»**. وساق في هذا المعنى أحاديث، ثم قال: وفي الصحيحين: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة، فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»**، زاد مسلم: **«فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد»**، أي آخر مساجد الأنبياء، **«فالصلاة في هذا المسجد أفضل من ألف صلاة في سائر مساجد الأنبياء إلا المسجد الحرام، فالصلاة بهذا المسجد أفضل من ألف صلاة ببيت المقدس»**، ويدل له حديث الطبراني في الكبير، برجال ثقات عن الأرقم، وكان بدرياً، قال: جئت رسول الله ﷺ لأودعه، وأردت الخروج إلى بيت المقدس، قال: **«وما يخرجك إليه، أفي تجارة. قلت: لا، ولكني أصلي فيه، فقال رسول الله ﷺ: صلاة هٰهنا خير من ألف صلاة»**، وللبزار عن أبي سعيد، قال: ودع رسول الله ﷺ رجلٌ فقال: **«أين تريد؟»** قال: بيت المقدس، فقال رسول الله ﷺ: **«صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام»**. ورواه يحيى وغيره مع بيان، أن الرجل هو الأرقم.

وقد روى أبو يعلى برجال ثقات: أن الصلاة في بيت المقدس بألف صلاة، أي في غيره من المساجد مطلقاً غير المسجدين، فالصلاة بمسجد المدينة أفضل من ألف ألف صلاة فيما سواه من مساجد سائر البلاد إلى الأقصى، فهي أفضل من ألف صلاة، بما لا يعلم قدره إلا الله

تعالى، وإلا المسجد الحرام. وذكر السمهودي أحاديث أخرى في مضاعفة الأجر في المساجد الثلاثة، ثم قال: والمذهب، كما قال النووي: إن المضاعفة المذكورة تعم الفرض، والنفل خلافاً للطحاوي ولغيره من المالكية.

ثم قال: وقال في الأحياء: والأعمال في المدينة تتضاعف، وذكر حديث: **«صلاة في مسجدي بألف صلاة فيما سواه»**.

ثم قال الغزالي: فكذلك كل عمل بالمدينة بألف، وصرح به أيضاً أبو سليمان داود الشاذلي من المالكية. ويشهد له ما روى البيهقي عن جابر مرفوعاً: **«الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام»**. وعن ابن عمرو ونحوه إلا أنه قال: **«كصيام ألف شهر»**.

وقال النووي: باختصاص المضاعفة لمسجده ﷺ، الذي كان زمنه دون ما زيد فيه، لقوله: **«صلاة في مسجدي هذا»**. قال السمهودي: قلت: تقييد بهذا لإخراج غيره من المساجد المضافة إليه بالمدينة، لا للاحتراز عما سيستقر عليه بالزيادة. وقد سئل مالك رحمه الله عن ذلك، فيما ذكر ابن نافع صاحبه فقال: بل هو يعني المسجد الذي جاء فيه الخبر على ما هو الآن، لأن النبي ﷺ أخبر بما يكون بعده، ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم، ولم ينكر عليهم ذلك منكر، انتهى.

ثم نقل الإمام السمهودي أحاديث وآثاراً كثيرة تحقق أن مضاعفة الأجر تعم ما كان في زمنه ﷺ من المسجد، وما حصل فيه من الزيادات إلى أن استقر على ما هو عليه الآن، ونقل في ذلك عن العلماء تقولات كثيرة.

منها قوله: قال الشيخ تقي الدين بن تيمية: هو الذي يدل عليه كلام المتقدمين، وعملهم، وكان الأمر عليه في زمن عمر وعثمان، فزادا في قبلة المسجد، وكان مقامهما في الصلوات الصف الأول: الذي هو فضل ما يقام فيه، وهو في الزيادة، قال: وما بلغني عن أحد من السلف خلاف هذا، وما علمت سلفاً لمن خالف في ذلك من المتأخرين، اهـ.

ونقل البرهان ابن فرحون: أنه لم يخالف في ذلك إلا النووي، وأن المحب الطبري نقل في الأحكام له رجوع النووي عن ذلك، قال: وسبق النووي إلى ذلك ابن عقيل الحنبلي، كما قاله ابن الجوزي في الوفاء. ولأحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات عن أنس بن مالك: **«من صلى في مسجدي أربعين صلاة، لا تفوته صلاة، كتبت له براءة من النار، وبراءة من**

العذاب، وبراءة من النفاق»[١]. ولابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدي فرجل تكتب له حسنة ورجل تحط عنه خطيئة». وليحيى عن سهل بن سعد: «من دخل مسجدي هذا يتعلم فيه خيراً، أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذي يرى ما يعجبه وهو لغيره»[٢]. وليحيى عن زيد بن أسلم: «من دخل مسجدي هذا لصلاة، أو لذكر الله تعالى، أو يتعلم خيراً، أو يعلمه، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله تعالى ولم يجعل ذلك لمسجد غيره»[٣]. وله عن أبي سعيد المقبري عن الثقة: «لا أخال إلا لكل رجل منكم مسجداً في بيته»، قالوا: نعم يا رسول الله ﷺ. قال: «فوالله لو صليتم في بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم، ولو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سنته، ولو تركتم سنته إذن لضللتم».

وفي الصحيحين عن عبد الله بن زيد: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[٤]. وللبخاري عن أبي هريرة مثله، وزاد: «ومنبري على حوضي». ولها عن ابن عمر: «ما بين قبري ومنبري»، الحديث ولأبي داود وابن حبان والحاكم، وصححاه عن جابر: «لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر إلاّ تبوأ مقعداً من النيل، أو وجبت له».

وللنسائي برجال ثقات عن أبي أمامة ابن ثعلبة: «من حلف عند منبري هذا يميناً كاذبة، استحل بها مال امرئ مسلم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

وللطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري: «منبري على ترعة من ترع الجنة، وما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة». وليحيى وأبي الطاهر بن المخلص في انتقائه، عن سعد هو ابن أبي وقاص: «ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة»[٥].

ولابن زبالة عنه: «ما بين منبري والمصلى»، الحديث. قيل: المراد بالمصلى المسجد

(١) رواه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٦٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢: ٣٥٠). والحاكم في المستدرك (١: ٩١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٨٥٧). والهيثمي في مورد الظمآن (٨١).

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٩).

(٤) رواه ابن ماجه في السنن (٢٣٢٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٦٣٩٢). وفيه: «مقعده من النار».

(٥) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢: ٢٤٥).

النبوي. وقيل: مصلى العيد، ولهذا قال طاهر بن يحيى عقب روايته لذلك: إن أباه يحيى، قال: سمعت غير واحد يقولون إن سعداً لما سمع هذا الحديث من النبي بنى داريه فيما بين المسجد والمصلى، انتهى.

قال السمهودي: ويؤيده وما روى ابن شبة عن جناح النجار، قال: أخرجت مع عائشة بنت سعد بن أبي وقاص إلى مكة، فقالت لي: أين منزلك؟ فقلت لها: البلاط، فقالت لي: تمسك به، فإني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما بين مسجدي هذا ومصلاي روضة من رياض الجنة»**[1].

قال السمهودي، قلت: والبلاط هنا هو الممتد من المسجد إلى المصلى، وهو مؤيده إلى أن المسجد النبوي كله روضة. ثم نقل عن الحافظ ابن حجر في الفتح: أن تلك البقعة تنقل إلى الجنة، فتكون روضة من رياضها، أو إنه على المجاز، لكون العبادة فيها تؤول إلى دخول روضة الجنة. قال ابن حجر: وهذا فيه نظر، إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة، والخبر مسوق لمزيد شرف تلك البقعة على غيرها، أي لكثرة تردده ﷺ فيها، واتصالها بقبره الشريف الذي هو الروضة العظمى، وقربها منه، فلذلك اختصت بذلك.

ثم بعد أن ذكر السمهودي عن بعض العلماء القول: بأن ذلك على وجه المجاز. وذكر عن بعضهم رده، وذكر عن بعضهم القول: بصحة الوجهين. قال: السمعاني: لما فضل الله تعالى هذا المسجد وشرفه، وبارك في العمل فيه وضاعفه، سماه رسول الله ﷺ روضة، فتراه جعله كله روضة. والمشهور أن المراد بيت خاص، وهو بيت عائشة رضي الله عنها، برواية: **«ما بين قبري»**[2]، قال ابن خزيمة: أراد بيتي الذي أقبر فيه، إذ قبره ﷺ في بيته الذي كانت تسكنه عائشة رضي الله عنها.

قال الخطيب ابن جملة: فعلى هذا تسامتُ[3] الروضة حائط الحجرة من جهة الشمال، وإن لم تسامتُ المنبر، أو تؤخذ المسافة مستوية، فلينظر، أي فإن أخذت مستوية دخل ما سامت الحجرة من جهة الشمال، وإن لم يسامت المنبر وما سامت طرف المنبر القبلي، وإن لم يسامت الحجرة، لتقدم المنبر من جهة القبلة، فتكون الروضة مربعة، وهي رواق المصلى الشريف، والرواقان بعده، وذلك مسقف مقدم المسجد، في زمنه ﷺ. ثم قال: وقال الزين المراغي: ينبغي اعتقاد كون الروضة لا تختص بما هو معروف الآن، بل تتسع

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢: ٢٧٧).

(٢) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١: ٩٣).

(٣) تسامتُ من السمت أي «خط النظر».

إلى حد بيوته ﷺ من ناحية الشام، وهو آخر المسجد في زمنه ﷺ، فيكون كله روضة. ثم قال: قد ذكر ابن زبالة في موضع من كتابه في ذيل خبر رواه عن عبد العزيز بن أبي حازم بن عمارة، إن ذرع ما بين المنبر إلى القبر، وهو موضع بيته ﷺ أربع وخمسون ذراعاً وسدس، ثم نقل عن أبي غسان محمد بن يحيى صاحب مالك: أن بينهما ثلاثاً وخمسين ذراعاً، وذكر ابن جماعة. اثنين وخمسين بذراع العمل. ثم قال في الباب الثالث: في أخبار سكناها إلى أن حل النبي ﷺ فيها، وسكنها وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في سكناها بعد الطوفان، وسكنى اليهود بها، ثم الأنصار وبيان نسبهم وظهورهم على يهود، وما اتفق لهم مع تبع.

وبعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل الثاني**: في منازل الأوس والخزرج، وما دخل بينهم من الحروب.

ثم بعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل الثالث**: في إكرام الله تعالى بالنبي ﷺ، ومبايعتهم له بالعقبة الأولى والثانية، وهجرته ﷺ ونزوله بقباء.

ثم بعد ذكر ذلك، وهو مفصل بوجه البسط في السير النبوية، قال **الفصل الرابع**: في قدومه ﷺ إلى المدينة، وسكناه بدار أبي أيوب، وشيء من خبره في سني الهجرة، وذكر ذلك وهو مفصل ومبسوط في السير النبوية، فلم أر ضرورة لنقله هنا.

ومن جواهر الإمام السمهودي
قوله في خلاصة الوفا أيضاً

[عمارته]

الباب الرابع: في عمارة مسجدها الأعظم النبوي ومتعلقاته والحجرات المنيفات، وفيه ستة عشر فصلاً:

الأول: في عمارته ﷺ له ودرعه في زمنه، وما يتميز به. قال: قد تلخص لنا من كلام أهل السير، أن ناقته ﷺ بركت عند باب مسجده، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا المنزل إن شاء الله**»، ثم أخذ في النزول، فقال: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩] وكان مربداً، أي يجفف فيه التمر لغلامين يتيمين من الأنصار، وهو يومئذٍ فيه رجال من المسلمين في مسجد أبتناه به أسعد بن زرارة، وكان يجمع بهم فيه، وبعد أن ذكر بناء النبي ﷺ عليه وسلم المسجد روى يحيى عن محمد بن يحيى صاحب مالك أنه قال: في ما كان انتهى إلينا

من ذرع مسجد النبي ﷺ من القبلة إلى حده الشامي أربعة وخمسون ذراعاً وثلثا ذراع، وحده من المشرق إلى المغرب ثلاث وستون ذراعاً، قال السمهودي: قلت: وهو محمول على ذرعه قبل أن يزيد فيه ﷺ، ثم استقر الأمر فيه على رواية المائة في مائة. وأطال في ذلك.

الفصل الثاني: في مقامه ﷺ للصلاة قبل تحويل القبلة، وبعدها، وما يتعلق به، وبعد أن ذكر تحويل القبلة، قال: ولابن زبالة عن أبي هريرة رضي الله عنه: كان مصلاه ﷺ الذي صلى فيه بالناس إلى الشام في مسجده أن تضع موضع الأسطوان المخلق اليوم خلف ظهرك، ثم تمشي إلى الشام، حتى إذا كنت يمنى باب آل عثمان، كانت قبلته ذلك الموضع، وعبر عنه المطري، بقوله: حتى إذا كنت محاذياً باب عثمان، المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام، والباب على منكبك الأيمن، وأنت في صحن المسجد، كانت قبلته ﷺ في ذلك الوضع. ثم قال المطري: ما حاصله إلا الأسطوانة المخلقة هي التي خلف ظهر الإمام عن جهة يساره. يعني المتوسطة في الروضة المعروفة بأسطوان عائشة، مع قول ابن زبالة فيها: إن النبي ﷺ صلى الصلوات المكتوبة بضعة عشر يوماً، بعد أن حولت القبلة، ثم تقدم إلى مصلاه الذي وجاه المحراب، أي الكائن في جوار القبلة، لذا، ترجم عليها ابن النجار بأسطوانة النبي ﷺ التي كان يصلي إليها، أي قبل أن يتقدم إلى مصلاه الذي استقر عليه الأمر. لكن قد ذكر ابن زبالة، في بيان محل الجذع: ومصلى النبي ﷺ الذي استقر عليه الأمر، عن عبد العزيز بن محمد: إن الأسطوانة الملطخة بالخلوق ثلثاها، أو نحو ذلك، محرابها موضع الجذع، الذي كان النبي ﷺ يخطب إليه مالك: إذا عدلت عنها قليلاً، وجعلت الجزعة التي في المقام بين عينيك، والرمانة التي في المنبر إلى شحمة أذنك، قمت في مقام رسول الله ﷺ، أي الذي استقر عليه الأمر. ثم قال: وقال ابن النجار: قال مالك بن أنس أرسل الحجاج إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف، وكان في صندوق عن يمين الأسطوانة التي علمت عَلَماً لمقام النبي ﷺ، قال السمهودي: قلت: وبهذا، وبما قبله، يعلم أن وضع الصندوق عند المصلى الشريف كان قديماً، وأنه كان صندوق مصحف، ولذا ثبت في الصحيح قول يزيد بن عبيد: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع، فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت: إنك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحري الصلاة عندها. والظاهر أن الأسطوانة المخلقة حيث أطلقت، فإنما يراد بها التي هي عَلَم للمصلّى الشريف، أي أسطوانة عائشة، ولا أسطوانة التوبة، وإن كان يقال لكم منهما، مخلقة، فقد قال مالك: أحب مواضع النقل في مسجد رسول الله ﷺ مصلاه، حيث العمود المخلق، وعبر ابن وهب عن ذلك بقوله: أما النافلة فموضع مصلاه، وأما الفريضة فأول الصفوف.

ولم يكن محراب في عهده ﷺ، ولا في عهد الخلفاء بعده، حتى اتخذه عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد، واحتاط في أمره، قال ابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده: لما سار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة: من قريش، والأنصار، والعرب، والموالي، فقال لهم: تعالوا إليَّ احضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا غير عمر قبلتنا، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع مكانه حجراً. قال المطري: وكان الحائط القبلي، يعني الأول، محاذياً لمصلى النبي ﷺ لما ورد أن الواقف في مصلى النبي ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن. فمقام النبي ﷺ لم يغير، باتفاق، وكذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الأول، وإنما جعل هذا الصندوق الذي في قبلة مصلَّى النبي ﷺ سترة بين المقام، أو بين الأسطوانات، اهـ.

وتوهم الأقشهري أن الصندوق المذكور في موضع مصلى النبي ﷺ، وأن موقف الإمام اليوم خلفه، وهو غلط، كما أوضحنا، في الأصل. وقد قال محمد بن يحيى صاحب مالك: وجدنا ذرع ما بين مسجد النبي ﷺ كما بعهده إلى جوار القبلة اليوم، الذي فيه المحراب عشرين ذراعاً وربعاً، وهذه الزيادة التي زيدت بعد النبي ﷺ، اهـ.

قال الزين المراغي: وقد اعتبرته من وجه سترة مصلى النبي ﷺ إلى جدار القبلة، فكان كذلك، وبه يظهر أن المصلى الشريف لم يغير عن مكانه، وأن الصندوق إنما جعل في مكان الجدار الأول، اهـ.

قال النووي في مناسكه، في الأحياء: إنه المصلي يجعل عمود المنبر حذاء الأيمن، يستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول الله ﷺ.

ثم قال السمهودي: وقد سمع المحراب القبلي عما كان عليه، وزيد في طوله، وتغير عن محله بعدالحريق الثاني، وأبدل الصندوق الذي كان أمام المصلى النبوي، واللوح الذي كان في قبلته بدعامة فيها محراب مرخم مرتفع يسيراً عن أرض حوض المصلى الشريف، ووسع الحوض المذكور يسيراً فمن تحرى في القيام محاذاة هذا المحراب كان المصلى الشريف عن يمينه، لما سبق عن الأحياء وغيره، فينبغي تحري طرف الحوض المذكور الذي يلي المنبر، فقد، ذرعتُ ما بين المنبر الأصلي وبين الطرف المذكور، فكان أربع عشرة ذراعاً وشبراً، كما حرره ابن زبالة صاحب مالك وغيره في ذرع ما بين المنبر والمصلى الشريف، ثم بعد أن ذكر في هذا المعنى تفصيلات وأقوالاً أخرى.

قال الفصل الثالث: في خبر الجذع والمنبر، وما يتعلق بهما، وبالأساطين المنيفة.

وبعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل الرابع**: في حجره ﷺ، وحجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وبعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل الخامس**: في الأمر بسد الأبواب وما استثني منها.

وبعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل السادس**: في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد، واتخاذه البطحاء بناحيته.

وبعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل السابع**: في زيارة عثمان رضي الله عنه، واتخاذه المقصورة.

وبعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل الثامن**: في زيادة الوليد، واتخاذه: المحراب، والشرفات، والمنارات، والمنع من الصلاة على الجنائز به زمنه.

وبعد أن ذكر ذلك قال، **الفصل التاسع**: في زيارة المهدي.

وبعد أن ذكر ذلك، قال **الفصل العاشر**: في ما يتعلق بالحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة، والحائز الذي أدير عليها، وصفة القبور الشريفة بها. تقدم أنها بنيت لما بني المسجد على نعت بنائه الأول من لَبِن وجريد النخل، ويؤخذ مما سبق أن البيت كان مبنياً باللَّبِن، وله حجرة يد النخل مستورة بمسوح الشعر، وكان عمر بن الخطاب أبدل الجريد بجدار فلابن سعد عن عمرو بن دينار، وعبيد الله بن أبي زيد، قال: لم يكن على عهد النبي ﷺ على بيت النبي ﷺ حائط، فكان أول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال عبيد الله بن أبي زيد: كان جداره قصيراً، ثم بناه عبد الله بن الزبير. وقال الحسن البصري: كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام مراهق، وأنال السقف بيدي، وكان لكل بيت حجرة، وكانت حجرته من أكيسة من شعر مربوطة في خشب عرعر. ولابن عساكر عن داود بن قيس، قال: أظن عرض البيت من الحجرة إلى باب البيت نحو من ست، أو سبع أذرع، وأظن سمكه بين الثمان والتسع نحو ذلك. ووقفت عند باب عائشة رضي الله عنها، فإذا هو مستقبل المغرب. لكن سبق في الفصل الرابع أن بابها مستقبل الشام.

ولابن عساكر عن أبي فديك: أنه سأل محمد بن هلال عن بيت عائشة، فقال: كان بابه من جهة الشام، قلت: مصراعاً كان، أو مصراعين؟ قال: باب واحد، قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عرعر، وساج. ولذا قال ابن عساكر وباب البيت شامي، لم يكن عليه غلق مدة حياة عائشة، اهـ.

قال السمهودي بعده: والصواب الجمع بأنه كان له بابان: شامي، وغربي، ونقل ما

يؤيده. ونقل ابن زبالة: أنه كان بين بيت حفصة، وبين منزل عائشة، الذي فيه قبره الشريف، طريق، وكانتا تتهاديان الكلام وهما في منزليهما من قرب ما بينهما.

وكان بيت حفصة عن يمين الخوخة، أي خوخة آل عمران، فهو موقف الزائرين اليوم داخل مقصورة الحجرة، وخارجها. ولابن زبالة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما زلت أضع خماري، وأنفصل في ثيابي حتى دفن عمر، فلم أزل محتفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً.

وعن مطلب: كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة بجدار، فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوة، فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فسدت.

وفي طبقات ابن سعد: أخبرني موسى بن داود، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، قسم كان تكون فيه عائشة، وبينهما حائط. وكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر بلا تحفظ، فلما دفن عمر رضي الله عنه، لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها. ولابن شبة عن أبي غسان: لم يزل بيت النبي ﷺ، الذي دفن فيه، ظاهراً حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار المُزْوَرَّ، حين بني المسجد في خلافة الوليد، وإنما جعله مزوراً كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة، وأن يتخذ قبلة فيصلي إليه.

وعن عروة، قال: نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أن لا يجعل في المسجد أشد المنازلة، فأبى، وقال: كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه، قال: فقلت: فإن كان لا بد، فاجعل له جؤجؤاً أي وهو الموضع المزور شبه المثلث خلف الحجرة. وللآجري عن رجاء بن حيوة: كتب الوليد إلى عمر، وكان قد اشترى الحجرات أن اهدمها، ووسع بها المسجد فقعد عمر في ناحية، ثم أمر بهدمها، فما رأيت أكثر باكياً من يومئذ، ثم بناها كما أراد.

وفي الصحيح عن هشام بن عروة عن أبيه: أنه لما سقط عنهم الحائط زمن الوليد، أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدم، ففزعوا، وظنوا أنها قدم النبي ﷺ، فما وجدوا أحداً يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: والله ما هي قدم النبي ﷺ، ما هي إلا قدم عمر.

ثم قال الإمام السمهودي: وقد ذرعت الحجرة الشريفة من داخلها بجريدة طويلة، فكان ذرع مقدمها الذي يلي القبلة بين المغرب والمشرق عشرة أذرع وثلثي ذراع، وذرع مؤخرها مما يلي الشام أحد عشر ذراعاً وربع وسدس وذرع عرضها من القبلة إلى الشام في كل من جانبها الغربي والشرقي سبعة أذرع بتقديم السين ونصف ثمن وعرض منقبة الجدار الداخل من الجوانب كلها ذراع ونصف وقيرطان، إلا الشرقي المجدد، فإنه ذراع وربع وثمن فقط، وعرض منقبة الحائز الظاهر ذراع وربع وثمن، وارتفاعه في السماء من أرض المسجد حوله ثلاثة عشر ذراعاً وثلث ذراع يزيد بعض الجهات يسيراً. ورسم صورة الحجرة الشريفة، ثم

قال: وأما صفة القبور الشريفة بالحجرة المنيفة فقد اختلف فيها على نحو سبع كيفيات، ذكرناها في الأصل بأدلتها.

والذي عليه الأكثر. أن قبر النبي ﷺ أمامها إلى القبلة مقدماً، أي لجذار القبلة، ثم قبر أبي بكر رضي الله عنه حذاء منكبي رسول الله ﷺ، وقبر عمر رضي الله عنه حذاء منكبي أبي بكر رضي الله عنه.

ثم ذكر **رواية ثانية**: وهي: وضع أبي بكر كالرواية الأولى، وعمر رأسه تحت قدمي النبي ﷺ.

ثم ذكر **رواية ثالثة**: وهي: جعل رأس عمر في حذاء منكبي النبي ﷺ، كما وضع أبو بكر في الروايتين الأوليين، وجعل أبي بكر في هذه الرواية: رأسه تحت قدمي النبي ﷺ كما وضع عمر في الرواية الثانية ورد هذه الرواية الثالثة، ورجح الأوليين، والأولى منها أصح، وأرجح، وهي التي أعتمد عليها الإمام الجزولي، وذكر رسمها في دلائل الخيرات، قال: وبقية الروايات تركناها لضعفها. قال: وقد اشتملت رواية أبي داود والحاكم: على أن القبور الشريفة لم تكن مسنمة.

ثم قال: جاء في رواية: أن موضع القبر الباقي في السهوة الشرقية، قال سعيد بن المسيب: فيه يدفن عيسى بن مريم عليه السلام، والسهوة قيل كالصفة، وقيل شبه والخزانة. وللترمذي عن عبد الله بن سلام، قال: مكتوب في التوراة صفة محمد، وعيسى بن مريم يدفن معه. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو أتيت المدينة، وأقمت بها، فإن مت دفنت في الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، فقال: والله لأن يعذبني الله عز وجل بكل عذاب إلا النار، أحب إلي من أن يعلم أني أرى نفسي لذلك أهلاً.

وليحيى وابن النجار عن كعب الأحبار، قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة يحفون بالقبر، يضربون بأجنحتهم، ويصلون عَلَى النبي ﷺ، حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج من سبعين ألفاً من الملائكة ﷺ. وفي صحيح البخاري، نحوه، وبوب عليه باب: ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته. ورواه البيهقي أيضاً في شعبة.

ثم قال **الفصل الحادي عشر**: في ما جعل علامة لتمييز جهة الرأس، والوجه الشريفين، ومقام جبريل عليه السلام من الحجرة الشريفة، وتأزيرها بالرخام، وكسوتها، وتخليقها، ومعاليقها، والمقصورة التي أديرت عليها، والقبلة المحاذية لها بأعلى سطح المسجد الشريف النبوي، وقد ذكر جميع ذلك.

ثم قال الفصل الثاني عشر: في العمارة المتجددة بالحجرة الشريفة، وإبدال سقفها بقبة لطيفة تحت سقف المسجد، ومشاهدة وضعها، وتصوير ما استقر عليه أمرها، ثم ذكر ذلك، إلى أن قال: بعث إليَّ متولي العمارة لأتشرف بمشاهدة وضع الحجرة الشريفة، فحثني داعي الشوق إلى الإجابة، وبلغ الوجد مني مبلغاً أتم به، ولله در القائل:

ولو قيل للمجنون أرض أصابها غبار ثرى ليلى لجد وأسرعا

فتوجهت مستحضراً عظيم ما توجهت إليه، ومتوقع المثول ببيت أوسع الخلق كرماً وعفواً، وذلك هو المعول عليه، ولله القائل:

عصيت فقلت كيف ألقى محمداً ووجهي بأثواب المعاصي مبرقع

عسى الله من أجل الحبيب وقربه يداركني بالعفو فالعفو أوسع

وسألت الله تعالى أن يمنحني حسن الأدب في ذلك العمل العظيم، ويلهمني ما يستحقه من الإجلال والتعظيم، وأن يرزقني منه القبول والرضا والتجاوز عما سلف. ومضى، فاستأذنت، ودخلت من مؤخر الحجرة، ولم أتجاوزه، فشممت رائحة عطرة، ما شممت مثلها قط، فلما قضيت من السلام والتشفع والتوسل الوطر، متعت عيني في تلك الساحة بالنظر، لا تحف بوصفها المشتاقين وأنشر من طيب أخبارها في المحبين، فإذا هي أرض مستوية، ولا أثر للقبور الشريفة بها، وبوسطها موضع فيه ارتفاع يسير، توهموا أنه القبر النبوي، فأخذوا من ترابه للتبرك، فيما زعموا لجهلهم بأخبار الحجرة الشريفة، فقد قال الشافعي: رداً على من قال: إنه ﷺ أدخل قبره معترضاً، هذا من فحش الكلام في الأخبار، لأن قبر رسول الله ﷺ كان قريباً من الجدار، وكان اللحد تحت الجدار، أي جدار القبلة، فكيف توضع الجنازة على عرض القبر حتى صار معترضاً، اهـ.

وفي تحفة ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه: رشّ قبر النبي ﷺ، وكان الذي رشّ على قبره بلال بن رباح بقربة، بدأ من قبل رأسه حتى انتهى إلى رجليه، ثم ضرجه بالماء إلى الجدار، لم يقدر على أن يدور من الجدار، لأنهم جعلوا بين قبره وبين حائط القبلة نحواً من سوط. وفي طبقات ابن سعد عن محمد بن عبد الرحمٰن عن أبيه، قال: سقط حائط قبر النبي ﷺ في زمن عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذٍ على المدينة في ولاية الوليد، فكنت أول من نهض، فنظرت إلى قبر النبي ﷺ، فإذا ليس بينه وبين حائط عائشة إلا نحو من شبر، فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة.

وفي خبر عبد الله بن عقيل: في قصة سقوط الجدار، عند ابن زبالة ويحيى: أن عمر بن عبد العزيز، قال لمزاحم لما دخل: كيف ترى قبر النبي ﷺ؟ قال: متطأطئاً، قال: فكيف ترى

قبر الرجلين، قال: مرتفعين. قال: أشهد أنه رسول الله ﷺ. وقد قدمنا ما شاهدنا من وصف الحجرة، وذرعها في العاشر، والتفاوت بين داخل أرض الحجرة، وما حول الحائز الظاهر من أرض المسجد نحو ثلاثة أذرع، وآثار الردم الذي أخرج من الجدران نحو ثلاثة أذرع في بعض المواضع، وفي بعضها نحو ذراعين.

ثم شرعوا في إعادة بناء الحجرة في سابع عشر شعبان، فاقتضى رأيهم إدخال الأسطوانة الملاصقة لجدار الشامي من خلفه في عرض ذلك الجدار، فزادوا في عرضه من الرحبة التي هناك، وجعلوه متفاوت العرض، فأسسوا عرض ما يلي المشرق منه إلى نهاية محاذاة الأسطوانة التي أدخلوها نحو ثلاثة أذرع، وما يلي المغرب منه دون ذلك بنحو نصف ذراع، فصارت الجهة الأولى بارزة على الثانية في الرحبة التي هناك.

وعقدوا قبواً على نحو ثلث الحجرة الذي يلي المشرق، والأرجل الشريفة ليتأتى لهم تربيع محل القبة المتخذة على بقية الحجرة من المغرب، لأن الحجرة مستطيلة بين المشرق والمغرب، كما يعلم مما سبق في ذرعها.

وأدخلوا ما كان بين الجدار الداخل والخارج من المشرق في عرض حائط القبو المذكور إلى نهاية ارتفاعه، وكذا فعلوا فيما بين الجدار القبلي الداخل والخارج سدوه أيضاً حتى لم يبق حول البناء الداخل إلا من جهة الشام، وصار علو القبو المذكور، أعني سطحه، وما اتصل به مما كان بين الجدارين في المشرق فضاء بين القبة وبين الجدار الظاهر في المشرق، والجدار الظاهر في القبلة.

واتخذوا له سترة من الشام، وعقدوا القبة على جهة الرؤوس الشريفة بأحجار منحوتة من الأسود، وكملت من الحجر الأبيض، وارتفاع القبة من أرض الحجرة إلى محل هلال القبة ثمانية عشر ذراعاً وربع ذراع، ومن أرض الحجرة إلى رأس القبو، الذي بني عليه جانب القبة الشرقي، نحو اثني عشر ذراعاً، وجعلوا رأس جدار القبة الشامي بناءً يسيراً مما بقي من اللَّبِن الذي تقدم وجوده فيما هدم من الحجرة، وكان كثيراً، فأخذ أكثره.

وذكر متولي العمارة: أنه جعل الميزاب، الذي وجد بالحجرة، من عرعر، وقد احترق بعضه في حرق هذا البناء، وتركوا في نحو وسط الجدار خوخة، فلم يبق إلاّ هي أدخلوا منها شيئاً كثيراً من حصباء عرصة العقيق، التي يفرش بها المسجد، بعد أن غسلوها لتوضع على محل القبور الشريفة، وكنت قد ذكرت لهم: أن القبر الشريف يلي جدار القبلة، كما سبق، وأنه يستنبط مما سبق، في كون المسمار من الجدار الظاهر في محاذاة الوجه الشريف، أن ابتداء القبر الشريف من المغرب على نحو ذراعين من الجدار القبلي الداخل، لأنا إذا أسقطنا عرض الجدارين العربيين، أعني الداخل منهما والخارج، وهو نحو ثلاثة أذرع، كان الباقي

مما بين المسمار وطرف الصفحة الغربية نحو الذراعين، فاستحسنوا ذلك. وتولى الدخول ووضع الحصباء على القبور الشريفة ابن أخي متولي العمارة، وصهره زوج أخته، فوضعوا الحصباء على المحل المذكور، وأخذوا بالصفة المشهورة في كيفية القبور الشريفة من كون رأس أبي بكر منكبَ رسول الله ﷺ، ورأس عمر خلف منكب أبي بكر رضي الله عنهما، فوضعوا الحصباء لهما كذلك، وكان صهر متولي العمارة حنيفاً، فجعلها مسنمة، وأكثروا في ذلك المحل من البخور بالعود والعنبر، وغيرهما من أنواع الروائح، وعرف المحل الشريف على ذلك كله راجح فائح، والله در القائل:

بطيب رسول الله طاب نسيمها فما المسك ما الكافور وما المندل الرطب

وألقى جماعة من الناس أوراقاً كتبوا فيها التشفع بالحبيب الشفيع ﷺ، ومآرب سألوها، ثم سدوا الخوخة المذكورة، ونصبوا بأعلى القبة هلالاً من نحاس أصفر، يقرب من يقف المسجد، فإن القبة المذكورة تحته، ثم سدوا ما هدموه من الجدارالظاهر، وأنا حاضر، وحضوت في بعض بناء الحجرة متبركاً بالعمل فيه، ولم أحضر غير ذلك طلباً للسلامة، وأنشدت في ذلك المحل الشريف، قصيدتي: التي تطفلت بها على واسع كرم الجناب الرفيع الحبيب الشفيع الحال بهذا الحمى المنيع، التي أولها:

قف بالديار لحيّ في ذُرى الحرم وحيّ هذا المحيا من ذوي إضم

وكان ختم هذا البناء في يوم الخميس ٧ شوال سنة ٨٨١. ثم ذكر صورة الحجرة الشريفة.

ومن جواهر الإمام السمهودي

قوله في الباب الرابع بعد الفصل الثاني عشر، خاتمة، في ما نقل من عمل خندق مملوء من الرصاص حول الحجرة الشريفة وما ناسب سببه

[عمل خندق مملوء رصاصاً]

قال الجمال الأسنوي، في رسالة له، في منع الولاة من استعمال النصارى: إن الملك العادل نور الدين الشهيد رأى النبي ﷺ في نومه في ليلة ثلاث مرات، وهو يشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: «أنجدني. أنقذني من هذين»، فأرسل إلى وزيره أن تجهزا معاً بقية ليلتهما على رواحل خفيفة في عشرين نفراً، وصحب مالاً كثيراً، وقدم المدينة في ستة عشر يوماً، فزارا، ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم، وصار يتصدق عليهم، ويتأمل تلك الصفة إلى أن انفضت الناس، فقال: هل بقي أحد؟ قالوا: لم يبق سوى رجلين صالحين، عفيفين،

مغربيين، يكثران الصدقة، فطلبهما، فرآهما، فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما النبي ﷺ، فسأل عن منزلهما، فأخبر أنهما في رباط، بقرب الحجرة، فأمسكهما، ومضىٰ إلى منزلهما. فلم ير الأختمتين.

وكتبا في الرقائق، ومالاً كثيراً. فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير، فرفع السلطان حصيراً في البيت، فرأى سرداباً محفوراً، ينتهي إلى صوب الحجرة، فارتاعت الناس لذلك، وقال [لهما][1] السلطان: أصدقاني، وضربهما ضرباً شديداً، فاعترفا: أنهما نصرانيان، بعثهما سلطان النصارى في زي حجاج المغاربة، وأمالهما بأموال عظيمة. ليتحيلا في الوصول إلى الجناب الشريف، ونقله، وما يترتب عليه، فنزلا بأقرب رباط، وصارا يحفران ليلاً، ولكل منهما محفظة جلد، والذي يجتمع من التراب يخرجانه في محفظتيهما إلى البقيع بعلة الزيارة، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت، وحصل رجيف عظيم، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة، فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاء شديداً، وأمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم، وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها، وأذيب ذلك الرصاص، وملئ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سورا رصاصاً إلى الماء، اهـ.

وأشار المطري لذلك، مع مخالفة في بعضه ولم يذكر أمر الرصاص، فقال: ووصل السلطان نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر في سنة ٥٥٧ إلى المدينة، بسبب رؤيا رآها، ذكرها بعض الناس، وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب ابن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد، عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان المذكور رأى النبي ﷺ ثلاث مرات في ليلة، وهو يقول في كل مرة: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين أشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح، فذكر ذلك له، فقال: هذا أمر حدث بالمدينة النبوية، ليس له غيرك، فتجهز على عجل بمقدار ألف راحلة، وما يتبعها، حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، ثم ذكر قصة الصدقة، وأنه لم يبق إلاّ رجلان مجاوران من أهل الأندلس، نازلان في الناحية التي في قبلة حجرة النبي ﷺ، عند دار آل عمر، المعروفة بدار العشرة، فجد في طلبهما.

فلما رآهما، قال للوزير: هما هذان فسألني عن حالهما، فقالا: لا جئنا للمجاورة، فقال: أصدقائي، وعاقبهما، فأقرّا أنهما من النصارى، وأنهما وصلا لكي ينقلا من بالحجرة

---

(١) في الأصل ورد «لهم».

الشريفة باتفاق من ملوكهم، وجدهما قد حفرا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي، وهما قاصدان لجهة الحجرة، [ويجعلان][(١)] التراب في بئر عندهما في البيت. فضرب أعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد. ثم أحرقا بالنار آخر النهار، وركب السلطان متوجهاً إلى الشام، اهـ.

ونقل ابن البخاري، في تاريخ بغداد، وقوع ما يقرب من ذلك، هو أن بعض الزنادقة، أشار على الحاكم العبيدي، صاحب مصر، بنقل النبي ﷺ، وصاحبيه من المدينة إلى مصر، وقال: متى تم ذلك اشد الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر. وكان منقبة لسكانها، فاجتهد الحاكم في مدة وبنى بمصر حائزاً، وبعث أبا الفتوح إلى نبش الموضع الشريف. فلما وصل إلى المدينة، وجلس بها، حضر جماعة المدنيين، وقد علموا ما جاء فيه، وحضر معهم قارئ يعرف بالزلباني، فقرأ في المجلس: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢] إلى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣] فماج الناس، وكادوا يقتلون أبا الفتوح.

فلما رأى أبو الفتوح ذلك، قال لهم الله أحق أن يخشى، والله لو كان علي من الحاكم فوات الروح، ما تعرضت للموضع، وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه وكيف نهض في هذه المخزية، فما انصرف النهار حتى أرسل الله ريحاً، كادت الأرض تتزلزل مع من فوقها حتى دحرجت الإبل بأقتابها[(٢)]، والخيل بسروجها، كما تدحرج الكرة، وهلك أكثرها وخلق من الناس، فانشرح صدر أبي الفتوح، وذهب روعه من الحاكم، لقيام عذره.

وفي الرياض النضرة للمحب الطبري: أخبرني هارون بن الشيخ عمر بن الزغب، وهو ثقة، صدوق مشهور بالخير والصلاح، عن أبيه وكان من الرجال الكبار، قال: قال لي شمس الدين صواب اللمطي، شيخ خدام النبي ﷺ، وكان رجلاً صالحاً، كثير البر بالفقراء، أخبرك بعجيبة: كان لي صاحب يجلس عند الأمير، ويأتيني من خبره بما تمس حاجتي إليه، فبينما أنا ذات يوم، إذ جاءني، فقال: أمر عظيم حدث اليوم، جاء قوم من أهل حلب وبذلوا للأمير مالاً كثيراً ليمكنهم من فتح الحجرة الشريفة، وإخراج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما منها، فأجابهم لذلك، فلم ألبث أن جاء رسول الأمير يدعوني، فأجبته، فقال: يا صواب يدق عليك الليلة أقوام المسجد فافتح لهم، ومكنهم مما أرادوا، ولا تعترض عليهم: فقلت: سمعاً وطاعة.

---

(١) في الأصل ورد «ويجعلون».

(٢) القتب: إلحاف البعير، [لسان العرب، مادة: قتب].

ولم أزل خلف الحجرة أبكي حتى صليت العشاء، وغلقت، فلم أنشب أن دق علي الباب الذي حذاء باب الأمير، أي وهو باب السلام، ففتحت الباب، فدخل أربعون رجلاً، أعدهم واحداً بعد واحد، ومعهم المساحي، والمكاتل، والشموع، وآلات الهدم، والحفر.

قال: وقصدوا الحجرة الشريفة، فوالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم، بجميع ما كان معهم، فاستبطأ الأمير خبرهم، فدعاني، وقال: يا صواب ألم يأتيك القوم؟ قلت: بلى، ولكن اتفق لهم كيت وكيت، قال: أنظر ما تقول. قلت: هو ذاك، فانظر، هل ترى لهم أثراً؟ فقال: هذا موضع هذا الحديث، وإن ظهرت منك كان بقطع رأسك. قال المطري فحكيتها لمن أثق بحديثه، فقال: وأنا كنت حاضراً في بعض الأيام عند الشيخ أبي عبد الله القرطبي بالمدينة، والشيخ شمس الدين صواب يحكي له هذه الحكاية. سمعتها من فيه، اهـ.

وقد ذكرها مختصرة أبو محمد عبد الله ابن أبي عبد الله بن أبي محمد المرجاني في تاريخ المدينة له، وقال: سمعتها من والدي، يعني الإمام الجليل أبا عبد الله المرجاني. سمعها من خادم الحجرة، ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة، وذكر نحو ما تقدم، إلاّ إنه قال: فدخل خمسة عشر، أو قال: عشرون رجلاً، فما مشوا إلاّ خطوة، أو خطوتين، وابتلعتهم الأرض، اهـ.

ثم ذكر السمهودي الفصل الثالث عشر من الباب الرابع: في **الحريق الأول** المستولي على ما سبق، وعلى سقف المسجد، وما أعيد من ثم **الحريق الثاني**، وما ترتب عليه.

قال: احترق المسجد النبوي أولاً ليلة الجمعة، أول شهر رمضان، سنة ٦٥٤، وهي سنة ظهور الناس، التي تقدم ذكرها في الفصل العاشر من الباب الأول، ثم ذكر العمارة بعد هذا الحريق في محرم سنة ٦٥٦.

ثم قال: ثم احترق المسجد النبوي ثانياً في الثلث الأخيرمن ليلة الثالث عشر من شهر رمضان عام ٨٨٦.

وذكر عمارته من طرف سلطان مصر وقتئذ، الملك الأشرف قايتباي، وكانت في زمن الإمام السمهودي قال رحمه الله تعالى: وصار المسجد كبحر لجي من نار، ترمي بشرر كالقصر، ويسقط شررها على بيوت الجيران، فلا يؤذيها، وأخبرني أمير المدينة الزيني قسيطل: أن شخصاً من العرب الصادقين رأى قبل ذلك بليلة، أن السماء فيها جراد منتشر، ثم عقبته نار عظيمة، فأخذ النبي ﷺ صَلاَ النار وقال: «أمسكها عن أمتي».

وأخبرني جماعة: أنهم شاهدوا أشكال طيور بيض، يحومون حول النار، كالذي يكفها

عن بيوت الجيران، ولم يصل إلى جوف الحجرة الشريفة شيء من هدم هذا الحريق، نحمد الله تعالى لسلامة القبة السفلى المذكورة، وعدم تأثير النار فيها مع ما سقط مما هو كأمثال الجبال، مع أن بعضها من الحجر الأبيض، الذي يسرع تأثره بالنار، وقد أثرت هذه النار في أحجار الأساطين، وهي من الأسود حتى تهشم بعضها وتفتت.

ثم قال: **الفصل الرابع عشر**: في ما احتوى عليه المسجد من الأروقة، والأساطين، والذرع، والحواصل ونحوها، وتحصيبه، ومصابيحه، وتخليقه، وإجماره، وذكر جميع ذلك، قال: ولا يخفى أن عدد الأروقة والأساطير يزيد وينقص بحسب تجدد العمارات، وقد ذكر الأروقة كانت تسعة عشر رواقاً، وأن الأساطين كانت مائتين وستاً وتسعين أسطوانة، على ما ذكره ابن زبالة.

ثم قال: **الفصل الخامس عشر**: في أبواب المسجد، وخوخاته، وما يميزها من الدور المحاذية لها. وشرح حال الدور المحيطة به، الذي تلخص من كلام ابن زبالة: أن الذي استقر عليه المسجد في عدد الأبواب، بعد زيارة المهدي عشرون باباً بخوخة أبي بكر رضي الله عنه، لأنها جعلت شارعاً في رحبة الفضاء ، وأنه كانت به أربعة أبواب أخرى، ليست عامة للناس، كانت مما يلي القبلة، ثم شرح حال الدور المطيفة بالمسجد.

ثم قال: **الفصل السادس عشر**: في البلاط المجعول حول المسجد، وما أطاف به من الدور غير ما سبق، سوق المدينة وسورها، وذكر ذلك، وهو آخر فصول الباب الرابع.

ومن جواهر الإمام السمهودي

[مصلى الأعياد ومساجدها النبوية]

في خلاصة الوفا، قوله في الباب الخامس: في مصلى الأعياد بها، ومساجدها النبوية، ومقابرها، وفضل أحد، والشهداء به. وفيه ستة فصول:

الأول: في مصلى العيد، وذكر ما يتعلق بذلك.

ثم قال: **الفصل الثاني**: في مسجد قباء، قال: واختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] فالجمهور على أن المراد مسجد قباء. وعند أبي داود، بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: قال نزلت آية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] في أهل قباء، كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية. وهذا هو ظاهر الآية.

كما سبق في الفصل الثالث من الباب الثاني، مع الأحاديث الدالة على أن المراد مسجد المدينة، والجمع بأن كلاً منهما أسس على التقوى.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: كان ﷺ يزور مسجد قباء راكباً وماشياً، فيصلي فيه ركعتين. وللبخاري والنسائي: أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً، وكان عبد الله يفعله، وذكر كثيراً من الأحاديث، والآثار الدالة عَلَى فضله وما يتعلق بذلك.

ثم ذكر مسجد الضرار، الذي ابتناه بعض الأنصار، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [التوبة:١٠٧] أمر رسول الله ﷺ بهدمه، فهدم.

ثم قال الإمام السمهودي **الفصل الثالث**: في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا، وذكر:

مسجد الجمعة: فقال: سبق في الفصل الرابع من الباب الثالث: أن النبي ﷺ في خروجه من قباء، أي في الهجرة، أدركته الجمعة في بني سالم، فصلى في بطن الوادي. فكانت أول جمعة صلاها في المدينة، وهو المسجد الذي في بطن الوادي، ويقال له مسجد عاتكة.

مسجد الفضيخ: صغير شرقي مسجد قباء على شفير الوادي. عن جابر، قال: حاصر النبي ﷺ بني النضير، فضرب قبته قريباً من مسجد الفضيخ. وكان يصلي في موضع مسجد الفضيخ ست ليال، فلما حرمت الخمر، خرج الخبر إلى أبي أيوب، ونفر من الأنصار، وهم يشربون فيه فضيخاً، فحلوا وكاء السقاء فهراقوه فيه، فبذلك سمي مسجد الفضيخ.

وكان قبل اتخاذه مسجداً، و قبل العلم بنجاسة الخمر. قال المطري: وهو يعرف اليوم: **بمسجد الشمس**: قال المجد: ولعله لكونه على مكان عال، أول ما تطلع الشمس عليه.

مسجد بني قريظة: قرب حرتهم الشرقية. روى ابن شبة عن علي بن رافع وأشياخ قومه: إن النبي ﷺ صلى في بيت امرأة من الحضر، فأدخل ذلك البيت في مسجد بني قريظة، فذلك المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ شرقي بني قريظة، عند موضع المنارة التي هدمت.

مسجد مشربة أم إبراهيم عليه السلام: روى ابن شبة، وغيره، عن يحيى بن محمد بن ثابت: أن النبي ﷺ صلى في مشربة أم إبراهيم، سميت بذلك، لأن مارية، أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، ولدته فيها، وهو شمال مسجد بني قريظة، قريب من الحرة الشرقية في موضع يعرف بالدشت.

مسجد بني ظفر: من الأوس، شرقي البقيع، بطرف الحرة الغربية، ويعرف اليوم: **بمسجد البغلة**. روى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ظفر. وروى غيره: أنه ﷺ جلس على الحجر الذي في مسجد بني ظفر. وأن بعضهم أمر بقلعه، فلما علم بذلك، رده، قال الراوي: فَقَلّ امرأة تجلس عليه إلا حملت.

قال السمهودي: قلت: وليس بهذا المسجد اليوم حجر يجلس عليه الإماء في كتف بابه عن يسار داخله.

قال المطري: وعند هذا المسجد آثار في الحرة من جهة القبلة، قال إنها أثر حافر بغلة النبي ﷺ. اتكأ عليه، ووضع مرفقه الشريف عليه، وعلى حجر آخر أثر أصابع، والناس يتبركون بها.

مسجد الإجابة: لبني معاوية بن مالك بن عوف من الأوس، في صحيح مسلم، من حديث عامر بن سعد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً. ثم انصرف إلينا الحديث.

ثم قال أبو غسان: قال محمد بن طلحة: بلغني أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني معاوية على يمين المحراب نحواً من ذراعين، فليتحر ذلك مع الدعاء قائماً. قال السمهودي: وهو شمالي البقيع، على يسار السالك إلى العريض، وسط طلول، هي آثار قرية بني معاوية.

مسجد الفتح والمساجد التي في قبلته: وتعرف اليوم كلها: بمساجد الفتح، والأول المرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب، يصعد بدرجتين شمالية وشرقية، هو المراد بمسجد الفتح عند الإطلاق، ويقال له أيضاً: مسجد الأحزاب، والمسجد الأعلى.

وفي مسند أحمد، برجال ثقات، عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثاً: يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء، بين الصلاتين، فعرف البشر في وجهه. قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توجهت تلك الساعة، فأدعو فيها، فأعرف الإجابة.

ثم قال السمهودي: قال يحيى: دخلت مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح، فلما بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد، قال: هذا موضع رسول الله ﷺ، الذي دعا فيه على الأحزاب، وكان يصلي فيه إذا جاء مسجد الفتح. قال السمهودي: ومحل ذلك اليوم ما يقابل محراب المسجد من الرحبة، لتوسطه، فإنه كان على ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب، فمسقفه رواق واحد، هو اليوم، لكن غيرت أساطينه.

قال: يتلخص مما ذكرناه في الأصل، أنه مما يطلب من الدعاء: لا إله إلا الله، العظيم الحليم، لا إله إلا الله، رب العرش العظيم. لا إله إلا الله، رب السموات، ورب الأرضين، ورب العرش الكريم. اللهم لك الحمد، هديتني من الضلالة، فلا مكرم لمن أهنت، ولا مهين لمن أكرمت، ولا معز لمن أذللت، ولا مذل لمن أعززت، ولا ناصر لمن خذلت، ولا خاذل لمن نصرت، ولا معطي لمن منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا رازق لمن حرمت، ولا حارم لمن رزقت، ولا رافع لمن خفضت، ولا خافض لمن رفعت، ولا خارق لما سترت، ولا ساتر لمن خرقت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت. اللهم أنت عضدي، ونصيري بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل. اللهم يا صريخ المستصرخين، والمكروبين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، ويا مجيب المضطرين، صلّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، واكشف عني كربي، وغمي، وحزني، وهمي، كما كشفت عن حبيبك، ورسولك ﷺ كربه، وحزنه وغمه في هذا المقام، وأنا أستشفع إليك به ﷺ في ذلك، فقد ترى حالي، وتعلم عجزي، وضعفي. يا حنان يا منان يا ذا الجود والإحسان، أسألك من خير ما سألك منه عبدك، وحبيبك سيدنا محمد ﷺ، وأستعيذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك، وحبيبك سيدنا محمد ﷺ. ويدعو بما أحب، وينبغي أن يضم لذلك ما دعا به الشافعي عند دخوله على الرشيد في محنته.

فقد روى أبو نعيم من طريق الشافعي: أن النبي ﷺ دعا به يوم الأحزاب، وهو دعاء عظيم، وإن كان رفعه غير صحيح، كما قال البيهقي، وقد ذكرنا في الأصل. وتسمية هذا المسجد بمسجد الفتح، لأن الاستجابة وقعت به، وجاء حذيفة بخبر رجوع الأحزاب ليلاً به، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم، ونصرهم، وأقر أعينهم، وكان النبي ﷺ، قد قال لهم: «أبشروا بفتح الله ونصره»، كما في مغازي ابن عقبة وقول ابن جبير: إن سورة الفتح، أنزلت به، لا أصل له.

ولابن شبة عن أبي أُسيد عن أشياخهم: إن النبي ﷺ دعا على الجبل الذي عليه مسجد الفتح، وصلى في المسجد الصغير الذي بأصل الجبل عَلَى الطريق حين يصعد الجبل.

ولابن زُبالة عن معاذ بن سعد: أن رسول الله ﷺ صلى في مسجدالفتح الذي على الجبل، وفي المساجد التي حوله، وهو ظاهر في أنها ثلاثة غيره، إذ هي أقل الجمع، وبه صرح ابن النجار، حيث ذكر المسجد الأعلى وأنه يصعد إليه بدرج، ثم قال: وعن يمينه في الوادي نخل كثير، ويعرف ذلك الموضع بالسيح، ومساجد حوله، وهي ثلاثة: قبلة الأول منها خراب، وقد هدم، وأخذت حجارته. والآخر أن معموران بالحجارة والجص، وهما في

الوادي عند النخل، ا هـ. وقال المطري: إنهما في قبلة مسجد الفتح تحته.

ويعرف **الأول منها**: أي مما يلي المسجد الأعلى: **بمسجد سلمان الفارسي**.

والثاني: الذي يلي القبلة، يعني قبلة مسجد سلمان، يعرف: **بمسجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**.

والثالث: الذي ذكره ابن النجار، لم يبق له أثر.

قال السمهودي، قلت: في قبلة الثاني، المعروف بمسجد أمير المؤمنين، جانحاً للمشرق عَلَى طرف جبل سلع، أثر عمارة بها ردم حجارة، رأيت الناس يتبركون بالصلاة فيها، فظهر لي، أنه المشار إليه، بقول ابن النجار: قبلة الأول منها خراب، وقد هدم، لأنه أول المساجد من جهة القبلة وليس ثم ما يشتبه به من العمارات، والناس يقولون اليوم: إنه مسجد أبي بكر رضي الله عنه.

ثم قال: وينبغي التبرك **بكهف سلع**: وهو كهف بني حرام، فقد جاء: أن النبي ﷺ جلس به، وكان يبيت به ليالي الخندق، وهذا الكهف عَلَى يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية بقرب شعب بني حرام، في مقابلة الحديقة المعروفة بالنقيبية، التي تكون عن يساره، فإن عن يمينه هناك مجرى سائلة تسيل من سلع إلى بُطحان، فإذا دخلها وصعد يسيراً في المشرق كان الكهف عن يمينه، وعنده نقر في مجرى السائلة، وأعلى منه في المشرق كهف آخر، لكنه صغير جداً، فالأول هو المراد.

ثم قال: وشاهدت كهفاً آخر في شاميه جانحاً إلى المشرق آخر شعب بني حرام، وهو أقرب لكونه المراد بما سبق، غير أن الموجود عند الأول يرجح إرادته مسجد القبلتين.

روى ابن شبة عن جابر: أن النبي ﷺ صلى في مسجد الخربة، وفي مسجد القبلتين، وفي مسجد بني حرام الذي بالقاع، ورواه ابن زُبالة عن جابر: إلاّ أنه لم يذكر مسجد الخربة وسيأتي مسجد بني حرام في الفصل بعده.

مسجد السقيا: الآتي ذكرها في الآبار شامي البئر المذكورة، وقريباً منها جانحاً إلى المغرب يسيراً في طريق المار إلى المدرج، ذكره أبو عبد الله الأسدي من المتقدمين في المساجد التي تزار في المدينة.

ولابن زُبالة عن عمر بن عبد الله الديناروي: أن النبي ﷺ عرض جيش بدر بالسقيا، وصلى في مسجدها ودعا هناك لأهل المدينة، أن يبارك في صاعهم، ومدهم، وأن يأتيهم بالرزق من هٰهنا، قال: واسم البئر السقيا ثم أرضها الفلحان.

مسجد ذباب: ويعرف اليوم: بمسجد الراية، وهو مبني بالحجارة، على صفة المساجد العمرية بجبيل يسمى بذباب. قال الأسنوي: في الأماكن التي تزار بالمدينة مسجد الفتح على الجبل، ومسجد ذباب على الجبل. ولابن زبالة، وابن شبة عن عبد الرحمٰن الأعرج: أن النبي ﷺ على ذباب، وذباب اسم رجل قتل هناك، فسمي به المكان، وكان هذا المكان، المسمى بذباب، مضرب قبة النبي ﷺ في أيام الخندق.

وقال البكري: ذباب جبل بجبانة المدينة. قال الواقدي، في وصف اصطفافهم على الخندق، وكان يزيد ابن هرمز في موضع ذباب، يحمل راية الموالي وصفهم كراديس، بعضها خلف بعض، إلى رأس الثنية، يعني ثنية الوداع، فلعل السبب في اشتهار هذا المسجد بمسجد الراية ما ذكر.

مسجد جبل أحد: لاصق به على يمينك، وأنت ذاهب في الشعب للمهراس، وهو صغير. قال: الزين المراغي: ويقال إنه يسمى مسجد الفسح. قال السمهودي: واليوم الناس يسمونه بذلك، ويقولون نزل فيه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ [المجادلة: ١١] الآية.

قال المطري: يقال أن النبي ﷺ صلى فيه الظهر، والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال. وأنكر ابن النجار وورد نقل الصلاة به. ولابن شبة بسند جيد عن رافع بن خديج: أن النبي ﷺ صلى في المسجد الصغير، الذي يأخذ في شعب الحرار على يمينك لازق بالجبل:

مسجد ركن جبل العينين: الشرقي على قطعة من الجبل وهذا الجبل في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه، وكان عليه الرماة يوم أحد روى ابن شبة عن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد على عينين الظرب الذي بأحد عند القنطرة.

قال السمهودي: ولعل القنطرة المذكورة وهي المرادة بما سبق في غزوة أحد من صلاته ﷺ بأصحابه الصبح بموضع القنطرة، وعليهم السلاح، ولعل موضعها موضع المسجد الآتي.

مسجد الوادي: على شفيرة وشامي جبل عينين، قريب من المسجد قبله، قال المطري: يقال إنه مصرع حمزة رضي الله عنه، وإنه مشى بطعنته من الموضع الأول إلى هذا، انصرع. قال السمهودي: وقد تلخص لنا مما ذكرناه في الأصل، إن ابن أبي الهيجاء كان قد جدد هذا المسجد، وإن المسن المثبت اليوم على قبر حمزة رضي الله عنه إنما هو مسن هذا المسجد، وعليه مكتوب، بعد البسملة، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٨] الآية. هذا

مصرع حمزة بن عبد المطلب، ومصلى رسول الله ﷺ إلى آخره. مسجد طريق السافلة: وهي الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله تعالى عنه قرب النخيل، المعروفة بالبجير، وعن يمين بقع الأسواق، ففي شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الرحمٰن بن عوف: أنه كان برحبة المسجد فرأى النبي ﷺ خارجاً من الباب، الذي يلي المقبرة، فخرج على أثره، فدخل حائطاً من الأسواق فتوضأ، ثم صلى ركعتين، فسجد سجدة طال فيها، وأن النبي ﷺ قال له: «إن جبريل عليه السلام بشرني أنه من صلى عليَّ صلى الله عليه، ومن سلم عليَّ سلم الله عليه». قال السمهودي: والأسواق قريبة من محل هذا المسجد، فلعله مسجد السجدة المذكورة.

مسجد البقيع: على يمين الخارج من درب البقيع، غربي مشهد عقيل، وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم. قال السمهودي: والذي يظهر أن هذا المسجد، ومسجد أبي بن كعب، ويقال له: مسجد بني جديلة. لمجاورة البقيع لمنازلهم، واتصالهم به. ولابن شبة عن يحيى بن النضر الأنصاري. أن النبي ﷺ لم يصلِّ في مسجد مما في جوبة المدينة إلا في مسجد أبي بن كعب. وعن يحيى بن سعد، قال: كان النبي ﷺ يختلف إلى مسجد أبي، فيصلي فيه غير مرة، ولا مرتين.

وقال: لولا أن يميل الناس إليه لأكثرت الصلاة فيه. ولابن زبالة عن يوسف الأعرج، وربيعة بن عثمان: إن النبي ﷺ صلى في مسجد بني جديلة، وهو مسجد أبي بن كعب.

ثم قال: الفصل الرابع: فيما علمت جهته، ولم تعلم عينه من مساجدها، وذكر منها مسجد بني جدلية. ومسجد بني حرام. ومسجد الخربة، لبني عبيد من بني سلمة. ومسجد جهينة وبلي. ومسجد بيوت المطراف، بمنازل بني غفار. ومسجد بني زريق من الخزرج. ومسجد بني ساعدة، الذي في جوف المدينة وسقيفتهم. ومسجد بني ساعدة الخارج من بيوت المدينة. ومسجد بني خدرة من الخزرج. ومسجد راتج. ومسجد بني عبد الأشهل من الأوس. ومسجد القرصة. ومسجد بني حارثة من الأوس. ومسجد الشيخين. ويقال: مسجد البدائع. ومسجد بني دينار بن النجار من الخزرج. ومسجد بني عدي بن النجار. ومسجد دار النابغة في بني عدي أيضاً. ومسجد بني مازن بن النجار. ومسجد بني عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار. ومسجد السنح. ومسجد بني الحبلى رهط أبي بن سلول من الخزرج. ومسجد بني بياضة من الخزرج. ومسجد بني خطمة من الأوس. ومسجد العجوز. ومسجد بني أمية بن يزيد من الأوس. ومسجد بني وائل من الأوس. ومسجد بني واقف. ومسجد بني أنيف. ومسجد دار سعد بن خيثمة بقباء. ومسجد النور. ومسجد عتبان بن مالك. ومسجد ميثب صدقة النبي ﷺ. ومسجد المنارتين. ومسجد فيفاء الخيار. ومسجد بني الجشجاثة وبئر

شداد. وهذه المساجد كلها صلى بها النبي ﷺ. وقد ذكر الإمام السمهودي جهاتها بدون تعيين أعيانها، وما يتعلق بها من الأحاديث والآثار.

ومن جواهر الامام السمهودي، في خلاصة الوفا في الباب الخامس أيضاً

[فضل مقابرها]

قوله الفصل الخامس: في فضل مقابرها، وتعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة، وأهل البيت، والمشاهد المعروفة بها، ذكر أحاديث زيارة النبي ﷺ لأهل البقيع. وقوله: «إني أمرت أن أستغفر لأهل البقيع»، واستغفاره لهم، بقوله: «اللهم أغفر لأهل بقيع الغرقد». وقوله: «إني بعثت لأهل البقيع لأصلي عليهم»، وقوله: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»، ثم استغفر لهم طويلاً.

ولابن زبالة عن خالد بن عوسجة، قال: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب، التي تلي باب الدار، فمر بي جعفر بن محمد يريد العريض معه أهله، فقال لي: أعن أثر وقفت هٰهنا؟ قلت: قال: هذا موقف رسول الله ﷺ بالليل، إذا جاء يستغفر لأهل البقيع، وسيأتي أن من دار عقيل المشهد المعروف به، قال المراغي: فينبغي الدعاء فيه. وقد أخبرني غير واحد أن الدعاء هناك مستجاب.

قال السمهودي: قلت: الأماكن التي دعا بها ﷺ كلها أماكن إجابة، ولذا يستحب الدعاء فيها. ثم ذكر أحاديث، وآثاراً كثيرة في فضل مقبرة البقيع، والدفن فيها، وأنه يحشر منها سبعون ألفاً، يدخلون الجنة بغير حساب، كأن وجوههم القمر ليلة البدر، وأنها ورد ذكر فضلها في التوراة. وذكر أيضاً: فضل مقبرة بني سلمة، التي بمنزل بني حرام.

كما نقل عن كعب الأحبار التي دفن فيها بعض شهداء أحد. قال السمهودي: وأما من دفن في البقيع فأكثر الصحابة ممن توفي في حياة النبي ﷺ وبعده بها.

وفي مدارك عياض عن مالك: أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف، ا هـ. وكذا سادة أهل البيت، و[التابعون][1] غير أن غالبهم لا يعرف عين قبره، ومن المعروف عيناً،

---

(١) في الأصل والتابعين.

أو وجهة: إبراهيم بن رسول الله ﷺ. وعثمان بن مظعون. ورقية بنت رسول الله ﷺ. وفاطمة بنت أسد. وعبد الرحمٰن بن عوف. وسعد بن أبي وقاص. وعبد الله بن مسعود. وخنيس بن حذافة السهمي زوج حفصة قبل رسول الله ﷺ. من أصحاب الهجرتين نالته جراحة يوم أحد، فمات بسببها بالمدينة. وأسعد بن زرارة الأنصاري. وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، على القول: بأنها بالبقيع، وهو الأرجح. والحسن بن علي. والعباس بن عبد المطلب. وصفية بنت عبد المطلب. وأبو سفيان بن الحارث، وأزواج النبي ﷺ، ما عدا خديجة فبمكة، وميمونة في سرف. وعثمان بن عفان. وسعد بن معاذ الأشهلي. وأبو سعيد الخدري. رضي الله عنهم أجمعين.

قال السمهودي: وأما المشاهد المعروفة اليوم بالمدينة: فمشهد العباس بن عبد المطلب والحسن بن علي، ومن معهما عليهم قبة شامخة. ومشهد عقيل بن أبي طالب. ومشهد سيدنا إبراهيم ابن سيد المرسلين ﷺ. ومشهد صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، ومشهد إسماعيل بن جعفر الصادق. ومشهد مالك بن سنان، والد أبي سعيد الخدري. ومشهد النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المقتول أيام أبي جعفر المنصور. ومشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ. ورضي الله عنهم أجمعين.

ثم قال: في خلاصة الوفاء، الفصل السادس: في فضل أحد، والشهداء به. وذكر في ذلك أحاديث كثيرة إلى أن قال: والمشهور إن الذين أكرموا بالشهادة يوم أحد سبعون رجلاً، منهم حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، وهو ابن أخت حمزة. ومصعب بن عمير. وسهل بن قيس بن بي سلمة. وعمرو بن الجموح. وعبد الله ابن عمر بن حرام. وخارجة بن زيد. وسعد بن الربيع. والنعمان بن مالك. وعبد الله بن الحساس. وقد ذكر قبور هؤلاء ومواقعها، وبعض ما يتعلق بهم من الفوائد، رضي الله عنهم أجمعين.

ومن جواهر الإمام السمهودي في خلاصة الوفا

[آبار المدينة المباركة]

قوله في الباب السادس: في آبارها المباركات، والعين، والعراص، والصدقات التي هي للنبي ﷺ منسوبات، وفيه فصلان:

الفصل الأول: في الآبار المباركات على ترتيب الحروف: بئر أريس. وبئر الأعواف أحد الصدقات النبوية. وبئر أنا. وبئر أنس بن مالك بن النضر. وبئر أهاب. وبئر البُوصة وبئر

بضاعة. وبئر جاسوم. وبئر أبي الهيثم بن النبهان. وبئر جمل. وبئر بيْرَحا. وبئر حلوة. وبئر رومة. وبئر أبي عنبة. وبئر العهن وبئر غرس. وبئر القراضة، وبئر القريصة. وبئر اليسيرة. وتكلم عليها كلها، وذكر ما يناسبها من الأحاديث والآثار، ولم أرَ ضرورة لنقل ذلك هنا. ثم ذكر العين المنسوبة للنبي ﷺ.

فقال: ولابن زبالة عن جابر، قال: كانوا أيام الخندق يخرجون برسول الله ﷺ، ويخافون البيات، فيدخلونه كهف بني حرام، فيبيت فيه، حتى إذا أصبح هبط، قال: وبقر العيينة، التي عند الكهف، فلم تزل تجري حتى اليوم. قال ابن النجار عقبة: وهذه العين في ظاهر المدينة، وعليها بناء، وهي في مقابلة المصلى. ثم نقل نقولاً أخرى في هذا الشأن، إلى أن قال: والعامة تسمي العين الموجودة اليوم، بالعين الزرقاء. وصوابه: عين الأزرق، لأن مروان الذي أجراها لمعاوية، وكان أزرق العينين، فلقب بالأزرق.

ثم قال: **الفصل الثاني**: أي من الباب السادس في صدقاته ﷺ، وما غرسه بيده الشريفة. قال ابن شهاب: كانت صدقات رسول الله ﷺ أموالاً لمخيريق اليهودي، ونقل الذهبي عن الواقدي: أنه كان حبراً عالماً من بني النضير، آمن بالنبي ﷺ، ولذا عده الذهبي في الصحابة. وقال ابن شهاب: أوصى مخيريق بأمواله للنبي ﷺ، وشهد أحد. فقال رسول الله ﷺ: «محيريق سابق يهود. وسلمان سابق فارس. وبلال سابق الحبشة».

قال: وأسماء أموال مخيريق، التي صارت للنبي ﷺ: الدلال. وبرقة. والأعواف. والصافية والمثيب. وحسنا. ومشربة أم إبراهيم.

أما الصافية، وبرقة، والدلال، والمثيب، فمجاورات بأعلى السورين من خلف قصر مروان بن الحكم، ويسقيها مهزور.

وأما مشربة أم إبراهيم، فإذا خلفت بيت المدارس لليهود، فجئت مال أبي عبيدة بن عبيد الله بن زمعة، فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه.

وأما حسنا فيسقيها أيضاً مهزور، وهي من ناحية القف. وأما الأعواف فيسقيها أيضاً مهزور، وهي من أموال بني محمم، اهـ.

وقال أبو غسان: اختلف في الصدقات. فقال بعض الناس: هي من أموال بني قريظة، والنضير.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه: كانت الدلال لامرأة من بني النضير، وكان لها سلمان الفارسي، فكاتبته على أن يحييها لها، ثم هوحر، فأعلم بذلك النبي ﷺ، فخرج إليها، فجلس على فقير. ثم جعل يحمل إليه الوادي، فيضعه بيده فما عدت بها ودية أن طلعت.

قال: ثم أفاءها الله على رسول الله ﷺ، والفقير اسم الحديقة بالعالية قريب بني قريظة من صدقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم قال: وقال الواقدي: إن النبي ﷺ وقف الحوائط السبعة المتقدمة سنة سبع من الهجرة. وفي سنن أبي داود عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، فذكر قصة بني النضير، إلى أن قال: فكانت نخل بني النضير لرسول الله ﷺ، خاصة أعطاها الله إياه فقال: تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ ﴾ [الحشر:٦] الآية. قال: فأعطى أكثرها المهاجرين وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ، التي في أيدي بني فاطمة، أي الحوائط السبعة، ولابن زبالة عن محمد بن كعب: أنها كانت أموالاً لمخيريق، قال ليهود يوم أحد: ألا تنصرون محمداً. فوالله إنكم لتعلمون أنَّ نصرته حق. قالوا: اليوم السبت. قال: فلا سبت لكم. وأخذ بسيفه، فمضى مع النبي ﷺ، فقاتل، حتى أثخنته الجراح.

فقال: أموالي إلى محمد، يضعها حيث شاء، فهي عامة صدقاته ﷺ. ثم قال: وأما الصدقات السبع المتقدمة، فالصافية: المعروفة اليوم شرقي المدينة بجزع زهيرة، تصغير زهرة. وبرقة: معروفة اليوم أيضاً في قبلة المدينة ومما يلي المشرق، ولناصيتها شهرة بها. والدلال: جزع أيضاً معروف قبلي الصافية، قرب المليكي، وقف المدرسة الشهابية. والميثب: غير معروفة اليوم، ويؤخذ مما سبق من كون هذه الأربعة مجاورات أنها قريبة من الثلاثة قبلها. والأعواف: جزع معروف بالعالية. ومشربة أم إبراهيم: معرفة بالعالية. وحُسنا: بضم الحاء، سبق أنها بلقف تشرب بمهزور.

قال السمهودي: والذي ظهر لي، أن حُسنا اليوم، هي الموضع المعروف: بالحسينيات، قرب جزع الدلال، إذ هو بجهة القُف، ويشرب بمهزور. وهذه السبع الصدقات النبوية. وهذه الصدقات مما طلبته فاطمة من أبي بكر رضي الله عنهما مع سهمه ﷺ بخيبر، وفدك، كما في الصحيح: أنها كانت تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر، وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: لست تاركاً شيئاً، كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، ثم دفع عمر صدقته ﷺ بالمدينة إلى علي وعباس، وأمسك خيبر، وفدك. وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه. وفيه أن أبا بكر رضي الله عنه، احتج عليها، بقوله ﷺ: «لا نورث ما تركناه صدقة»[1]، فغضبت.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٩٦). وأبو داود في السنن (٢٩٦٣). والنسائي في السنن (٧: =

وفي الصحيح أيضاً: أن علياً، والعباس جاءا إلى عمر رضي الله عنهم، يطلبان منه ما طلبته فاطمة من أبي بكر، مع اعترافهما له، بأن النبي ﷺ، قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»، فالوجه أنهما مع فاطمة فهموا من قوله: «ما تركناه صدقة» الوقف، ورأوا أن حق النظر على الوقف يورث دون رقبته. ورأى أبو بكر: أن الأمر في ذلك له، ولذا لما أعطاها عمر علياً وعباساً أخذ عليهما أن يعملا بما عمل فيها رسول الله ﷺ وأبو بكر بعده. وكانت هذه الصدقة بيد علي مع العباس فغلبه عليها. ثم كانت بيد الحسن. ثم بيد الحسين. ثم بيد علي بن الحسين. والحسن بن الحسن. ثم بيد بني الحسن رضي الله عنهم.

وقال معمر: ثم كانت: بيد عبد الله بن الحسن، حتى ولي هؤلاء، يعني بني العباس، فقبضوها. قال أبو غسان: صدقات النبي ﷺ بيد الخليفة، يولي عليها، ويعزل عنها، ويقسم ثمرها، وغلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر ما يرى من هي في يده.

وقال الشافعي رحمه الله، فيما نقله البيهقي: وصدقة رسول الله ﷺ قائمة عندنا، وصدقة الزبير قريب منها، وصدقة عمر قائمة، وصدقة عثمان، وصدقة علي، وصدقة فاطمة، وصدقة من لا أحصي من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة وأعراصها. قال السمهودي: قلت: ثم تغيرت الأمور بعد ذلك، والله المستعان.

قال: وذكرنا في الأصل ما روي: أن فاطمة قالت في فدك: أن النبي ﷺ انحلنيها وما أنفق فيها. يقول الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: لا عجب من اعتراض الروافض على أبي بكر رضي الله عنه في عدم إجابة سيدتنا السيدة فاطمة رضي الله عنها إلى مطلوبها، لأن ذلك منهم يعد سهلاً بالنظر إلى باقي فظائعهم في حقه، وحق معظم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وإنما العجب من جهال أهل السنة الذين يعترضون عليه رضي الله عنه بذلك، ويعجبهم رأيهم عن رأيه، ويرون أنفسهم الجاهلة أولى بمعرفة الصواب منه رضي الله عنه، مع ما أعطاه الله من وفرة العقل، والفهم، وقوة الدين، واليقين بحيث فضل بذلك جميع الأمة من أولها إلى آخرها بنص رسول الله ﷺ، والصواب في حقهم أن يسلموا الأمر إلى أهله، ولا يدخلوا أنفسهم القاصرة بين هذه الأنفس الطيبة الطاهرة، ويعلموا أن أبا بكر رضي الله عنه لو جاز عليه أن يحابي أحداً في دينه لحابى سيده نساء العالمين، وقرة عين سيد المرسلين ﷺ.

= ١٣٢). والترمذي في السنن (١٧٠٨:). وأحمد في المسند (١: ٤). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ١٨).

وليتذكروا مذكراته مع أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار في محاربته أهل الردة، وكان رأيهم جميعاً تركهم لقوتهم، وكثرتهم، وقلة الصحابة بالنسبة إليهم.

وكان رأيه وحده محاربتهم فأطاعوه على خلاف رأيهم، وكان ذلك الخير العظيم، فأرجعهم إلى الإسلام، وكثرت بهم جيوش المسلمين، فحاربوا مع الصحابة الفرس، والروم، واستولوا على ممالكهم، واتسع الإسلام وانتشر. وبني بعده على أساسه عمر. فنجح غاية النجاح.

وكان ما كان من فتوح البلدان. واتباع دائرة الإيمان. آلى الآن فهذه آراء أبي بكر، وهذه خدمة لدين الإسلام. بعد سيد الأنام.

وقد كان في حياته ﷺ وزيره الأعظم، وصديقه المقدم، وأمينه ما أسر وما أعلن، من حين بعثته ﷺ إلى وفاته لم يتغير عليه طرفة عين، ولم يثق بأحد قط وثوقه به ﷺ في كل أموره، كما هو معلوم عند من له أدنى إلمام بالسيرة النبوية.

ومن جواهر الإمام السمهودي، في خلاصة الوفا، قوله في الباب السابع

[المساجد التي صلى فيها ﷺ]

في ما يعزى إليه ﷺ من المساجد، التي صلى فيها في الأسفار، والغزوات. وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في مساجد الطريق التي كان يسلكها ﷺ إلى مكة في الحج، وغيره، وهي طريق الأنبياء عليهم السلام تفارق طريق الناس اليوم بعد الروحاء، ومسجد الغزالة فلا تمر بالخيف، ولا بالصفراء. قال: وقد أوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة، وأوردها مسجداً، مسجداً وتكلم عليها، وهي: مسجد الشجرة. ومسجد المعرس. ومسجد شرف الروحاء. ومسجد عرق الظبية. ومسجد المنصرف، ويعرف اليوم: بمسجد الغزالة. ومسجد الرويثة. ومسجد ثنية ركوبة. ومسجد الأثاية. ومسجد العرج. ومسجد بطرف تلعة، من وراء العرج. ومسجد لحى جمل في عقبة الجحفة. ومسجد بالسقيا. ومسجد مدلجة عهن بعد السقيا. ومسجد الرمادة. ومسجد الأبواء. ومسجد يسمى بالبيضة. ومسجد عقبة هرشي بأصل العقبة. ومسجدان بالجحفة. ومسجد بعد الجحفة. ومسجد قبل قُديد بثلاثة أميال. ومسجد حرة عقبة خليص. ومسجد بطن مَرّ الظهران. ومسجد سرف. ومسجد التنعيم. ومسجد ذي طوى.

ثم قال: **الفصل الثاني**: في ما كان من ذلك بالطريق الذي يسلكه الحاج في زماننا إلى مكة، لابن زبالة: صلى رسول الله ﷺ بمسجد ذات أجدال من مضيق الصفراء. ومسجد بالجيزتين من المضيق. ومسجد بذفران المدبر. وصلى بذنب ذفران المقبل الذي يصب في الصفراء، فحفرت بئر هناك، يقال: إنها في موضع جبهة النبي ﷺ، فلها فضل في العذوبة على ما حواليها. قال السمهودي: ورأيت مسجداً آخر على رابية مرتفعاً عن الطريق، وأظنه أحد المسجدين المذكورين بذِفران.

قال: وذكر لي بعض الناس، إن بالصفراء مسجداً يتبرك به، قدمات عبيدة بن الحارث بالصفراء من جراحته ببدر، ودفن بالصفراء. وقال المراغي: أن قبره بذفران، ولعل مراده ما أقبل منه على الصفراء. ولابن زُبالة: أن رسول الله ﷺ أمطلعه من ثنية مبرك في مسجد هناك بينه وبين دعان ستة أميال. قال: ومن ذلك مسجد بدر، ومسجد العشيرة، ومساجد بالفُرع، وتكلم عليها.

ثم قال: **الفصل الثالث**: في بقية المساجد المتعلقة بغزواته ﷺ وعمره مسجد بعصرة على مرحلة من المدينة بطريق خيبر. ومسجد بالعبهاء. ومسجدان قرب خيبر. ومسجد بشمران. ومساجد غزوة تبوك. قال ابن راشد: نحو ستة عشر أولها بتبوك وآخرها بذي خشب. وسرد ابن زبالة نحو ذلك، وابن إسحاق دونه، وتخالفا في تعيين بعض مواضعها، واجتمع من مجموع ما ذكروه عشرون:

الأول: بتبوك، قال المطري وهو مما بنى عمر بن عبد العزيز. **الثاني**: بثنية مدارك تلقاء تبوك. **الثالث**: بذات الزراب، على مرحلتين من تبوك. **والرابع**: بالأخضر، على أربع مراحل من تبوك. **الخامس**: بذات الخطمى، على خمس مراحل من تبوك . **السادس**: ببالى كما في تهذيب ابن هشام، ولابن زبالة: بنقيع بولا، على خمس مراحل منها أيضاً. **السابع**: بطرف البتراء من ذنب كواكب. **الثامن**: بشق تاراء من جويرة. **التاسع**: بذي الحليفة، قال ابن زبالة: وغيره، وليس هو الميقات، ولم يذكره أصحاب البلدان. **العاشر**: بذي الخليفة، بكسر الخاء المعجمة، وقيل بفتحها، وقيل بجيم مكسورة، وقيل بحاء مهملة مفتوحة. ذكره ابن هشام بدل الذي قبله، وعكس ابن زبالة، فجمع المجد بينهما محل نظر. **الحادي عشر**: بالشوشق، قاله الحافظ عبد الغني عن الحاكم. **الثاني عشر**: بصدر حوض، وقيل: بذنبها. **الثالث عشر**: بالحِجْر، وذكر ابن زُبالة بدله له العلا، وكلاهما بوادي القرى. . **الرابع عشر**: بالصعيد صعيد قزح، وهو اليوم مسجد وادي القرى، قاله عبد الغني. **الخامس عشر**: بوادي القرى. **السادس عشر**: بقرية بني عذرة. **السابع عشر**: بالرقعة، على لفظ الثوب، وقال البكري: أخشى أن

يكون بالرقمة من شقة بني عذرة، وقال ابن زبالة: بدله بالسقيا. الثامن عشر: بذي المروة، على ثمانية برد من المدينة. التاسع عشر: بالفيفاء، فيفاء الفحلتين، وهما قنتان تحتهما صخر، على يوم من المدينة. العشرون: بذي خشب، على مرحلة من المدينة تحت الدومة التي في حائط عبد الله بن مروان.

ولابن زبالة: أن رسول الله ﷺ نزل بنخل تحت اثلة، بمزرعة لرجل من أشجع وسط نخيل وصلى تحتها، ثم أصعد في بطن نخل حتى جاوز الكُديد بميل، فنزل تحت سرحة، وصلى، فموضع مسجده اليوم معروف، وصلى بالجبل من بلاد أشجع.

قال السمهودي: نخل هذا بنجد، والكُديد بقربه غير الذي بقرب عسفان. قال الأسدي: بعد ذكر ذي أمر إن الكديد وادٍ، والطريق تقطعه، وفيه مسجد رسول الله ﷺ، والنخيل قريب منه، فعبر عن نخل بالنخيل مصغراً، كما هو معروف اليوم.

ومسجد بالحديبية، وهو وادٍ قريب من بلد بطريق جدة، وفيه البئر المعروفة ببئر شمس. ومسجد دون ذات عرق بميلين ونصف، وهو ميقات الإحرام، وأول تهامة، ومسجد بالجعرانة وهو الأقصى الذي تحت الوادي بالعُدوة والقصوى. ومسجد في ليّة.

قال المطري: وهو معروف اليوم وسط وادي ليّة، وعنده أثر في حجر، يقال: إنه أثر خف ناقته ﷺ: وبين وادي ليّة ووادي الطائف ثمانية أميال.

ومسجد بالطائف صلى فيه رسول الله ﷺ بين قبتين ضربهما لامرأتين كانتا معه من نسائه حين حاصر الطائف. وبني هناك جامع كبير فيه منبره في ركنه الأيمن القبلي قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومسجد رسول الله ﷺ في مؤخره بالصحن بين قبتين صغيرتين، يقال: إنهما موضع قبتي زوجتيه: عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما.

ثم قال السمهودي: الباب الثامن: في أوديتها، أي المدينة المنورة، وأحمائها، وبقاعها، وآطامها، وبعض أعمالها وجبالها، وذكر جميع ذلك، ولم أرَ ضرورة لنقله.

وهذا الباب هو آخر أبواب كتابه: «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ»، هو كتاب نافع جداً، لا يستغنى عنه، لاشتماله على فوائد تاريخية، وعلمية كثيرة تتعلق بشؤون المدينة المنورة، وشؤون النبي ﷺ فيها فرضي الله عن مؤلفه، وجزاه خير الجزاء عن ذلك.

ومنهم الإمام العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي[1] وقد تقدم ذكره مراراً ومن جواهره رضي الله عنه

[رحلته الحجازية]

قوله: في رحلته الحجازية، وفي أثناء قدومه إلى المدينة المنورة، واجتماعه بالشريف سعد أمير مكة وقتئذٍ وكان مقيماً بين الحرمين لمحاربة قبيلة حرب: رأينا في واقعة المنام السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن بي طالب رضي الله عنهم المدفونة في مصر، وهي متلففة بثياب بيض، وجاءت حتى جلست عند رأسي، وأنا مستلق على قفاي، ثم استيقظت وأنا مسرور بحصول الفرج. متحقق بزوال الهم والحرج.

وكان ذلك على يد آل البيت يقظة ومناماً. خصوصاً وهي حسنية، وجدها زيد، والشريف سعد بن زيد حسني أيضاً تكميلاً للمراد وإتماماً. وبمجرد استيقاظي في المنام، كنت أنشد هذا المصرع الجاري على لساني من النظام بطريق الإلهام. نفس الله كربنا بنفيسة.

ثم بنى على هذا الشطر قصيدة، ذكر بها لغة الحال، وقال بعدها: ثم قمنا وذهبنا إلى مجلس الشريف سعد، وذكرنا ما وجدنا من مقتضيات الشوق والهيام. وبثثنا القصة والمنام. وطلبنا إنجاز الوعد بحصول المرام.

فقال لنا: في غد إن شاء الله تعالى يكون المقصود بالتمام. فتباشرنا بما كان منه من الكلام، وفرحنا بقرب لقاء الحبيب ﷺ:

لا تنكــــروا خفقـــان قلبـــي والحبيـــب لـــديَّ حـــاضـــر
مـــــا القلــــــب إلا داره ضــربــت لــه فيهــا البشــائــر

ثم بتنا تلك الليلة فرحين مستبشرين نرقب الدجى. متمسكين بأذيال الرجا، إلى أن أصبحنا، فعزمنا على السير إلى المدينة المنورة.

وتوجهنا بأزمة قلوبنا منجذبين إلى الحجرة المطهرة. ثم ذكر سفرهم إلى المدينة، إلى

---

(١) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، متصوف. ولد سنة ١٠٥٠ هـ وتوفي سنة ١١٤٣ هـ في دمشق.

أن قال: وكان رويشد البدوي، يعني دليلهم، أخبرنا فإن هذا الوادي الذي نستقبله، وذلك بعد مرورهم في وادي الزملة لا يخلو منه الرحال، أي قطاع الطريق، ولم يخبرنا بقرب المسافة إلى المدينة، وإنما يقول كلما سألناه على الله الوصول، فبينما نحن سائرون، وإذا برجل منا نائم على دابته، استيقظ، فقال: رأيت في منامي هذا الوقت، كأنما قائل يقول من جهة السماء: هذا الوادي فيه ملك. فتعجبنا من هذه الرؤيا، وهي دالة على قربنا من المدينة.

ولما روى البخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[١]. وروى البخاري، ومسلم أيضاً عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من أنقابهما نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونهما**»[٢].

وأخرج ابن ماجة في سننه عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في حديث طويل في الدجال، ثم قال: لو انفلت من وثاقي هذا، لم أدع أرضاً إلا وطئتها برجلي هاتين إلا طيبة ليس لي عليها سبيل، فقال النبي ﷺ: «**إلى هذا انتهى فرحي هذه طيبة والذي نفسي بيده ما فيها طريق ضيق، ولا واسع، ولا سهل، ولا جبل، إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة**».

ثم قال رضي الله عنه: وقد جدينا في السير ولاحت لنا الأنوار كالبروق اللامعة من جهة المدينة مستطيلة فاندهشت الأبصار، وحارت الأفكار.

وكنا نرى النور يخرج من جهة الأرض، من مكان مخصوص، ثم ينتشر في جو السماء ونواحي الأفق ساعة بعد ساعة حتى مررنا على الجرف بعدما خرجنا من وادي العقيق، ونحن لا نشعر بشيء من ذلك في وقت سلوكنا ذلك الطريق، ولله در القائل، وهو من الأوائل:

على ساكني بطن العقيق سلام ... وإن أسهروني بالفراق وناموا
حظرتم عليَّ النوم وهو محلل ... وحللتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتم عن حاجز وحجرتهم ... عن السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميلت ريح الصبا فرع بانه ... ولا سجعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى ... على حافتيه بـ العشي غمام
فمالي وما للربع قد بان اهله ... وقد قوضت من ساكنيه خيام

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٨). ومسلم في الصحيح (الحج: ٤٨٥). وأحمد في المسند (٢: ٢٣٧). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٤١). والبغوي في شرح السنة (٧: ٣٢٥). وابن عبد البر في التمهيد (٦٢٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٨٢٧).

(٢) رواه البغوي في شرح السنة (٧: ٢٣٢٦).

ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة ... وأهل لي بظل البانتين لمام
وهل نهلة من بئر عروة عذبة ... أداوي بها قلباً براه أوام
ألا يا حمامات الأراك إليكما ... فمالي في تغريدكن مرام
فوجدي وشوقيدد مسعد ومؤانس ... ونوحي ودمعي مطرب ومدام

ثم تلامعت الأنوار أبلغ وأكثر. وشمطنا طيب طيبة يفوح كالمسك الأذفر والعنبر. وخرجنا من مضيق ذلك الوادي، إلى فضاء ساحة الجوف المنعش للحاضر والبادي. وهبت النسمات، فأحيت النسمات، ونحن مسرعون في السير كأنا نشطنا من عقال، أو ذعرنا بأسود وأغوال، حتى أخبرنا بعض من كان معنا أنهم رأوا جماعة على خيل مصفوفين واقفين ينظرون إلينا في تلك الحالة، ولم يعرفوا من هم، وحين سمعنا أصوات السواني، تباشرنا بحصول المقاصد والأماني، وهي جمع سانية، وهي الدلو الكبير وأدواته والناقة التي يستسقى عليها.

فقال بعض جماعتنا: هذه أصوات سواني المدينة. فاستبشرت بمرادها هذه النفس المسكينة. ثم رأينا ضياء القناديل من بعيد يشرق فوق المنابر. فتحققت المطالب وكملت البشائر. وعلمنا حينئذٍ إننا قادمون على المدينة. فقلنا: هٰهنا يجب الاحترام وتلزم السكينة. وفاضت المدامع. وتحركت المطامع. ونزلنا عن ظهور الدواب. وتركناها تمشي بأنفسها خلفنا، ولا سؤال عنها، ولا جواب. ولله در المتنبي، حيث قال:

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا ... فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا على الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنها أن نُلم بها ركبا

حتى دنونا من تلك الربوع. وغلب علينا سكر الغرام والولوع. ونحن في ثلث الليل الأخير. والمؤذنون في تلك المنارات شارعون في التهليل والتكبير. فمررنا على سور المدينة والباب الشامي مقفول، فجئنا إلى عتبة الباب الآخر تحت جدار القلعة وهناك كان النزول. ولله در القائل:

وإذا المطي بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا منة وذمام

وما أحسن قول الشهاب الخفاجي:

خليليَّ مرا بي على طيبة التي ... بها مضجع المختار طه المقرب
يفوق ذكيَّ المسك عَرفُ ترابها ... فمن شمه ناداك صل على النبي
ألم تر أني كلما جئت زائراً ... وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وقال الآخر:

أمـر علـى الـديـار ديـار ليلـى أقبّـل ذا الجـدار وذا الجـدارا
ومـا حـب الـديـار أثـار شـوقـي ولكـن حـب مـن سكـن الـديـارا

وقال الآخر:

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى ومـن أجـل أهليهـا تحـب المنـازل

ولما استقر بنا المنزل عند الباب. ووضعنا الخد على هاتيك الأعتاب. وكان في وقت السحر، فشرعنا في السحور. بقصد صيام وتحصيل كمال الأجور. ثم شربنا من ذلك الماء العذب الزلال الأرقى، الجاري من عين الزرقا. ولله در الجزري، حيث قال:

مدينة خير الخلق تحلو لناظري فـلا تعـذلـونـي إن فتنـت بهـا عشقـا
وقـد قيـل فـي زرق العيـون شـآمـة وعندي أن اليمن في عينها الزرقا

ثم قال رضي الله عنه: وبقينا حتى أذن آذان الفجر فوق المنارات، وفتح باب المدينة الذي نحن نازلون عنده تحت سور القلعة، ولاحت الإشارات، فقمت أنا وابني وآخر جماعتي، ودخلنا إلى المدينة، وأبقينا بقية جماعتنا عند الباب. لحراسة الأسباب والدواب. ثم توجهنا، فقلت لمن معنا: خذنا على باب السلام، لندخل منه بسلام. فاشتبه عليه الحال، وكان سبق له الزيارة قبل هذه السنة بأعوام. فأدخلنا من باب الرحمة. حتى دُخلنا إلى الحرم الشريف، فوجدنا الجماعة في صلاة الصبح والرحمة. فقلت له: خذنا إلى شباك النبي ﷺ لنبدأ بالزيارة، ووصلنا إلى مرادنا، وتحققت البشارة، وأكثرنا من الصلاة والسلام، على سيد الأنام، وعلى أبي بكر وعمر وفاطمة الزهراء وبقية الآل والأصحاب الكرام. وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى وتضرعنا إليه. وحصل لنا غاية الخشوع والهيبة لديه. ثم صلينا بقرب محراب النبي ﷺ في الروضة الشريفة صلاة الصبح مع الإمام، واجتمعنا هناك بشيخ الحرم مفخر الأعيان يوسف آغا الطواشي.

قال رضي الله عنه: أخذ بيدي يوسف آغا المذكور. وذهب بي، فزرنا النبي ﷺ، ودعونا الله تعالى بكمال الحضور، وذهبنا إلى داره، شرقي الحرم الشريف، خارج باب النساء، وأنزلنا مع جماعتنا في داخل داره، في مكان يقال: إنه بيت جعفر الصادق، وفيه محراب، ونحن صائمون في ذلك اليوم من شهر رمضان، فلما أذن الظهر، قمنا وذهبنا معه إلى الحرم النبوي، وصلينا الجماعة في الروضة الشريفة.

ثم ذكر ذهابه لدعوة القاضي وغير ذلك، ورجوعه إلى الحرم، وصلاته المغرب والعشاء، ثم التراويح، زيارته والحضرة النبوية إلى أن قال رضي الله عنه: ورجعنا إلى منزلنا،

ثم بتنا تلك الليلة، وبعد السحور أتينا نحن ويوسف آغا أيضاً، فزرنا حضرة النبي ﷺ، وصلينا صلاة الصبح، وكان ذلك اليوم الرابع من شهر رمضان، ثم جئنا فزرنا حضرة النبي ﷺ، وكانت هذه عادتنا في كل وقت، دخلنا إلى الحرم النبوي وكل وقت خرجنا منه فنبدأ بالزيارة، ونختم بها مدة إقامتنا من المدينة المنورة. وذكر بعد ذلك، أسماء المدينة المنورة، ناقلاً لها عن تاريخ المدينة للسمهودي، كما تقدمت، ونظمها بقصيدة، ثم نقل عنه بعض فوائد تاريخية تتعلق بالمدينة الشريفة، وسورها، وأبوابها، وطول الحرم النبوي، وأوصافه، وعدد عواميده، ومناراته، وغير ذلك.

وكل هذا مفصل في تاريخ السمهودي: خلاصة الوفا إلى أن قال في وصف الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

قال السمهودي: ولابن شبة عن أبي غسان: لم يزل بيت النبي ﷺ الذي دفن فيه ظاهراً حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار مزْوَراً حين بنى المسجد في خلافة الوليد وإنما جعله مزوراً كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة، وأن يتخذوا قبله، فيصلى إليه ا هـ.

قال سيدي عبد الغني رضي الله عنه بعده: وهذا هو الحكمة في كون القبر الشريف الآن موضوعاً خلف المصلي إلى حائط القبلة، لا جهة المشرق، ولا جهة المغرب، ولا جهة القبلة حتى لا يخطر لأحد الصلاة إلى قبره ﷺ، وقوله الحظار هو الحائط، والمراد به هنا: البنيان المرتفع الذي هو داخل الشبابيك تحت القبة المبنية على القواعد الأربعة، الذي يشبه الكعبة إلا أنه غير مربع للحكمة التي ذكرنا، وهو المراد بالمزور، ومعناها المنحرف على الترابيع إلى التثليث.

ثم من العادة أن كل ملك وسلطان يتجدد في الزمان، ويكون خادماً للحرمين الشريفين، يجدد هذا الستر الأخضر المصنوع بالزركاش من الفضة والذهب المسدول على هذا الحظار المذكور بمنزلة ستر الكعبة، وقد كُتب عليه في مواجهة قبر النبي ﷺ بزركاش من الذهب: هذا قبر النبي ﷺ، وبجانبه إلى جهة الشرق، كتب فيه أيضاً بالذهب: هذا قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبجانبه أيضاً كتب كذلك: هذا قبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال السمهودي في تاريخه: وأما علامة الوجه الشريف فمسمار فضة في حائط الحجرة الشريفة إذا قابله الإنسان كان القنديل على رأسه، فيقابل وجه النبي ﷺ. انتهى.

قال سيدي عبد الغني: قلت: وهذا كان في دولة الملوك الماضية، قبل الملوك العثمانية، وأما الآن في دولة بني عثمان نصرهم الله تعالى، فقد وضعوا مكان ذلك المسمار الفضة الكوكب الدري، وهو جوهر ثمينة مقدار الظفر مسمرة في قرص من ذهب مقدار

الكف، وتحته جوهرة أخرى أصغر منها، يقال، إن ملك الهند أرسلها فسمرت أيضاً في ذلك القرص الذهب، والقرص مسمر في الستر المزركش على محاذاة وجه النبي ﷺ بحيث إذا نظر الإنسان من خارج الشباك رآه، ورأى ما يقابل ذلك في تلك الجوهرة الكبيرة كالمرآة والقنديل معلق بقرب ذلك محاذاة الوجه الشريف، وهو يوقد في كل ليلة إلى الصباح.

ثم نقل عن السمهودي الكلام في أول من كسى الحجرة الشريفة من الملوك السابقين، مقدار سعتها، وصفة القبور الشريفة، وغير ذلك من الفوائد التي بسط الكلام عليها السمهودي في كتابه: خلاصة الوفا.

ومن جواهر سيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه

[رحلته في المدينة]

قوله: في رحلته الحجازية أيضاً، عند ذكر وجوده في المدينة المنورة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وكان رجل من علماء الهنود اسمه غلام محمد، وكنيته أبو محمد، يقرأ علينا بعد الظهر إلى العصر في أوائل الفتوحات الملكية للشيخ الأكبر محيي الدين العربي رضي الله عنه، ويخبرنا: أن أباه كان من العلماء الفقهاء المشهورين في بلاد الهند.

وكان ممن جمعهم من كبار فقهاء الحنفية في بلاد الهند ملكهم المعروف باورنك زيب لجمع الفتاوى الهندية المشهورة الآن في الحرمين وغيرها، وهي كتاب كبير في فقه الحنفية، اشتمل على الصحيح من المذهب، وكان يخبر أنه في قطر الهند عند ناس متعددين في بلاد متعددة شعرات من شعر النبي ﷺ، فعند بعضهم شعرة، وعند بعضهم شعرتان، وأكثر إلى العشرين شعرة، وأنهم يخرجون ذلك لمن أراد زيارته. وأخبرني عن رجل من الصالحين في الهند أنه يخرج ذلك في كل سنة يوم التاسع من شهر ربيع الأول، ويجتمع عنده ناس كثيرون من العلماء، والصلحاء، ويعملون الصلوات على النبي ﷺ والذكر والتواجد على ذلك، وأن تلك الشعرة في وعاء من الذهب يضعونه في المسك والعنبر.

وأخبرني أيضاً: أن تلك الشعرة ربما تتحرك بنفسها، وأنه رآه ذلك، وأنه أخبره من عنده بعض الشعرات أنها تطول ويتولد منها شعب غيرها. كل ذلك ليس بعجيب، فأنه ﷺ له الحياة العظيمة الربانية السارية في جميع أجزائه الشريفة، وقد نقل بعض المؤرخين بأن الملك العادل نور الدين الشهيد كان عنده في خزائنه شعرات من شعر النبي ﷺ.

وأنه لما مات أوصى أن توضع في عينيه، وأنها الآن موضوعة في عينيه معه في قبره، وقالوا: ينبغي لمن يزوره أن يقصد التبرك بذلك أيضاً، وهو الآن مدفون عندنا في دمشق في مدرسته، التي بناها للعلماء والطلبة وعليه قبة رفيعة البناء. قال سيدي عبد الغني، بعد ما ذكر، ثم ذهبنا إلى الحرم الشريف، واجتمعنا بشيخ الحرم، فقال: ابتداء تريدون أن تدخلوا إلى داخل الحجرة الشريفة.

فقلنا له: إن أراد الله تعالى كان ذلك، وكيف لنا بذلك؟ فأرسل إلى الطواشية يأمرهم بإدخالنا، فشددنا فوق القباء من الصوف الأحمر، الذي كنا نلبسه شالة من صوف على هيئة الحزام، وفتح باب الحجرة الذي هو باب فاطمة رضي الله عنها ودخل قدامنا طواشي من الخدام ووراءنا طواشي آخر، وأعطونا مشعلة من الحديد في رأسها شعلة من نار، والطواشي معه إناء من الفخار لوضع المشعلة حتى جئنا في داخل الحجرة إلى قبالة الكوكب الدري، والطواشي المتأخر أنزل القنديل المعلق بقرب الكوكب الدري، فشعلته أنا بيدي، فوضعه مكانه، ثم وقفت بحذاء الكوكب الدري، ورفعت يدي، وقرأت الفاتحة، ودعوت الله تعالى لي، ولأولادي، ولأخواني، ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، ثم خرجنا من حيث دخلنا، وحصل لنا كمال الخير والبركة، وفي ذلك المقام نقول من النظام:

قد دخلنا لحجرة المختار ... وشهدنا لوامع الأنوار
وتجلت لنا بدائع علم ... من معاني حقائق الأسرار
ووقدنا هناك قنديل نور ... علقته سلاسل من نضار
كان بالإذن من حقيقة سرّ الأمر ... بداً منه بغير انتظار
جذب أصل لفرعه باقتضاء ... لاح في سرّ سرّه المتواري
فذهلنا كأنما العقل منا ... أخذته مدامة الأسكار
ثم هذا قد كان في شهر صوم ... وهو في قرب ساعة الإفطار
وله الحمد جل في كل حال ... ما تغنت حمائم الأطيار

قال رضي الله عنه بعده، وما أحسن ما قال الشيخ الأكبر قدس الله سره، وهو في ديوانه الكبير:

يا حبذا المسجد من مسجد ... وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة ... فيها ضريح المصطفى أحمد
صل عليه الله من سيدٍ ... لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره ... في كل يوم فاعتبر ترشد

عشـــر خفيـــات وعشـــر إذا أعلـن بـالتـأذيـن فـي المسجـد
فهـــذه عشـــرون مقـــرونـــة بـأفضـل الـذكـر إلـى المـوعـد

فقرن الله تعالى ذكره بذكره ﷺ، كل يوم في الأوقات الخمسة عشر مرات بطريق الجهر في الأذان والإقامة، وعشراً بطريق الإخفاء في إجابة الأذان والإقامة، فإنا الإقامة تجاب كالأذان، أن يقول كمقالته لكن الآذان والإقامة بالإعلان، وإجابتهما بالإخفاء. وذلك كله في أفضل الذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، فهي عشرون مقرونة في كل يوم، كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[رحلته الحجازية أيضاً]

قوله رضي الله عنه: في رحلته الحجازية، وقد اتفق أن هذه السنة كان أولها يوم الخميس، كما قدمناه في أول هذا الكتاب، وهي سنة ١١٠٥ ودخل الخميس، أي الجيش من العسكر إلى المدينة المنورة، واتفق لها خمسة أعياد في هذه السنة عاد فيها السرور لنا وتكرر الفرح، عيدان معهودان شرعاً: عيد الفطر، وعيد الأضحى. وثلاثة أعياد غير معهودة شرعاً: زيارتنا للنبي ﷺ، ونصرة الأشراف، أي نصرة أمير مكة الشريف سعد على قبيلة حرب الذين حاربوه، وصوم شهر رمضان في المدينة المنورة.

فأما زيارة النبي ﷺ فقد ورد فيها الثواب الجزيل، والجزاءالعظيم الجليل حتى نقل عن العبدري من المالكية أن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة، ذكره السمهودي: يعني في كتابه: خلاصة الوفا، وأطال في ذلك.

وروى الدارقطني في السنن، والبيهقي وغيرهما، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**.

وروى الدارقطني والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: **«من زار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي»**(١).

وروى الطبراني والبزار عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: **«الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس**

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢: ٤٠٧). والهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢).

بخمسمائة صلاة»، وتمامه مبسوط في تاريخ السمهودي. وأما نصرة الأشراف على ما يعاديهم، ويؤذيهم، فإنها من أكبر المنن عَلَى أهل الإسلام.

وروى الترمذي محمد بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللهم أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً»**[1]. هذا حديث حسن صحيح.

وروى مسلم عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة رضي الله عنها: فخرج النبي ﷺ غداة مِرْطٌ مُرجّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال سيدي عبد الغني النابلسي بعده، قلت: والمفهوم من هذه الآية أنه لا بد أن يكون الرجس، أي الذنوب لأهل البيت حتى يكون التطهير منها، وفيه رد على من يعتقد عصمتهم فذنوبهم موعودون بغفرانها من الله تعالى، والله لا يخلف الميعاد.

وأما صوم شهر رمضان في المدينة الشريفة فقد ورد فيه الجزاء الوافي والفضيلة الزائدة.

وروى الطبراني في الكبير عن بلال بن الحارث رضي الله عنه، مرفوعاً: **«رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان في ما سواها من البلدان، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة في ما سواها من البلدان»**[2].

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[رحلته الحجازية]

قوله رضي الله عنه: في رحلته الحجازية المذكورة: ثم جاء لزيارتنا، يعني في المدينة المنورة، صديقنا السيد عبد القادر، ودعانا إلى ضيافته خارج الباب الشامي في مكان داخل السبيل المشهور هناك بسبيل المرحوم صاحب الخيرات لالا مصطفى باشا، فكنا معه ذلك اليوم، وأولاده الكرام، وجماعتنا في أتم سرور، وكمال أنس، وحضور ومحاضرات أدبية، ومذكرات علمية، فذكروا لنا أن الجراحة إذا حصلت للإنسان في المدينة المنورة يعسر برؤها واندمالها من جهة أن الطيب كرائحة المسك وغيره من الروائح الطيبة فائحة هناك في المدينة

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٣٩٠٨). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٩٨٩٠). وابن حجر في الميزان (٣٩٦٥). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٣٩٩). والعقيلي في الضعفاء (٢: ٢٢٨). والطبراني في المعجم الكبير (١٧: ٨٧). والألباني في السلسلة الضعيفة (٣٩٩).

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ١٤٥).

المنورة، ولهذا سميت طيبة فتفوح روائح الطيب المختلفة من ترابها وأراضيها وأماكنها وبيوتها وجدرانها وأزقتها يجد هذا المقبل عليها إذا جاءها من بعيد وهبت عليه نسائمها، خصوصاً في وقت السحر، وربما يخفى ذلك على الساكن فيها، فإن كثرة شم الرائحة يقتضي خفاء إدراكها، وعدم الشعور بها، كالعطار من كثرة شمه روائح العطر لا يكاد يشم عطراً ولكن خصوص ضرر الروائح العطرية بالجراحات لا يزول بعدم الشم لها مع انتشارها في المشام فقلنا في ذلك بحسب ما هنالك:

يا نبي الهدى إليك اعتذاري ... إنني من هواك في الأرض سائح

لم يطب غير طيبة لفؤادي ... أنا فيها أشم طيب الروائح

كيف تبرأ جراحتي في بلاد ... بحبيبي ترابها المسك فائح

ومن جواهر العارف النابلسي

[رحلته الحجازية]

قوله رضي الله عنه: في رحلته الحجازية المذكورة: جاء إلى مجلسنا السيد عبد القادر أفندي على عادته، وكان يقرأ علينا في مختصر صحيح البخاري في أواخره، فقرأ الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»[1].

فتكلمنا على هذا الحديث بما تيسر، وذكرنا رسالة الشيخ السيوطي التي سماها: إنارة الحلك في أمكان رؤية النبي والملك، وذكرنا بعض قصص وآثار في ذلك، فأخبرنا السيد عبد القادر المذكور: بأن هذه الرسالة عنده، وجاء بها إلينا، بعد ذلك في ضمن مجموع، ثم جرت معه مذاكرة في شرب الدخان، فأخبرنا عن الشيخ أحمد بن منصور المغربي عن شيخه السيد الشريف أحمد بن عبد العزيز المغربي: أنه كان يجتمع بالنبي ﷺ مراراً عدة، وأنه مرض مرضاً شديداً، فسأل النبي ﷺ عن شرب الدخان. فسكت ﷺ، ولم يرد له الجواب، ثم أمره باستعماله.

ثم بعد مدة أمره النبي ﷺ أن يتزوج بنت الخطيب المشرفي، فتزوج بها، وهذا السيد

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٩: ٤٢). ومسلم في الصحيح (١٧٧٥). وأبو داود في السنن (٥٠٢٣). وأحمد في المسند (٥: ٣٠٦). والطبراني في المعجم الكبير (١٩: ٢٩٧). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٨٢).

الشريف المذكور أحمد عبد العزيز أدركه السيد عبد القادر المذكور، وهو صغير السن، لم يصل إلى سن البلوغ فكان يذهب إليه مع أبيه، ويتبرك به فيدعو له، وكان لأهل المدينة فيه غاية الاعتقاد، وكان من أكابر الأولياء ومن محققي العلماء الأعلام رحمه الله تعالى.

ثم أخبرنا السيد عبد القادر المذكور: بأن رجلاً من أهل اليمن، من حضرموت، اسمه السيد محمد باعلوي، كان يأتي في كل سنة من مكة إلى المدينة ويزور جده ﷺ، وكان يحضر مع من يحضر في مولد السيد حمزة عم النبي ﷺ عند مزاره في ذيل جبل أحد قرب المدينة من أول شهر رجب إلى اليوم الثاني عشر منه، مقدار ذلك المولد اثنا عشر يوماً، وذلك مشهور في الآفاق وتقصده الركبان في كل سنة من أقطار البلاد الحجازية، وتأتي لحضوره القوافل إلى الآن ولأهل المدينة احتفال كثير بذلك، وكل أناس منهم لهم هناك مكان مخصوص بقرب ذلك المزار الشريف.

ثم إن ذلك الرجل في سنة من السنين، لم يذهب إلى مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه، ولم يحضر هناك مع الناس وجاء إلى الحضرة المحمدية بعد المغرب، وزار النبي ﷺ، فلم يجتمع به ﷺ إلى أن جاء في وقت الصباح، وزار، فرأى حضرة النبي ﷺ واجتمع به وسأله فقال له: جئت البارحة يا رسول الله لزيارتك فلم أجدك هناك، فقال: «**ذهبت وحضرت المجلس عند عمي حمزة**» فقال له: يا رسول الله في أي مكان تجلس هناك؟ قال: «**اجلس عند رأسه في ذلك المكان**».

وكان ذلك المحل مجلساً للمرحوم العلامة العمدة الفهامة العارف الكامل، والعالم العامل الشيخ أحمد القشاشي المدني الدجاني وجماعته، فإنهم يجلسون من المغرب إلى الصبح، ويقرؤون هناك القرآن، ويذكرون الله، ويصلون على رسول الله ﷺ، وهذه القصة مشهورة عن السيد محمد باعلويّ المذكور، وهو صحيح النسب بلا شك في ذلك، أخبرنا بها جماعة كثيرون.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[ذكر زيارته قاضي المدينة]

ما ذكره من زيارته لقاضي المدينة وغيره وأجازته للشيخ محمد اليتيم وغير ذلك، إلى أن قال: ثم جئنا إلى الحرم، فصلينا صلاة العصر، ثم صلاة المغرب، وزرنا النبي ﷺ، وكانت هذه الليلة تسمى عند أهل المدينة: ليلة الكنيس، لأن في صبيحتها يكنسون الحرم الشريف، رأينا بعض الناس من عادتهم أن من عليه دين منهم يجمع شيئاً من حب القمح بمقدار ما عليه

من الدين، ويضعه في خرقة بيضاء، ويعقدها، ويرميها في داخل الحجرة الشريفة من الشباك المكرم، ويقولون إن ذلك سبب لقضاء ما عليهم من الدين بركة النبي ﷺ.

وقد جربوا ذلك مراراً حتى إن بعض من كان معنا من أصحابنا فعل ذلك تبركاً بالنبي ﷺ رجاء وفاء الدين، فمنّ الله تعالى عليه بذلك بعد أن جاء إلى بلاده معنا دمشق الشام بأن سهل الله تعالى عليه حرفة اتخذها في دمشق، وهو الآن في بعض سعة من العيش والحمد لله، وما ذلك إلاّ ببركة النبي ﷺ.

ثم أصبحنا فصلينا الصبح في الحرم الشريف، وقد اجتمع غالب أهل المدينة في الحرم من الأكابر والأعيان وغيرهم، فخرجت الطواشية خدام الحضرة الشريفة، وشرعوا ينقلون المصاحف والربعات من الروضة إلى داخل الحجرة، ورفعوا البسط المفروشة، وصعد شيخ الحرم مع جماعة من الطواشية وقاضي المدينة إلى سطح الحرم، وكلفوني الصعود معهم لكنس سطح الحرم وقبة النبي ﷺ، فأبيت ذلك، احتراماً للنبي ﷺ أن اعلموا بأقدامي على مرقده الشريف، وجلست في الحرم مع أصحابي وأخذ الطواشية المكانس المذهبة بأيديهم، ولها عيدان طوال، وقد هيؤوها من قبل لهذا اليوم.

وكان عادتهم من أول شهر ذي القعدة تصنع الصناع لهم هذه المكانس في كل سنة، فيؤتى بالمكنسة إلى بيت الطواشي منهم بالاحتفال، فيتلقى ذلك بالقبول، ويحتفل به أكمل احتفال، حتى أن الواحد منهم كأنه جاءه مولود من شدة فرحه بالمكنسة، فيعمل لها ضيافة، ويدعو إليها أصحابه، فإذا كان يوم الكنيس جاء بمكنسته يحملها بيده، وهو فرح مسرور، ويكنس بها، فصعدوا إلى السطح ومعهم الكعك، والأقراص، والنقل من البندق واللوز والزبيب والتمر، وكنسوا السطح وحول القبة الشريفة.

وغالب أولاد المدينة مجتمعون ذلك اليوم في الحرم الشريف، وهم يرددون ويصيحون بأعلى أصواتهم العادة ياسادة، فيرمون لهم من السطح ما معهم من الكعك والأقراص والنقل، وهم يلتقطون ذلك من أرض الحرم، ونحن جالسون ننظر إلى ذلك، وهذا اليوم عند أهل المدينة مثل يوم العيد، يلبسون فيه أحسن ملابسهم ، ويهنئ بعضهم بعضاً، ويستبشرون بقول الأولاد: العادة يا سادة، ثم ينزل من السطح شيخ الحرم، والقاضي، وينزل الخدام معهم، ويدخلون إلى الحجرة الشريفة، ويكنسونها، ويجمعون الكناسة كلها ويفرقونها بينهم، ثم يهدونها إلى أحبابهم في الآفاق، ويقرؤون بعد ذلك الفاتحة مجتمعين عند شباك النبي ﷺ، ويتفرق الناس، ويخرجون من الحرم الشريف، وذلك عادتهم في كل سنة في مثل هذا اليوم السابع عشر من ذي القعدة.

ثم قال رضي الله عنه بعد ورقتين، ثم أتى إلى زيارتنا العالم العلامة إبراهيم أفندي ابن برى، مفتي الحنفية الآن بالمدينة، والخطيب والإمام بالحرم، وجاء بعده فخر الأكابر

محمد أفندي الشهير بشيخي، فجلسنا نتذاكر، حتى ذكرنا يوم الكنس، وما رأينا فيه من احتفال أهل المدينة به وإن ذلك أمر حسن فيه تعظيم للجناب المحمدي.

فأخبرنا محمد أفندي شيخي المذكور أن الشيخ عبد الرحمٰن الخياري رحمه الله تعالى، والد الشيخ إبراهيم الخياري، أنه في أول سنة مجيئه من مصر ومجاورته بالمدينة، رأى ما يفعلونه في يوم الكنيس، فأنكره غاية الإنكار، واعترض عليهم حيث يتركون الأولاد يصرخون في الحرم ويجأرون من كل جانب ولا يزجرونهم عن هذا السوء الأدب مع الحضرة المحمدية، فرأى تلك الليلة رسول الله ﷺ فقال له: «دع جيراني يفرحون ولا تعترض عليهم».

فرجع عن ذلك الإنكار وصار في كل سنة يعتد لهذا اليوم ويحتفل به مثل أهل المدينة ويفرق بنفسه عَلَى الأولاد هذه النثيرة والفتيت إلى أن مات رحمه الله تعالى.

وأخبرني في مصر صديقنا الشيخ زين العابدين أفندي البكري أنه وقع لوالده المرحوم العارف الكامل الشيخ محمد البكري نظير هذه الواقعة مع أولاد المدينة فعاتبه النبي ﷺ في المنام تلك الليلة وقال له: «يا شيخ محمد لا تؤذني في أولادي».

فبادر في ثاني يوم وأمر بجمع الأولاد وفرق عليهم جملة من الدراهم وتلطف بهم واستعفى منهم.

ومنهم الإمام العارف بالله السيد الشريف سيدي السيد عبد الله مير غني الطائفي[1] وهو شيخ السيد مرتضى الزبيدي وترجمه الجبرتي وأثنى عليه كثيراً وتقدم ذكره ومن جواهره

[السؤال الثالث عشر في كتابه الأسئلة النفسية]

كتابه المسمى «الأسئلة النفسية والأجوبة القدسية»، وهو كتاب نفيس في نحو عشرة كراريس بناه على أربعة وأربعين سؤالاً وأجوبتها، فمن ذلك قوله، وهو السؤال الثالث عشر، وسألني ما سر طلبه ﷺ الإجارة من النار كما في الأحاديث، مع أنه مجار ومغفور له الأزار. قلت: إنما ذلك للتشريع أو لكمال الخوف الناتج من كمال العلم والعرفان، كما هو دأب أهل هذا الشأن. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] وكما قيل:

على قدر علم المرء يعظم خوفه ... فلا عالم إلا من الله خائف
فآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف

أو طلب الحماية من نار التجلي، الخاطفة للتحلي، المصرع بها ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه:١٠] وإنما طلب الحماية منها كي لا تأخذه وتفنيه، كما فني موسى بصعقه وتوليه، ومكث مدة يتبرقع على وجهه وفيه، فطلب الثبات، حتى يكون في مقام البقاء من جل الثقات، ولا شك أنه المقام الأعلى والأكمل والأحلى.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

[السؤال الثامن عشر في كتابه الأسئلة النفسية]

في كتابه «الأسئلة النفسية» المذكور قوله هو السؤال الثامن عشر: وسألني ما معنى قول السيد عبد القادر الكيلاني قدس سره في عوالم القطبية أن لها ستة عشر عالماً إحاطياً الدنيا

---

(١) هو عبد الله بن إبراهيم بن حسين بن محمد أمين أبو السيادة عفيف الدين ميرغني المكي الطائفي الملقب بالمحجوب. متصوف حنفي من أهل مكة له كتاب الفروع الجوهرية في الأئمة الاثني عشرية توفي سنة ١٢٠٧ هـ.

والآخرة عالم منها؟ وقول السيد الشريف الأمجد الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعرف ثمانين ألف أمة الدنيا والآخرة عالم واحد منها: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨].

فقلت: الله أعلم وليس لي اطلاع كبير على المبسوطات من كتب القوم، بل ولا أقل قليل، ولكنني أذكر ما يفتح به المولى الجليل، على هذا العبد الذليل. كما جرت عادته سبحانه وتعالى في سائر تحقيقاتنا التي يكل عن إبرازها أكابر الأولياء، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

فأقول: اعلم أن الدوائر ثلاث لا غير ونقطتها واحدة كهذه، وذكر ثلاث دوائر مدورة بالحبر الأحمر، الأولى دائرة كبرى وفي داخلها دائرة وسطى وفي داخل الوسطى دائرة صغرى وفي داخلها الصغرى نقطة، ومكتوب على الدائرة الأولى الكبرى دائرة القِدَم، ومكتوب على الدائرة الثانية الوسطى التي في داخل الكبرى دائرة العدم، ومكتوب على الدائرة التي في داخلها الصغرى دائرة الوجود.

قال رضي الله عنه: وهذه الدوائر تدور بالبيكار وهي ضرب مثال. فالدائرة الكبرى دائرة القدم المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦] والدائرة الوسطى دائرة العدم المشار إليه بقوله سبحانه ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٩] والدائرة الصغرى دائرة الوجود المجازي التي هي عالم الخلق والأمر.

والنقطة هي الحقيقة المحمدية وهي مدار الدوائر، بل منها ينشأ كل دائر، لأنك إذا وضعت البيكار وأردت إدارة مهما شئت من الدوائر لا يتم ذلك ولا يدار إلا بوضع البيكار، ومركزه هي النقطة، ونشوؤه منها، وهذه النقطة هي نون الإحاطة الإلهيّة عينها، فلذا كانت عين الجميع، ما ثم غيرها، ومحمد ﷺ مَظْهَرها ومُظْهِرها، ولذا قال ذو الجلال لآدم: لولاه ما خلقتك، ولا خلقت سماءً، ولا أرضاً. وهذا مثال تقريباً. وأوضح منه أن الشمس هي النقطة وفلكها هو الدائرة الصغرى والعرش هو الدائرة الوسطى والإحاطة الإلٰهية هي الدائرة الكبرى، ولا شك أن الشمس بفلكها بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة كذلك العرش بما فيه بالنسبة إلى دائرة الإحاطة العظمى.

وعن هذا قلت في الحكم: هذا الوجود، قطرة في بحر قدرة المعبود، والعرش محتوٍ عَلَى عالمي الدنيا والأخرى، ومع ذلك هو كالحلقة في الدائرة العظمى في عوالمها، وما يحصرها إلا عالمها، ولكن من تعلق بالنقطة كشف له من تلك العوالم، ما قسم له العالم، ومن ذلك عوالم القطبية، والعوالم التي قالها شيخ الرفاعية، وفوق كل ذي علم عليم، وما

يعلم جنود ربك إلا هو. وإنما كان التعلق بالنقطة منتجاً لشيء من هذا لأنها هي مدار الدوائر ومن نظر المرآة رأى بعض محتوياتها وهذا أمر شرحه يطول، ولا يدرك طرفه إلا بشهود الرسول، ﷺ شهوداً ناشئاً عن جذبه الأعلى، ووهبه الأغلى، فتعلق به لتفوز بقربه، وترى ما في حبه بوهبه والله يتولاك.

(نكتة): من هنا يفهم أن حاء الإحاطة الإلٰهية هي الحاء من اسم محمد ﷺ كما أن حاء محمد هي حاء حياة الماء الذي به كل شيء حي الذي ميمه ميم محمد والميم والحاء هما ما اجتمعا في اسمه المحيي، وكذلك في اسمه ﷺ المحيي، كما في الدلائل، وبهذا تبين لك سر كون المحيط محاطاً وعكسه إذ حاء الإحاطة محاطة بميمي المدار الذي هو بمعنى المحاط في اسم محمد ﷺ، فرجع المدير مداراً به وعكسه.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله مير غني

[السؤال التاسع عشر في كتابه الأسئلة النفسية]

في كتابه «الأسئلة النفسية» المذكور، قوله وهو السؤال التاسع عشر: وسألني ما ظاهر آية: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤] وما باطنها على فهمك؟ فقلت: تدبر يا أيها الناظر البصير في هذه الآية الشاملة للمذهبين، الجامعة بين الضدين، والتخصيص والتعميم والخصوص والعموم، فظاهرها التخصيص للخصوص، وباطنها التعميم للعموم، فالظاهر ظاهر، والباطن أيضاً ظاهر، فهي كآية: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلخ... فالتخصيص من قوله يختص. والتعميم ممن يشاء يقتص، فما يشاء إلا كل من شاء فالمشيئة عمت، من به لمت، وهذا بعض سر القدر الذي إذا كشف لأهل النار صاروا أرضى من أهل الجنة بها، ولكن في هذا التعميم عين التخصيص عند الفهيم. إذ لا يُرحم من لا يَرحم، كالواجب المستحيل.

ولعل من هذا المشهد كره الحنفية قول «اللهم ارحم محمداً»، وذلك إن كان من غير الأدب، فلربما يوجب العطب، لأنه إلى غير الصواب أقرب، وهل يستغني عن الرحمة، من بعينه شبحمة، كيف وهي لكل بحسبه، وعلى قدره وسببه، وهل يستغني شيء بدون نفسه، وهو الرحمة بمعناه وحسه، له ولأبناء جنسه، وهل الصلاة عليه. إلا رحمة من الله إليه.

وكيف الكراهة لهذه الحكاية؟ ومولانا سبحانه ينوه بشرفها في هذه الآية، فيالله العجب، من شريف يُكره بلا سبب. فيا أهل الظاهر كيف اقتصر عن الظاهر، هل حويتم المظاهر، كيما

تؤمنوا بالباطن والظاهر. وقال رضي الله عنه: وهو السؤال العشرون، وسألني ما وجه جواز الجمع بين الأضداد الذي أشرت إليه آنفاً، مع استحالة العلماء لذلك بالدلائل القطعية؟ وما دليل أهل الباطن عليه؟ فقلت: لا يحضرني لهم دليل، ولكن أقول بما يفتح به الجليل، وأرجو أن يكون هو الدليل، الذي لا محيص لأحد منه لا كثير ولا قليل، لا شك أن مولانا سبحانه منعوت بالتضاد، على الآباد، إذ هو المحيي المميت، المنعم المنتقم، المعز المذل، المعطي المانع، الخافض الرافع، وهكذا في كل شيء وحين، لديمومية الصفات المستحيل تعاقبها، فما من ذرة من ذرات الوجود إلا وتشرق فيها شموس الصفات ولا تغرب أبداً سرمداً فلزم التضاد، على مر الآباد، فكيف يستحيل ما هو واجب النفاد؟ ولا لأمر رب العباد، فكل شيء في كل حين لا بد فيه من اجتماع الأضداد، بحسب ما تجلى فيه مولى العباد، أدركنا ذلك أم لا، لا وإذا أمعن في هذا ذو بصيرة انكشف له ذلك بلا ريب عن هذا قلت:

رب العباد الفرد بالإيجاد ... ينعت في الآباد بالأضداد
كيف المظاهر لا تكون كمثله ... وهي الظلال مآثر الأنداد
فالجمع للأضداد دوماً سرمداً ... لم يستحل بل واجب الإنفاد

فإن قلت: فعلى هذا معنى لقولهم هذا جمالي، وهذا جلالي، وهذا كمالي، وهذا ظاهري، هذا باطني، وهذا ظلماني، وهذا نوراني... ونحو ذلك كون كل أحد كذلك وجامع لكل ذلك. قلت: ذلك إطلاق للنعت الأغلب عليه كما يقال هذا فقيه، وهذا صوفي، وهذا محدث، وهذا نحوي، ونحوه... مع أنه يكون جامعاً للكل.

وإن قلت وعَلَى هذا تتفاوت صفاته تعالى قوة وضعفاً، وتأثيرها كذلك، وهو في التأثير لا يضر، أما في الصفات فلربما يأبى الأمر ذلك ولا يرضاه، قلت: قد ورد التفاوت في أسمائه تعالى كالأعظم والعظيم والكبير ونحوه.

وهو صريح فيما نحن فيه وهو الظاهر لقوة سلطان بعض المظاهر، وما ذاك إلا لقوة تأثير الظاهر، وأيضاً كما أن نعوت المخلوق تتفاوت قوة وضعفاً كذلك نعوت الخالق لأن حكم المظهر تابع لحكم الظاهر فيه، لانعكاسه فيه.

فإن قلت: فأنت عَلَى هذا فضلت بعض الأسماء والنعوت على بعض، كما يقول البعض. قلت: هو كذلك بالنصوص إذ لا معنى للأعظم والأكبر إلا هذا، إنما احترز عنه البعض لئلا يؤذن بالانتقاص لغيره، ومعاذ الله أن يجنح إلى هذا إلا أعمى البصيرة ولا كلام معه. أسماؤه وتعالى ونعوته عظيمة، وكلها جليلة قديمة.

فإن قلت: كيف حكم الدعاء بالمغفرة للنبي ﷺ الذي كرهه العلماء؟ فإني استشعرت

مما مر عدم كراهة ذاك المظهر. قلت: قد وضعت منذ سنين رسالة عظيمة في هذا البحث وسأسردها بلفظها فأقول:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالكمال، الذي ما سواه باطل وخيال، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله شهادة متيقن بأن كل ما سواه ملازم لوزره، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، شهادة معترف بأن كل أحد مقصر في إجابته لمن يقال لك لبيك. إذ قال ﷺ «سبحانك لا أحصي ثناء عليك» والصلاة والسلام عَلَى سيدنا محمد سيد الأنام، وآله وصحبه الغر الكرام. وبعد،

فقد كان يتردد في الخاطر الخلي، أن أضع رسالة في نوعي الذنب الخفي والجلي، لينكشف بها النقاب، عن مسائل جرى فيها الأطناب. وسرى فيها الاضطراب، ولم يك ذلك، إلا جينما أراد الله ما هنالك، وسميتها ذات الجنب في معنى الذنب فأقول مستعيناً به ومستمداً من فيض حبيبه ﷺ.

اعلم أن الذنب والخطيئة والإثم والعصيان والإساءة والوزر والإصر ألفاظ مترادفة ومرجعها إلى ثلاثة أنواع لغوي وعرفي وشرعي، فمعنى الذنب لغة فعل ما لا يليق بحسب الفاعل والمفعول معه، كما لا يخفى عَلَى من تدبر اللغة، ولذا قال البيضاوي في سورة القتال: إن الذنب ما له تبعة ما كترك الأولى، وأما العرفي فمخالفة الفاعل له بحسبها أيضاً.

وأما الشرعي المصطلح عليه عند العلماء فهو عبارة عن الصغائر والكبائر، وإذا عرفت ذلك علمت أنه يطلق على غيرهما لغةً وعرفاً، بل واصطلاحاً للإجماع على قبول القاعدة التي قالها أبو سعيد الخراز رضي الله عنه، وهي حسنات الأبرار سيآت المقربين، فجوزوا إطلاق السيئة المرادفة للذنب وإخوته عَلَى ضدها، وهي الحسنة وخرجوا عَلَى ذلك كثيراً من المسائل، لا سيما من كلام العارفين كقول رابعة العدوية رضي الله عنها: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير، وهو ظاهر إذا نزلت نفسها منزلة العوام لكونها مع الغفلة كما وله به كثير من العلماء.

وأما إن أنزلت نفسها منزلة العارفين شكراً للنعمة، فهو أيضاً كذلك لأنه بالنسبة إلى مقام الشهود الذي هو أقصى مرادهم ذنب، وأي ذنب كما أولته بذلك، ولذا قال بعضهم: الاستغفار من الذنب ذنب آخر، قال: سهل التوبة فرض عَلَى العبد في كل نفس، وقال العارف ابن الفارض رحمه الله:

ولـو خطـرت لـي فـي سـواك إرادة   عَلَى خاطري سهواً قضيت بردتي

وما ذاك إلا أن كل ما سوى مقام شهود المحبوب، فهو من أعظم الذنوب.

وعن هذا قلت في كتابي «جواذب القلوب». واعلم أن الاستغفار عَلَى ثلاثة أنواع، استغفار من الذنوب وهو للعوام، واستغفار عن الطاعات ورؤيتها وهو للخواص، واستغفار عن شهود كل ما سوى الله تعالى وهو لا خص الخواص، وإذا فهمت هذا، علمت أن العلماء محقون في اجتهادهم في المسألتين الآتيتين إذ هو بحسب اصطلاحهم ولا مانع من غيره.

أما المسألة الأولى: فما وقع من اضطرابهم وتكفلهم في الجواب عما صدر في الكتاب العزيز والسنة الشريفة في شأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من قوله سبحانه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] وقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢-٣] وقوله حاكياً عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] وقوله عن موسى: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٤] وقوله عن يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وغير ذلك من القرآن. وقوله ﷺ: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت**» الحديث وقوله: «**إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله**» الحديث. ونحوه من السنة، ولو أعادوا الأمر إلى ما مهدناه سابقاً لما استشكلوا ذلك واستصعبوه.

وأما الثانية: فقد منعوا الدعاء بالمغفرة للأنبياء صلوات الله عليهم بناء على ما اصطلحوا عليه من قصر الذنوب على الصغائر والكبائر، فأما إذا كانت غير قاصرة عَلَى ذلك، فأي مانع مما هنالك. كيف؟ وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما تقدم.

والأثر: كقول علي رضي الله عنه في تشهده: اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته الخ... وكقول الحسن البصري رحمه الله تعالى في صلاته عليه ﷺ ومغفرته ورضوانه.

فإذا كان طلب المغفرة ثابتاً في قوله سبحانه وقول نبيه ﷺ وقول بعض أصحابه وهو باب العلم وبعض التابعين وهو سيدهم وكان لذلك وجه وجيه وهو طلب غفران ما لا يليق بمقامهم الشريف، وإن كانوا هو أجل من أكمل طاعة من كل ذي قدر منيف.

فأي مانع من هذا والذي أقطع به وأدين الله أنه تدبر هذا كل من قال بالمنع لما منع. ولرأى أن الأمر متسع إلا لقاصر في القصور. وجاحد في القبور، والناس أحد الرجلين. أما قاصر عن فهم قول العلماء، أو عارف به وبمقال الحكماء، فالأول: المنع به أليق، والثاني: عدمه به أجدر وأحق.

وأما العوام فلا يعرفون ولا يميزون، فهم فيما جاء مأثوراً مطلقون. وفي غيره محجوزون، ويكفي هذا لذوي الإنصاف، ويشقى لأولي الاعتراف، والحمد لله وكفى. وسلام عَلَى عباده الذين اصطفى، قاله جامعه عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن مير غني الحسيني الحنفي ملتمساً للدعاء، ومقتبساً لمليء الوعاء في ساعة واحدة من يوم الأربعاء ١٤ ربيع سنة ١١٥٧ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله مير غني

[السؤال الثاني والعشرون في كتابه الأسئلة النفسية]

في كتابه «الأسئلة النفسية» المذكور وهو السؤال الثاني والعشرون، وسألني: ما حكم من أتى بفاحشة من البضعة النبوية؟ فولد من ذلك ولد أهل، يهدر ذلك كما هو ظاهر عموم الشرع الولد للفراش وللعاهر الحجر: أم هنا تخيض؟ فإني محتار في شأن البضعة والإهدار.

فقلت: قد كنت في غاية الحيرة في ذلك. ولم أر شيئاً للعلماء هنالك. ثم فتح الله منهجاً من المسالك، وبيانه أن أصل هذا الشأن، بابتداء خلق سيد ولد عدنان، ﷺ ولا شك أنه أصل الكون ومنبعه كما تقرر، في غير ما محرر، ولا شك فيما تفرع منه أنه مهدر، وغير مهدر كالنار والكفار وغير ذلك، والمهد ما كان من أطراف الاكتساب، وغيره من أرباب الأحساب، فالحسب في كمال النسب، والمكتسب مقترف ومجتنب، فالقريب ما دنا والبعيد ما نأى، ومنه الأشقياء والفضلات، ومنه ما نحن فيه من الأبحاث. ومن هذا البحث تبين إهدار ولد الفاحشة البحت وهو مطابق للشرع الأقوم والله أعلم.

فإن قلت: فعلى ما قررت قد يكون بعض البضعة شقياً مع اقتضاء آية التطهير لعدمه بل في الحديث: «إنما سميت فاطمة لأن فطمها وذريتها عن النار»[1]. بل قد وردت أخبار بعدم تعذيبهم، حتى قال بعض العلماء ممن يعتقد في أهل البيت إن الله تعالى متجاوز عن جميع سيآتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم، فلا يحل لمسلم أن يتنقص أعراض من شهد بتطهيره وذهاب الرجس عنه وما نزل بناديهم من الظلم والجور نزل منزلة القضاء الوارد من الله تعالى كالغرق والحرق ونحو ذلك إذ لهم من الحرمة لسيدهم الذي نسبوا إليه إلى آخر ما في نصيحة الشيخ زروق وغيرها.

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٢٢٧). وابن الجوزي في الموضوعات (١: ٤٢١). وابن عراق في تنزيه الشريعة (١: ٤١٣).

قلت: لم تكن الشقاوة إلا في ما انفصل قبل الظهور، من عالم النور، أما بعده فلإتمام الكمال فلا يلحقه النقص بحال ولم يزل في كمال. وإن قلت: هذا ابن نوح لم يكن من أهله، لفقدان فضله، قلت: لا يقاس ابن نوح. بابن جامع الفتح والفتوح، وأين الشبح من الروح، فقياس الثريا بالثرى، قياس من عقله إلى ورا، وبما قررنا تبين نفي الشقاوة وثبوت وقوع الولد من الفاحشة من أهل البيت على خلاف ما حكاه بعضهم عن الشيخ ابن عربي من أنه لا يتصور من ذلك ولد لكون البضعة محفوظة، وهذا ينكره الواقع، فإنه لو وقع الاحتمال بوقوع ذلك من الرجل لامتنع ذلك في جانب المرأة لأنه منها يقيناً.

وإن نفي ذلك يؤدي إلى القدح في أنساب الناس وإلى اختباط كبير وما قلناه إن شاء الله تعالى هو التحقيق علماً وذوقاً وكشفاً. نعم إن قيل شأن رسول الله ﷺ عظيم، وجاهه جسيم، وقدره لا يقدر، فنرجو أن لا يهدر في العقبى أما الآن فلا بد من الإهدار، للردع والانزجار، كما هو حكم ظاهر الشرع فليس ببعيد، وكم أطلق لكثير من الأولياء في كثير من الأشياء مما الإجماع على منعه وتقدم في السؤال الذي قبل هذا في الكلام على شأن المحبوب، ما فيه إن شاء الله تعالى كثير من مفاتيح الغيوب، التي يخصها الله بأرباب القلوب، ومن هنا يلوح لك بعض أحكام والديه ﷺ اتفاقات وإجماعات خرقها الله تعالى وأهدرها لآحاد السادات فكيف بسيد السادات ﷺ، مع أنا نجزم إن شاء الله، بأنهما في أعالي الدرجات.

ثم قال: ومن شكل هذه الأسئلة ما سألني عنه المحب في الله إلا مجد الرئيس عمر بن محمد خوج المدني كان الله وهو سؤال شريف، وبحث منيف، واستفهام لطيف، قل من يأتي بمثله؟ وليس لأهل الظاهر قدرة على حقيقة جواب شكله، ولا يجيب عنه إلا من طرح رأسه مكان رجله، ورقى سامي مراقي فضله.

والسؤال هو هذا معنى ما ورد في الحديث القدسي: «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» إذا كان الذاكر في حضرته ﷺ من أصحابه الكرام رضي الله عنهم، أو كان الذاكر هو ﷺ كذلك، وهل ملأ خير من هذا الملأ؟.

فقلت: يمكن على قول أهل الظاهر أن يجاب بأن الخيرية باعتبار الحيثية لا باعتبار الأفضلية الأكملية كما يقال الحلاق أو الحجام أو نحوهما خير ممن لا يحسن ذلك وأفضل.

وأما على قول أهل الباطن فيجاب بأن ذلك باعتبار الحضرات وهي من ابتداء خلق الكائنات إلى الأبد فحضرته ﷺ من ابتداء شروق شمس الذات، ليس كحضرته بعد شروق كواكب الصفات، وهكذا إلى الأبد في الترقي فكل حضرة أرقى مما قبلها فأهلها خير منهم آنفاً ففي كل نفس من الأنفاس، يزدادون من خير سامي الاقتباس، ومن حلي حلل الألباس،

وهكذا وهو من باب علم الحضرات، المخصوص علمه بخواص أهل العنايات، وعلم الحضرات علم لا يحصر، ولو ملأ منه كل دفتر، من الأزل إلى الأبد، ومنه يعلم كثرة العوالم التي أشار إلى بعضها عارف العوارف العارف السيد أحمد الرفاعي قدس سره بقوله: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعرف ثمانين ألفاً أمة الدنيا والآخرة عالم واحد منها ويخلق ما لا تعلمون.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله مير غني

[السؤال الثلاثون في كتابه الأسئلة النفسية]

في كتابه «الأسئلة النفسية» قوله، وهو السؤال الثلاثون: وسألني ما الحكمة في كون القبلة هي البقعة الشريفة التي هي قلب الأرض وسرتها؟ مع كونها أشبه بالصنم، وأمثل بالعلم. وكون المأمن أفضل عند الله منها؟ كما ورد.

ولذا قال بعض العارفين، رضي الله عنهم أجمعين: ما معناه لو كان الدين بالرأي لكان التوجه إلى القطب الغوث أولى، لأنه الكعبة الحقيقية ومحل نظر الله في هذا العالم، ولم يكن الاستقبال لسيد أولي الجلال، الجامع لشريف الخلال، الذي هو كعبة أهل الوصال، وقبلة أولي الاتصال، المتحلي بنعتي الجلال والجمال، والحاوي لكل كمال بكمال، محمد الذات والخصال، ﷺ في كل حين وحال؟ ولم كانت من هذا الهواء والتراب ولم تكن مما سواهما؟ ولم نهى سبحانه عن عبادة اصنام، وجعل شبهها قبله للأنام؟ وما السر الذي حازت به هذا الشرف، وسمت به على أعلى الغرف؟.

فقلت: لله درك أيها السائل، فكم لك من فواضل وفضائل، فأعظم بك ومسائلك، وأكرم بأبحاثك وقلاقلك، فلقد رقيت مرقى أسمى، وسموت سمواً أحمى، فلا زلت في حضرة الجناب الأحمى، ترعى في هاتيك الرحاب العظمى، فاعلم وفقك الله، وزادك من مدده وهداه، وجعلك من أخص أصفياه. أن القبلة هي محل نظر الله من هذا العالم لأن كل محب نظره وتوجهه إلى ما يتوجه ويتعلق به محبوبه ومتعلق نظر الله، هو سيدنا رسول الله، لأنه محبوب الله، ﷺ فهو القبلة الحقيقية، والكعبة الشريفة الربانية، وهي قلب الأرض وسرتها، الذي هو عبارة عن البقعة المباركة.

فلذا كان التوجه إليها، لما أنه سبحانه ناظر إليها، إذ السر في السكان لا في المنزل، ولما كان ﷺ فيها وقطعة منها قبل الظهور، كان إليه التوجه المشكور، فلما أخذت منها بضعته، وأفرزت طينته، بقي التوجه على حاله إليها، وذلك لما خلع عليها، بسبب المجاورة فالجار أحق بالدار، فدار عليه المدار، ورد ذلك المدرار، بسكانها تغلو الديار وترخص، وإن

لم يكتسب المجاور، فما معنى هذه المجاورة؟ هذه والله السعادة التي ما فوقها زيادة، كن مع الله يكن معك، وانخفض له ليرفعك، فافهم الإشارة، فالبغية في المغارة، فهذه الحكمة، في كون البقعة قبلة الأمة، وأما عند لب خلاصة أهل الله، فالقبلة هي سيدنا رسول الله عليه صلاة الله، الذي هو سر الحال بها. وهذا التوجه الأول المنتج للتوجه الثاني وهو مراقبة الله.

وإن قيل: إذا كان كذلك فلم أمر ﷺ بالتولي شطر المسجد الحرام الذي هو بيت المليك العلام ولم يؤمر بالتوجه إليه لكونه المقصود؟ قلت: لقد ربط الحكيم الأمور بأسبابها كما قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩] ومن عادة الحكيم الكريم إذا وهب لا يرجع، وإذا أعطى لا يمنع، ألا ترى السلطان إذا خلع على أحد شيئاً لا يرجع فيه، ولا يجري ذلك على فيه، مع أن المخلوع عليه، لا يشهده إلا به كل من لديه؛ حتى لو ذهل عن ذلك السر، لما سوى قلامة ظفر، مع كون السلطان، بنفسه يتوجه لمن خلع عليه القطفان، في ما يتعلق به من مصالحه ومآرب الإخوان. فتفهم. فأنت الولي المكتم، والعليم المطلسم، فافهم وإلا فتفهم. وأما عدم جعله ﷺ قبلة، فلأنه لو جعل قبلة لدخل واجب حقه في واجب حق الله تعالى، وأدي ضمناً.

وذلك تساهل بشأنه ﷺ مع كونه بالمحل الأعلى والمكان الأرفع، فلا بد من اختصاصه وتمييز واجبه كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] وفي الخبر «فلا أذكر إلا وتذكر معي» ولذا أمرنا بالشهادتين مع كون أحدهما متضمناً للمعنيين إذ من معنى لا إله إلا الله لا كمال إلا الله. ومن الكمال إرسال رسول الله ﷺ، لكن لما كان محبوب الله، ومن عادة المحب أن يحب للمحبوب مثل ما يحب لنفسه، بل أزيد، ميز بتلك التمييزات، وخصه بتلك الاختصاصات، حتى لقد أدرج حقه في حقه في بعض الأمور كما جعل مبايعته مبايعة الله، وطاعته طاعة الله، وإذا أذى الله، وهكذا وهذا هو الوجه.

وإن قلت: أنت جعلته القبلة ابتداءً وأن البيت اكتسب ذلك منه، وإنه عند لب أهل الله هو القبلة، وهذا ينافي ما ذكرته هنا. قلت: لا منافاة. لأن ذلك قبل الظهور، والعادة جارية بذلك، وأما بعد الظهور فلا بد من تمييز مقامه، وأما على مذهب أهل الله فهو أيضاً من البطون فلا بد من الاندراج ألبتة. وأما كونها من الهواء والتراب، فلأن الهواء محرك والتراب مسكن، فالهواء يحرك إليها والتراب يسكن لها، فأحدهما جاذب، والآخر له طالب، وأيضاً الجنسية علة للضم، مع كونها أصلاً لكل إنسان تكرم، ولم تخلع هذه الخلعة لغيرها لعدم المجاورة إذ ذاك، ولتحملها ما لم يتحمله غيرها من الجمادات.

فضلاً عن النبات والحيوانات، فتجلي العظيم، لا يتحمله إلا الجسم، وتحملها فرع تحمله ﷺ.

وأما وجه جعل القبلة شبه الصنم، هو أن العادة أن الحكيم لا يرسل إلى قوم من جنسهم، ولا يأمرهم إلا بما يلايم ميل نفوسهم، تأليفاً لهم وملاطفة بهم، ولما كانت الأصنام مألوفهم وعلى طبق مرادهم وعبدوها ليتقربوا بها إليه كما قال سبحانه حاكياً عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وهي دعوى منهم وإلا فلو صدقوا لبالله لحقوا، فلذا سبحانه شرع لهم التوجه للقبلة الشبيهة بذلك كما باتباع الأمر تصدق الدعوى، وتحقق الرجوى، لصدق رغبتهم في حبها، وميل طبعهم إليها، وهكذا العادة في كل شيء لا بد من الواسطة الرابطة الجنسية، لأنها علة الضمية، وعن هذا بعض العارفين البيت حجرة، والعبد مدرة، فربط الحجرة بالمدرة لكن هذا شأن أولى القصور، والمدفون بهاتيك القبور، أما من رمى ببصره إلى فوق، وكان من أهل النظر والذوق، فمطمح بصره، الساكن بقصره، كما قال مجنون ليلى:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وعن هذا ردعت بعض الصادقات الجنيد قدس سرهما لما رأته طائفاً بالبيت بقولها: تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقال: البيت. فولت، ولسهام زجرها تولت.

وقالت رافعة رأسها إلى السماء: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار. وقال بعضهم:

يطوف بالبيت قوم لو بمعرفة بالله طافوا لأغناهم عن الحجر

وأما السر الذي حازت به هذا الشرف فهو مجاورتها للطينة المحمدية. وخلعها عليها تلك الأنوار والأسرار المصطفوية. ولأنها أول متحرك وساكن، من هاتيك المساكن، ولأنها كالقلب الذي هو سلطان الجسم، ولأنها أول مجيبة لنداء الحق لما قال للسموات والأرض ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] والحق في هذا ونحوه اصطفينا الله سبحانه واجتباؤه كما قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ [الحج: ٧٥] أي يجتبي فالحق في الدليل، أن أفعال الجليل، لا تعلل بالتعليل، كاختياره للسيد النبيل، ﷺ لكن قد تظهر بعض الحكم المناسبة، فنقول المشارقة هم من المغاربة، وجل من لا يسأل عما يفعل، وتعالى من لا يسهو عن شيء ولا يغفل، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً وما ودع لغيره إلا رسماً، بل لا شيئاً ولا اسماً، كما قال: ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

ومن جواهر الإمام العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

[السؤال الثاني الثلاثون في كتابه الأسئلة النفسية]

في كتابه «الأسئلة النفسية» المذكور وهو السؤال الثاني والثلاثون قوله: وسألني الولد بغير مين، المصغر المكبر حسين، ابن علي بن عبد الشكور الطائفي العاكف، أمن من المخلوف، وهو ما صورته ما الحكمة في كثرة مظاهر الجلال، على مظاهر الجمال، حتى كان الإسلام كالشعرة البيضاء في الثور الأسود وحتى كثر الملائكة على كرات أضعاف المخلوقات وعظم خلقهم حتى أن بعضهم ليزيد على ملء السموات والأرض وحتى كان ضرس الكافر كأحد في النار حتى عظم حياتها وعقاربها وغير ذلك، وهلا استوى الجلال والجمال لأنهما نعتان للفرد القديم، فكيف يتفاوتان مع اتحادهما؟ حتى في المبنى، ومع اتساع دوائر الجمال، كما قال تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء، ورحمتي سبقت غضبي، إن الله واسع حكيم. . . وغير ذلك.

فقلت: أيها السائل مهلاً. فليس الأمر سهلاً، وأما أنا له أهلاً، وإنما أذكر لك من بعض خَرافاتي، في الماضي والآتي، فأقول: بحسب عقلي المعقول، لا من منقول ولا معقول. ولكن استمد من حضرة الرسول ﷺ لا شك أن الجلال من الجلالة وهي العظمة والكبرياء والجمال من الجمالة وهي اللطافة والحسن فمظهر كل من النعتين، بحسب ما احتوياه من المعنيين، وإن اتحد عدد حروف المبنيين، لأن الكبرياء والعظمة يقتضيان كبر دائرتهما وعظمها اللازمان للكثرة، واللطافة والحسن يقتضيان صغر دائرتهما ووسعها لكونها مطلوبة نرغوباً فيها، ومن هٰهنا وسعت الرحمة كل شيء وسبقت على الغضب، لأن الكل لها في الطلب، وهذه الرحمة هي محمد ﷺ كما قال سبحانه في أزله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] أي في إيجادهم وإمدادهم، إذ هو أصل الكل، ومنه انشقت جميع العوالم كما صرح بذلك الحديث في خطاب الحضرة لآدم عليه السلام: «ولولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً». . . فلولا الأصل لما وجد الفرع. ولا شك أنه ﷺ الجوهر الفرد البسيط، فانظر إلى هذا الفرد اللطيف كيف وسع جميع الكثائف، مع أنه فرد واحد. وهكذا فقس.

وحكمة كبر دائرة الجلال هي: أن اللام فيه أكبر من الميم في الجمال وأسرار الإلٰه في الأشياء بحسبها، فإن الحكيم لا يفعل شيئاً، قل أوجل إلا الحكم تحير دونها العقول، ويقصر عن درك أدناها المنقول والمعقول، وعن هذا قالوا: زيادة المبنى. تدل على زيادة المعنى، وهم وإن اقتصروا في ذلك على العدد، لأنهم ليسوا فيه من آل شريف المدد، فعند آله الزيادة

بالعظم تدل على زيادة الإفادة كما هي في العدد، بل تكبر عنها في المدد، فإن مائة ألف ذرة لا تعظم بكثرة عددها على الجمل، فضلاً عن الجبل، ولو كان هو واحداً فتدبر نعم والميم، وإن كانت لاماً إذا حل ربطها لكن هي لطيفة، فتسري في دائرة الكثيفة، وهي ميم محمد ﷺ التي هي ميم الرحمة التي وَسعت كل شيء، وتدبر في حكمة ربط رأسها وحل ذيلها تجد الحكمة التي أشار إليها حديث: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة»[1] الحديث: «وأخر تسعاً وتسعين للآخرة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة».

فانظر كيف ضمها أولاً إلا واحدة وأطلق الكمال آخراً كالميم التي هي مبدأ اسم محمد ﷺ ضم أوله وفتح آخره فضم أوله في ابتداء إيجاده فكان فرداً آلافاً من السنين ثم فتح آخره وهو الدال ففاض المدد بالإيجاد والإمداد لجميع العباد، ومع هذا فالضم إلى حين الشفاعة العظمى فينفتح ولا ينضم. وتأخذ الدال دولتها، وتصول صولتها.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله مير غني

[السؤال الثالث الثلاثون في كتابه الأسئلة النفسية]

قوله في كتابه «الأسئلة النفسية» المذكورة وهو السؤال الثالث والثلاثون، وسألني: ما معنى البيت الأول من البيتين اللذين أنشدهما لسيد الكونين ﷺ السيد الشريف الطباطبي مناماً تسلط عليه الأمير قرقماش الشعباني وأخرجه من خلوته. وهما:

يا بني الزهراء والنور الذي ... ظن موسى أنه نار قبس

لا أوالي الدهر من عاداكم ... إنه آخر سطر في عبس

وما وجه نسبتهم إلى الزهراء؟ وإلى النور الذي هو عبارة عنه ﷺ وترك نسبتهم إلى أبيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما هو قاعدة الشرع الأطهر؟ وما هذا النور الذي هو عين النار التي ظنها موسى عليه الصلاة والسلام فنودي منها ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١٢] فبين لي ذلك وأوضح، وزد في ذلك وأفصح.

فقلت: ما قاله ﷺ هو عين الشرع إذ قد صرح العلماء بأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والآخرة وإن من خصائصه ﷺ أن كل بني أب

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٨: ١٢٣). والسيوطي في جمع الجوامع (٤٨٢٢). وفي الدر المنثور (٤: ١٠٢). والبغوي في شرح السنة (١٤: ٣٧٨).

ينسبون إليه إلا أولاد علي. وأثبت الحنفية الشرف لأولاد البنت لكون أصله كان كذلك. وفي الحديث: «أن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»[١].

وروي نحوه من طرق. وفي غيره «إن لكل بني أب عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم فهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين»[٢] الحديث وصح من عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي»[٣].

وفي رواية «زيادة الصهر والحسب وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما عدا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم» إلى غير ذلك من الأحاديث. فهذا وجه نسبتهم إليه وإلى الزهراء وترك نسبتهم إلى علي رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

ولا شك في الشرع أن كل شيء ينسب إلى أصله الحقيقي وهو ﷺ الشارع المشرع وعنه كان كافة الناس لا ينسبونهم إلا إليه ﷺ لا إلى علي فيقولون أولاد الرسول ولا يقولون أولاد علي إلا نادراً، حتى كأنه لم يكن له سهم في أبوتهم أصلاً.

وأما النور فهو النور الخاص، الذي هو باد من تجلي شمس ذات الاختصاص. المشار إليه بقوله سبحانه ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] والمصرح به حديث «أنا من نور الله والمؤمنون من نوري»[٤].

وما في حديث جابر «إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره» فهذا هو النور الذاتي، ومنه النور الصفاتي، ولا شك أن النور أثر النار، فلما رؤي ظن أنها هي لأنها السبب الظاهر، فنوري من جانب السبب الحقيقي الباطن أني أنا ربك فلا يقف بك عزمك عند ما يشهد حزمك. وما أحسن تعجيز وتصدير العارف المعرف الرائي، الشيخ أحمد بن ربيعة الحسائي، كان الله له في المرائي، حيث قال:

يا بني الزهراء والنور الذي ... هو نفس القدس في عين النفس
وتجلي الذات في المعنى الذي ... ظن موسى أنه نار قبس
لا أوالي الدهر من عاداكم ... بل له في النازعات المنتكس

---

(١) رواه الفتني في تذكرة الموضوعات (٩٩).
(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤١٦٨).
(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور (٥: ١٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩١٥). وابن كثير في التفسير (٥: ٤٩٠).
(٤) رواه الفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦).

فــي لظـى أعضـاؤه قـد كـورت إنـــه آخـــر سطـــر فـــي عبـــس

تنبيـه: اعلم أنه ﷺ هو النور الذاتي فقط، لأن الذات فرد جامع فمظهرها لا يكون إلا فرداً جامعاً ليس له نظير، كما ليس لها نظير إذ لا يظهر في المرآة إلا وفق المرئي، وقد قال ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن»[1] أي هو ﷺ مرآة ربه التي ظهر فيها، وبه قطعنا بأنه من نور الذات، أي من تجليهم فقط، وأن غيره من نوز الصفات، أي تجليهم، وإن تجلي الذات الحقيقي نختص به ﷺ ليس لغيره فيه مقدار خردلة.

هذا هو مذهبي وإن صرح الأكابر في كتبهم بما لا يحصى. فحصول تجلي الذات لغيره إنما هو تجل مجازي صوري صفاتي حقيقة إذ ليس في استعداد غيره أصلاً قدرة التجلي الذاتي الحقيقي، وإذا علمت هذا فاعلم أن ما كان بالذات لا يكون إلا كاملاً ألبتة طاهراً مطهراً لأن ما بالكامل كامل ضرورة وأن اعتراه طارئ فلا بد من التطهير أولاً فأولاً. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ثم قال قال العارف بالله الشيخ أحمد زروق كان الله في نصيحته: وقال بعض العلماء: يعتقد في أهل البيت أن الله تعالى متجاوز عن جميع سيآتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم، فلا يحل لمسلم أن ينتقص أعراض من شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم، وما يحصل من بعضهم من الظلم والجور نزل منزلة القضاء الوارد من الله تعالى كالغرق والحرق ونحو ذلك إذ لهم من الحرمة ما لسيدهم الذي نسبوا إليه انتهى.

ومما قررته سابقاً يقطع بأنه لا يقاس عليه غيره من الأنبياء ولا أولادهم على أولاده ﷺ وعليهم لأن هذا أمر خصه الله به وبذريته بسببه، فلا أحد يلحق به. وفي الحديث: «نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد»[2] أخرجه الملا.

فإن قلت، قد وردت أحاديث مقتضية لوقوع نقص وكفر كحديث «إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي، وليس كذلك إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا»[3].

وصحح الحاكم حديث «وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٤٩١٨). والبيهقي في السنن الكبرى (٣: ٣٧٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ٢٦٤). والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٢٢٤).

(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٢٠١).

(٣) رواه الهيثمي في مورد الظمآن (٢٥٠٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٥٦٥٧). والسيوطي في جمع الجوامع (٦٣٢٠). وابن أبي حاتم في السنة (١: ٩٣).

لا يعذبهم»[1] وإنه ﷺ لا يغني عنهم من الله شيئاً ونحو ذلك. . .

قلت: وأيضاً وردت أكثر منها وأعظم في أضداد وأزيد من ذلك، وإنما هو رد ذلك لأجل الإنذار والإرشاد وعدم الاغترار، كيف ومع القطع بالاتصال يستحيل معه الانفصال ولنمسك العنان، لئلا يجري البنان، بكشف العيان، فيبوء بالخسران، من لم يكن من أولي الإيقان؟ وفيما ذكرناه كفاية، لسالكي سبل الهداية، ونهاية لعارفي نهج النهاية.

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣: ١٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤١٥٦). وابن عدي في الكامل (٥: ١٧٠٤).

ومنهم الشيخ الإمام العارف بالله أبو عبد الله محمد ابن أبي الفضل قاسم الرصاع الأنصاري التونسي المالكي(١) قاضي جماعة بها وهو صاحب تحفة الأخيار في الصلاة على النبي المختار ﷺ المتوفى في سنة ٨٩٤ هـ

ومن جواهره رضي الله عنه

[فوائد من كتابه تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين ﷺ]

كتابه «تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين ﷺ» وشرح فيه الأسماء النبوية المذكورة في الشفا للقاضي عياض شرحاً نفيساً جامعاً لفوائد الفوائد في نحو عشرين كراساً بقطع الوسط، وكثير من فوائده ليست في شؤون النبي ﷺ وإنما هي مواعظ وفوائد أخرى يذكرها بمناسبة ذلك الاسم، وما كان من ذلك في شؤونه ﷺ. فأكثره نقلته فيما تقدم عن غيره، ولذلك لم أنقل منه إلا شيئاً قليلاً.

من أوله وقبل الشروع في النقل عنه أذكر رؤيا نبوية رآها بعض علماء عصره تدل على فضل هذا الكتاب، وهذا نصها على ما رأيته مكتوباً في أوله قال رائيها رحمه الله تعالى: يقول العبد الفقير إلى رحمة الله الراجي عفوه ورحماه منصور الشريف لأمة محمد عرف بسوسو الإدريسي قارئ البخاري بجامع الزيتونة من تونس المحروسة: بينما أنا نائم ليلة السبت الخامس لشعبان عام إحدى وثمانين وثمانمائة، ثلث الليل الأخير وكأني داخل للمسجد وبيدي تأليف الشيخ الفقيه المعتقد الصالح أبي عبد الله محمد الرصاع المسمى «بتذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين ﷺ» أريد قراءته عند التوايت وأنا بالقرب من باب الهواء أحد أبواب البيوت أريد الدخول إلى البيت فإذا برجل جذبني من خلفي وقال لي: أين تريد؟ قلت له: أريد أقرأ هذا الكتاب فقال لي: اقرأه اقرأه والنبي ﷺ جالس هناك وأشار إليه فالتفت فإذا النبي ﷺ

---

(١) هو محمد بن قاسم الأنصاري أبو عبد الله الرصاع، قاضي الجماعة بتونس ولد بتلمسان وتوفي بتونس سنة ٨٩٤ هـ.

جالس في صدر المجنبة الشرقية حيث يقرأ الترغيب والترهيب والصحابة رضي الله عنهم محدقون به ﷺ وعليه ثياب بيض وعلى رأسه عمامة مرتدياً حرام طرفه على رأسه وطرفه الآخر على كتفه الأيمن فأتيت وأنا خجل فأشار لي بيده المباركة أن أجلس بين يديه فلما جلست قال ﷺ: «هٰهنا إن شاء الله المنزل» فنظرت إبهام رجله اليمنى ظاهرة فطأطأت عليها وقبلتها وتقهقرت فلما جلست قال لي رسول الله ﷺ: أقرأ. قلت: يا رسول الله ما أقرأ؟ قال لي: اقرأ القرآن. قلت: ما أقرأ من القرآن، قال لي: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧٢ - ٧٣].

فقرأتها وسكت فقال لي: اقرأ فقلت: ما اقرأ؟ قال: اقرأ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

فقرأتها وسكت فقال لي: اقرأ فقلت وما أقرأ؟ قال: اقرأ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤].

فقرأتها وسكت فقلت له ﷺ: يارسول الله، ما معنى هذه الآيات؟.

قال: أما الآيتان الأوليان فمعناهما ظاهر، وأما الثالثة فمعناها نصروا الله سبحانه. فقلت له: يا رسول الله كيف تكون نصرتهم لله؟.

قال: نصرتهم لدينه والذب عن شريعته قولاً وفعلاً ولساناً وحساماً وهذا من نصر دين الله، وأشار بيده المباركة إلى الكتاب المذكور، وهو في يدي، فلما سمعت ذلك سكت فقال لي: اقرأ فشرعت في طالعة الكتاب فأشار لي رجل من الحاضرين أن أستقبل القبلة فتأدبت مع رسول الله ﷺ لئلا أعطيته جنبي فانحرفت قليلاً قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠] ثم قرأت في طالعة الكتاب.

فقلت: يقول العبد الفقير إلى ربه، المعترف بتقصيره وذنبه، الخائف المشفق من مولاه وعتبه، محمد بن قاسم الرصاع، ولم أذكر نسبة فقال لي رسول الله ﷺ، وأين النسبة؟ فقلت: يا رسول الله ليست مكتوبة هنا. قال: لا بد من ذكرها وكتبها.

وقرأت بين يديه ﷺ طالعة الكتاب وخطبته فلما انتهيت إلى قول المؤلف وسميته بتذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين قرأت الدعاء الذي بعده يعني الصلاة عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ﷺ أشار إليَّ الرجل المذكور ـ يعني الذي أمره باستقبال القبلة ـ بيده أن أسكت فسكت فقام النبي ﷺ.

فلما قام النبي ﷺ سألت رجلاً من الجلاس عن الذي يشير بيده فقال هو الزبير بن العوام

وقال لي: هل تعرف الرجل الذي ردك عن دخول البيت؟ قلت: لا. قال لي: ذلك الشيخ أبو محمد المرجاني.

وانتبهت وأنا أبكي وأشعلت القنديل في الحين والوقت، ونظرت نسبة المؤلف هل هي مكتوبة فلم أجدها مكتوبة وبالله ما عرفت قبل ذلك هل هي مكتوبة أبداً وألحقتها بعد ذلك في الكتاب.

ورؤية رسول الله ﷺ على صفته المعلومة حق وكلامه صدق وقد قال: «من رآني. فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بصورتي»[1] انتهت الرؤيا المباركة. وها أنا أشرع في نقل بعض فوائد الإمام عبد الله الرصاع بالاختصار والاقتصار فأقول: قال رضي الله عنه في مقدمة كتابه المذكور قبل شروعه في شرح الأسماء النبوية:

فوائد: الأولى: سر تعداد أسمائه ﷺ تعظيم منزلته وبيان قدره عند ربه، لأن العرب إذا عظمت أمراً في نفوسها أكثرت من أسمائه ولا أعظم عند الله تعالى من حبيبه المصطفى المجتبى ﷺ فحلاه سبحانه بصفات الكمال تعظيماً له في النفوس، وتنبيهاً للخلائق على مكانته عند الملك القدوس، فصارت تلك الأوصاف لكثرة إطلاقها على نبينا محمد ﷺ أسماءَه وألقاباً، وادخر المولى جل جلاله لتاليها وحافظها في الجنة عرباً وأتراباً.

فادخر أيها المحب عند الله سبحانه محبته ومنع نظرك ذاكراً أسماء وصفاته وتأدب عند ذكر أسماء حبيب الله بما أدب الله تعالى به العباد، وكن مستغرق القلب سابحاً في بحار ما دل عليه كل اسم من كمال فضله عند ربه، فليس لكرمه عند الله نفاذ؛ وصل كل اسم بالصلاة عليه سائلاً من الله الشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة تنل شفاعته يوم المعاد،

الفائدة الثانية: ينبغي لذاكر أسمائه ﷺ أن يكون على أكمل حال ونظام، لأن الرحمة نازلة عند ذكره ﷺ فإن الصالحين إذا ذكرت أسماؤهم نزلت الرحمة على الذاكرين ورفع ذكرهم في رياض الجنة مع المحبين وسيدنا ومولانا محمد ﷺ هو رأس الصالحين وتاج العارفين، فلا تغفل عن الدعاء. إذا ذكرت اسمه وصل عليه ﷺ فإنها ساعة إجابة، لا سيما إن كان من ذاكره وقار وسكينة وخضوع إلى الله تعالى وإنابة.

وتذكر قول أبي سليمان الداراني: إذا كانت لك حاجة فابدأ فيها بالصلاة على النبي ﷺ، ثم ادع بما شئت، ثم ختم الصلاة عليه ﷺ، فإن لله سبحانه وتعالى بكرمه يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤: ١٥٥١).

قال الرصاع وقد وقفت عليه حديثاً كذلك. ثم قال: ونزه أيها المحب أسماءه ﷺ أن تحل في الأمكنة الخبيثة وإن ترد على القلوب القاسية الذميمة فإن من أسمائه ﷺ الطيب والظاهر تنبيهاً للغافلين وتذكيراً للعالمين أن يجلوه ويذكروه بمكان طاهر ولسان صادق وقلب تقي حاضر.

وبالجملة فعلى قدر المحبة فيه ﷺ يكون تبجيله وتوقيره والخضوع له عند ذكره كما لو كان حياً وهو بين يديه حياء وهيبة وإجلالاً بقدره وعالماً أن حرمته بعد مماته كحرمته في مدة حياته وربما بلغت المحبة من المحب له ﷺ إلى أن صار ينزه ذكره على لسانه تنزيهاً للاسم الشريف عن حلوله فيه وتعظيماً له أن يكون هذا المحل من مكانه وربما بلغ هذا المحب فيه ﷺ غاية التعظيم والإجلال ورسخت هيبته في القلب فنشأ عنها للمحب أحوال. كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أشد أصحاب رسول الله ﷺ تعظيماً له قال بعضهم: إني حضرت عنده سنة فما سمعته يقول قال رسول الله ﷺ ورعاً منه وحياءً وهيبةً لقدر النبي ﷺ إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ فعلاه الكرب حتى رأيت العرق ينحدر من جبهته فيا أخي أين إيماننا من إيمان هؤلاء السادة العظام؟ وأين محبتنا من محبة هؤلاء الأحبة الكرام؟

الفائدة الثالثة: من علامة محبته ﷺ وتعظيمه المبادرة عند سماع ذكر أسمه ورؤيته بتكريمه وتقبيل المكتوب الذي اشتمل على اسمه. وتوقيره كما يوقر محل حلوله ورسمه. يحكى أن رجلاً من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام كان مسرفاً على نفسه ولم يعمل خيراً قط. مشهوراً بينهم بالمخالفات فرؤي في المنام بعد موته على أحسن الحالات. فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: لأني فتحت ذات يوم التوراة فوجدت فيها صفة حبيب الله محمد بن عبد الله ﷺ فقبلت اسمه ووضعته على رأسي فعاملني المولى بفضله وغفر لي ورحمني إكراماً لنبيه محمد ﷺ.

الفائدة الرابعة: إذا وجدت اسمه ﷺ منبوذاً في الطرقات فبادر إلى نقله وتعظيمه وإجلاله فإن شرف الاسم على قدر شرف المسمى. ولا أشرف ممن أعلى الله ذكره على جميع خلقه وأسمى، وإن نال ذلك المكتوب بشيء مما يكره من الأقذار عليك غسله وتطهيره وتطييبه. قال وكثيراً ما يقع في هذه الأزمان، من تمكن المحبة في قلوب الإخوان، بحيث إذا رآه ﷺ في منامهم بمكان، طهروا ذلك المكان. وحسنوا حاله بأتم إحسان، وحملوا المؤمنين على تعظيمه في جميع الأزمان، وهذا يدل على حسن الاعتقاد، وكمال المحبة وصدق الوداد.

الفائدة الخامسة: من كمال محبته وبره وتعظيمه ومحبة أسمائه ﷺ التسمية بما يجوز لنا

أن نتسمى به منها وتوقير من سمي بها والحذر من ذكر الاسم وخطاب من تسمى به بقبيح الكلام، وتعظيماً لصاحبه عليه أفضل الصلاة والسلام، وربما كان بعض المحبين إذا سمع نداء من تسمى باسم الحبيب ﷺ، لأنه بذكر اسمه اشتاق قلبه إليه، فتعينت صلاته عليه.

الفائدة السادسة: كثيراً ما يصدر على ألسنة المؤمنين الصلاة على سيدنا المرسلين ﷺ إذا سمعوا قارئاً يقول قال محمد بن المنكدر أو قال محمد بن الحسن فيقول السامع عند ذلك ﷺ وذلك يدل على كمال المحبة.

وقد قال ﷺ «المرء مع من أحب»، وذكر القشيري رحمه الله في كتابه قال يحكى عن بعضهم أنه قال رأيت النبي ﷺ في المنام وحوله جماعة من الفقراء فيما بينهم كذلك إذ نزل من السماء ملكان بيد أحدهما طست وبيد الآخر إبريق فوضعا الطست بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يده الكريمة ثم أمرهما حتى غسلا أيديهما ثم وضعا الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر، لا تصب عليه فإنه ليس منهم فقلت يا رسول الله قد روي عنك أنك قلت المرء مع من أحب قال ﷺ: قد صدق الراوي قلت: فأنا أحبك وأحب هؤلاء فقال: صب على يديه فإنه منهم، ولنشرع بالأسماء الشريفة:

فمن أسمائه ﷺ

وقد وردت به الآيات القرآنية. والأحاديث النبوية: وأجمعت عليه الأمة المحمدية، أما القرآن فقد قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩] وقال عز من قائل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:٢] وقال سبحانه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] وقال جل جلاله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤] فهذه الآيات كلها من رب العزة قد صرحت بهذا الاسم الشريف، ودلت على العناية الربانية به من الرب اللطيف، وأما الأحاديث النبوية فكثيرة لا تحصى.

وفي حديث البخاري ومسلم وغيرهما قال رسول الله ﷺ: **«لي خمسة أسماء وأنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وأنا العاقب»**[1].

وقد روي عنه ﷺ أنه قال: **«لي عشرة أسماء»** فذكر الخمسة ثم قال: **«أنا رسول الرحمة**

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١٠٠٤).

ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفّي وأنا قُثم». وروي أيضاً في بعض الأحاديث: «لي في القرآن سبعة أسماء» فذكر «محمد أو أحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله»[(١)].

وأعلم أن هذه الأحاديث لا تعارض فيها أما أن نقول أن العدد لا مفهوم له، أو نقول إنه ﷺ حيث قال: «لي خمسة أسماء» لم تكن له في ذلك الزمان إلا تلك الخمسة الأسماء ثم بعد ذلك أعلمه الله سبحانه بأن له أسماء غيرها وأظهر له ثانياً ما لم يظهره أولاً من الأسماء. وقيل معنى قوله ﷺ: «لي خمسة أسماء» أنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة.

وأما إجماع الأمة المحمدية فقد أجمعت الخلائق أن هذا الاسم لا يتسم به أحد غير نبينا ﷺ لا من العرب ولا من غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده ﷺ وقبل ميلاده أن نبياً اسمه محمد سيظهر فسمى قوم قليلون من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم، هو وقد منع الله أن يسمى به قبل ذلك أهل أرضه وسمواته. والله أعلم حيث يجعل رسالاته، ومن تسمى بذلك من العرب معدودون إما سبعة أو ما يقاربها وهذا من حكمة الله تعالى وكمال رحمته في كونه حمى الخلائق أن يتسموا بهذا الاسم قبل وجود نبينا محمد ﷺ حتى لا يدخل على ضعيف القلب شك ولا يمازج أحداً فيه ريب.

ومن كرم الله تعالى أن من تسمى بذلك طمعاً في النبوة لم يدع نبوة ولم تدع له ولم يتشكك في ذلك أحد منهم حتى تحققت الرسالة والنبوة لمن خصه المولى جل جلاله بكمال الاصطفاء وظهر للعالمين فيه مصداق قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤].

ولفظ محمد مأخوذ من حمد بمعنى أنه جعله محموداً بكل لسان، مذكورا في كل أوان، حمده الأولون والآخرون، وأثنت عليه الملائكة المقربون، فهو ﷺ أجل من حَمِد، وأفضل من حُمِد، وهو أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين فحقيق أن سماه ربه محمداً صلى الله عليه صلاة دائمة وسلم عليه سلاماً مؤبداً. ثم قال بعد أن ذكر فوائد تتعلق بهذا الاسم الشريف تقدم نقلها عن غيره.

فصل: قال بعض العارفين ممن لاحت له في قلبه أنوار المحبين، محبة رسول الله ﷺ واجبة على الخلائق أجمعين، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ومائلة لمن رحمها وأشفق عليها، وقد أحسن ﷺ إلى العالم بأسره علويه وسفليه أرسله الله رحمة للعالمين، وبشيراً ونذيراً للخلائق أجمعين.

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١). وصاحب مناهل الصفا (٣٦).

ومن أحب شيئاً أحب ذكر أسمائه ومشاهدته، وكتب عنده شمائله وصفته، ونقش في قلبه نعته وصورته، فلما أن أكمل مولانا جل جلاله خلقه وخلقه ورفعه على حضرة قدسه، واصطفاه على الأخيار من ملائكته وجنه وأنسه، وأسكن محبته في قلوب المخلوقات، ورحم به الأرضين والسمٰوات، نطق بحسن الثناء عليه المتحرك والساكن والحيوان العلوي والسفلي والجماد.

وخلق الله صورة الإنسان الذي كرمه وفضله على سائر العباد، على صورة اسمه محمد ﷺ يعني بالخط القديم الكوفي، فالميم من اسمه الإنسان والحاء جناحاها والميم الثانية بطنه والدال رجلاه. ففيه إشارة إلى أن الخلائق المكرمين، كرمهم مولاهم بأن خلقهم على صورة اسم الصادق الأمين، ليشاهدوا اسم شرف وجودهم وشمس سعودهم في كل وقت وحين، ولتكون هذه الصورة البشرية في صعود الرفعة وغاية الاحترام، والصون عن جميع المذام، فمن استحضر ذلك من أهل المحبة حرم على صورة الإنسان تسخيره وتحقيره.

وأوجب عنده تعظيمه وتوقيره، كيف لا؟ وهو يشاهد صورة اسم حبيبه في شكله، وصفة من وجدت الكائنات من أجله، بل ومن أزال الله اسم حبيب الله أن يراقبها وأن يمنع نفسه من المخالفات، فيقدرها قدرها، وأن يحافظ على نقش هذه الصورة في قلبه أن تزول، ويطلب من مولانا ثبات قلبه على دينه ويسأله القبول، فإن القلب إذا نسخت منه الصورة المحمدية. وذهبت منه البركة النبوية، انتسخت الصورة الظاهرة من الإنسان، وذهب عنه من مولاه الأمان، ودخل في دائرة الخزي والامتهان. ولذا جاء أن صورة الكافر في جهنم على أقبح شكل ومنظر فلا يمتهن ويخزي حتى تمسخ صورته الظاهرة كما مسخت صورة قلبه الباطنة.

ثم قال: يروى أن أمه آمنة لما وضعته ﷺ قال: «رأيت سحابة عظيمة وسمعت صوتاً يقول حين رفعوه عني أعطوا محمداً أخلاق الأنبياء وأجمعوها له فخذوا له من آدم عليه السلام خلقه ومن شيث علمه ومن إبراهيم خلته ومن إسماعيل كلامه ومن داود صوته، ومن أيوب صبره ومن عيسى زهده ومن نوح شكره ومن موسى قوته ومن يوسف حسنه وخذوا من جميع أنبياء الله ورسله الكرام صفاتهم الكريمة وأخلاقهم العظيمة فقد جمع الله فيه صفات الكاملين وإن تفرقت في أصفيائه ورسله وأنبيائه».

ثم ذكر بعض فوائد تتعلق بالاسم الشريف محمد. وقال بعدها ذكر الشيخ العالم العلم الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله قال: حدثني جماعة من أهل قرية العباد مدفن ولي الله أبي مدين شعيب نفع الله به وفيهم أناس من طلبة العلم أنهم وجدوا بالموضع المذكور في سنة سبع وثمانمائة بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالأبيض ومن جملة الخطوط مكتوب

بالعربي من جهة لفظ الله ومن الجهة الأخرى مكتوب أعز الله محمداً أو أحمد قالوا بخط بين لا يشكك فيه عالم.

قال الشيخ المذكور: وحدثني أيضاً هؤلاء القوم أنهم وجدوا بالموضع المذكور في تلك السنة أو غيرها ورقة من أوراق شجرة حب الملوكِ وقد قرب أوان اصفرارها وعليها مكتوب اسم محمد، يقرأ كما يقرأ في الكاغد[1].

قال الشيخ المذكور رحمه الله: وحدثني بعض الجماعة عن بعض العمال بثغور تلمسان أنه أتى بسمكة مكتوب على أحد جانبيها بخط أبيض لا إله إلا الله وفي الجنب الآخر محمد رسول الله، فبادر إليها العامل وأكلها في الحين وابتلعها تبركاً بالأسماء الكرام فرفع أمره إلى السلطان فعزله لعدم مطالعته بهذا الخبر وكتب فيه رسماً وكان السلطان إذ ذاك من أهل العلم.

قال الشيخ رحمه الله تعالى ثم اجتمعت بالعامل المذكور واستعظمت هذا الخبر وسألته عنه فقال السمكة حق وهي رزق وعلى جنبها مكتوب الله وعلى الآخر مكتوب محمد ﷺ وذكر آيات أخرى من هذا القبيل تقدم نقلها على الشفا وغيره.

ثم قال: إنه ﷺ سمي محمداً لحمد مولاه وله ثناؤه عليه فكن أيها المحب من أكثر الحامدين له، فاحمد ذاته الكريمة واذكر بدائع حسنها وجمالها ومتع فكرك من تناسب شكلها وأعضائها فإن من رآه ﷺ بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه، أحسن الناس عنقاً إذا أفتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام فليكثر المحب من ذكره وامتداحه وليحسن الثناء بما اشتهر من صفاته والأحاديث في ذلك كثيرة قطيعه وإنه ﷺ أكمل الناس صورة في قده ولونه وطوله وعينيه وصورة وجهه ونضارته وحركته ومشيته وأسنانه وتبسمه، وإنما ما من شكل منه إلا وقد خلقه الله تعالى على أكمل ما يكون وأتمه وكان ذلك رحمة بعباد الله تعالى في كونهم لا يشاهدون منه ما يكرهون بل يزيدهم فيه حباً ولولا أن مولانا جل جلاله ألقى عليه مع كمال جماله البهاء لما استطاع أحد من الخلائق أن ينظر إليه إلا انخطف بصره من نوره وحسنه.

وقد تواتر أن جمال الكريم يوسف نبي الله هو بعض من جمال حبيب الله. ومع ذلك اندهشت لرؤيته النسوة حتى قطعن أيديهن بالسكاكين ونبينا ومولانا محمد ﷺ على قوة جماله وحسنه رحم الله أمته بأن ألقى عليه البهاء فثبتت عقولها. وتذكر رحمك الله أخلاقه الكريمة التي كملها له ربه نسقاً، فكان ﷺ أكمل العالمين خلقاً وخلقاً.

---

(١) الكاغد: القرطاس، وهو لفظ فارسي معرّب.

وتذكر وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه، وفصاحة لسانه واعتدال حركته وحسن شمائله، وشرف نسبه وكرم بلده وحلمه واحتماله، وعفوه مع قدرته وصبره على ما يكره، وجوده، وكرمه وسخاءه وحياءه وشجاعته وسماحته ونجدته وفضيلته وصفاء مودته وبذل نصيحته، وحسن عشرته وآدابه وشفقته ورأفته بجميع الخلائق، وحرصه على إيمانهم ووفاءه وحسن عهده وصلة رحمه وتواضعه على قدر رفعته وعلو منصبه وعدله في سيرته وأمانته وعفته وصدق لهجته ووقاره وصحبته وتأدبه ومروءته، وحسن هديه وزهده في الدنيا وخوفه من ربه وطاعته له وشدة عبادته وعلمه بربه وشكره وإنابته إلى ربه وحسن قيامه بحقه، وجميل رجائه وصدق يقينه وتزكله على ربه ومحبته فيه وشدة أيمانه بغيبه وكثرة صلاته وصيامه وشكره وإعطاءه من مال ربه فما من محاسن الأخلاق صفة إلا وقد حازها وما من درجة من درجات اليقين إلا كان أساسها.

ثم قالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه. فجمعت ومنعت في التعبير عن أخلاق نبينا وحبيبنا ﷺ هذه السيدة الطاهرة أم المؤمنين. لأن القرآن كلام الله جعل الله فيه للخلائق المنافع الدينية والأخروية وجعله نوراً يستضيء به العالم ويهتدي به الجاهل فهو بركة شاملة ورحمة عامة وشفاء لما في الصدور. ونجاة من عذاب القبور وهول يوم النشور. ولم يزل فارقاً بين الحق والباطل، دامغاً للغبي الجاهل، واعظاً ناطقاً، ولساناً صادقاً، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وبشيراً ونذيراً، ومذكراً تذكيراً، إلى غير ذلك من صفاته الكريمة فأخبرت عائشة رضي الله عنها أنه خلق نبينا ﷺ.

أيها المحب لا تنال ودّ الصالحين ومدح الأولياء العارفين ومحبة المولى ونداء جبريل بمحبتك في السماء ولا يوضع لك في الأرض القبول ألا باتباعك لهذا النبي الرسول وكثرة الصلاة عليه ومدحه وذكر اسمه يورث لك الكتب في ديوان المحبين، ويظهر لك أسراراً وخرق عوائد من رب العالمين، يحكى عن الشيخ ولي الله الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن فاتح نفع الله به من سكان تونس وكان ممن فتح عليه بكثرة الذكر والصلاة على نبي الله وحبيبه فكان قد انحرقت له العادات فلا يريد أن يرفع شيئاً من الأحجار والجمادات إلا وجد فيه مكتوباً اسم سيد الأرض والسمٰوات فيجد الأحجار والحيطان مرقومة باسم من ملأ قلبه بحبه ومرسومة بذكر من اطمأن بذكره، يروى أن العبد إذا تخلق بأخلاق المصطفى ﷺ في أقواله وأفعاله على قدر جهده وطاقته جاءته الفتوحات الربانية قال ﷺ «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[1].

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٤٥٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦٣). وصاحب المناهل (٣٦).

فهذه الوراثة إنما تنال من الله تعالى بالأعمال واتباع المصطفى ﷺ في الأقوال والأفعال وذلك موقوف على محبته واتباع سنته ﷺ. ثم ذكر من فضائل اسم ما تقدم، نقل المهم منه عن غيره، ثم قال: رأيت منقولاً بخط الثقات عن خط الشيخ الصالح الولي العام العامل أبي الحسن محمد الأنصاري البطرني قدس الله روحه تخميساً للقصيدة الوحيدة في مدحه ﷺ المنسوبة إلى الشيخ الصالح ولي الله تعالى أبي محمد عبد الله اليشكري رحمه الله التي يقول في آخرها:

الحمد لله الكريم وهذه نجزت وظني أنه يرضاها

فسمع قائلاً في قبر المصطفى ﷺ يقول: «رضيناها رضيناها». ويروى أنه لما أراد السفر من المدينة المشرفة رأى النبي ﷺ في منامه فقال له: توحشنا يا أبا عبد الله. فكانت هذه الرؤيا سبباً لإقامته ودفنه قريباً من تربته الشريفة ﷺ. ثم قال: واتفقت العلماء على أنه لا يتقرب إلى الله سبحانه بالثناء على أحد من المخلوقات بأفضل من الثناء عليه ﷺ.

ومن أسمائه ﷺ أحمد

وقد وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإجماع الأمة المحمدية، أما الآيات فقد قال الله تعالى: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [:] وأجمعت الأمة المحمدية على أن المراد بهذا المبشر به هو سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ.

وأما الأحاديث فقد قدمنا قبل في اسم محمد قوله ﷺ: «لي خمسة أسماء» فذكر منها أحمد وقد ورد أن اسمه في السماء أحمد، وفي الأرض محمد، وفي البحار الماحي، وفي القيامة الحاشر، وفي الجنة القاسم، وفي النار العاقب ﷺ.

وأحمد مشتق من الحمد، أفعل تفضيل للمبالغة، فهو ﷺ أجل من حُمد وأعظم من حَمد فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ولذا أعطاه ربه لواء الحمد يوم القيامة حتى يتم له كمال الحمد ويشتهر في عرصات القيامة بصفة الحمد، ولذا يبعثه الله يوم القيامة مقاماً محموداً يحمده فيه الأولون والآخرون كما وعده سبحانه بقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ﷺ ثم ذكر فوائد شتى تتعلق بالاسم الكريم أحمد لم أر ضرورة لنقلها.

ومن أسمائه ﷺ الماحي

وهو من أسمائه ﷺ التي وردت بها الأحاديث كما تقدم، وقد فسر النبي ﷺ اسمه الماحي بأنه الذي يمحو الله به الكفر أي من مكة وبلاد العرب.

وما روي ﷺ من الأرض ووعد انه يبلغه ملك أمته ويحتمل أن يكون المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة بمعنى أن الله تعالى يظهر دينه ﷺ على الدين كله كما ذكر في كتابه وقد أظهره ونصره وأتم نعمته عليه صراطاً مستقيماً وصيره بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ﷺ.

ومن أسمائه ﷺ الحاشر

وقد ورد في الآثار صحيح الأخبار كما تقدم وفسره ﷺ بقوله: «**أنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي**»[1].

قال القاضي عياض معنى على قدمي أي على زماني وعهدي وليس بعدي نبي كما قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن أسمائه ﷺ العاقب

وقد ورد في صحيح الأخبار قال القاضي عياض معنى العاقب هو الذي بعثه الله عقب أنبيائه الكرام فأتى بعدهم وعقبهم وجعله الله تعالى أفضلهم وأكملهم وأعزهم وأرفعهم وأوجههم وأحسنهم مع تمام كمالهم وعصمتهم وعلو قدرهم وشرفهم، فإن الله عز وجل اختار من خلقه الأنبياء عليهم السلام وأكمل خلقهم وخلقهم وطهرهم من جميع النقائص في خلقهم وأخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم وطهر قلوبهم وجعنها على كمال الإيمان به والمعرفة والمحبة له وصيرها محلاً لإظهار أنوار معارفه وصفاها من شوائب الأغيار، وملأها ببدائع الأنوار، وخصها بمعادن الأسرار، وجعلهم وسائط بينه وبين عباده ليطهروهم من خبائث هذه الدار، ويأمروهم أن يتخلقوا بالأخلاق التي توصلهم إلى كرامة الله وجنته دار القرار. وجعلهم مبشرين لأممهم آخذين عليهم الميثاق بتصديقهم ببعثة نبي الله وحبيبه ورسوله المختار، ﷺ وعلى آله الأبرار، فما زال كل رسول من رسل الله ﷺ أجمعين معظماً قدر نبينا ﷺ معلماً بأنه قطب هذا العالم وواسطته وعليه يدور مبدؤه ومنتهاه ولذا رفع الفاتح الخاتم حين أبرز فيه سبحانه سره والمكنون لأنه الذي خلق لأجله الوجوه، وزين به العالم فكان حبيباً للملك المعبود.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٢٥). ومسلم في الصحيح (الفضائل: ١٢٤). وأحمد في المسند (٤: ٨٠). وحميدي في المسند (٥٥٥). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٢). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٣٩). وابن كثير في التفسير (٤: ٤٢٥). والقرطبي في التفسير (٨: ٣٠٧). والبيهقي في دلائل النبوة (١: ١٢٢). وابن عبد البر في التمهيد (٩: ١٥١).

ومن أسمائه ﷺ طـه

فقد ورد في القرآن. قال الواسطي أراد الله تعالى يا طاهر يا هادي، وقيل غير ذلك.

ومن أسمائه ﷺ يس

وقد ورد أيضاً في القرآن والحديث حكي عن جعفر الصادق أنه سبحانه أراد يا سيد بقوله يس، وقيل هو قسم أقسم الله على رسالة محمد ﷺ وقيل: غير ذلك.

ومن أسمائه ﷺ المزمل والمدثر

فهما اسمان واردان في القرآن والحديث ومعنى المزمل الملتف بثيابه والمدثر من الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار، روى جابر عن رسول الله ﷺ قال: **«كنت على جبل حراء فنوديت: يا محمد إنك رسول الله، فنظرت فوقي فإذا بالملك قاعد على العرش بين السماء والأرض ففزعت ورجعت إلى خديجة وقلت وثروني فأنزل الله سبحانه جبريل عليه السلام فقال يا أيها المدثر»**.

ومن أسمائه ﷺ الطاهر

فقد وردت به الآثار أيضاً وهو اسم فاعل مشتق من الطهارة وهي النزاهة ومعناه أن جميع ما خلق الله فيه جسماً وروحاً وسراً وصورةً ونشأةً وهيئة ونفساً كل ذلك قد نزهه الله سبحانه بأن خلقه ﷺ على أكمل ما نشأ عليه مما تميل إليه النفوس الزكية والطباع السليمة من النزاهة الحسية والمعنوية وهذا الاسم الكريم يرجع إلى تنزيهه ﷺ حساً ومعنى عن جميع ما يشين ويمنع من مقام النبوة وَالرسالة ويستحيل في حق الأنبياء الثابتة لهم العصمة من المخالفات ومن الوقوع في الشهوات. يستحيل عليهم ذلك في جميع الحالات ويجب لهم الاتصاف بكل ما يحسن أن يتصف به البشر من الوقوف عند المأمورات واجتناب المنهيات ويجوز فعله من جميع المندوبات. وهذه الطهارة قام عليها الدليل الشرعي وإن ذلك حكم كل رسول ونبي من لدن آدم عليه السلام إلى أن يبعث الله نبينا ﷺ كلهم على الدين القويم، والصراط المستقيم، والمراقبة للخير العميم، في جميع الأقوال والحركات والسكون والأعمال وكذلك كمال الطهارة الحسية في جنابه الكريم ﷺ وكذا جميع أنبياء الله الكرام من نظافة جسمه وطيب رائحته وحسن عرقه وكذا نزاهته عن جميع الأقذار وعن عورات الجسد بل كانت يده الكريمة

كأنما أخرجها من جونة عطار. قال أنس بن مالك رضي الله عنه ما شممت عنبراً تطولاً مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريحه ﷺ.

ومن أسمائه ﷺ اسمه الهادي إلى صراط الله

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] معناه وإنك لتدعو الخلائق إلى الدين القويم ﷺ.

ومن أسمائه ﷺ اسمه سيد ولد آدم

وقد صح في الحديث «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[1]، وإنما خصه ﷺ بيوم القيامة، وهو سيدهم في الدنيا والآخرة لأنه تظهر فيه حقيقة سيادته ﷺ على الخلائق ظهوراً يشهده الجميع ويشفع الشفاعة العظمى. انتهى أردت نقله من شرح الإمام الرصاع على أسمائه ﷺ لحصول بركته وقد أكثر من الفوائد الدينية المتعلقة بالعبادات والتخلق بمعاني الأسماء والصفات.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ٣). والترمذي في السنن (٣١٤٨). وأحمد في المسند (١: ٢٨١). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٣٣٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٤١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٠٤). والقرطبي في التفسير (٣: ٢٦٢). ابن كثير في البداية والنهاية (١: ١٧١).

ومنهم الإمام العلامة أبو المعالي كمال الدين محمد ابن علي بن عبد الواحد المعروف بابن الزملكاني (١) الشافعي قاضي حلب المتوفى سنة ٧٢٧ هـ

من جواهره رضي الله عنه

[كتابه عجالة الراكب]

كتابه عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب الذي فرغ من تأليفه في الروضة الشريفة النبوية في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عند زيارته النبي ﷺ وهو هذا بحروفه قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً ﷺ رحمة للعالمين. وخصه بعموم البعثة إلى الخلائق أجمعين. وجعله خاتماً للنبيين، وإماماً للمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، فآدم ومن دونه تحت لوائه القيامة، والأولون والآخرون يغبطون مقامه المحمود في دار المقامة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته ما سجعت حمامة، وهطلت بصيب القطر غمامة، صلاة تبلغ رضاه، وتبلغ قائلها ثواباً لا ينقطع أمده ولا ينتهي مداه، وسلم تسليماً كثيراً، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا شفيع المذنبين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين. صلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وصلى الله عليك كلما غفل عن ذكرك

---

(١) هو محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين المعروف بابن الوملكاني، فقيه انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره ولد سنة ٦٦٧ هـ وتعلم بدمشق ولي القضاء في حلب ثم طلب لقضاء مصر وبها توفي سنة ٧٢٧ هـ.

الغافلون، وصلى الله عليك في الأولين والآخرين، أفضل وأطيب وأكمل ما صلي على أحد من الخلق أجمعين، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، وأمينه وخيرته، وأشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وخصه بالمقام المحمود وأعطه نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون وفوق ما يأمله الآملون.

وأما بعد، فقد استحسن الوافد إلى هذا الباب الشريف، والنازل بفناء هذا الحرم المنيف، أن يهدي ما يقدر عليه من المدح والثناء، ليكون وسيلة إلى قبول ما يرفعه إلى الله تعالى من السؤال والدعاء، وقد كتبت في سفري هذا ضراعة[1] هي عجالة ركب، أودعتها لطائف من أشرف المناقب، استخرجت بعضها من كلام العلماء، وأدَّت إلى بعضها قريحتي مع الاعتراف بالعجز عن بلوغ الاستقصاء، ولولا أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم»[2] لوجد فيما نثني به عليه ﷺ ما تكل الألسن عن بلوغ مداه، ولكن الأولى التأديب به والاقتداء بهداه، مع أن هذا النهي منه ﷺ إنما يتناول ما كان من المدح والثناء باطلاً، لأن الإطراء في المدح أن يحلي المادح بعقود الثناء جيداً عاطلاً، فأما ذكر ما اتصف به الممدوح من جميل الخلال، أو ارتدى به من ملابس الجلال، فليس من الإطراء المنهي عنه في هذا الخبر.

وقد علم أن النصارى غالوا في عيسى عليه السلام حتى رفعوه عن رتبة البشر وها أنا أذكر نوعاً من وصفه ﷺ غني إجماله عن تفصيل طويل، وأنبه على كثير من فضله بهذا القول القليل.

فأقول إن الله سبحانه فضل بعض الأنبياء على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: يا خير البرية. فقال: «ذاك إبراهيم» وقد اصطفى الله نبينا على الأنبياء فجعله لهم ختاماً.

ومقدماً وإماماً، وأولاً وسابقاً، ومتبوعاً وإن كان في الزمن لاحقاً، جمع الله فيه ما تفرق من الفضائل، على الوجه الأتم الأكمل، ولا درجة أعظم من درجة الأنبياء فإنهم أفضل

---

(١) الضراعة: هي شدّة الفقر والحاجة إلى الله.

(٢) رواه أحمد في المسند (١: ٢٣). وابن عبد البر في تجريد التمهيد (٨٥٦). والبيهقي في دلائل النبوة (١: ٢٩٧). وابن حجر في فتح الباري (١٠: ٤٧٨). وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٢٤). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٩٨).

العالمين على الإطلاق ونبينا ﷺ أفضل هذا الأفضل، فهو أفضل مخلوق وأكمله فلا فضل إلا وقد جمعه، ولا وصف خير إلا وقد اتصف به، فلهذا أفاضل الخلائق مجتمعين ومتفرقين، واستحق السيادة عليهم أجمعين، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه السيادة في ما رواه الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»**. قال الترمذي هذا حديث حسن.

وروي أيضاً بإسناده عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا كمثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض فقال النبي ﷺ: **«إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»**[١].

قال الترمذي هذا حديث حسن وروي أيضاً بإسناده عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»**[٢]. قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وروى الدارمي في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فإذا بعضهم يقول: إن الله اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله، وقال آخر: ماذا بأعجب من أن كلم الله موسى تكليماً.

أو قال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر، وآدم اصطفاه الله.

فخرج عليهم فسلم وقال: **«قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيه وهو كذلك، وعيسى وروحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع: وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر»**. ورواه الترمذي أيضاً من هذا الوجه.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١: ٤٦).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٣٦١٣). وابن ماجه في السنن (٤٣١٤). وأحمد في المسند (٥: ١٣٧). والحاكم في المستدرك (١: ٧١).

وروى الدارمي أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الأنبياء خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذ وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا مستسقيهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور». ورواه الترمذي أيضاً وحسنه. وروى الدارمي أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة، ولا فخر». وروي أيضاً بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء قالوا: ابن عباس فضله على أهل السماء. قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] وقال الله لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢].

وقالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: قال الله عز وجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] الآية وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] فأرسله إلى الجن والإنس.

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست، أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلك في يدي»[2] أي ألقيت.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسماً وذلك قوله ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] فأنا من أصحاب اليمين ثم

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ١١٩). ومسلم في الصحيح (المساجد: ٣). والنسائي في السنن (النحل ب ٤٦). وأحمد في المسند (٣: ٣٠٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣: ٥١). وجمع الجوامع (٤٩٢٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٥٠). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٣٢٥).

جعل القسمين ثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨ - ١٠] فأنا من السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع فيه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي ذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقول: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقول: يا موسى أنت رسول الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقول يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي

تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك واسأل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» ثم قال: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصري».

والأحاديث في ذلك كثيرة ظاهرة الدلالة على أنه ﷺ قد أعطي من الخصائص والفضائل ما فضل به جميع العالمين، وتقدم به على الأولين والآخرين، ويكفيك ما حصل له من القرب ليلة الإسراء حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وفاز من الكلام والرؤية بالمقام الأسنى.

وفي قوله ﷺ: «أنا سيد الناس» ما يشير إلى ذلك. ويبين فيه أوضح المسالك. فإن السيد من ساد غيره بجميع المناقب، وذلك مشعر بعلو المراتب.

وفي قوله ﷺ: «ما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي» إشارة إلى التبعية والسيادة، إذ لا يحمل لواء القوم إلا أميرهم وسيدهم وقائدهم على ما عرف للعرب من العادة، وقوله في الحديث الآخر: «فأنا خيرهم نفساً» صريح في التفضيل، ومثبت لهذا الحكم بأوضح دليل. وكذلك قوله: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم» والإمام أفضل من المأموم وكذلك الشافع. وهو صريح في التبعية والمتبوع أفضل من التابع.

وقوله في الحديث الآخر عند ذكر خصيصة كل شيء «لا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر» تحقيق للمعنى المتقدم من السيادة والتقدم.

وقوله بعده «وأنا أول من يحرك حلق الجنة» دليل على سبقه إلى الثواب، ومرتبته بأن أول من يفتح له الباب.

ثم إنه ﷺ أكد هذا المعنى بقوله في هذا الحديث «وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر» وهو نص في ما أوردناه، ودليل مثبت لما ادعيناه.

وفي حديث الشفاعة من بيان فضله وخصوصيته على غيره ما لا يخفى، وفيه إثبات الشفاعة العظمى وهي إحدى الشفاعات الخمس التي لنبينا ﷺ التي لم يجمعها أحد سواه.

وهي الشفاعة في الموقف لفصل القضاء، والشفاعة فيمن يدخل الجنة من أمته بغير حساب ليدخلوا معه عند دخول الفقراء، والشفاعة في قوم ليخرجوا من النار، والشفاعة في قوم ليدخلوا الجنة ممن حبستهم الأوزار، والشفاعة في قوم لرفع الدرجات. ومجموع هذه

الشفاعات، لم يثبت لغيره في وقت من الأوقات. وفي الحديث دقيقة أخرى وهي أن كل نبي إنما يدل على من بعده من المذكورين في الحديث ولا يبتدئ بالدلالة على النبي ﷺ لإظهار فضله ومرتبته على البقية فلو دل عليه آدم ابتدأ ليشفع لم يظهر إحجام غيره عن الشفاعة، بل دل على من يحجم ليحجم ذلك المدلول عليه ويدل على من يحجم بعده إلى أن ينتهي إلى النبي ﷺ فيقوم بها ويقول: «أنا لها»، وفيه مما يحقق ذلك أن كل نبي يذكر له مانعاً إلا عيسى فإنه يمتنع ولم يذكر ذنباً وذلك دليل على أن امتناعه لكونها لغيره.

وفي الحديث دقيقة أخرى يفهم من ذكر كل نبي لما يمنعه من الشفاعة أن الله سبحانه وتعالى لم يعلمهم ما علم به نبيه محمداً ﷺ من غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر إذ لو أعلمهم لم يخشوا في ذلك المقام ولم يجعل كل منهم ما ذكره سبباً للإحجام. فإن قيل فكيف بسطت القول في هذا التفضيل المذكور؟.

وقد نهى النبي ﷺ عن تفضيله والحديث فيه مشهور قلنا: قد ذكر العلماء عن ذلك خمسة أجوبة:

أحدها: أنه قال ذلك قبل أن يعلمه بأفضليته. **الثاني**: أنه نهى عن التفضيل على الوجه الذي كان سبب النهي وهو ما يفضي إلى فتنة وخصومة. **والثالث**: أنه نهى عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص غيره. **والرابع**: أنه ذلك محمول على التفضيل في أصل النبوة. **والخامس**: أنه قال ذلك أدباً وتواضعاً. قلت ويؤيده ما جاء في بعض ألفاظ الحديث: «**لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن أمتى**» فإنه إنما خصصه بالذكر للعلم بأنه أفضل منه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم:٤٨] فلم يكن كصاحب الحوت للقطع بعصمة النبي ﷺ عن مخالفة النهي ولهذا خصه بالذكر أدباً وتواضعاً لله عز وجل.

وفيه معنى سادس: وهو أن التفضيل لا يعطيه حقه إلا خواص العلماء الذين يفرقون بين الكامل والأكمل والفاضل والأفضل، والتفاضل بين الأنبياء من هذا الباب.

وأما عموم الخلق فإنهم يلحظون المفضول بعين النقص ويعتقدون أن فضل غيره عليه نقص له لأنهم لا يفرقون بين الكامل والأكمل والفاضل والأفضل فنهوا عن التفضيل لئلا يخالط قلوبهم شيء مما أشرت إليه والنبي ﷺ أشعر بهذا المعنى فكرر قوله ولا فخر وقد أشار القرآن العزيز من التفضيل إلى ما ذكرت من المعنى.

وفيه على اختصاصه ﷺ بالمرتبة الحسنى. وذلك في مواضع منها قوله تعالى بعد ذكر الأنبياء في سورة الأنعام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠] أمر نبيه ﷺ بالاقتداء بهدى من تقدمه من الأنبياء بلفظ الواحد المضاف وهو يقتضي العموم فيكون الأمر

بالاقتداء بكل ما هو هدى لهم وقد عصم الله نبيه ﷺ من مخالفة أمره لما سبق له من العناية الإلهية، والصيانة الربانية، فإنه كان نبياً وآدم منجدل في طينته وقد ثبتت صيانته من محقرات الرذائل قبل البعثة إليه حتى منع من انكشاف شيء من جسده مما ينبغي ستره عند حمله الحجر في ثوبه، وإذا كانت هذه العناية له بالعصمة له قبل البعثة فما ظنك بها بعد البعثة؟ فوجب أن يكون قد امتثل أمر الله واقتدى بهدى من قبله فقد أتي ﷺ بكل هدى كان لكل نبي قبله امتثالاً لأمر ربه فاجتمع فيه ما تفرق في جميع الأنبياء واختص بمزايا لم تكن لغيره فساوى جميعهم فيما وافقهم فيه وفضلهم بما اختص به.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٢] أخبر الله سبحانه أنه أخذ على الأنبياء الميثاق أن يؤمنوا برسوله ﷺ وينصروه وهذا موافق للمروي عنه من قوله: «لو كان موسى حيا لاتبعني».

وذلك لأن النبي ﷺ دعوته عامة بعث إلى الأحمر والأسود والجن والأنس فمن أدركه وجب عليه اتباعه ألا ترى إلى نزول عيسى ﷺ على شريعته ناشراً لدعوته مؤيداً لملته مصلياً خلف إمام أمته مقاتلاً لمظهر مخالفته، ومما يبين لك حقيقة الفضل الذي أشرت إليه والتقدم الذي نبهت عليه أن النبي ﷺ أكمل في ذاته، وأكمل في دعوته، وأكمل في معاده، ولا فرق ذلك.

أما أنه أكمل في ذاته فلأن مقام كل صفة اختص بها نبي فيها أتم وأكمل، فنبوته أتم ورسالته أعم وله الخلة والمحبة وله الكلام مع الرؤية وله القرب والاصطفاء والدنو وحسن الخَلق والخُلق وكمال العصمة مع المغفرة لما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو الأتقى والمتبع المخصوص في كل مقام بالقسم الأوفى، بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، واختاره من أطيب البيوت وأطيب الأعراق وأثنى على خلقه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعلى رأفته ورحمته بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وأما أنه أكمل في دعوته فلأن شريعته نسخت جميع الشرائع، ودعوته عمت التبوع والتابع. فهو الإمام وهم المؤتمون، وهو السائر باللواء وهم له تابعون.

وأما أنه أكمل في معاده فلأنه المختص بالشفاعة والمقام المحمود وبالوسيلة التي لا ينالها غيره، وهو أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفتح له الجنة، وأول من يدخلها،

ومقامه في الجنة على المقامات، ودرجته وأرفع الدرجات.

ومن دقائق النظر في ما اختص به ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختبئ دعوتي إن شاء الله تعالى شفاعة لأمتي يوم القيامة» رواه مسلم وفي لفظ آخر من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة». فالظاهر والله أعلم أن هذا إشارة إلى ما دعا به الأنبياء في أممهم عند تمردهم فأهلكهم الله عز وجل فنبينا ﷺ لرأفته بأمته وشفقته عليهم ولما خصه الله تعالى به من الحلم العظيم والرغبة في صلاح العباد جعل دعوته المستجابة في الأمة سبباً لغفران ذنوبهم وتكفير حوبهم وخلاصهم من العذاب الأليم في يوم الخطر العظيم وشمولهم بالرحمة ولم يجعلها عليهم نقمة.

ويوضح هذا المعنى قوله ﷺ في رواية مسلم عن جابر التي ذكرناها آنفاً لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته. وقد قال نوح في حديث الشفاعة: وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علي قومي، فنوح عليه السلام كانت دعوته على قومه ونبينا ﷺ اختبأ دعوته شفاعة لأمته ولهذا وصفه الله بأنه رؤوف رحيم وقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ويكفي في إيضاح هذا المعنى ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

ومن خصائص نبينا ﷺ أن الله سبحانه أقسم بحياته في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] والمقسم به عزيز عند المقسم وناهيك بهذا وشرفاً وعزة.

ومن خصائصه ﷺ أن الله سبحانه ناداه بأوصافه الجميلة ونعوته الجليلة فقال: يا أيها النبي ويا أيها الرسول. وكل من الأنبياء نودي باسمه يا آدم يا إبراهيم يا موسى يا عيسى يا يحيى وفي هذا من الإشعار بعلو المنزلة وارتفاع المزية والإجلال والتوقير والتعظيم والتكثير ما لا يخفى على العارف الفطن العالم بمواقع الخطاب الحسن.

ومما اختص به ﷺ كثرة الثواب ومضاعفته فهو أكثر الأنبياء ثواباً فإنه أكثر الناس تابعاً يوم القيامة وأمته شطر أهل الجنة، أو ثلثاهم كما جاء في الأحاديث وقد قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من عمل به لا ينتقص ذلك من أجورهم شيئاً». من تبع النبي ﷺ واهتدى بهداه أو عمل بشيء مما جاء به فللنبي ﷺ مثل أجره فيضاعف له الأجر والثواب بكثرة الأتباع وبمضاعفة ثواب الاتباع.

ولهذا قال ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً من عند الله فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»وما ذاك إلا لمزيد الثواب بكثرة الأتباع وإذا كان أتباعه ﷺ شطر أهل الجنة أو ثلثيهم فله مثله ثواب شطر أهل الجنة أو ثلثيهم مع ما له عند الله تعالى وثواب أمته أفضل ثواب الأمم فإنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

وقد أخرج الدارمي عن كعب قال نجد مكتوباً في التوراة محمد رسول الله لا فظّ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون يكبرون الله على كل نجد ويحمدونه في كل منزلة يأتزرون على نصافهم ويتوضئون على أطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم بالليل دوي كدوي المحل مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام.

وفي رواية أخرى للدارمي عن كعب قال: في السفر الأول محمد رسول الله عبدي المختار لافظ لا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وفي السفر الثاني محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كان على رأس كياسة (أي نخلة) ويأتزرون على أوساطهم ويوضئون أطرافهم، أصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل، فإذا كانت هذه الأمة بهذه المثابة وأعمالها هذه الأعمال وللنبي ﷺ مثل ثواب كل مؤمن على قوله وعمله ومعرفته وما ضوعف له من الأجر بسبب ما دعا إليه من هدى وهم أكثر أهل الجنة عدداً وأعظمهم ثواباً.

كان ثوابه ﷺ أضعاف ثواب غيره ومنزلته في القرب أعلى منزلة غيره، وفي ذلك من المزية والفضل ما لا يخفى مع أنه ﷺ أرسل إلى الجن والإنس فدعا الجن إلى الإيمان وآمنوا، ولم يحصل ذلك لغيره من الأنبياء، فله ثواب دعاء الثقلين وثواب من آمن منهم وثواب أعمالهم ومعارفهم، وما دعوا إليه من الهدى.

وهذه الخصيصة ناشئة عن خصيصة أخرى، وهي من أعظم الخصائص وأجلها

وأكملها، وهي أن كل نبي أوتي من الآيات ما انقضى بانقضاء مدته وانقطع بانقطاع حياته، ومعجزات نبينا ﷺ باقية إلى قيام الساعة، منها ما هو مستمر ومنها ما يتجدد في كل وقت فالأول القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ففيه أنواع من الآيات البينات والخصائص التي هي من جل المعجزات وذلك في لفظه ومعناه وترتيبه وهداه فلو ﴿ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] ولو أراد الخلق أن يغيروا منه حرفاً أو يسقطوا منه لفظة أو يبدلوا فيه حركة لعجزوا عن ذلك فإن الله تعالى تكفل بحفظه وصيانته قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وبدوام هذا المعجز وبقائه عمت الدعوة وكثرت أتباعه ﷺ ولهذا قال: «وإنما كان الذي أوتيته وحياً من عند الله وأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة».

ومن المعجزات المتجددة ظهور ما أخبر به من المغيبات وأعلم به من الكائنات من زمن حياته ﷺ كإخباره بالملاحم المتقدمة والفتن الماضية وما يقع في آخر الزمان مثل نزول عيسى وخروج الدجال وفتح قسطنطينية والملحمة الكبرى وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج وما ظهر في أزماننا القريبة خروج التتر وقتالهم ونار الحجاز وغير ذلك مما يشاهد أولاً فأولاً وكل هذه معجزات له ﷺ باقية إلى يوم القيامة.

وإذا انتهينا إلى ذكر المعجزات فلا بد من تفصيل إجمالي ينبه به على معجزات نبينا ﷺ فنقول: قد خص الله نبينا ﷺ من المعجزات بما لم يكن لأحد غيره مما ظهر على يده ولم يظهر على يد نبي قبله معجزة إلا وله من نوع تلك المعجزة مما هو أتم وأكمل مما ظهر على يد غيره وذلك غير ما اختص به.

ثم إن كل معجزة لكل نبي تقدم في دلالتها على صدقه وقيامها ببرهان نبوته كمعجزاته فهي مشابهة لما ظهرت على يده فتكون معجزة له كما كانت لمن قبله. وكل كرامة لولي بعده فهي له كذلك وبيان هذه المقامات إما أن كل معجزة لكل نبي فهي معجزة له كما هي لذلك النبي ففي الكتاب العزيز ما يبين ذلك ويوضحه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فقد أخذ الله ميثاقه على الأنبياء بالإيمان بالنبي ﷺ ونصره وجعله رسولاً عليهم في قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم وفي قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠١] وكل معجزة لكل نبي إنما ظهرت على يده دليلاً علي صدقه في كل ما ادعاه ومما ادعاه وأخبر به ودعا قومه إلى الإيمان به أن أدركوا نبوة نبينا ﷺ ونسخ شرائعهم بشريعته

فتكون معجزاتهم دليلاً على ذلك لأنه مما أتوا به وقد بشر عيسى بنبينا ﷺ واشتملت توراة موسى على كثير من ذكره والحث على تصديقه واتباعه. فمعجزات كل نبي دليل على صدق نبينا ﷺ فهي من معجزاته والبراهين له فلا يشترط في دلالة الخوارق على الصدق ظهورها على يد النبي ﷺ ولا في زمانه فقد ظهرت الخوارق الدالة على صدق نبينا ﷺ في زمن الفترة وعند ميلاده وبعده وعدت من أعلام نبوته كما سلمت عليه الأحجار وكلمته الأشجار ورمي بالشهب وأهلك الله الفيل وزلزل أيوان كسرى وأخمد نار فارس وأنزل إليه الملائكة حتى شرحت صدره وغسلت قلبه وملأته إيماناً وحكمة وأظلته الغمامة إلى غير ذلك من الخوارق التي لا تحصى والعجائب التي لا تستقصى، فوضح بذلك إضافة معجزات غيره إليه ومساهمته لكل نبي فيما لديه.

وأما كرامات الأولياء فمذهب أهل الحق من أتباعه والمتمسكين بسنته من أشياعه أن كل معجزة لنبي تجوز أن تقع كرامة لولي غير النبوة وموجباتها وخواصها والرسالة ومقتضياتها ولم يقع في أمة من الأمم ما وقع في هذه الأمة من كرامات الأولياء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأولياء الماضين، فمنهم من مشى على الماء، ومنهم من طار في الهواء، ومنهم من كلمته الجمادات، ومنهم من طاعته كواسر الحيوانات.

ومنهم من أحيا الله على يديه الأموات، ومنهم من لم تحرقه النار، ومنهم من لم تدركهم الأخطار، ومن تأمل أخبار السلف عرف ما أشرت إليه، وتحقق صحة ما نبهت عليه، وكل كرامة حصلت لولي تابع لنبي فهي إلى ذلك النبي منسوبة، وعلى تبعيته له محسوبة، لأنها إنما حصلت له لاهتدائه بأنوار تحقيقه، وسلوكه منهج طريقه، وعمله بشريعته، وعداده في أمته، حتى ولو فرضت مخالفته لنبيه لم تحصل له تلك الكرامة، ولا بطل اقتداؤه به وائتمامه، ولو ظهرت خوارق على يد مخالف لنبيه جعلها حجة على مخالفته، ودليلاً على متابعته، لأبطلنا كونها كرامة وألحقناها بالتمويهات والتليسات، و جعلناها من الأحوال الشيطانيات، فلا تحصل الكرامة إلا بصحيح التبعية لنبيه الذي صحت نسبته إليه. وتلك الكرامة دليل على صحة ما هو عليه.

فكرامات الأولياء من هذه الأمة دليل على صحة طريقهم التي سلكوا، وإنهم صدقوا الله وما أفكوا فهي حجة على صحة هذا الدين القويم، ودليل على صدق الهادي إلى هذا الصراط المستقيم.

وأما أن كل معجزة ظهرت على يد نبي فله مثلها من نوعها أو أكمل فتستدعي تفصيلاً طويلاً تحصر فيه المعجزات، وتقابل بما تقدم على يد الأنبياء من الآيات، فنذكر لمعة توضح

الغرض، وتشفي القلوب من المرض، وذلك أن جلائل الآيات، التي ظهرت على يد أكابر الأنبياء في سالف الأوقات. مثل نجاة نوح في السفينة بالمؤمنين، وسلامة إبراهيم من نار نمرود بعد رميه إليها في المنجنيق، وقلب العصا لموسى حية، وإنزال التوراة عليه، وكلام ربه سبحانه له، وانفلاق البحر لقومه، وانفجار الحجر بالماء، ورد الشمس ليوشع في قتال الجبارين، وأنزال المن والسلوى على قوم موسى في التيه، وإحياء الموتى لعيسى، وإبرائه الأكمه والأبرص. وإنزال المائدة عليه، وإخبار الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، فكل ذلك حصل لنبينا ﷺ على الوجه الأتم الأكمل، والسنن الأحسن الأفضل، ومنه ما ظهر على يد أوليائه الله التابعين له في شريعته.

أما نجاة نوح في السفينة وثباتها به على متن الماء فليس بأبلغ من صعوْد ن ليلة المعراج في الهواء إلى السماء لما صعد من السماء الدنيا إلى فوق سبع سمٰوات إلى سدرة المنهى حتى كان قاب قوسين أو أدنى وأين حمل الماء السفينة من حمل الهواء وما صعد فيه في السماوات أرق وألطف من الهواء هو أرق وألطف من الماء ثم عاد إلى مكانه بمكة.

وقد ثبت في هذه الأمة المشي على متن الماء من غير سفينة في قصص شتى، منها قصة العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه حين غزا بمن معه فوجد نهراً عظيماً لا يخاض فدعا الله سبحانه وعبر بمن معه من الجيش بخيولهم يمشون على الماء حتى قطعوه لم يبتل لهم شيء وهذه القصة معروفة وما وقع فيها بلغ من حمل السفينة ومن انقلاب البحر لقوم موسى فإن في ذلك انحسار الماء على الأرض اليبس حتى مشوا عليها فالمشي عن الأرض معتاد لكنه حصل بانفلاق البحر وهو غير معتاد، وفي قصة العلاء بن الحضرمي صار الماء يمشى عليه كالأرض ولم يبل لهم شيئاً فخرج عن طبعه بالرقة والرطوبة.

وأما خمود النار لإبراهيم ﷺ حين ألقي فيها وباشر بنفسه فقد خمدت لنبينا ﷺ نار فارس ولم تخمد منذ ألف عام وإنما خمدت لميلاده وذلك قبل الوحي بنحو أربعين سنة ولم يباشرها بشيء من جسده الشريف ﷺ فهذا أبلغ وأعظم وأجل، وقد حصل في هذه الأمة المكرمة من ألقي في النار ولم تأمر فيه من آثار كثيرة منها حديث مسلم الخولاني حين ألقاه الأسود العنسي في النار فلم تضره لأنه لم يرجع عن الشهادة لنبينا ﷺ بالنبوة ولم يشهد للعنسي. روى إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم الخولاني قال تنبأ الأسود بن قيس باليمن فأرسل إلى أبي مسلم يعني الخولاني فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. فأمر بنار عظيمة فأحجبت فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك فأمره بالرحيل فقدم

المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فعقل على باب المسجد بعيره وقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي إليها فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتاه فقال: من أين الرجل؟ فقال: من اليمن. فقال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ فقال: ذاك عبد الله بن ثوب قال: نشدتك بالله أنت هو. قال: اللهم نعم. فقبل بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمٰن ﷺ. قال إسماعيل: فأنا أدركت قوماً من المدادين الذين مدوا من اليمن يقولون لقوم من عنس صاحبكم الذي حرق صاحبنا بالنار فلم تضره رواه صاحب الحيلة وهي من معجزات نبينا ﷺ فإنه رد على العنسي الكذاب.

وأما الإلقاء من علو كالمنجنيق فهو في حديث البراء بن مالك فإنه طلب من أصحابه أن يحملوه إلى فوق ويلقوه في الحصن على أصحاب مسيلمة فألقوه عليهم حتى فتح لهم الباب وقتل جماعة وكان سبب الفتح.

وأما حياة العصا لموسى ﷺ فقد سبح الحصى في كف نبينا ﷺ حتى سمعه الحاضرون، وكذلك سبح الطعام وهو يؤكل، وكذلك حن إليه الجذع حنين الناقة إلى ولدها، وسلمت عليه الأحجار، وأطاعته الأشجار، وأقبلت بدعائه إليها ورجعت بأمره لها إلى مكانها.

روى الدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد». قال: أهلي. قال: «هل لك في خير» قال: وما هو. قال: «تشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله». قال: ومن يشهد لك على ما تقول: قال: «هذه الشجرة».

فدعا بها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثاً انه كما قال ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال له إن تبعوني آتيك بهم وإلا رجعت فكنت معك. وروي أيضاً عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث أني لأعرفه الآن». وروي أيضاً عن علي رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فمررنا بين الجبال والشجر فلم نمر بشجرة ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله. ورواه الترمذي وقال حسن.

وروي أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فذكر حديثاً في آخره وكنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: **«إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله»**. فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال: **«ارجع»**.

فعاد فأسلم الأعرابي وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي حديث صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله لا نجعل لك منبراً قال: **«إن شئتم»** فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة رفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه فأنّ أنين الصبي الذي يسكن. قال جابر كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها.

قال أبو عيسى الترمذي في حديث أنين الجذع ورواه أنس وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عمر وسهل بن سعد وابن عباس وأم سلمة رضي الله عنهم.

قلت ورواه أيضاً يزيد بن الحصين عن أبيه قال: كان النبي ﷺ إذا خطب قام فأطال القيام وكان يشق عليه قيامه فأتى بجذع نخلة فحفر له وأقيم إلى جنبه قائماً للنبي ﷺ وكان النبي ﷺ إذا خطب فطال القيام عليه استند إليه فاتكأ عليه فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً إلى جنب ذلك الجذع فقال لمن يليه من الناس: لو علم أن محمداً يحمدني في شيء يرقي به لصنعت له مجلساً يقوم عليه فإن شاء جلس ما شاء وإن شاء قام عليه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«إئتوني»** به فأتوه فأمره أن يصنع له هذه المراقي الثلاث أو الأربع وهي الآن في منبر المدينة فوجد النبي ﷺ في ذلك راحة فلما فارقه النبي ﷺ إلى هذه التي صنع له جزع الجذع فحن كما تحن الناقة حين فارقه النبي ﷺ وقال بروايته عن أبيه أن النبي ﷺ حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه وقال: **«إختر إن شئت أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت وإن شئت أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فتحسن بنيتك وتثمر فتأكل أولياء الله منك»** قال: فزعم أنه سمع من رسول الله ﷺ وهو يقول له نعم قد فعلت مرتين فسئل النبي ﷺ فقال: **«اختار أن أغرسه في الجنة»**.

فهذه الجمادات قد أحييت لنبينا ﷺ حياة أبلغ من حياة العصا من وجوه:

أحدها: أن العصا صارت حية بانقلابها حيواناً فالمعجز قلبها من الجمادية إلى الحيوانية وانقلاب الجماد حيواناً كثيرة معهود كخلق الحيوان من النطفة ونشأت النطفة على الأغذية. وأما إيداع الحياة للجماد وهو على صورته الجمادية فهو أبلغ في الإعجاز وأظهر في خرق العادة.

والوجه الثاني: أن الحياة التي صارت في الجماد الذي هو العصا حياة مجردة عن الإدراك العقلي والحياة التي صارت في الجذع حياة أدرك بها عظمة الذكر وفهم موقعه حتى أسف على فراقه وألم بعده فصار حيواناً يعقل كالإنسان وهذا أبلغ.

[والوجه] الثالث: أن حياة العصا كانت مجردة عن النطق وحياة الأشجار والأحجار والجذع كانت حياة نطق وهو التسبيح والشهادة للنبي ﷺ بالنبوة وغير ذلك بما قدمناه.

وأما كلام الله عز وجل فقد حصل لنبينا ﷺ فوق سبع سمٰوات وكلم الله موسى تكليماً على الطور واختص نبينا ﷺ مع الكلام وبالرؤية وناهيك بها رتبة لم ينلها أحدمن العالمين وجعل كتاباً ناسخاً لكل كتاب قبله مصدقاً له في ما يوافقه.

وأما حبس الشمس ليوشع فقد انشق القمر لنبينا ﷺ وقد ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة ودل عليه القرآن العظيم. وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر وانشقاق القمر أبلغ من حبس الشمس على أن حبس الشمس قد ورد.

فروى يونس بن بكير قال: لما أسري بالنبي ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة عما في العير قالوا: فمتى تجيء؟ قال: «يوم الأربعاء» فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا النبي ﷺ فزيد له في النهار وساعة وحبست عليه الشمس. قال: فلم ترد الشمس على أحد إلا على النبي ﷺ وعلى يوشع بن نون حتى قاتل الجبارين.

وقد روى رد الشمس على النبي ﷺ الطحاوي وأنها ردت لصلاة العصر وقال الطحاوي رواته ثقات. وأما ينبوع الماء وانفجاره من الحجر لموسى ففي ينبوع الماء من بين أصابع النبي ﷺ ما هو أبلغ وأعلى بكثير.

روى جابر بن عبد الله قال: أصابنا عطش فجهشنا (أي فزعنا إليه) فانتهينا إلى رسول الله ﷺ فوضع يده في تور (أي إناء من حجارة) فجعل يفور كأنه عيون من خلل أصابعه وقال: «اذكروا اسم الله»[1]. فشربنا حتى وسقنا وكفانا. قال كثير بن مرة: فقلنا لجابر: كم كنتم؟ فقال: كنا ألفاً وخمسمائة ولو كنا مائة لكفانا. وروى علقمة عن عبد الله قال سمع عبد الله بخسف فقال: كنا أصحاب محمد نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً إنا بينا نحن مع رسول الله ﷺ فليس معنا ماء. فقال رسول الله ﷺ: «اطلبوا من معه فضل ماء» فأتى بماء

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧: ١٠٤).

فصبه في الإناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه. ثم قال: **حي على الطهور المبارك والبركة من الله»**(١). فشربنا قال عبد الله: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وأخرجه البخاري والترمذي وقال الترمذي صحيح.

وأخرجه أيضاً البخاري من حديث أنس رضي الله عنه من رواية مالك فأين نبوع الماء من الحجر من نبوعه من يده الكريمة وقد عهد نبوع الماء من الحجارة قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [البقرة: ٧٤].

وأما إنزال المائدة من السماء فقد أنزل الطعام على نبينا ﷺ وأطعمه الله تعالى وسقاه وتناول قطفاً من الجنة.

وروى ابن المبارك بإسناده إلى مسلمة الشكوى وقال غيره سلمة الشكوى قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال قائل: يا رسول الله هل أتيت بطعام من السماء؟ فقال: **«نعم أتيت بطعام من السماء»** قال: يا نبي الله هل كان فيه من فضل؟ قال: **«نعم»** قال: فما فعل به؟ قال: **«رفع إلى السماء»**. وعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد فوضعت بين يدي القوم فتعاقبوا إلى الظهر من غدوة يقوم قوم ويجلس آخرون فقال رجل لسمرة بن جندب: من أين كانت تمد؟ فقال سمرة: من أي شيء تعجب؟ ما كانت تمد إلا من هٰهنا. وأشار بيده إلى السماء. رواه الدارمي.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع. فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. أخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله ﷺ: **«أرسلك أبو طلحة»**؟ فقلت: نعم قال: **«بطعام»**؟ قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: **«قوموا»** فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم.

فأقبل رسول الله ﷺ فقال: **«يا أم سليم ما عندك»** فأتيت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة مآدمته ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول ثم قال: **«ائذن لعشرة»**. فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: **«إئذن لعشرة»** فأذن لهم

---

(١) رواه أحمد في المسند (١: ٤٦٠). والدارمي في السنن (١: ١٥). والقرطبي في التفسير (١: ٤٢١).

فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: «إئذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً أخرجه البخاري.

وأخرج أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن أباه توفي وعليه دين قال فأتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبي ترك عليه ديناً وليس عندي إلا ما تخرج نخلة ولا يبلغ ما تخرج ما عليه. فانطلق معي لكي لا يفحش على الغرماء فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر وجلس عليه ثم قال: «انزعوه» فأوفى الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم.

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ ثم قام قياماً طويلاً نحواً من قراءة سورة البقرة قلت: فذكر الحديث وفيه ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله». قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً من مقامك ثم رأيناك تكعكعت. فقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم أفظع».

فهذه الأحوال فيها ما يشبه نزول المائدة من السماء وما يربو على ذلك وإنزال المأكولات والمشروبات لهذه الأمة في أسفارهم وغزواتهم في المفاوز والمهالك كثير.

وأما إحياء الموتى فقد رويت فيه أخبار وآثار كثيرة وحديث: «الذراع المسموم» في الصحيح فإنه كلم النبي ﷺ وأخبره بما فيه من السم وذلك أبلغ من إحياء الميت فإنه إحياء جزء من حيوان لا يعقل بعد موته فهو أبلغ من إحياء الميت العاقل الكامل الأجزاء من وجوه:

أحدها: أن هذا بعض حيوان ولم يعهد حياة بعض حيوان منفصل عنه.

والثاني: أن إيداع العقل في جزء الحيوان المنفصل أيضاً لم يعهده.

الثالث: أنه بعض حيوان لا يعقل أصله فلو كان حيواناً كامل الأجزاء لكان في جعله عاقلاً معجز كاف.

الرابع: النطق الذي أخبر به النبي ﷺ بما فيه من السم.

حديث المرأة المهاجرة أم الأنصاري التي نعى إليها أنس ومن حضرها موت ولدها وأغمضوه وسجوه فقالت: ما كان الله ليفعل ذلك. ثم سألت الله بهجرتها إلى النبي ﷺ وإيمانها أن يحيي الله ولدها فعاش ولدها بعد موته وأكل مع الحاضرين. ومذكور في كتب مناقب الأولياء شيءٌ كثير كصفوة الصفوة وغيره وقد صنف ابن أبي الدنيا كتاباً فيمن عاش بعد الموت وقد روى أبو سمرة النخعي قال: أقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق

حمار فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني جئت من الزينية مجاهداً في سبيلك وتابعاً مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحد عليّ اليوم منه أطلب إليك اليوم أن تبعث لي حماري قال: فقام الحمار ينفض أذنيه. وهذا كما تقدم مضاف إلى بركة النبي ﷺ. وقد أحيا النبي ﷺ بعض الخيول.

روى جابر قال: خرجت مع النبي ﷺ في سفر وكان لا يأتي البراز حتى يغيب فلا يرى فنزلنا بفلاة من الأرض ليس فيها شجر ولا علم فقال: **«يا جابر في أدواتك ماء ثم انطلق بنا»** قال: فانطلقنا لا نُرى فإذا هو بشجرتين بينهما أربعة أذرع فقال: **«يا جابر انطلق إلى هذه الشجرة. فقل لها: يقول لك رسول الله إلحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما»**.

فلحقت فجلس رسول الله ﷺ خلفهما ثم رجعتا إلى مكانهما فركبنا مع رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بيننا كأنما علينا الطير تظللنا فعرضت له امرأة معها صبي لها فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا يأخذ الشيطان كل يوم ثلاث مرات. قال: فتناول الصبي وجعله بينه وبين مقدم الرحل ثم قال: **«إخسأ عدو الله وأنا رسول الله اخسأ عدو الله أنا رسول الله»** ثلاثاً ثم دفعه إليها فلما قضينا سفرنا مررنا بذلك المكان فوضعت لنا المرأة ومعها صبيها ومعها كبشان تسوقهما فقالت: يا رسول الله إقبل مني هديتي فوالذي بعثك بالحق ما عاد إليه بعد. قال: **«خذوا منها واحداً أوردوا عليها الآخر»** ثم ذكر ما في الحديث. وحديث **«المرأة التي كانت تضرع وتنكشف»** فشكت إلى النبي ﷺ فخيرها ما بين الجنة والعافية فاختارت الجنة وسألت أن لا تنكشف فدعا الله أن لا تنكشف دليل على إبرائه لها من الجنون لو اختارت ذلك.

وأما ابراؤه من العمى ففي حديث قتادة ورده ﷺ عينه بعد خروجها على خده وإنما عادت وكانت أحسن عينيه. وكذلك تفل في عين علي رضي الله عنه فبرأ. وقد مسح النبي ﷺ رجل عبد الله بن عتبك قاتل أبي رافع اليهودي بعد كسرها فصارت صحيحة.

وحديث أويس القرني وهو في صحيح مسلم عن أبي بصرة عن بشير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا على عمر رضي الله تعالى عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر: هل هٰهنا أحد من القرنين فجاء ذلك الرجل فقال عمر رضي الله تعالى عنه إن رسول الله ﷺ قد قال: **«إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم وقد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدراهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم»** وأما ملك سليمان وقدرته على الجن وتسخير الريح فقد سخرت الريح لنبينا ﷺ ونصر بالصبا وأعطي مفاتيح كنوز الأرض وخير فيها بين ملكها والخلود فيها وما عند الله فاختار ما عند الله.

وقد أطاعته الجن والشياطين وقبض منهم شيطاناً أمكنه الله تعالى منه وأطلقه لما ذكر دعوة أخيه سليمان وهو في الصحيح. وقد بعث رسول الله ﷺ إلى الجن فأمنوا به وأطاعوه فأين الرسالة إليهم؟ وطاعتهم له من التسخير في الخدمة وعمل الأعمال الشاقة.

وإذا تأملت عظم المعجزات للأنبياء وجدت له ﷺ مثل كل واحدة وأحسن وأبلغ ولا يليق بهذه العجالة استقصاء ذلك فلو فنيت الأيام في حصر مناقبه وفضائله وخصائصه لفنيت

ولم يبلغ القائل نهاية ذلك، فما قدره والناس حق قدره ولا عرفوا منه إلا ظاهراً من خبره ودون حقيقة أمره.

وعلى الجملة هو إمام الأنبياء ومقدمهم. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن أمري فسألوني عن أشياء من البيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال: فرفعه الله إليّ أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوأة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فجاءت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام» ففي هذا الحديث إمامته بأفاضل الأنبياء وفي الحديث المتقدم في أول هذه الأوراق ذكر أنه مقدمهم وإمامهم وخطيبهم، نبهنا بالقليل مما ذكرناه، على كثير مما لو كتبنا مجلدات كثيرة لما استقصيناه، وإذا استحضر المنصف ما قدمناه من وعد معجزات غيره من الأنبياء من جملة معجزاته، وإضافة كرامات الأولياء إلى بركاته، رأى أن الكل في الحقيقة منسوب إليه، وعرف أن الإحالة في جميع ذلك عليه، وإن قصد التفضيل، وقابل كل معجزة متقدمة لغيره بما يقابلها من معجزاته عند التمثيل، فقد وضح له ذلك السبيل.

وقد وجدت محل القول ذا سعة ... فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

وقد رأيت ختم هذه العجالة بأبيات في ذكر مناقبه ومعجزاته، استمطر بها هاطل هباته ﷺ وهي:

هذا المقام الذي لاذت به الأمم ... وأذعنت لعلاه العرب والعجم
هذا مقام رسول الله أكرم من ... جاءته من ربه الأحكام والحكم
هذا محمد الهادي الذي محيت ... عنا بنور هداه الظلم والظلم
الفاتح الخاتم الماحي الرؤوف إما ... م المتقين نبيّ الرحمة العلم
هذا الذي قد سما فوق السماء إلى ... مقام عز تناهت دونه الهمم
هذا الذي ربنا الرحمٰن خاطبه ... فقدست منه أذن قد وعت وفم
هذا الذي كشف الله الحجاب له ... لو رام ذا غيره زلت به القدم
هذا الذي شهدت والنجم إن له ... هذا المقام لهذا أكد القسم
هذا الذي خص بالحوض الرواء به ... العذب النمير رحيق الكوثر الشبم
هذا نبي الهدى المختار من مضر ... هذا به أنبياء الله قد ختموا

هذا الذي خص فيهم بالوسيلة لا ... ينالها غيره منهم وإن كرموا
هذا الشفيع إذا ما أحجموا وجلا ... إذ الشفاعة ليست أولاً لهم
هذا المجيز على متن الصراط وقد ... ماج الخلائق والنيران تلتهم
هذا الذي يدخل الجنات قبلهم ... كذاك أمته والناس بعدهم
هذا بموقفه المحمود تغبطه ... كل النبيين إذ تعنو له الهمم
هذا الذي عن يمين الله يحمده ... بكل حمد تناهت دونه الكلم
وجل ربي عن التشبيه كل يد ... له يمين فتبا للذين عموا
هذا إمام النبيين الذين هدوا ... إلى الرشاد الورى هذا خطيبهم
هذا مبشرهم عند الإياس إذا ... قالوا لربهم سلم وقد سلموا
هذا الذي بلواء الحمد يقدمهم ... وهم له تبع والناس كلهم
هذا الذي خمدت نار المجوس له ... ولم تزل ألف عام قبل تضرم
هذا الذي سجع الصخر الأصم بكفيه ... فاسمع إلا من به صمم
هذا الذي سلم الأحجار حين أتى ... عليه جهراً كذا الأشجار والسلم
هذا الذي أحيي العظم الرميم له ... إذ حدثته ذراع الشاة ما زعموا
هذا الذي أمر الأشجار فالتأمت ... ولك تكن ذاك البعد تلتئم
هذا إليه حنين الجذع مشتهر ... بمشهد الخلق حقاً ليس ينكتم
هذا الذي رد عينا بعد ما فقئت ... فلم تزل بعد ذا بالحسن تتسم
هذا الذي نبع الماء الطهور له ... من كفه فسقاه الخلق حين ظموا
هذا الذي أشبع الجيش العرمرم من ... صُبابة ليس تكفي من به نهم
هذا الذي انفرق البدر المنير له ... والكل يشهده إلا الذين عموا
هذا الذي أنزل القرآن معجزة ... عليه تبقى بقاء ليس تنعدم
هذا الذي أشرقت أنوار غرته ... بنورها فأضاء الحل والحرم
هذا الذي لو أردنا حصر معجزه ... وفضله انقطعت من دونه الكلم
هذا خلاصة سر الكون أجمعه ... له العناية موصولاً بها القدم
هذا المراد من الدنيا وساكنها ... لولاه لم تخلق الأشباح والنسم
هذا مقدمهم حقاً وسيدهم ... فالعالمون هم الأتباع والخدم
يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... يا من الرذ به إن زلت القدم
يا عدتي في معادي عند معذرتي ... يا من به من صروف الدهر اعتصم
يا كل ذخري ومأمومي ومعتمدي ... ويا رجائي وقصدي إن عرى ألم

يا صاحب الجاه قبحاً للألى زعموا ... خلاف ذا أنت ذو جاه وإن رغموا

إني قصدتك والآمال تطعمني ... إني لما رمت في قصديك اغتنم

بك اهتديت إلى الإيمان فاتصلت ... بذاك عندتي من أفضالك النعم

أشكو إليك ذنوباً أنت تعلمها ... إن لم تكن مدركي حفت بي النقم

سل من إلهي عفواً لي ومغفرة ... وعصمة منه تكفي كل ما يصم

وإنني تحت رق الدين مرتهن ... فسل قضاء لرق الدين يصطلم

واسأل لي الله علماً نافعاً وهدى ... يبقى به عملي إذ نذهب الرمم

وأن أموت على التقوى وسنتك المثلى ويدفع عني السوء والسقم

ومن أهم شكاياتي من البدع اللاتي ... ظهرن ومن قوم بها حكموا

فسل إلهي خذلاناً لهم ولمن ... والاهم وأكف أهل الحق شرهم

فأنت خير معاذ يستعاذ به ... عند الشدائد منجاة ومعتصم

صلي عليك إله الخلق ما سجعت ... ورق وما هطلت من سحبها ديم

انتهى كتاب عجالة الركب للإمام ابن الزملكاني وقد أشار في بعض ألفاظ هذه القصيدة النبوية للرد على معاصره الإمام ابن تيمية رحمهما الله تعالى. وقد ذكرته في كتابي «شواهد في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ» في الباب الرابع منه الذي نقلت فيه عبارات علماء المذاهب الأربعة في الرد على ابن تيمية فقلت: ومنهم الإمام كمال الدين الوملكاني الشافعي المتوفى سنة ٧٢٧ قال ابن الوردي في تاريخه كان غزير العلم كثير الفنون مسدد الفتاوي دقيق الذهن ا هه. وذكر له في كشف الظنون كتاب الدرة المضية في الرد على ابن تيمية وقد ناظره في مسائله التي شذ بها عن المذاهب الأربعة ومن أشنعها مسألة منعه شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين ولا سيما سيدالمرسلين والاستغاثة به ﷺ وبهم إلى رب العالمين. ولم أطلع على كتاب الدرة البهية وله قصيدة بليغة في مدح النبي ﷺ تعرض فيها للرد على هذه الفرقة المفتونة فرقة ابن تيمية بقوله:

يا صاحب الجاه عند الله خالقه ... ما رد جاهك إلا كل أفاك

أنت الوجيه على رغم العدا أبداً ... أنت الشفيع لفتاك ونساك

يا فرقة الزيغ لا لقيت صالحة ... ولا شفى الله يوماً قلب مرضاك

ولا حظيت بجاه المصطفى أبداً ... ومن أعانك في الدنيا والاكِ

وقصيدته هذه الكافية هي من أبلغ القصائد النبوية وقد ذكرتها في مجموعتي النبهانية فلتراجع فيها وعبارة الإمام ابن الوردي التي أثنى بها على ابن الزملكاني راجعتها الآن في

تاريخه فوجدتني قد اختصرتها في كتاب شواهد الحق وتمامها بعد قوله دقيق الذهن صحيح البحث حسن الخلق جميل الوجه طيب الصوت بعد الصيت جيد الخط سخي النفس صحيح الاعتقاد بليغ النظم والنثر.

قال ابن الوردي: ولقد رأيت كبار مشايخنا لا يعد لون به عالماً في زمانه ولا يشبهه عندهم أحد من أقرانه وطلب من حلب وكان قاضياً فيها أي إلى مصر ليولى القضاء بالشام فتوفي بمدينة بلبيس وحمل إلى القاهرة فدفن بالقرافة رحمه الله تعالى.

ومنهم الإمام شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي[(١)] المتوفى في أواسط القرن العاشر[(٢)] وتقدم

ومن جواهره

[لم يعط نبي فضيلة إلا وأعطي سيدنا محمد ﷺ مثله أو أعظم منه]

رضي الله عنه ما ذكره في فتاويه المطبوعة على هامش فتاوى ابن حجر الكبرى بقوله في جواب سؤال برهان سيدنا محمد ﷺ أقوى من براهين سائر الرسل وما خص نبي بشيء إلا وكان لنبينا مثله فإنه أوتي جوامع الكلم وكان نبياً وآدم بين الروح والجسدوغيره من الأنبياء لم يكن نبياً إلا في حال نبوته وزمان رسالته، فأعطي آدم أن الله تعالى خلقه بيده، وأعطي نبينا أن الله تعالى تولى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الإيمان والحكمة وهو الخلق النبوي وتولى من آدم الخلق الوجودي ومن نبينا الخلق النبوي.

وأما سجود الملائكة له فلأجل أن نور نبينا كان في جبهته، وكلما علم آدم الأسماء كلها علم نبينا الأسماء كلها وذواتها، وأما إدريس فرفعه الله مكاناً علياً ورفع نبينا إلى مكان لم يرفع إليه غيره، وأما نوح فنجاه الله تعالى ومن معه من الغرق نجاه من الخسف، وأعطي نبينا أن أمته لم تهلك بعذاب من السماء، وأما إبراهيم فكانت نار نمرود عليه برداً وسلاماً، وأعطى نبينا نظير ذلك إطفاء نار الحرب عنه وناهيك بنار حطبها السيوف، ووهجها الحتوف، وموقدها الحسد، ومطلبها الروح والجسد، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأما ما أعطيه من مقام الخلة، فقد أعطيه نبينا وزاد عليه بمقام المحبة، وأما ما أعطيه موسى من قلب العصا حية غير ناطقة، فأعطى نبينا تسبيح الطعام والحصى في كفه الشريف وتسليم الحجز عليه، وتأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه، وكلامه للجبل وكلام الجبل له، وكلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة، وحنين الجذع

---

(١) هو أحمد بن حمزة الرملي، شهاب الدين، فقيه شافعي من رملة المنوفية بمصر توفي بالقاهرة ٩٥٧ هـ.

(٢) ورد في الأعلام للزركلي وفاته كانت سنة ٩٥٧ هـ.

شوقاً إليه، وسجود الجمل وشكواه إليه وسجود الغنم، وكلام الذئب، وشهادته بالرسالة وكلام الجماد له وكلام الضب له. وأعطي موسى اليد البيضاء وكان بياضها يغشى البصر. وأعطي نبينا أنه لم يزل ينتقل نوراً في أصلاب الآباء وبطون الأمهات من لدن آدم إلى أن انتقل إلى عبد الله. وأعطي ﷺ قتادة بن النعمان حين صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً فأضاء له العرجون حتى دخل بيته، وأعطي موسى انفلاق البحر له، وأعطي نبينا انشقاق القمر له وردت الشمس بعدما غربت فموسى تصرف في عالم الأرض ونبينا تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح. وقال ابن المنير: ذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر فعلى هذا يكون ذ البحر انفلق لنبينا ﷺ جتى جاوزه ليلة الإسراء وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى.

ومما أعطيه موسى أجابة دعائه. وأعطي نبينا في ذلك ما لا يحصى فمنه تفجير الماء بتبوك وانبعاثه بمسه ودعوته ومنها تكثير الطعام القليل ببركة دعائه، ومما أعطي موسى تفجير الماء من الحجارة، وما أوتيه نبينا من نبع الماء وانفجاره من يده وبين أصابعه أعظم في المعجزة فإنا نشاهد الماء يتفجر من الأنهار آناء الليل وأطراف النهار. ومعجزة نبينا ﷺ هذه لم تكن لنبي قبله يخرج الماء من بين لحم ودم فكفى شرباً وطهارة للجيش وكانوا ألفاً وخمسمائة، وقال بعضهم:

وكل معجزة للرسل قد سلفت إتى بأعجب منها عند إظهار
فما العصا حية تسعى بأعجب من تفجير سلسل ما من كفه جاري

ومما أعطيه موسى الكلام. أعطي نبينا مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو، وأيضاً كان مقام المناجاة في حق نبينا فوق السمٰوات العلى وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى طورسيناء، وأما ما أعطيه هارون من فصاحة اللسان فقد كان نبينا من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، وأما ما أعطيه يوسف من شطر الحسن، فأعطي نبينا الحسن كله.

وأما ما أعطيه من تعبير الرؤيا ونقل عنه في ذلك ثلاث منامات فاعطي نبينا من ذلك ما لا يدخله الحصر.

وأما ما أعطيه داود من تليين الحديد إذا مسحه. فأعطي نبينا أن العود اليابس أخضرّ بين يديه وأورق ومسح شاة أم معبد الجرباء فدرت.

وأما ما أعطيه سليمان من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذي لم يعطه

أحد من بعده، فأعطي نبينا مثل ذلك وزيادة. أما كلام الطير والوحش فنبينا كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى وكلمه ذراع الشاة المسمومة وكلمه الظبي وشكا إليه البعير. وروي أن طيراً فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ويكلمه.

وأما الريح التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر تحمله أين أراد من أقطار الأرض. فقد أعطي نبينا البراق الذي هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش إلى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة وذلك مسافة السمٰوات وأما إلى المستوى وإلى الرفرف فذلك لا يعلمه إلا الله.

وأيضاً الريح سخرت لسليمان لتحمله إلى نواحي الأرض. ونبينا زويت له الأرض أي جمعت حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى إلى الأرض وبين من تسعى له الأرض.

وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد ربط نبينا أبا الشياطين إبليس في سارية من سواري المسجد. وخير منه إيمان الجن بنبينا فسليمان استخدمهم ونبينا استسلمهم.

وأما عد الجن من جنود سليمان فخير منه عد الملائكة مع جبريل من جملة أجناده باعتبار الجهاد واعتبار تكثير السواد على طريق الأجناد.

وأما عد الطير من جملة أجناده فأعجب منه حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه والغرض من استكثار الجند إنما هو الحماية وقد حصلت من أعظم شيء بأيسر شيء.

وأما ما أعطيه من الملك فنبينا خير بين أن يكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً.

وأما ما أعطيه عيسى من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، فأعطي نبينا ردالعين إلى مكانها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت. وقال له رجل ما أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فأتى قبرها وقال: «يا فلانة» فقالت: لبيك وسعديك.

وكانت امرأة معاذ بن عفراء برصاء فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فمسح عليها فأذهب الله البرص منها.

وسبح الحصى في كفه وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأن هذا من جنس ما لا يتكلم.

وأما ما أعطيه عيسى من أنه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم فقد أعطي نبينا ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة في الحضرة القدسية بالمساهدات. وأما قول اليهود والنصارى محمد إنما أتى بكلام فجوابه أن الله تعالى جعل معجزة كل نبي من الأنبياء بالوجه الشهير أنه أبرع ما يكون في زمان ذلك النبي الذي أراد إظهاره. فكان السحر في زمن موسى قد انتهى إلى غايته فجعل الله معجزته قلب العصا حية.

وكان الطب في زمن عيسى قد انتهى إلى غايته فجعل الله معجزته إحياء الموتى، وبعث الله نبينا إلى العرب فجعل معجزته القرآن الذي عجز المرسل إليهم عن الإتيان بمثله وبسورة من مثله فهو أعجب في الآية وأوضح في البيان وهو وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لأنه أتى إلى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم فأعجز بفصاحته وبلاغته كل فصيح وبليغ ممن طولب بمعارضته من العرب العرباء ومصافع الخطباء مع ما هم عليه من المضادة والمصادمة وإفراطهم في المعاداة والمعاندة، فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى، لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في إبراء الأكمه والابرص ولا يتعاطون علمه قريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والفصاحة والخطابة فدل على ن العجز عنه قد صار علماً على رسالته وصحة نبوته إذ لو لم يكن كلاماً منزلاً من عند الله لأمكنهم الإتيان بما يساويه أو يدانيه في حسن الأسلوب والتراكيب لكنهم اختاروا بذل المج على ذلك. ولم يمكنهم المعارضة لأقصر سورة منه. وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح ومعجزة القرآن باقية إلى يوم القيامة ومعجزة كل نبي انقرضت بنقراضه أو دخلها التغيير والتعديل كالتوراة والإنجيل.

ومن وجوه إعجاز القرآن: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرهم والأسلوب المخالف لجميع أساليب فصاحتهم والجزالة التي لا تقع من مخلوق والتصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل عربي حتى وقع الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه والإخبار عن الأمور التي تقدمت من أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخط بيمينه فأخبر بما كان من قصص الابناء مع أممهم والقرون الخالية في دهرها وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه وتحدوه به من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر وحال ذي القرنين فجاء هم وهو أمي من أمة أمية ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقة ونحن نعلم ضرورة إن هذا لا سبيل إليه إلا عن وحي.

ومنها: الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه وتعالى وهو

ينقسم إلى أخبار مطلقة كوعده بنصر رسوله وإخراج الذين أخرجوه من وطنه وإلى وعد مقيد بشرط كقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]

ومنها: الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي فمن ذلك ما وعد الله نبيه بأنه سيظهر دينه على الأديان بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] الآية فكان أبو بكر إذا غزت جيوشه عرفهم بما وعدهم الله من إظهار دينه ليثقوا بالنصر.

وكان عمر يفعل ذلك فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً وبراً وبحراً قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] وقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] وقال: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١ - ٣] فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يعلمها إلا رب العالمين أو من أوقفه عليها: فدل على أنه تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقة.

ومن وجوه إعجاز القرآن: ما تضمنه من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام. ومنها: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي.

ومنها: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلال. وبالجملة فقد خص الله تعالى نبينا محمداً ﷺ من التكريم بما لم يعطه أحداً من الأنبياء فقال أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي فإن كان نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة. لا يقال أن كثيراً مما ذكرت من المعجزات إنما ثبت بالآحاد والمطلوب في الرد على هؤلاء الأدلة اليقينية لأنا نقول قد أفاد مجموعها التواتر المعنوي المفيد لليقين بصدق النبي ﷺ في دعواه الرسالة اهـ.

ومن جواهر الشهاب الرملي أيضاً

[مسائله في بعثه ﷺ إلى الملائكة]

أنه سئل رضي الله عنه هل بعث ﷺ إلى الملائكة كالإنس والجن، كما رجحه السبكي

والبرزي والجلال السيوطي في الخصائص أم لا؟

فأجاب: لم يبعث الملائكة فقد فسر قوله ﷺ في خبر مسلم: «وأرسلت إلى الخلق كافة» بالإنس والجن كما فسر بهما من بلغ في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] أي بلغه القرآن والعالمين في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وصرح الحليمي والبيهقي في الباب التاسع من شعب الإيمان بأنه ﷺ لم يكن رسولاً إلى الملائكة.

وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه، وفي تفسير الإمام الرازي والبرهان النسفي حكاية الإجماع في تفسير الآية الثانية على أنه لم يكن رسولاً إليهم. وعبارة الروازي ثم قالوا هذه الآية تدل على أحكام:

الأول: أن العالم كل ما سوى الله فيتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة، لكننا أجمعنا على أنه ﷺ لم يكن رسولاً إلى الملائكة فوجب أن يبقى كونه رسولاً إلى الإنس والجن جميعاً ويطل قول من قال أنه كان رسولاً إلى البعض دون البعض ا هـ وفي بعض نسخه لكنا بينا.

وقال القرطبي والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن لأن النبي ﷺ كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما ا هـ وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩] من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له ا هـ.

وقال البيضاوي: أي لا نذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه الأسود والأحمر أو من الثقلين. وقال في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] للجن والإنس ا هـ.

وقال البغوي: ليكون للعالمين أي للجن والإنس نذيراً قال السمرقندي: ومن بلغه القرآن من الجن والإنس. وقال: ليكون نذيراً الإنس والجن ا هـ.

وقال السبكي: في جواب السائل عن رسالته ﷺ إلى الملائكة في تعداد الآيات الدالة عليه الآية العاشرة ليكون للعالمين نذيراً قال: المفسرون كلهم في تفسيرها للجن والإنس وقال بعضهم وللملائكة ا هـ.

وممن جزم بأنه لم يكن رسولاً إليهم محمود بن حمزة الكرماني في كتاب «العجائب والغرائب» وهو من أئمة الحنفية. وزين الدين العراقي في نكته على ابن الصلاح، والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع، والجلال السيوطي في شرح التقريب في مصطلح الحديث في شرح الكوكب الساطع في الأصول، وقد استدل لما رجحه من إرساله إلى الملائكة في

الخصائص بأمور لها قال وهو أقواها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧] الآية فهي إنذار للملائكة على لسان النبي ﷺ من القرآن الذي أنزل عليه.

ثانيها: قال عكرمة صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد وقال ﷺ: «ألا تصافون كما تصف الملائكة عند ربها»(١).

ثالثها: إن إسرافيل مؤذن أهل السماء يسمع تأذينه من في السموات السبع ومن في الأرضين إلا الجن والإنس ثم يتقدم بهم عظيم الملائكة يصلي بهم وإن ميكائيل يؤم الملائكة في البيت المعمور.

رابعها: قال ابن مسعود ركعتا الفجر صلاة الملائكة.

خامسها: ما روى عن سلمان موقوفاً ومرفوعاً: إذا كان الرجل فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان فإذا أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاً يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه. وذكر السبكي في الحلبيات أمن الجماعة تحصل بالملائكة كما تحصل بالآدميين.

قال: وبعد أن قلت ذلك بحثاً ريته منقولاً في فتاوى الحناطي من أصحابنا فيمن صلى في فضاء من الأرض بأذان وإقامة وكان منفرداً، ثم حلف أنه صلى بالجماعة هل يحنث أولاً.

فأجاب: بأنه يكون باراً في يمينه وقال الأصحاب يستحب للمصلي إذا سلم أن ينوي بالسلام من على يمينه ويساره من ملائكة وإنس وجن.

سادسها: إنه لما أسري به ﷺ خرج ملك من الحجاب فقال: الله أكبر الله أكبر إلى أن قال: أشهد أن محمداً رسول الله. إلى أن قال: ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأمّ أهل السماء فيومئذٍ أكمل الله لمحمد الشرف على أهل السموات والأرض وفيه عن محمد بن الحنفية فقال الملك حي على الصلاة فقال الله صدق عبدي دعا إلى فريضتي إلى أن قال: ثم قيل لرسول الله ﷺ تقدم، فتقدم. فأم أهل السماء فتم له شرفه على سائر الخلق.

قال الجلال: وفي هذا دلالة على إرساله إلى الملائكة من أربعة أوجه: **الأول:** شهادة الملك له بالرسالة مطلقاً حيث قال أشهدأن محمداً رسول الله.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (الصلاة: ١١٩). والنسائي في السنن (الإمامة ب ٢١). وأبو داود في السنن (الصلاة ب ٩٤). وابن ماجه في السنن (٩٩٢). وأحمد في المسند (٥: ١٠١). والبيهقي في السنن الكبرى (٣: ١٠١).

الثاني: قول الله في دعاء الملك إلى الصلاة دعا إلى فريضتي فإن ذلك يدل على أنها فرضت على أهل السماء كما فرضت على أهل الأرض.

الثالث: إمامته لأهل السموات وصلاة الملائكة بأسرهم خلفه وذلك أتباعهم له، الرابع: قوله يومئذ أكمل الله لمحمد الشرف على أهل السموات والأرض وإكمال الشرف له يبعثه إليهم وكونهم من أتباعه وكأنه في هذا الوقت أرسل إليهم ولم يكن أرسل إليهم قبل ذلك.

سابعها: قال ﷺ نزل آدم بالهند واستوحش فنزل جبريل فنادى بالأذان الله أكبر أشهد لا إله إلا الله مرتين أشهد أن محمداً رسول الله مرتين فهذه شهادة من جبريل برسالة محمد ﷺ.

ثامنها: أنه ﷺ أخبر أنه مكتوب على العرش وعلى كل سماء وعلى كل باب من أبواب الجنة وعلى أوراق أشجار الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

تاسعها: صرح السبكي في تأليف له بأنه ﷺ أرسل إلى جميع الأنبياء فاستدل عليه بقوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» وقوله ﷺ: «بعثت إلى الناس كافة» قال: ولهذا أخذ الله المواثيق على الأنبياء كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقال السدي في الآية: لم يبعث نبي قط من لدن نوح، إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد ﷺ. وقال ابن عباس لم يزل يتقدم في النبي ﷺ إلى آدم فمن بعده ولم تزل الأمم تتباشر به وتستفتح به.

وقال أيضاً: أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمن به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار.

قال السبكي: عرفنا بالخبر الصحيح حصول الكمال من خلق آدم لنبينا ﷺ من ربه سبحانه وتعالى أنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت، ثم أخذ المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وفي أخذ المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة أخرى وهي كأن إيمان البيعة التي تؤخذ أخذت من هنا. فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي ﷺ من ربه فالنبي ﷺ نبي الأنبياء. ولهذا ظهر في الآخرة جميع الأنبيار تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك كل ليلة الإسراء صلى بهم.

ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم الإيمان به

فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له. وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم به فتأخر ذلك الأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهليه الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي ﷺ الشريفة، وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته وما يتعلق به منها من أمر ونهي ما يتعلق بسائر الأمة، وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء.

وكذلك لو بعث النبي ﷺ في زمانه أو زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي ﷺ نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم وتتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع، إما على سبيل التخصيص، وإما على سبيل النسخ أو لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي ﷺ في تلك الأوقات بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة والأحكام تختلف باختلاف الأوقات والأشخاص ا هـ. كلام السبكي.

قال الجلال ويدل لكونه مرسلاً إلى الأنبياء أنه كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمد رسول الله وإذا تقرر أنه نبي الأنبياء، ورسول إليهم وأنهم أفضل من الملائكة لزم أن يكون رسولاً إلى الملائكة وأن تكون من أتباعه.

وعاشرها: أنه ﷺ أعطي من الملائكة أموراً لم يعطها أحد من الأنبياء منها قتالهم معه ومشيهم خلف ظهره إذا مشى وقوله ﷺ: «إن الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر»[1] والوزير من أتباع الملك ضرورة فجبريل وميكائيل رؤوس أهل ملته من الملائكة كما أن أبا بكر وعمر رؤوس أهل ملته من بني آدم وأنه لما مات صلت عليه الملائكة بأسرهم لم يتخلف منهم أحد ولم يقع ذلك لغيره من الأنبياء وأن الملائكة يسألون الموتى في قبورهم عنه ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الأنبياء سواء، وأن الملائكة تحضر أمته إذ لاقت العدو في سبيل الله تعالى لنصرته وهذه خصيصة مستمرة إلى يوم القيامة وأن جبريل يحضر من مات من أمته ليطرد عنه الشيطان في تلك الحالة، وإن الملائكة تنزل كل سنة ليلة القدر على أمته تسلم عليهم، وأنها أعطيت قراءة سورة الفاتحة من كتابه ولم تعط قراءة شيء من سائر الكتب، وأنه نزل إليه في حياته من الملائكة ما لم ينزل إلى الأرض منذ خلق كإسرافيل وأن ملك الموت استأذن عليه ولم يستأذن على أحد قبله وأنه وكل

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١: ١٧٩).

بقبره الشريف يبلغه سلام من يصلى عليه، وأنه ينزل على قبره الشريف كل يوم سبعون ألف ملك يضربونه بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه إلى أن يمسوا، فإذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك، إلى أن يصبحوا إلى أن تقوم الساعة. فإذا كان يوم القيامة خرج ﷺ في سبعين ألف ملك ا هـ.

ملخص: ولا يخفى أنه ليس في هذه الأدلة تصريح ببعثته إليهم ولا ملازمة بين عبادتهم وبين بعثته إليهم لأن عبادتهم تكون بالأخذ عن ربهم أو بإرسال ملك من جنسهم إليهم كجبريل و إسرافيل أو غيرهما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥] وإنما سبقت الأدلة المذكورة لئلا يتوهم الواقف على إفتائي المذكور أنني لو وقفت عليها لما خالفتها وعلى تقديري أن لو كانت دالة على المدعى يكفي في ردها مستند الإجماع.

ومن جواهر الشهاب الرملي أيضاً

[مساءلته بما أمر به نبينا ﷺ]

أنه سئل في فتاويه ما الذي أمر به نبينا ﷺ في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] مع أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع.

فأجاب: بأنه أمر باتباعه في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه وقال ابن عمر أمراً باتباعه في مناسك الحج كما علم إبراهيم جبريل.

وقال الطبري: أمر باتباعه في التبري من الأوثان والتزين بالإسلام وقيل: أمر باتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه.

قال الماوردي: قال بعض أصحابنا: والصحيح الاتباع في عقائد الشرع دون الفروع لقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] ا هـ.

وقال بعضهم فإن قيل الملة الدين وهو ما كان يدعو إليه من الاصول والفروع فلم يكن دين محمد ﷺ ناسخاً لدينه قلنا يلزم الحمل على إرادة الأصول كما ذهبت إليه الفئة المحققة من الأصوليين توفيْقاً بين ذلك وبين ما دل عليه كون دينه ناسخاً لدينه باعتبار بعض فروعه. انتهى كلام الشهاب الرملي رحمه الله تعالى.

ومنهم الإمام العارف بالله الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان القادري المدني المتوفى فيها سنة ١١٨٩ هـ رضي الله عنه

ومن جواهره رضي الله عنه

[رسالته في التوجه الروحي له ﷺ]

رسالته في التوجه الروحي له ﷺ وهي من أجل الرسائل العرفانية فقد اشتملت على مقدار جليل من الفضائل المحمدية وفي كلام سيدي عبد الكريم الجيلي في كتابه «قاب قوسين» ما يؤيد جميع ما ذكره فيها وهذا نص المقصود منها:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي جعل محبته ﷺ مبنى أساس الإيمان، وباب المعرفة وسر الإمكان، من نوره الشريف تصورت جميع الصور، ومن فيضه العلي استمد البشر والشجر، فهو الأب الأصلي والختم الحقي، الداعب إلى الحق بالحق، به ظهرت الموجودات، ومنه تفرعت الممكنات إذ هو صاحب رياسة لولاك، وقلب قوسي الوجود وعروة الاستمساك، فبالصدق في محبته ﷺ يحصل للعبد سؤاله، وبالاضمحلال في نوره الباهر يتم وصوله، المخاطب بالنور المبين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذه رسالة لطيفة، وكلمات ظريفة، لتضمن التوجه الروحي إليه، ﷺ جمعتها وأطلب من المولى الانتساب إليه. والاندراج فيه والقبول لديه، وحسن التوجه إليه في الحركة والسكون، والصدق في الظاهر والمكنون ورتبتها: مقدمة: محتوية على شأنه الشري، وعلو قدره المنيف، وثلاثة فصول:

الأول: في تصوراته الشريفة ونبذة في الطريق الموصلة للرحمٰن. الثاني: في مشاهد وقعت للمؤلف على سبيل التحدث بالنعم وبشرى للزائرين من الإخوان. الثالث: في بعض شمائله ﷺ الحسان.

والله أسأل أن ينفع بها المحبين والإخوان. ويجمعنا من عباده الصالحين المنسوبين لسيد

ولد عدنان، فإنه الموفق للسداد، والهادي إلى طريق الرشاد.

مقدمة: اعلم وفقك الله وإيانا. ولا أخلاك من أنسه ولا أخلانا، إن النبي ﷺ واسطة الله بينه وبين عباده وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «إنا من الله والمؤمنون مني» وقد شهدت الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياتهم، وعلموا علو شأنه عليهم في مكاناتهم. واستمد الجميع به في ذواتهم، وإلى ذلك الإشارة في إمامته بهم فوق السمٰوات فهو إمام الأنبياء وقدوة الأولياء صورة ومعنى ﷺ.

واعلم أنه ﷺ لما تنزل من الحضرة الأحدية إلى الحضرة الواحدية ظهر فيها بحقائق ظهور الاسم بالمسمى والصفة بالموصوف وفي كل معنى من معاني الكمالات التي لا تشير بحقيقتها إلا إليه، ولا تدل بهويتها إلا عليه، فلو تحقق أحد بكمال من تلك الكمالات المشار إليها، كان عطفاً عليه لديها.

وتقرير هذا الكلام هو أنه لو تحقق مثلاً ألف نبي وألف ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل منهم نوراً مطلقاً ثم أطلقت اسمه النور ولم يقع هذا الاسم إلا عليه، ولم تسبق هذه الصفة إلا إليه.

ولهذا سماه الله في كتابه العزيز بالنور دون غيره. وسر ذلك أن الأنبياء إنما تحققوا بهذه الصفة وهو ﷺ حقيقة هذه الصفة وكم بين حقيقة الشيء وبين من تحقق به فافهم.

الفصل الأول: إعلم يا أخي طهرني الله وإياك أنه لا يمكن لأحد أن يدرك حقيقة كنهه ﷺ إلا بمتابعة شريعته ولا يدرك سر الحقيقة المحمدية والتصورات الأحمدية إلا بعد خوض بحر المحبة كما قال بعض الكاملين من المشايخ المتقدمين خضت بحراً وقفت الأنبياء على ساحله يعني بذلك بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء. ولهذا من تحقق بالسنة المحمدية ظاهراً وباطناً خاض بحر الحقيقة المحمدية التي خاضها هو وأمثاله بكمال الاتباع المحمدي صورة ومعنى لأخذه الأشياء من الله تعالى في بعض حضرات بالقابلية المحمدية.

فإذا علمت ذلك وتحققته فتعلق بحبل جنابه، ولازم الوقوف ببابه، فإن قلت لا أدري كيف هذا التعلق بهذا الجناب؟ والملازمة بهذا الباب. قلنا: إن التعلق بالجناب المعظم ﷺ على نوعين.

النوع الأول: التعلق الصوري بالجناب النبوي وهو على قسمين:

الأول: الاستقامة على كمال الاتباع له بمواظبة ما أمر به في الكتاب والسنة قولاً وفعلاً

واعتقاداً على ما ذهب إليه الأئمة الأربعة الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل رضي الله تعالى عنهم، إذ وقع إجماع العلماء المحققين بأنهم أئمة الحق وهم الفرقة الناجية يوم القيامة إن شاء الله تعالى ومن كمال هذا القسم من الاتباع الصوري أن يعتمد فعل عزائم الأمور ولا يركن إلى الرخص فإن الله أمر النبي ﷺ بارتكاب العزائم في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقد ذكرهم سبحانه بقوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣] وهو ﷺ خامسهم وسيدهم فينبغي للتابع الكامل الاتباع أن يأتي بعزائم الأمور ولا يقف مع الرخص، فإنه مقام الإسلام ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القرب والصديقية. وشرائطها اتباع النبي ﷺ في ارتكاب العزائم، ولن تقدر عليها ما ينبغي، إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها. ولا تعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله بذلك على ذلك جميعه ويعرفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأقوال والأحوال.

ألا ترى أن النبي ﷺ كان في بدايته يتحنث بغار حراء الأيام الكثيرة فلما انتهى وعظم شأنه ترك التحنث وقعد مع أصحابه طول السنة ما عدا الأواخر من رمضان. واعلم أنه لا يتحقق للطالب معرفة ما هو اللائق به إلا بواسطة شيخ مرشد يدله على الطريق الأقوم، أو بواسطة جذب إلهي كاشف له عن ذلك، وليس لنا مع المجذوب كلام فينبغي لك أن تسعى بطلب شيخ كامل يدلك على معرفة الله بتعريفه لك بنفسك، فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره ولا تفارق وضعه ولو قطعك البلاء إرباً إرباً واحذر من أن تعصيه وأن تكتمه شيئاً من أمرك فلو قضى عليك الله بمعصية ينبغي أن تعرضها عليه ليسعى في دفع المقتضى لذلك بمداواتك بما يعرفه من أمرك أو بالشفاعة والالتجاء إلى الله في حقك ليزيل عنك وخامة تلك الزلة، فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله فألزم طريقهم وجملة شروط الطريق إلى الله تعالى أربعة أشياء: فراغ القلب عن الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة، والإقبال على الله بالكلية بالصدق والمحبة المنزهة على العلل من غير فتور ولا التفات ولا ملل ولا طلب عوض. ودوام المخالفة للنفس في كل ما تطلب من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وأخرى وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله خطوراً واعتقاداً وعلماً، ودوام الذكر لله تعالى بالنظر إلى جلال الله وجماله سواء كان ذكر اللسان أو القلب أو الروح أو السر أو الجملة، وقد تكلم العلماء الراسخون والمشايخ المتقدمون والأولياء الصالحون في ذلك وأوضحوه في كتبهم فلنمسك العنان ونقتصر على هذا البيان، ولنرجع إلى ما نحن بصدده وهو التصور جعلنا الله تعالى من أهل التصور والتصديق، في هذا الطريق.

الثاني: أن تتبعه ﷺ بشدة المحبة حتى تجد ذوقها في وجودك جميعاً.

النوع الثاني: التعلق المعنوي بالجناب المحمدي وهو على قسمين:

الأول: اعلم يا أخي بلغنا الله وإياك استحضار صورته ﷺ والتأدب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة فإن لم تستطع فاستحضر الصورة التي رأيتها في المنام.

فإن لم تكن رأيته قط في منامك فاذكره. ففي حال ذكرك له ﷺ تصور كأنك بين يديه متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء. فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته لأنه متصف بصفات الله تعالى وهو سبحانه وتعالى جليس من ذكره وللنبي ﷺ نصيب وافر من هذه الصفات لأن العارف وصفه وصف معروفه فهو ﷺ أعرف الناس بالله تعالى.

الثاني: من التعلق المعنوي استحضار حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال الجامعة بين الجمال والجلال المتحلية بأوصاف الله الكبير المتعال والمشرقة بنور الذات الإلٰهية في الآباد والآزال فإن لم تستطع فاعلم أنه ﷺ الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث، فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتاً وصفات. لأنه مخلوق من نور الذات جامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكماً وعيناً ومن ثم قال الله تعالى في حقه: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٨ - ٩].

وإنما كان ﷺ برزخاً بين الحقيقة الحقية والحقائق الخلقية لأنه حقيقة الحقائق جميعها. ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش، وقد علمت أن العرش غاية المخلوقات إذ ليس فوق العرش مخلوق فعند استوائه ﷺ فوق العرش كانت المخلوقات تحته بأسرها وربه فوقه، فصار برزخاً بالمعنى، لأنه موجودون من الحق والخلق موجودين منه، فهو متصف بكلتا الصفتين من كلتا الجهتين صورة ومعنىً وحكماً وعيناً كما قال ﷺ الحديث المتقدم في أول الرسالة: «**أنا من الله والمؤمنون مني**» فإذا علمت ما ذكرته لك سهل عليك تصور هذا الكمال المحمدي إن شاء الله تعالى.

واعلم وفقنا وإياك وأذاقنا من هذا المشرب الصافي ومن تبعه من أهل الصفا والوفا من الزائرين اللائذين بقبر المصطفى ﷺ وعلى آله أجمعين. أن الحقيقة المحمدية ظهوراً في كل عالم يليق به فليس ظهوره ﷺ في عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح لأن عالم الأجسام ضيق لا يسع ما يسعه عالم الأرواح. وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى فإن عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع. وليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء، وليس ظهوره في السماء كظهوره عن يمين العرش، وليس ظهوره عن يمين العرش

كظهوره عند الله حيث لا أين، ولا كيف؟ فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الأول، ولكن ظهور جلالة وهيبة يقبلها المحل حتى أن يتناهى إلى محل لا يستطيع أن يترآه فيه أحد الأنبياء والملائكة والأولياء وذلك معنى قوله ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[١] فارفع همتك يا أخي لتراه في مظاهره العليا لمعانيه الكبرى فإنما هو فافهم الإشارة. وأوصيك يا صفي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ولو كنت في أول أمرك متكلفاً في الاستحضار فمن قريب تآلف روحك به فيحضر لك ﷺ عياناً تجده وتحدثه وتسأله وتخاطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم إن شاء الله تعالى. قال ﷺ: «أكثركم علي صلاة أقربكم مني يوم القيامة» وكثرة الصلاة عليه تفيد بالصورة الروحانية تعشقاً يوجب زيادة المحبة ودوام الذكر له ﷺ ولأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ويحشر معه، فإذا كان هذا نتيجة الصلاة عليه باللسان فما يكون نتيجة الصلاة عليه بالقلب فالروح فالسر هل يكون إلا معه عند الله تعالى؟ لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ الفوز بالقرب بالمكان وهو الجنة ونتيجة العمل الباطني وهو التعلق والإقبال ودوام استحضار صورته ومعناه الفوز بالقرب بالمكانة فهو عند الله قد نزل في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف فافهم الإشارة تقع على البشارة.

واعلم أن الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله سكن وثبت وجوده عند ذكره تعالى. وكلما ازدادت معرفته في رسول الله ﷺ اضطرب وظهرت الآثار عند ذكر النبي ﷺ وذلك أن معرفة الولي لله إنما هو على قدر قابليته ومحتده في الله ومعرفة النبي ﷺ نشرت من معرفة الله تعالى على قابلية النبي ﷺ ولأجل هذا لا يطيق أن يثبت له ولظهور الآثار.

وكلما ازداد الولي معرفة بالنبي ﷺ كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الإلٰهية وأدخل في معرفة الله تعالى على الإطلاق.

بشارة: يا أهل البشارة من خصائص النبي ﷺ أن كل من رآه الأولياء من التجليات الإلٰهية لابساً خلعة من خلع الكمال فإنه ﷺ يتصدق بتلك الخلعة على الذي رآه الخلعة وتكون له هدية من الرسول فإن كان قوياً أمكنه لبسها على الفور في دار الدنيا وإلا فهي مدخرة له عند الله يلبسها متى تقوى استداده إما في الدنيا وإما في الآخرة وتكون هذه الفتوة له من النبي ﷺ وسلم، فكل من رأى ذلك الولي أيضاً في تجل من التجليات وعليه تلك الخلعة النبوية فإن ذلك الولي يخلع ويتصدق بها عن النبي ﷺ على ذلك الرائي الثاني وتنزل من المقام المحمدي

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (٢: ٢٤٤). وعلي القاري في الأسراء المرفوعة (٢٩٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٢٦١). وفيه: «من خرج من الدنيا».

للوالي خلعة أخرى أكمل من تلك الخلعة عوض ما تصدق بها عن النبي ﷺ وهكذا إلى ما لا نهاية ولم تنزل هذه الفتوة دأبه وعادته لسائر من يراه من الأولياء أبد الآبدين، نعم هذه كيفية أخرى فتح بها وهو أن تلاحظ أنه ﷺ ملأ الكون بل عينه وأنه نور محض وإنك مغموس في ذلك النور مع تغميض عين البصر لا البصيرة فإذا حصل لك الاستغراق في هذا النور والتلاشي والغيبوبة فتتصف بمقام الفناء ومن حصل له مقام الفناء فيه ﷺ ذاق محبته وهو أجد قسمي التعلق الصوري وكيفيته كما سبق بأن تتبعه ﷺ بأشواق والمحبة حتى تجد ذوق محبته ﷺ في جميع وجودك فإني والله لأجد محبته ﷺ في قلبي وروحي وجسمي وشعري وبشري كما أجد سريان الماء البارد في وجودي إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد وهذا وإن حبه ﷺ فرض عين على كل أحد قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وقال ﷺ **«لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده»**(١) فإن لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك فاعلم أنك ناقص الإيمان فاستغفر الله وتضرع إليه وتب من ذنوبك، وتولع بدوام ذكر النبي ﷺ والتأدب معه والقيام بما أمر مع الاجتناب عما نهى، لعلك تنال ذلك فتحشر معه، لأنه قال ﷺ: **«المرء مع أخت نعم»** إذا تحققت في مقام الفناء فيه ﷺ فليكن فناؤك عن الفناء هو المقام المحمود، فعند ذلك تلقى ما يفايض عليك منها، أي من الصورة التي ظهرت من النور وكيفية أن تلاحظ عند توجهك له ﷺ أنه هو المتوجه لنفسه حتى تتلاشى فيه، وكذلك إذا صليت عليه صلى الله عليه وسلم، لاحظ أنه هو المصلي لا أنت لأن جميع الأشياء خلقت من نوره ﷺ، وفي كل ذرة من الذرات دقيقة منه ﷺ، وتظهر تلك الدقيقة بحسب حال الذي هي فيه وأنت شيء من جملة الأشياء وفيك سر منه ﷺ فالمتوجه له ﷺ ذلك السر الكامن فيك ولم يزل يستولي هذا السر عليك بحسب توجهك حتى تستغرق فيه ﷺ.

ولم يزل كذلك من مقام إلى مقام آخر حتى ينقلب الله تعالى إلى مقام البقاء به ﷺ فعند ذلك تكون إنساناً كاملاً وارثاً للحقيقة المحمدية جامعاً للكمالات المصطفوية فاحمد الله تعالى على ما أولاك وأعطاك وكن عبداً طالباً لمقام العبودية غارقاً في بحار الأحد، عارفاً بتصرفات الواحدية صاحب سيرة محمودة كما قال سيد السادات زدني فيك تحيراً ﷺ ما قامت بربها السموات.

الفصل الثاني: في مشاهد أفيض بها على بعض الخدام والعبيد المجاورين للسيد المجيد ﷺ **«أول مشهد»**: ما بين قبره ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة كما ورد في الصحيح وذلك كما شاهدنا من الأنوار الربانية على كلٍ فإن صلى هناك مستغرق في بحر النور، وإن لم

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (٢: ٤٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٣٨٦).

يلتفت وإما المبتدئ فإن الإنسان إذا صار محبوباً، أي دخل جوهر روحه هذه البرزة المثالية، أو المثالية، أو هذه النقطة التدبيرية، فكان منظوراً للحق وللملأ الأعلى وانساق إليه أفواج الملائكة وأمواج النور لا سيما إذا كانت همته تعلقت بهذا المكان والعارف الغارق الكاملة معرفته وحالة همه يحل فيها نظر الحق لا تتعلق بأهل ونسب وقرابة وأصحاب وغيرها.

ثاني مشهد: رأيت لله سبحانه وتعالى بالنسبة للنبي ﷺ نظراً خاصا كأنه من معنى لولاك لما خلقت الأفلاك واشتقت إلى تلك النظرة واعجبني أشد عجب، فلصقت به ﷺ وتطلعت عليه وصرت كالعرض بالنسبة للجوهر.

ثالث مشهد: رأيت أن أتشفع إليه وأتوسل لديه ﷺ بعلما الحديث للدخول في أعدادهم وبعلمه وحفظه على الناس لأكون عروة وثقى وحبلاً ممدوداً لا ينقطع أبداً فحسبك أن تكون محدثاً أو متطفلاً على محدث ولا خير فيما سوى دينك والله أعلم.

[رابع مشهد][1]: في حكم واقعة ظهرت بين القبر الشريف والمنير مظهر النور وقد علا النهار وكنت جالساً قريباً من المربعة الرخام المقابلة للمنبر المعدة لمبلغي الصلاة، وكان بين يدي كتاب البخاري وليس كشكله المعروف إنما هو في النظر والنضارة أمره لا يكيف، وكذلك في الخط، وأقول فيه إنما هو بقلم القدرة وفي العظم عظيم وصرت أتعجب منه وأتأمل فيه وإذا بالنور قد غشيني فوق ما كنت أراه وإذا بالحقيقة المحمدية ظهرت والنور الأحمدي برز فعند ذلك رأت صورة النور ومن هذا النور الصورة الشريفة ولله الحمد والمنة فبعد الاستيقاظ من الواقعية المذكورة بقيت تلك الصورة المذكورة عندي مدة من الزمن لا تغيب عني ليلاً ولا نهاراً.

الفصل الثالث: في شمائله وكماله الصوري الشاهد له بتحقيق علو المكان عندالله وهذا الكمال ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **الأولى**: في ذاته ﷺ. **الثاني**: في أفعاله كالصلاة والصيام والصدقة وأمثالها. **الثالث**: في أقواله كالكلمات الطيبة والاهتداء به إلى غير ذلك.

القسم الأول: أما ذاته ﷺ فإنها كانت أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأطهرها وأنورها، ووصورته أجمل الصور وأعلاها وأزكاها وفي الحديث أنه ﷺ كان أجمل من يوسف عليه السلام وورد في حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ على فراشه في

---

(١) وردت في الأصل: «مشهد رابع» أما ترتيب المشاهد السابقة فقد أتى: «أول مشهد، ثاني مشهد، ثالث مشهد...» فكان الأصح الترتيب كما المشاهد السابقة.

ليلة ظلماء فسقط من يدها إلى الأرض فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فوجدتها بنور جبينه فرفعتها.

وفي الخبر عن هندي بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة، رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والإفلا يجاوز شعره شحمة أذنيه أذاهو وفره، أزهر اللون واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غيره قرن بينهما عرق بدوره الغضب أفنى العرنين، له له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية أدعج منهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيدد ددمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف وسيط القصب خمصان الأخمص مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفؤاً يمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما يحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيته بالسلام، متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة ولا يذم شيئاً لم يكن يذم، لا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فيضرب بأبهامه اليمنى راحة يده اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه، وأكثر ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

وهذا حديث جامع في صفة خلقته واعتدالها وكمال نشأته الظاهرة الكاملة التي أجمع الحكماء من أهل الفراسة أن كل حلية منها دالة على مجامع الخيرات فهو أكمل خلق الله صورة وأعدلهم نشأة لأنه الموجود الأول الذي هو في غاية الاعتدال كمالاً وجمالاً وجلالاً وبهاء وسناء ولهذا كل من قارب هذه الخلقة الشريفة في الاعتدال كان أكمل من غيره بقدر ما أوجد الله فيه من الصفات المعتدلة الكاملة الخلقة الدالة على شرف الذات صورة ومعنى.

تنبيه: إنما أوردت لك أيها السالك المحب ذكر هذه الخلقة العظيمة الشريفة لتتصورها بين عينيك وتلحظها في كل ساعة حتى تصبر هجيرك لتكون في درجة الصاحب له فتفور بالسعادة الكبرى، وتلحق بالصحابة رضوانالله عليهم، فإن لم تستطيع ذلك على الدوام فلا أقبل

أن تستخضر هذه الصورة الشريفة بما لها من الكمالات عند الصلاة عليه ﷺ.

القسم الثاني: وأما أفعاله ﷺ الرضية وأحواله الزكية فقد امتلأت الصحف بها وشهدت الأكوان بحسنها وكمالها وناهيك عن رجل كل العالم في ميزانه فإنه الذي أسس طرق الهداية، وأخرج الخلق من الغرابة، وبين الحلال والحرام، والصلاة والصيام وكل خير يوجد بين الأنام ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فله أجر جميع الخلق، بل الكل في ميزانه، بل الكل قطرة من بحره بل الكل هو، بل الكل هو، لأنه الأصل وهم الفرع ويكفي هذا القدر من ذكر جميع أفعاله ومليح أقواله وأحواله التي هي أظهر من الشمس في رابعة النهار ويكفيك ما ورد أقدامه لطول قيامه على أنه مغفور له ومن شد الحجارة على بطنه من شدة الجوع، وقد أوتي مفاتيح حزائن الأرض قال له جبريل: أمرت أن أجعل لك جبال الارض ذهباً فأبى واختار الفقر وأتى بمال من البحرين ذهباً، وقيل: إنه كان إذا كم يغرق الرمح فيه فصبه بين يديه وفرقه جميعاً ولم يحمل إلى بيته شيئاً وقد كان في بيته مع أهله نحواً من شهرين على الأسودين التمر والماء، صفاته الظاهرة لا تخف على اغنياء فضلاً عن الأذكياء جعلنا الله منهم فلنكتف بهذا القدر والله المُستعان.

القسم الثالث: وأما أقواله المفصحة عن محاسن أحاله فلا تحتاج إلى تطويل إذ جميع الإسلام مشحونة منها وناهيك بعظم مكانه قوله حيث قال الله تعالى في كلامه العزيز ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

فانظر إلى أي كلمة شئت من حديثه تجد فيها مجامع المحاسين من كل جهة بكل حقيقة إذ هداية الخلق مقرونة بأقواله فلم يدع خيراً إلا وقد هدى الأنام إليه ولا ترك فضيلة إلا وقد نبه عليها.

ولهذا جعله خاتم الأنبياء والمرسلين لأنه قد أحاط بالتنبيه على كل دقيقة وحقيقة وأضاء بنورة كل طرقه فلم يحتج الكون إلى مرشد سواه فكان خاتم النبيين لأنه أولهم إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين، بل كان نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين ﷺ وشرف وكرم آمين.

ومنهم الإمام الكبير الشهير أبو الحسن البكري المصري(١) المتوفى سنة ٩٥٢ هـ والد سيدي محمد البكري الكبير رضي الله عنهما

فمن جواهره

[أحاديث في الصلاة على خير البرية ﷺ]

كتابه «عقد الجواهر البهية في الصلاة على خير البرية» هو هذا بحروفه قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً نذيراً سماه تعالى في كتابه سراجاً منيراً وختم به النبيين وجعله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين أحمده إذ جعل في الصلاة عليه نجاة من العذاب وأشكره إذ جعل فيها خلاصاً من الذنب ورحمة لأولي الالباب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك الواحد القدير وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير صلى الله عليه وآله وأصحابه ذوي الاجر الكثير ما خط قلم أو نطق فم وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فهذا كتاب لطيف ذكرت فيه أربعين حديثاً في الصلاة على رسول الله ﷺ ونسبت كل حديث إلى من خرجه من الثقات، أتبعه ببيان معانيه وما فيه من المهمات واللغات نقحت الاستنباط من الحديث فيما يتعلق بالمقصد ورجوت بذلك ثواب ربنا المعبود وسميته عقد الجواهر البهية في الصلاة على خير البر ية وكلما أطلقت فيه من الاحتمالات والاستنباطات الجمع بين الأحاديث فهو مما ظهر لي كان لغيري بينته بلفظ قبل أو قالوا أرجو النفع به لي ولسائر المسلمين من الله رب العالمين وأسأله أن يحشرنا في زمرة سيد المرسلين وأن يرفعنا في الجنة إلى أعلى عليين، فهو ولي ذلك والقادر عليه لا يعول في الأمور كلها إلا عليه هو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق البر الحسن البكري الصديقي، مفسر، متصوف، مصري من علماء الشافعية مولده بالقاهرة سنة ٨٩٩ هـ ووفاته فيها سنة ٩٥٢ هـ.

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً» رواه أبو داود ومسلم وغيرهما.

اعلم أن الصلاة في اللغة بمعنى الدعاء قال الأزهري: وهي من الله تعالى بمعنى الرحمة فحينئذ يكون معنى صلى الله عليه عشراً أنه يرحمه عشر مرات أو ينزل عليه عشر رحمات من الملائكة الاستغفار ومن الآدميين تضرع دعاه ونقل البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى «أن الله ملائكته يصلون على النبي»: أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس يصلون بمعنى يتبركون، قال أبو العالية صلاة الله عليه وسلام ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء والله أعلم.

الحديث الثاني: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكرت عنده فليصل علي من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً».

في رواية: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ورفع له بها عشر درجات» رواه أحمد والنسائي واللفظ له قوله: ذكرت عنده. صادقة بذكر اسمه صفته كنبته ما يتعلق به من المعجزات، وقوله: صلاة واحدة. زائده للتأكيد قوله فليصل اللام للأمر وهو هنا للوجوب.

وقيل: للندب. اختلفا في جوب الصلاة على النبي ﷺ على أقوال:

الأول: تجب في كل صلاة. الثاني: لا تجب بعد الإسلام إلا مرة. الثالث: كلما ذكر واستدل بهذا الحديث اختار هذا القول الحليمي واللخمي والطحاوي. الرابع: في كل مجلس وسيأتي ما يدل له ،الخامس: في أول كل دعاء وآخره استدل له بحديث رواه الطبراني قوله ﷺ «لاتجعلوني كقدح الراكب اجعلوني في الدعاء وأوسطه وآخره».

رواه جابر القدح بفتح القاف والدال المهملة وبالحاء المهملة في آخره ومعنى الحديث لا تؤخروني في الذكر لأن الراكب يعلق قدحه في آخره بعد فراغه من التعبية وعلى ذا قول حسان:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم   كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

قلت كان ينبغي لقائل هذا القول أعني القائل بوجوب الصلاة عليه ﷺ في أول كل دعاء آخره أن يقول ووسطه أيضاً لأنه استدل بالحديث المذكور فيه الثلاثة فما وجه تخصيص الأول والآخر وإسقاط الوسط.

فإن قيل: إن المقصود التعظيم وهو حاصل بالأول وبالآخر. قلت: ويحصل بالآخرة

فقط المقصود زيادته ولا شك أنها في ذكره في الأول والوسط والآخر أبلغ وأعظم من ذكره في محلين ﷺ قيل: المنهي عنه جعله كقدح الراكب وإذا كان في أول الدعاء وآخره لم يكن كذلك قلت وإذا كان في أوله له أيضاً لم يكن كذلك فاعتبار الثلاثة أعني على هذا القول هو الظاهر عندي والله أعلم.

واعلم أن المعتمد في مذهب إمامنا الشافعي رضي الله عنه وجوبها عليه في كل صلاة في التشهد الأخير ولا تجب في الأول وليس هذا محل بسطه.

الحديث الثالث: عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه قال فجئت أنتظر فرفع رأسه فقال «**مالك يا عبد الرحمن**»: قال فذكر ذلك له فقال«**إن جبريل قال لي ألا أبشرك أن الله عز جل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه**».

زاد في رواية فسجدت شكراً رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد قوله: أبشرك البشارة كل خير تتغير له بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر في الخير أغلب قالوا: هي عند الإطلاق للخير فإن أريد الشر قيدت قال الله تعالى في الأول: بشر عبادي وفي الثاني: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١] وينبني على تفسير البشارة مسألة هي إذا قال: إن بشرتني بكذا فهي طالق فأخبرته امرأته بذلك فإن كانت صادقة طلقت إن كانت كاذبة لم تطلق لعدم تحصيل الغرض وأن أخبر من غيرها والغير صادق ثم أخبرت هي صادقة لم تطلق وقيل تطلق الأول أصح لأن البشارة بأول خبر وما بعد ذلك لا يكون بشارة وأعلم أن هذا الحديث من الفوائد. إن الإنسان إذا تجددت له نعمة يسجد شكراً لله تعالى وسجدة الشكر تكون خارج الصلاة ولا تكون فيها ويشترط فيها الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة وتجدد النعمة أو اندفاع النقمة والنية يدخل فيها بالتكبير رافعاً يديه ويكبر للهوي للسجود بلا رفع يقول في سجوده سجد وجهي الذي خلقه وصوره وشق سمعه بصره بحولة وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين. اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً وضع عنى بها وزراً وتقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود ثم يرفع رأسه من السجود، ويسلم تكبيرة الإحرام واجبه وكذا السلام وتستحق هذه السجدة لرؤية المبتلى العاصي ولا يظهرها للمبتلى ويظهرها للعاصي إن لم يخف فتنة فإن خاف فتنة أخفاها ولو رأى شخص مبتلى مبتلى آخر فينظر إن كانت بلية الرائي أخف سجد وإن كانت بلية الرائي أكثر لا يسجد قال بعض علمائنا ينبغي تخريجه على أنه هل هو مما يفسخ النكاح به أي كان له يسجد والإفلا وإن تساويا في الفسخ أو عدمه فمقتضى

هذا الكلام أن لا سجدة، ولكن إطلاق النووي رحمه الله تعالى يقتضي السجود وأن كان المبتلي عاصياً فماذا يراعي الساجد؟ هل يراعي البلية والمعصية الذي يظهر أن المبتلي العاصي إن كان متظاهر بالمعصية لا يخفي الرئي السحوود لأن فيه زجراف له المصلحة الحاصلة من السجود أعظم من مصلحة الإخفاء وخصوصاً إن كان عصيانه بظلم الناس واعلم أن سجوده ﷺ هذا التجدد النعمة، وأما السجود لاندفاع النقمة فيستدل له بما روى الشيخان عن كعب بن مالك أنه لما جاءته البشارة بتوبتة خر ساجداً قلت وهذا السجود لتجد النعمة واندفاع النقمة لكن المقصود من الدليل وجوده لاندفاع النقمة وقد وجد والله أعلم.

مسألة: لو خضع فتقرب إلى الله تعالى بسجدة من غير سبب حرم عليه وعزر من ذلك ما يفعله الجهلة الكذابون الضالون من السجود بين يدي المشايخ وهو حرام قطعاً ويجب على من تصدى للمشيخة إنكار ذلك عليهم إلا فهو ضال معهم لإقراره على ذنب عظيم سواء قصد الساجد السجود لله أو غفل عن هذا القصد وفي بعض صور ذلك ما يقتضي الكفر أعادنا الله تعالى من ذلك وسائر المسلمين.

الحديث الرابع: عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «**من صلى علي صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، محا عنه بها عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات، وكن له عدل عشر رقاب**»[1] رواه ابن ابي عاصم قوله عدل عشر رقاب بفتح العين عدل الشيء بكسر العين مثله من جنسه ع،له مثله من خلاف جنسه فله كن أي العشر حسنات ومعناه أن ثواب الصلاة الواحد فيه من الثواب بمقدار الثواب الحاصل في إعتاق عشر رقاب.

الحديث الخامس: عن أبي بردة بن نيار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي مرة صلاة مخلصاً من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وكتب له بها عشر حسنات محا عنه عشر سيئات**». رواه النسائي وغيره. قوله: «مخلصاً» حال من فاعل صلى.

والمراد أن هذا الثواب لا يحصل إلا مع الإخلاص فإن لم يكن إخلاص لم يكن يحصل وليس هذا الأمر مقصداً على الصلاة على النبي ﷺ بل شرط حصول ثواب كل العبادات وجود الإخلاص فيها فإن لم يكن إخلاص كان ثوابه بقدر الباعث إن كان الباعث الثواب، فإن كان الباعث الرياء فقط فلا ثواب له بل عليه الإثم وإن كان الباعث امتثال أمر الله فقط فالثواب

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ١٦٣).

حاصل بأجمعه فإن أشرك بين الأمرين فيحصل له من الثواب بقدر الباعث الرباني قوياً كان أو ضعيفاً هذا حاصل ما قاله الأئمة.

الحديث السادس: عن عبد الله بن عمر بن العاصي رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا «**سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلموا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تبتغى إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون أنا هو من سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[1]. رواه مسلم.

واعلم أن الكلام في إجابة المؤذن يأتي في أحاديث العبادات إن شاء الله تعالى والعرض من هذا الحديث هنا: أن من سمع الأذان يستحب له عند فراغه أن يصلي على النبي ﷺ وأن يسأل الله له وسيلة، قوله: «لا تبتغى إلا لعبد» إلا لعبد بمعنى أنه لا يستحقها إلا واحد. قوله: «حلت له الشفاعة»، أي غشيته تجللته وليس المراد أنها كانت حراماً عليه ثم حلت له.

الحديث السابع: عن عبد الله بن عمرو أيضاً قال: من صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة. رواه أحمد وحكمه الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فيه. واعلم أن هذا الثواب شيئاً فشيئاً فكلما علم بشيء قاله والله أعلم.

الحديث الثامن: عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر: «**أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال لي: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات محا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها**»[2] رواه أحمد النسائي.

واعلم أن في هذا الحديث من الفوائد أن أهل العلم إذا ظهر لهم شيء من العبادات يسر الناس فرحاً بذلك وأن أصحاب العالم إذا ظهر لهم في وجهه سرور سألوه عنه ليبدي لهم ذلك إن علموا من حاله أنه لا يسر إلا بخير للناس وإذا سألوه أبداه لهم وفيه أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا رأوا في وجهه سروراً سأله عنه كما ورد في غيره هذا الحديث وفيه النبي ﷺ كان يسر إذا بلغه شيء فيه ثواب عظيم لأمته وفيه بيان محبته ﷺ لهذه الأمة والله أعلم.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١: ٤٠٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٠٩٩٠). وابن أبي شيبة في المصنف (٩٨). وابن عدي في الضعفاء (٤: ١٦١١).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣: ٢٤٩). والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١: ١٤٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢١٨٠، ٢١٨١، ٢٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٣٧).

الحديث التاسع: عن أبي طلحة أيضاً قال: دخلت على النبي ﷺ وأسارير وجهه تبرق، فقلت: يا رسول الله، ما رأيتك أطيب نفساً ولا أظهر بشراً من يومك هذا فقال: **«ما لي لا تطيب نفسي ويظهر بِشْرِي وإنما فارقني جبريل عليه السلام الساعة فقال: يا محمد، من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه بها عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وقال له الملك مثل ما قال لك قلت: يا جبريل، وما ذلك الملك؟ قال: إن الله عز وجل وكَّل ملكاً من لدن خلقك إلى أن يبعثك لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا قال وأنت صلى الله عليك»** رواه الطبراني.

وفي هذا الحديث من الفوائد بيان محبة النبي ﷺ لأمته وعظيم شفقته عليهم وإنه كان يسر إذا سمع ما يسرهم إذ علامة عظم سروره ﷺ ما ذكر في الحديث.

اعلم أن في رواية أحمد السابقة ورد عليه مثلها وفي هذه الرواية: **«وقال له الملك مثل ما قال لك»**. فيحتمل أن النبي ﷺ لم يعلمه جبريل باللفظ الوارد في الحديث الأول إلا بعد ذلك ويحتمل أن نسبة الرد في الأول إلى الله تبارك وتعالى على سبيل المجاز لكونه تعالى، هو الذي أمر الملك بذلك كما يقال بنى الأمير المدينة وهو الذي أمر الناس ببنائها ولم يبن وإذا كان كذلك فيكون نسبة الرد إلى الملك في الثاني على سبيل الحقيقة، ويحتمل أن يوجد الرد من الله تعالى ومن الملك وهذا هو الظاهر عندي من هذه الاحتمالات لأن المقام مقام كثرة الثواب وفضل الله أوسع من ذلك والله أعلم.

قوله في الحديث **«أسارير وجهه»** أي محاسنه. قال في القاموس: الأسارير: محاسن الوجد. قوله: **«من لدن له»** ظرف زماني معناه هنا من حين خلقك وفيها لغات لَدُن بضم الدال وبفتح اللام بفتحهما ولَدِن ككتف ولُدْن بضم اللام وتسكين الدال وبفتح اللام وتسكين الدال ولَدُ بحذف النون ولُدّ على وزن مُدّ ولدى كفقا ولُدُن بضمتين ولَدَي وتكون ظرفاً مكانياً.

الحديث العاشر: عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإني أتاني جبريل آنفاً عن ربه عز وجل فقال لي: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشراً»**(١) رواه الطبراني.

واعلم أن قوله في الحديث: **«صليت أنا وملائكتي»** يؤيد الاحتمال الثالث في ما تقدم بل يعينه من بين الاحتمالات السابقة فإن قيل قد يقال: إن هذا أي وجود الرد من الله تعالى ومن الملك مخصوص بيوم الجمعة، لأن أول الحديث قرينة تدل على ذلك قلت: لا يقال هذا، لأن

---

(١) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٤٩٧). وأحمد في المسند (١: ١٩١).

اخر الحديث لم يقيد بهذا اليوم بل عمّم والجواب عن هذه القرينة أن الأمر بيوم الجمعة إنما هو لأجل تكثير الثواب لهذه الأمة لأنه أكثر أيام الجمعة ثواباً فأحب النبي ﷺ أن يكثر ثواب الأمة فيه بالصلاة عليه ويحتمل أن النبي ﷺ أمر بذلك في يوم الجمعة لأنه يسمع صلاة أمته بلا واسطة وهو مسرور في قبره ﷺ بطاعة أمته فأحب الإكثار من ذلك ليزداد سروره ﷺ وهذا منه يدل على عظم المحبة والشفقة وبالله التوفيق. ومعنى «آنفاً منذ ساعة» أوفى أول وقت يقرب منا.

واعلم أنه ورد في غير هذا الحديث: **«صليت أنا وملائكتي سبعين صلاة»** فيحتمل أن النبي ﷺ لم يعلم بذلك إلا بعد عمله بهذا والله أعلم. وقولي تقدم إلى آخر المراد به ما ورد في ثاني حديثي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه.

الحديث الحادي عشر: عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً وجاء بها ملك موكل بها حتى يبلغنيها»**[1] رواه الطبراني في الكبير.

قوله: «ملك موكل» إلى آخره يحتمل أنه موكل بصلاة من صلى عليه ﷺ، ويحتمل أنه موكل بتبليغ العشر من الله إلى النبي ﷺ والأول أقرب ويؤيده الأحاديث الآتية ولا مانع من الثاني.

وفي الحديث أن النبي ﷺ يسر بأعمال أمته الصالحة في قبره ولا فائدة له في التبليغ إلا هذه الفائدة مع رده ﷺ.

الحديث الثاني عشر: عن ابن مسعود رضي الله عن النبي ﷺ قال: **«إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام»**[2]. رواه النسائي وابن حبان في صحيحه.

اعلم أن هذا اللفظ يؤيد الاحتمال الأول في الحديث السابق قبل هذا الحديث والله أعلم.

الحديث الثالث عشر: عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«حيثما كنتم فصلّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني»**[3] رواه الطبراني.

واعلم أنه يستثني من هذا العموم الأمكنة التي لا يذكر الله تعالى فيها كالأخلية وما أشبهها فلا يصلى على النبي ﷺ فيها والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ١٦٨). والطبراني في المعجم الكبير (٥: ١٠٣).
(٢) رواه النسائي في السنن (٣: ٤٣). وأحمد في المسند (١: ٣٨٧).
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣: ٨٤). وأحمد في المسند (٢: ٣٦٧).

الحديث الرابع عشر: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي تبلغني صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات**»[١] رواه الطبراني في الأوسط.

واعلم أن في هذا الحديث زيادة على ما تقدم أن النبي ﷺ يصلي على من صلى عليه، وهي من الفوائد الجليلة ﷺ.

الحديث الخامس عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: قال «**ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله روحي حتى أرد عليه**»[٢] رواه أحمد وأبو أبو داود.

واعلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون وهذا الحديث ليس ظاهره مراداً وإنما المراد بروحي منطقي لأن قوة النطق لازمة للروح فعبر بها عنها والله أعلم.

الحديث السادس عشر: عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى وكّل بقبري ملكاً أعطاه إسماع الخلائق فلا يصلي علي أحد إلى يوم القيامة إلا بلّغني باسمه واسم أبيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك**»[٣] رواه البزار.

واعلم أنه ورد في حديث آخر: «**فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً**». والمراد بيوم القيامة في الحديث الوقت الذي لا يقبل فيه الإيمان أي بعد طلوع الشمس من مغربها فإذا آمن الشخص ذلك اليوم ثم صلى على النبي ﷺ لم يقبل إيمانه ولا صلاته فحينئذٍ لا فائدة في تبليغ الملك صلاته للنبي ﷺ لأنها غير مقبولة ولا مثاب عليها. أما إذا كان مؤمناً قبل طلوعها ثم استمر وصلى قبلت ويبلغها الملك وعبر بذلك عن يوم القيامة لقربه منه قرباً قوياً والله أعلم.

الحديث السابع عشر: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة**» رواه ابن حبان في صحيحه ومعنى «أولى الناس بي» أحقهم بصحبتي وشفاعتي في ذلك اليوم جعلنا الله منهم. والله أعلم.

الحديث الثامن عشر: عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: «**من صلى عليّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليّ فليُقل عبد من ذلك أو ليكثر**»[٤] رواه أحمد وفي هذا الحديث إن الخطيب إذا علم أمراً كثير الثواب بلّغه

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ١٦٢). بما معناه.

(٢) رواه أبو داود في السنن (المناسك ب ٩٩). وأحمد في المسند (٢: ٥٢٧).

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ١٦٢). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٤٩٩).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣: ٤٤٥).

المسلمين وهو يخطب لأنه أبلغ في الإعلام، لأنهم مأمورون بالإنصات وفيه بيان اهتمام النبي ﷺ بهذه الأمة بحيث يبلغهم ما ينفعهم وهو يخطب. وفيه أن من علم شيئاً ينفع المسلمين قاله عليهم. وفي هذا الحديث زيادة على ما تقدم أن الملائكة تصلي عليه ما دام يصلي على النبي ﷺ والله تعالى أعلم.

الحديث التاسع عشر: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه**» قال أبي بن كعب فقلت يا رسول الله، إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاة قال: «**ما شئت**». قلت: الربع قال: «**قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك**». قلت النصف قال: «**ما شئت إن زدت فهو خير لك**». قال: أجعل لك صلاتي كلها قال: «**إذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك**»[1] رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه.

واعلم أن في هذا الحديث من الفوائد أن النبي ﷺ كان يذكر أصحابه في الليل وإنما كان يفعل ذلك عند مضي الربع لأن ذلك وقت هدو الأصوات فيكون أبلغ في سماع الأصوات. وقوله: «جاءت الراجفة» النفخة الأولى تتبعها الرادفة، أي النفخة الثانية. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات: ٦ - ٧] والنفخة الأولى يتزلزل لها كل شيء ويتحرك ويموت منها جميع الخلائق والنفخة الثانية بينها وبين الأولى أربعون سنة. قال قتادة هما صحيحتان، فالأولى تميت كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله تعالى. وقال مجاهد: «ترجف الراجفة» تتزلزل الأرض والجبال وتتبعها الرادفة حين تنشق السماء. وقال عطاء: الراجفة: القيامة. والرادفة: البعث. قالوا: وأصل الراجفة الصوت والحركة وسميت الثانية رادفة لكونها ردفت الأولى والحكمة في تذكير الناس في هذا الوقت بالراجفة والرادفة وبمجيء الموت أن الوقت حلا فيه النوم والنوم أمر لذيذ عند الأنفس فذكرهم بأعظم ما بين أيديهم لينزعجوا عما هم فيه فيزول نومهم.

وفي الحديث: أن الصلاة على النبي ﷺ من أعظم ما ينجي من ذلك فإنه ﷺ أرشد السائل إلى الصلاة عليه في مثل هذا المقام. وفي الحديث شدة حرص النبي ﷺ على وعظ أمته وشدة خوفه ﷺ عليها وفيه شدة حرص أصحابه على سؤاله عن المنجيات.

نجانا الله من عذاب الدنيا والآخرة إنه على كل شيء قدير وقوله في الحديث: أكثر الصلاة قالوا معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من صلاتي أي من دعائي صلاة عليك.

---

(١) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٥٠٠). والألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٤).

وفي الحديث التعبير بلفظ الماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه وفيه حكمة أخرى وهي إرادة انزعاجهم بسماع هذا الكلام حتى يتيقظوا. وفيه ملاطفة النبي ﷺ لأصحابه لأنه قال له: «ما شئت» وفيه رغبة أصحابه في الزيادة من الخير. وفيه أن العالم إذ تأثر الناس من وعظه يلاطفهم. وفيه إنه إذا لاطفهم ينبغي لهم أن يطمعوا في الزيادة من الخير. وفيه أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يكثرون الدعاء. وفيه فضل راوي الحديث لأنه كان كثير الدعاء. وفيه أن النبي ﷺ يكون يقظاناً في أثناء الليل لوعظ الناس. وفيه أن من قدر على خير في أي وقت كان فليفعل فيه استحباب ووعظ الناس. في الليل للعالم والله أعلم.

الحديث العشرون: عن يحيى بن حبان عن أبيه عن جده أن رجلاً قال يا رسول الله أأجعل ثلث صلاتي عليك؟ قال: «نعم إن شئت» قال: الثلثين؟ قال: «نعم» قال: فصلاتي كلها يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «إذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك» رواه الطبراني.

واعلم أنه ﷺ حين سئل عن الصلاة عليه لم يقيدها بوقت ولا زمن ولا قدر وقدّر غيرها من العبادات ووقّتها كالصوم حين سئل عنه. وفي ذلك إشارة إلى أن الشخص يكثر منها ما استطاع في سائر الأوقات ولا يتركها إلا لأهم، كالصلوات وقراءة القرآن وغير ذلك مما أشبه والله أعلم.

وأيضاً فهي باللسان واشتغال اللسان سهل بخلاف الصوم والصلاة وغيرهما من العبادات فإن أكثرها لا يختص باللسان، بل يشترك معه غيره من الأعضاء أعاننا الله تعالى على الصلاة على النبي ﷺ والله أعلم.

الحديث الحادي والعشرون: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيما رجل مسلم لم تكن عنده صدقة فليقل في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها له زكاة» وقال: «لا يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة» رواه ابن حبان في صحيحه.

واعلم أن في هذا الحديث من الفوائد الزائدة على الأحاديث المتقدمة أنه من صلى على النبي ﷺ يستحب له أن يصلي على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والإسلام والإيمان في الشرع شيء واحد وذكر أحدهما بعد الآخر للتأكيد والله أعلم.

الحديث الثاني والعشرون: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي علي إلا

عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها» قال: قلت: يا رسول الله، وبعد الموت! قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل لا أجساد الأنبياء» رواه ابن ماجة. وفي الحديث: أن أعمال أمة النبي ﷺ تعرض عليه والله أعلم.

الحديث الثالث والعشرون: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «**أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل جمعة فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة كان أقربهم مني منزلة**» رواه البيهقي.

واعلم أن كثرة الصلاة على النبي ﷺ متأكدة في كل حالة إلا أنها في يوم الجمعة آكد لهذا الحديث. ولما رواه ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أن قال: «**أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهر فإن صلاتكم تعرض علي**» ولما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلتها فمن فعل ذلك كنت له شهيداً شافعاً يوم القيامة**».

والحكمة في ذلك ما قدمناه في الحديث العاشر والله أعلم.

والليلة الغراء: ليلة الجمعة. واليوم الأزهر: يومها قاله إمامنا الشافعي رضي الله عنه قال أبو طالب المكي: وأقله ثلثمائة مرة وسيأتي أيضاً في رواية الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه في الحديث الآتي.

ورد أيضاً «**أن أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا من الصلاة علي فيه**» رواه أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان عن أنس والله أعلم.

الحديث الرابع والعشرون: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح**» رواه الطبراني.

واعلم أن هذا الحديث معناه أن السبعين يكتبون له الثواب بألف يوم ومعنى أتعابهم كثرة كتابتهم في هذه المدة وعبر عن اليوم بالصباح لأن الصباح لازم لليوم والله أعلم.

الحديث الخامس والعشرون عن كعب بن عميرة رضي الله تعالى عنه قال قال: رسول الله ﷺ «**احضروا المنبر**» فحضرنا فلما ارتقى درجة قال: «**آمين**» فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: «**أمين**» «**آمين**» فلما ارتقى الثالثةفلما نزل قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه قال: «**إن جبريل عرض إليّ في الدرجة الأولى فقال: بعُد من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت: آمين فلما رقيت الثانية قال: بعُد من ذُكرت عنده فلم يصلِ عليك قلت:**

آمين، فلما رقيت الثالثة قال بعد: من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين» رواه الحاكم.

ومعنى بعد أي بعد عن الله وعن الجنة. وفي بعض الروايات ما يؤيده وآمين فيها لغتان أشهرهما خفة ميمها مع المد ويجوز مع المد لغة ثالثة وهي الإمالة وفيها رابعة على قول وهي آمين بتشديد الميم ومعناها قاصدين والمشهور إنها لحن. وآمين اسم فعل بمعنى أستجب وهي مبنية على الفتح مثل كيف وأين وقيل: طابع الدعاء والطابع يفتح الباء الخاتم أي هو ختم أي ختم الدعاء الذي يختم به. وقيل: معنى آمين كذلك يكون. وقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآفات.

واعلم أن بر الوالدين مأمور به وعقوق كل واحد منهما كبيرة وبرهما هو الإحسان إليهما وفعل الجميل معهما وفعل ما يسرهما مما ليس منهياً عنه ويدخل في ذلك الإحسان إلى صديقهما. وأما عقوقهما فهو كل فعل يتأذى به الوالد ونحوه تأذياً ليس بالهين مع أنه ليس بواجب. وقيل: تجب طاعتهما في كل ما ليس بحرام وتوقف ابن عبد السلام رحمه الله تعالى في ضابط العقوق. واعلم أن نهي الأبوين عن المعصية كنهي غيرهما في الوجوب على الولد لآيات شريفة وأحاديث عظيمة دلت على ذلك والله أعلم.

الحديث السادس العشرون: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ «قال: (رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»[1] رواه الترمذي. ومعنى رغم كما قالوا أي لَصق بالرغام وهو التراب ذلاً وهواناً وهو بكسر الغين وقيل فيه: رغم بالفتح وضعف والله أعلم.

الحديث السابع والعشرون: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة» قيل: يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟ قال: «يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي ويعقد واحدة» رواه الدارقطني.

الحديث الثامن والعشرون: عن حسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من ذكرت عنده فخطئ الصلاة علي خطئ طريق الجنة» رواه الطبراني.

الحديث التاسع والعشرون عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٣٥٤٥). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (٢: ١٥٢، ١٧٧).

«من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة» رواه ابن عاصم.

الحديث الثلاثون: عن الحسن رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«البخيل من ذكرت عند فلم يصل علي »**[١] رواه النسائي وابن حبان في صحيحه.

الحديث الحادي والثلاثين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ذات يوم فأتيت رسول الله ﷺ فقال: **ألا أخبركم بأبخل الناس؟** قالوا: بلى، يا رسول الله قال: **«من ذكرت عنده فلم يصل علي فذلك أبخل الناس»** رواه ابن أبي عاصم.

واعلم أن سبب كونه أبخل الناس أنه قادر على تحصيل جميع الثواب المتقدم بكلمة سهلة وتركها وبخل على نفسه بها وهذا أعظم البخل.

الحديث الثاني والثلاثون: عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«ما مَن عبدين متحابين استقبل أحدهما صاحبه بالدعاء والصلاة على النبي ﷺ إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر»**[٢] رواه أبو يعلى.

واعلم أن في هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم أن الصلاة على النبي ﷺ تغفر ما تقدم من الذنوب وما تأخر غفر الله ذنوبنا آمين.

الحديث الثالث والثلاثون: عن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي»** رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط.

الحديث الرابع والثلاثون: عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة»** رواه أبو جعفر بن سنان.

الحديث الخامس والثلاثون: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم من الله تِرة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»**[٣] رواه أبو داود وغيره والتِّرَة كما قالوا بالتاء المثناة من فوق وتخفيف الراء المهملة أي النقص وقيل التبعة.

دل الحديث على استحباب ذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ في كل مجلس استحباباً

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٣٥٤٦). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٤٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٩٣٣).

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء (٢: ٤٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢: ٤٣٢).

متأكداً للجالسين وإنهم إذا تركوهما كان نقصاً في مجلسهم فإن قلت قوله فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم إن ذلك مما يعذب بسبب تركه مع أنه ليس بواجب حتى يعاقب على تركه. قلت: يحتمل أن يكون المراد بالعذاب فقد حال الكمال لا العذاب المترتب على المعصية. ويحتمل وهو الأقرب أن يكون المراد أن المجلس الذي اجتمعوا فيه ولم يذكروا فيه ولم يصلوا دليل حالهم فيه أنهم قد اجتمعوا على شر لأنه لو كان خيراً لذكروا الله فيه وصلوا على رسول الله ﷺ حتى يكفر ذلك لفظ المجلس وهذا الحمل متعين وإلا فالمؤاخذة لا تكون إلا على ذنب والترك بمجرده ليس ذنباً بلا خلاف والله أعلم.

الحديث السادس والثلاثون: عن عبد الرحمٰن ابن أبي ليلى قال: لقيت كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية، إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا أللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد**» رواه البخاري.

الحديث السابع والثلاثون: عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**» رواه البخاري.

الحديث الثامن والثلاثون: عن عمرو بن سعيد الزرقي قال: أخبرني أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد**» رواه البخاري.

واعلم أن العلماء رضي الله تعالى عنهم قالوا: إن المراد بآل النبي ﷺ بنو هاشم وبنو المطلب. وقال بعضهم غير ذلك. وهٰهنا سؤال قاله بعضهم وهو أن المشبه دون المشبه به، فكيف نطلب صلاة على النبي ﷺ تشبه الصلاة على إبراهيم عليه السلام، وأجيب عنه بأجوبة:

الأول: إنه تشبيه لأصل الصلاة بأصل لا للقدر بالقدر.

الثاني. إن التشبه وقع في الصلاة على الآل لا على النبي ﷺ فكأن أللهم صلى على محمد مقطوع عن التشبيه. وقوله: «وعلى آل محمد» متصل بما بعده.

ويرد على هذا سؤال وهو أن آل إبراهيم أنبياء فكيف يطلب مساواة غير الأنبياء بالأنبياء ويمكن أن يرجع هذا لأصل الصلاة ولا يرد إلا يراد. **الثالث**: إن المشبه الصلاة على النبي ﷺ

وآله بالصلاة على إبراهيم وآله أي المجموع بالمجموع ومعظم الأنبياء صلى الله عليهم وسلم آل إبراهيم فإذا قابلنا الجملة بالجملة تعذر أن يكون لآل محمد مثل ما لآل إبراهيم الذين هم أنبياء فيكون ما توفر من ذلك حاصلاً لنبينا ﷺ فيكون ذلك زائداً على الحاصل لإبراهيم ﷺ.

والحاصل من ذلك آثار الرحمة والرضوان فمن كانت حقه أكثر كان أفضل.

الرابع: إن هذه الصلاة أمر بها للتكرار بالنسبة إلى كل صلاة في حق كل مصلٍ فإذا اقتضت في حق كل مصل حصول صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم عليه السلام كان الحاصل للنبي ﷺ بالنسبة إلى مجموع الصلاة أضعافاً مضاعفة لا يحصرها العد. فإن قيل: والسؤال وارد لأن التشبيه حاصل. أجيب بأن الأمر للتكرار هنا بالإنفاق بالنسبة إلى كل مصل في كل صلاة وإذا كان كذلك فالمطلوب من المجموع حصول مقدار لا نهاية له بالنسبة إلى الحاصل لإبراهيم ﷺ.

الخامس: لا يلزم من مجرد السؤال لإبراهيم لصلاة مساوية لرسول عليه السلام المساواة وعدم الرجحان عند السؤال. وإنما يلزم ذلك لو لم تكن الثابتة لرسول الله ﷺ مساوية لصلاة إبراهيم وزائدة عليها والحال أن الصلاة ثابتة لرسول الله ﷺ بدون السؤال لمساواتها بصلاة إبراهيم والثبوت بالآية الشريفة وإذا كان كذلك فالمسؤول من الصلاة إذا انضم إلى الثابت المتقرر لرسول الله ﷺ كان المجموع زائداً في المقدار على القدر المسؤول وصار هذا كما إذا ملك إنسان مالاً وملك آخر نصفه مثلاً فنسبة هذا حصول ذلك النصف للأول منضماً إلى ماله فإذا حصل ذلك كان مجموع ما مع الأول زائداً على ما مع الثاني باثنين، وآل إبراهيم عليه السلام إسماعيل وإسحاق وأولادهما كما قاله في الكشاف. وخص إبراهيم بالذكر كما قالوا لأن الصلاة جاء ت من الله رحمة ولم تجمع الرحمة والبركة لنبي غيره. قال تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] فسأل النبي ﷺ إعطاء ما تضمنته هذه الآية مما سبق إعطاؤه لإبراهيم. وحميد بمعنى محمود ورد بصيغة المبالغة، أي مستحق لأنواع المحامد ومجيد مبالغة في ماجد. والمجد: الشرف فيكون ذلك كما قال ابن دقيق العيد كالتعليل لاستحقاق الحمد بجميع المحامد. ويحتمل أن يكون حميد مبالغة من حامد ويكون ذلك كالتعليل للصورة المطلوبة فإن الحمد والشكر يتقاربان ومجيد قريب من معنى شكور وذلك شكور لزيادة الأفضال والإعطاء لما يراد من هذه الأمور العظام وكذلك المجد والشرف مناسب لهذا المعنى والبركة والزيادة من الخير والنماء. انتهى ما قاله ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى.

الحديث التاسع والثلاثون: عن أبي كاهل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا

أبا كاهل من صلى علي في يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حباً وشوقاً كان حقاً علي أن يغفر له ذنوب تلك الليلة وذلك اليوم» رواه ابن أبي عاصم ومعنى كان حقاً أن يغفر له إلى آخره أي أشفع له فتغفر ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم.

الحديث الاربعون: عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً، ومن صلى علي عشراً صلى الله عليه مائة، ومن صلى علي مائة كتب بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء» رواه الطبراني في الصغير والأوسط وهذا آخر أحاديث الصلاة على النبي ﷺ.

خاتمة روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه علَّم أصحابه الصلاة على النبي ﷺ فقال: لهم: «قولوا اللهم أجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد، عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم أبعثه مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد». رواه ابن ماجه ومعنى يغبطه أي يتمنى كل أحد أن يكون له مثل ماله من غير أن يزول ذلك عنه ﷺ، قال: إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى في الصلاة أن يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي ﷺ، وعن عمر مثله رضي الله عنه. وقال: الفقهاء من حلف أن يصلي على النبي ﷺ أفضل الصلاة فليقل ما قدمناه في رواية البخاري. وهي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إلى آخره، وقيل: يقول صلاة الشافعي رضي الله تعالى عنه وهي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون ويتجه أن يكون النذر كذلك.

قلت: ويظهر لي أن يجمع بين الصلوات الواردة عنه ﷺ فيقول ما قدمناه عن إمامنا الشافعي رضي الله عنه بزيادة وازواجه وذريته في الصلاة والبركة واختلفوا في جواز الصلاة على غير النبي ﷺ والأنبياء استقلالاً فأجازه قوم منهم أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه والأكثرون لا يصلي على غير الأنبياء استقلالاً فلا يقال اللهم صل على آل أبي بكر ولا على آل عمر وغيرهما ولكن يصلي عليهم تبعاً، واحتج أحمد بحديث وارد في صحيح البخاري وهو أن النبي ﷺ قال: «اللهم صل على آل أبي أوفي».

وأجيب عن ذلك بأن هذا حقه ﷺ له أن يعطيه لمن يشاء وليس لغيره ذلك.

وأما قوله تعالى ﴿**وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**﴾فالمراد إدع لهم، وقيل: صل عليهم صلاة الجنازة إذا ماتوا والله أعلم.

واعلم أنه يكره إفراد الصلاة على النبي ﷺ عن التسليم كما بينه النووي وغيره وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب**» رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واعلم أن زيادة «**وارحم محمداً**» بدعة خلافاً لابن أبي زيد المالكي فقد أنكر ذلك عليه ابن العربي منهم وبينه النووي رحمه الله تعالى في أذكاره وهذا المذكور في الأذكار معترض، كما في مفتاح دار الفلاح لابن رسلان فقد ذكر أن لذلك أصلاً معقباً بذلك مقالة النووي رحمه الله تعالى تبعاً لمن قبله فعلم أنه ليس بدعة وأن ما ذكره ابن أبي زيد صواب فاستفده، والله أعلم وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد والله أعلم وهو الموفق للصواب ونسأله من فضله حسن المآب بجاه من أوتي الحكمة وفصل الخطاب انتهى كتاب عقد الجواهر البهية لأبي الحسن البكري.

فائدة: يقول الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه قد وجدت في آخر الكتاب السابق عقد الجواهر البهية هذه العبارة وهي ليست من الكتاب. روي من حديث ابن عطية عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ. «**من صلّى عليّ ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة**» ذكره الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتاب الصلاة على النبي ﷺ وقال: لا أعرفه إلا من حديث الحكيم بن عطية عن ثابت عن أنس قال الإمام أحمد: لا بأس به. وروي عن يحيى بن معين أنه قال: هو ثقة انتهى.

قال بعضهم: الحمد والمنة على هذا الحديث العظيم والأجر الجسيم الذي لا يترك العمل به بعد الوقوف عليه إلا من أضله الله تعالى على علم وأي مانع للمسلم بعد سماع هذا الحديث من أن يصلي على النبي ﷺ في يوم من عمره ألف مرة بل في كل يوم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والأولى أن يكون ذلك يوم الجمعة انتهت العبارة بنصها.

ومنهم الإمام المحدث أبو المحاسن السيد يوسف بن عبد الله الحسيني الأرميوني[1] من أهل القرن العاشر وهو تلميذ الحافظ السيوطي رحمهما الله تعالى ومن جواهره

[فضل الصلاة على النبي ﷺ]

كتابة الأربعين حديثاً في فضل الصلاة على النبي ﷺ وهو هذا بحروفه قال:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي خصَّ نبيه بأفضل الصلاة والسلام، وعمَّ ببركته الخاص والعام. أحمده على أن هدانا بنبي الرحمة. وأشكره إذ دفع عنا بالصلاة عليه نقمة وأشهد أن لا إلٰه إلا الله الواحد الغفار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار. وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وسلم ومجد وكرم ما أجرى الله للمصلي عليه أجراً، وصلى الله بالصلاة الواحدة عشراً.

وبعد فيقول فقير رحمة ربه الغني يوسف بن عبد الله الحسيني الأرميوني تلميذ الحافظ السيوطي رحمه الله هذه أربعون حديثاً في فضل الصلاة والسّلام على سيد ولد آدم محمد عبد الله ورسوله ﷺ جمعتها من كتب عديدة رجاء أن أدخل في قوله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كلما سمعها»، وفي قوله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلتهيوم القيامة في شفاعتي» وفي رواية: «كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة». واقتداء بالأئمة الأعلا م جعله الله خالصاً لوجهه الكريم موجباً للفوز لديه إنه حسبي وكفى.

الحديث الأول: عن أبي هريرة عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً» ورواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان.

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسيني الأرميوني، المصري، الشافعي جمال الدين فاضل، من تلاميذ السيوطي. وأرميون: قرية بغربية مصر. له كتب عدة. توفي في سنة ٩٥٨ هـ.

الحديث الثاني: عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: أصبح النبي ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه أثر البشر قالوا: يا رسول الله، أصبحت طيب النفس يرى وجهك أثر البشر قال: **«أجل أتاني آتٍ من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورد عليه مثلها»** رواه الإمام أحمد وإسناده جيد وعند النسائي بلفظ فقال: **«إنه أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً»** وفي رواية عند ابن حبان فقلت: **«بلى»** أي رب.

الحديث الثالث: عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال: من صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله عليه بها سبعين صلاة فليقلّ من ذلك أو ليكثر. رواه أحمد بإسناد حسن موقوف.

الحديث الرابع: عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: **«من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه فليقل عبد من ذلك أو ليكثر»** رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه وإسناده جيد.

الحديث الخامس: عن أبي كاهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى علي كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حباً لي وشوقاً إلي كان حقاً على الله أن يغفر ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم»** رواه عن أبي عاصم وقال ابن منده أبو كاهل له صحبة.

الحديث السادس: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوني كقدح الراكب إن الراكب إذا علق معاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء فإن كان حاجته في الوضوء توضأ وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا أهراق ماءه اجعلوني في أول الدعاء وفي وسطه وفي آخر الدعاء»**، رواه عبد الرازق في مصنفه والطبراني نحوه.

الحديث السابع: عن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي»** رواه الطبراني في معجمه الكبير بإسنادين أحدهما جيد.

الحديث الثامن: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى علي عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ومن صلى عليّ مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء»** رواه الطبراني في الأوسط والصغير.

الحديث التاسع: عن عبد الرحمٰن بن عيسى الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى علي في يوم خمسين مرة صافحته الملائكة يوم القيامة»** رواه الحافظ ابن بشكوال في كتاب القربة له.

الحديث العاشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصلاة علي نور على الصراط، فمن صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة»** قيل: يارسول الله، كيف الصلاة عليك؟ قال: **«تقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وتعقدوا واحدة»** رواه ابن شاهين والضياء المقدسي والدارقطني في سننه وقال حديث حسن.

الحديث الحادي عشر: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عليّ يوم الجمعة مائتي صلاة غفر له ذنوب مائتي عام»** رواه الديلمي في مسند الفردوس.

الحديث الثاني عشر: عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما تدخل عليك الهدايا يخبرني بمن صلى عليَّ باسمه ونسبه وعشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء»** كما ذكره البيهقي في الجزء الذي ذكر فيه حياة الأنبياء، وابن بشكوال وابن عساكر وزاد في آخره **«إن عملي بعد موتي كعملي في حياتي»** ورواه ابن النجار عن جابر يرفعه **«من صلى عليّ في يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها لآخرته وثلاثين منها لدنياه»**.

الحديث الثالث عشر: عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة»** رواه ابن شاهين والضياء المقدسي والحافظ رشيد الدين ولفظه **«من صلى عليّ في يوم الجمعة»** إلى آخره، وفي لفظ عند أبي الشيخ: **«حتى يبشر بالجنة»**.

الحديث الرابع عشر: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»** رواه الترمذي وابن حبان. وروي في بعض الآثار عنه ﷺ إنه قال: **«ليردن عليّ أقوام يوم القيامة ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة علي»** ذكره عياض في الشفا له، وعنه ﷺ أنه قال: **«إن لله ملائكة أقلامهم من نور لا يكتبون إلا الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي»** من كتاب الشرف، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ما كتب الكاتبون وقال القائلون.

الحديث الخامس عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكته يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة على النبي ﷺ»**. ذكره ابن بشكوال. وروى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن لله ملائكة خلقوا من النور لا يهبطون إلا ليلة الجمعة ويوم الجمعة بأيديهم أقلام من ذهب»** وروي. **«من فضة وقراطيس من نور لا يكتبون إلا الصلاة على النبي ﷺ»**.

الحديث السادس عشر: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد»** رواه النسائي.

الحديث السابع عشر: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله فيه ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة»** رواه الترمذي وأبو داود النسائي وابن ماجه. وفي لفظ عن جابر: **«ما اجتمع قوم ثم تفرقوا على غير ذكر الله عز وجل وصلاة على النبي ﷺ إلا قاموا عن أنتن جيفة»**.

الحديث الثامن عشر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيما رجل مسلم لم تكن عنده صدقة فليقل في دعائه أللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها له زكاة»**.

الحديث التاسع عشر: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ»** رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي لفظ عن أبي ذر مرفوعاً: **«إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي»** رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي لفظ عن أبي ذر مرفوعاً: **«إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي»** وفي لفظ: **«بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي علي»** رواه القاضي إسماعيل.

الحديث العشرون: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن لله سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعدوا فإذا دعا القوم أمنوا على دعائهم فإذا صلوا على النبي ﷺ صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء يرجعون مغفوراً لهم»** رواه أبو سعيد القاضي في فوائده.

الحديث الحادي والعشرون: عن سهيل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل علىَ النبي ﷺ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار» رواه ابن ماجه.

الحديث الثاني والعشرون: عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من عبدين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه ويصليان على النبي ﷺ إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر» رواه أبو يعلى.

الحديث الثالث والعشرين: عن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني رأيت البارحة رجلاً من أمتي يزحف عَلى الصراط مرة ويحبو مرة فجاءته صلاته علي فأخذته بيده فأقامته على الصراط حتى جاز» الحديث رواه الحكيم الترمذي والطبراني في معجمه الكبير بإسناده لابأس به.

الحديث الرابع والعشرون: عن حبان بن منقذ أن رجلاً قال: يا رسول الله أأجعل ثلث صلاتي عليك؟ قال: «نعم إن شئت» قال: الثلثين؟ قال: «نعم» قال فصلاتي كلها؟ قال ﷺ: «إذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك» رواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد لابأس به.

الحديث الخامس والعشرون: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم بالصلاة على النبي ﷺ ثم دعوت لنفسي فقال ﷺ: «سل تعطه سل تعطه» أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح. وفي لفظ عن علي يرفعه قال: «ما من دعاء إلا وبينه وبين الله حجاب حتى يصلي على النبي ﷺ فإذا صلى عليه انخرق الحجاب واستجيب الدعاء فإن لم يصل عليه لم يستجب الدعاء» رواه الحسن بن عرفة مرفوعاً والترمذي عن عمر والطبراني عن علي.

الحديث السادس والعشرون: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي الصلاة عليّ أخطأ طريق الجنة» رواه ابن ماجه.

الحديث السابع والعشرون: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين ينادي النادي اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وارض عنا رضاً لا بخط بعده استجاب الله له» رواه ابن السني.

الحديث الثامن والعشرون: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصل عليّ ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان فانسلخ قبل أن يغفر

له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة» رواه أحمد والترمذي.

الحديث التاسع والعشرون: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه»** رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد.

الحديث الثلاثون: عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى أعطى ملكاً من الملائكة إسماع الخلائق وهو قائم على قبري إلى أن تقوم الساعة، ليس أحد من أمتي يصلي علي صلاة إلا قال يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه صلى عليك كذا وضمن الرب عز وجل أنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً وإن زاد زاد الله»** رواه البزار في مسنده وابن عساكر من طرق مختلفة.

الحديث الحادي والثلاثون: عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي»** قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني لميت. فقال: **«إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء»** رواه أبو داود والنسائي والدارمي.

الحديث الثاني والثلاثون: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ القرآن وحمد الرب وصلى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير من مظانه»** رواه البيهقي في الشعب وفيه أبان بن عباس وهو ضعيف.

الحديث الثالث والثلاثون: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول: **«إن الله عز وجل قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر بنية صادقة غفر له، ومن قال لا إله إلا الله رجع ميزانه، ومن صلى عليّ كنت شفيعه يوم القيامة»** رواه أبو داود والنسائي والحسن بن أحمد البنا بسند جيد.

الحديث الرابع والثلاثون: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كتب عني علماً وكتب معه صلاة علي لم يزل في أجر ما قرئ في ذلك الكتاب»** رواه ابن بشكوال، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»** رواه الطبراني في مجمعه الكبير وأبو الشيخ في الثواب.

الحديث الخامس والثلاثون: عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ يرفعه: **«إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل عليّ»** رواه الطبراني. وفي رواية محمد بن إسحاق بن خزيمة: **«وليقل ذكر الله من ذكرني بخير»**.

الحديث السادس والثلاثون: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصلي علي صلاة تعظيماً لحقي إلا خلق الله من ذلك القول ملكاً له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ويقول له: صل على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة**» رواه ابن بشكوال وحفص بن شاهين وزادوا: «**رجلاه في تخوم الأرض وعنقه ملوي تحت العرش**».

الحديث السابع والثلاثون: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإن من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأله لي الوسيلة حلت له الشفاعة**» رواه مسلم.

الحديث الثامن والثلاثون: عن رويفع بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له الشفاعة**» رواه الطبراني في معجمه الكبير.

الحديث التاسع والثلاثون: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر**» رواه الطبراني في معجمه الأوسط والحافظ خلف بن عبد الملك في كتاب الصلاة له وزاد: «**فإن صلا تكم تعرض عليّ فأدعو لكم وأستغفر**».

الحديث الأربعون: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**إن لآدم من الله عز وجل موقفاً في فسيح العرش عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى الجنة وينظر إلى من يُطلق به من ولده إلى النار قال: فبينا آدم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمة محمد ﷺ يُطلق به إلى النار فينادي آدم يا محمد يا أحمد يا أحمد فيقول: لبيك يا أبا البشر فيقول: هذا رجل من أمتك ينطلق به إلى النار فأشد المئزر وأهرع في أثر الملائكة فأقول يا رسل ربي قفوا فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لا نعصي الله أمرنا ونفعل ما نؤمر فإذا أيس النبي ﷺ قبض على لحيته بيده اليسرى ويقول: قد وعدتني أن لا تخزيني في أمتي فيأتي النداء من عند العرش أطيعوا محمداً وردوا هذا العبد إلى المقام فأخرج من حجري بطاقة بيضاء كالأنملة فألقيها في كفة الميزان اليمنى وأنا أقول: بسم الله فترجح الحسنات على السيئات فينادي سعد وسعد جده وثقلت موازينه انطلقوا به إلى الجنة فيقول: يا رسل ربي قفوا حتى أسأل هذا العبد الكريم على ربه فيقول: بأبي وأمي ما أحسن وجهك وأحسن خلقك من أنت فقد أقلتني عثرتي ورحمت غربتي فأقول: أنا نبيك محمد وهذه صلاتك التي كنت تصلي عليّ وافتك أحوج ما تكون إليها**» رواه السمعاني في أول ذيل تاريخ بغداد للخطيب ا هـ.

ومنهم الإمام العارف بالله علي دده البوسنوي من لواء هرسك المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ وهو خليفة مصلح الدين الخلوتي على ما في كتاب خلاصة الأثر

ومن جواهره رضي الله عنه

[شؤون النبي ﷺ]

قوله في كتابه «محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر» في الصفحة الحادية عشرة من الطبعة الميرية المصرية، أول ما تعلقت به القدر إلالهية من عالم الخلق، وهو عالم الأجسام جوهرة قدسية نورية مسماة بالعنصر الأعظم وحقيقة الحقائق عند المحققين من أهل الله تعالى بالهيولي الكلية الجامعة المسماة بالقوة القابلة الكلية عند الحكماء وعند بعضهم تسمى بالجوهر الفرد الذي لا يتجرأ وهو المخلوق الأول من وجه وهو جوهر قائم بنفسه متحيز في مذهب وغير متحيز في مذهب وهو الأصح عند أكثر المشايخ وللموجود الأول أسام كثيرة ولشرفه اختلفت عليه الأسماء والألقاب كالقلم والعقل والجوهر الفرد واللوح والروح الكلي والحق المخلوق والعدل. قال الشيخ الأكبر: وأوصافه كثيرة لا يحصيها إلا خالقها ولكن أشد ظهور الموجود الأول في الحقيقة المحمدية والحضرة الأحمدية كأنه هي لكمال اتصافها به الله فافهم من الدرة البيضاء للشيخ الأكبر.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[أول ما خلق الله من العناصر الكلية الجامعة سيدنا محمداً ﷺ]

أول ما خلق الله تعالى من العناصر الكلية الجامعة كما قاله ابن وهب رحمه الله تعالى جوهرة مضيئة خاتم الأنبياء وعنصر سيد الأصفياء سيدنا محمداً ﷺ كفضة خاتم ونظر فيها بالهيبة فذابت وصارت ماء، وهو الذي استوى العرش عليه ثم تموج الماء واجتمع في وسط قطعة زبد فانفلقت أربع قطع فخلق من كل قطعة حرماً حرم الكعبة والمدينة والقدس والكوفة ـ وهو حرم رابع عند بعض المحققين ـ وهو المروي عن علي رضي الله عنه ولذا اتخذها علي دار الخلافة وسيتخذها المهدي خليفة آخر الزمان ثم تلألأت الأرض من تلك الطينة فلما ركب

آدم منها من طين تلألأت جبهته بنوره ﷺ، ثم نقل النور من صلبه إلى صلب طاهر وهكذا حتى أخرجه الله تعالى من بين أبويه ﷺ لم يلتقيا على سفاح قط كما ذكره في الشفاء وغيره، قال الحافظ الدمشقي في وصف آبائه ونوره ﷺ.

تنقل أحمد نوراً عظيماً ... تلألأ في جباه الساجدين
تقلب فيهم قرناً فقرناً ... إلى أن جاء خير المرسلينا

ولبعضهم:

حفظ الإله كرامة لمحمد ... آباءه الأمجاد صوناً لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره ... من آدم وإلى أبيه وأمه

وقال السيوطي:

ونحا الإمام الفخر رازيّ الورى ... منحى به للسامعين تشنُّفُ
قال الألى ولدوا النبي المصطفى ... كل على التوحيد إذ يتحنفوا
من آدم لأبيه عبد الله ما ... فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة ... نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب ... في الساجدين وكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في ... أسراره هطلت عليه الذرف
وجزاه رب العرش خير جزائه ... وجزاه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان جهالة ... فرق بدين للهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا ... الصديق ما شرك عليه يعكف
صلى الإله على النبي المصطفى ... ما جدد الدين الحنيفي أحنف

وقال الشيخ علي دده رحمه الله. أول ما تعلقت به القدرة من عالم الأمر الإلهي الروح، وهو المسمى بالروح المحمدي الكلي، تكونت الأرواح منه قبل الأجسام كما أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «أنا أبو الأرواح وآدم أبو البشر».

ومن جواهر الشيخ علي دده رضي الله عنه

[شيث بن آدم أول الأوصياء]

قوله في الصفحة الخامسة من كتابه المذكور أول وصي من أوصياء بني آدم ولده شيث عليه السلام وذلك أن آدم عليه السلام لما مات عن أربعين ألفاً من أولاده وأولاد أولاده في زمنه أوصى شيثاً أن يحكم بصحفه المنزلة عليه وأوصاه بشأن الوديعة المودعة فيه وهي النور

المحمدي والسر الأحمدي، وأن يوصي ولده بعده بها ويحتفظ بمكنونها فكانت وصية جارية تنقل من قرن إلى قرن إلى أن بدا النبي القرشي الهاشمي صلوات الله عليه اهـ. من كتاب بدء المخلوقات ثم قال في الصفحة العشرين: أول الأنبياء خلقاً سيدنا محمد ﷺ كما قال: «**كنت أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً**».

وعن كعب الأحبار لما أراد الله تعالى أن يخلق جسد سيدنا محمد ﷺ جاء سيدنا جبريل بقبضة نقية بيضاء من نور الأرض من موضع قبره وكانت تلك القبضة في موضع الكعبة فغسلت في أنهار الجنة، وعجنت بماء الرحمة، وطيف بها عوالم الملكوت حتى عرفت الملائكة اسمه ونعته قبل اسم آدم بألف عام ولذا قال ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**».

وقال: ما خلق الله تعالى من الأجسام جوهرة وقد تلألأت فكانت طينة سيدنا محمد ﷺ منها ونظر إليها بالهيبة فصارت ماء قبل أن يخلق السموات ثم تموج الماء فخلق الأرض منه فكان يتلألأ نور الطينة النبوية لأهل السماء كالقمر لأهل الأرض، ثم خلق من الأرض طينة آدم فكان يتلألأ نوره من جبهته وكان نوره ﷺ مع اسمه الشريف في كل موضع من الجنة وعلى نحور الحور العين وجبين الملائكة وساق العرش وأبواب السموات وكان في الأرض في موضع قبره غالباً على نور الشمس حتى أنتقل إلى جبين آدم.

وقال رحمه الله تعالى أول من بدا وسرى من حضرة الكمون نور سيدنا محمد ﷺ وهو أنه لما قتل قابيل أخاه هابيل اغتم آدم بذلك فأمره الله تعالى أن يغشي زوجته وأوحى إليه قم فتطهر وتطيب وتوضأ وصل واغش زوجتك على طهارة فإني مخرج منك نوري أجعله خاتم الأنبياء وخيار الخلفاء وأختم به الزمان، فواقع آدم حواء عند ذلك فحملت لوقتها وأشرق نوره بجبينها فوضعت شيثا عليه السلام ثم انتقل نوره ﷺ من صلب طيب إلى طاهر حتى أخرجه من بين أبويه لم يلتقيا على سفاح قط صلى الله عليهم أجمعين.

وقال أول من قال: بلى يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] روح رسول الله ﷺ كما أشار في الحديث المشهور «**أول ما خلق الله روحي أول ما خلق الله نوري**».

قال أهل التحقيق: لا شك أنه ﷺ مبدأ كل كمال ومنشأ خير خصال وله السبق والتقدم والفتح والختم ظاهراً وباطناً في جميع الفضائل والكمالات كما ورد «**أول ما خلق الله جوهره**» يعني عنصره الشريف مقدم على عوالم العنصرية رتبة وظهوراً وروحه الأعظم مقدم على عوالم الأرواح رتبة وظهوراً وكذلك نوره مقدم في الأنوار وعقله في العقول وكماله المعبر عنه بالقلم في الكمالات فكما أن خطوط العلوم بواسطة الأقلام تصدر الأشياء بواسطة الحقيقة المحمدية كما أشار إليه بقوله ﷺ: «**إنما أنا قاسم والله معط**».

خاتمة: قال الشيخ المذكور: أختم هذا الفصل الشريف في بدء الخلائق بحديث جامع

من بدء خلق رسول الله ﷺ أخرجه العلماء مروياً عن جابر الأنصاري رضي الله عنه حين سئل عن بدء خلقه.

فقال: «**أول شيء خلقه الله تعالى نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ثم قسمه أربعة أقسام فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس والقمر من جزء والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله تعالى إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون والروحانيون من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري والعقل والتوفيق من نوري وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاب فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض فكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله تعالى آدم من الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث فكان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم أمي آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين خاتم النبين ورحمة العالمين وقائد الغر المحجلين هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر**».

أخرجه الشيخ الأكبر ومصنف كشف الكشاف في شرح البردة وغيرهما من العلماء رحمهم الله فثبت بذلك أن جميع المكونات تكونت بإفاضة فيض نور رسول الله ﷺ الذي هو القاسم المستفيض من الفيض الأول الأقدس ﷺ.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ دده رضي الله عنه

[به ﷺ انختمت الفصول الأولية]

قوله في كتابه المذكور كتابة محاضرة الأوائل في الصفحة ١٤٩ الفصل السابع والثلاثون وفي الأوائل المختصة بالحضرة المحمدية والحقيقة الأحمدية في الفضائل الدينية الأولية والروحية والخصائص الأخروية به انختمت الفصول الأولية إذ هو خاتم النبين وسيد المرسلين وإمام الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين «**أول ما خلق الله روحي**» الحديث المشهور «**أول ما خلق الله نوري**» الحديث الحسن، «**أول ما خلق الله العقل**» الحديث المشهور «**أول ما خلق الله تعالى جوهرة الخبر**» عن ابن وهب قال أهل التحقيق الأحاديث الأربعة مشهورة على لسان الأمة والتطبيق والتوفيق عند العارفين إن خلق الله روحه ثم من روحه الأرواح كما قال: «**أنا أبو الأرواح وآدم أبو البشر**».

ثم خلق نوره ثم من نوره الأنوار كما قال: «**أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري**» ثم خلق عقله الكلي.

ثم خلق من عقله العقول الكلية الملكية القدسية العرشية ثم خلق جوهر عنصره قبل العناصر.

ثم خلق منه الجواهر الكلية العرشية والسماوية والأرضية والمراد من هذه الأصول الأربعة القدسية الأولية الحقيقة المحمدية والحضرة الأحمدية باعتبار النسب والتعيين والمراتب إذ هو فاتح الوجود مرتبة وإيجاداً في الجواهر العلوية السفلية والملكية والآدمية الكلية الجامعة لجميع الحقائق الإلهية الأسمائية الكلية فهو مقدم الوجود وفاتحه فجوهر وجوده هو الجوهر الكلي الجامع المحمدي في جميع الأعيان والجواهر قاله: ابن وهب نقلاً من الأخبار القدسية: أول ما خلق الله جوهرة تتلألأ طينة محمد ﷺ من بينها كفضة خاتم ونظر فيها بالهيبة فصارت ماء يتلألأ منه نور طينته ﷺ بموضع الكعبة المعظمة، ثم خلق من الماء الأرض فتلألأت طينته منها وهي من أطيب الطين سرة الأرض ومركزها، في رواية خلق الله تعالى صحبي من أسفل تلك الجوهرة القدسية وقد كان العرش خلق من نوره قبل أن يتلألأ فوق الماء ﷺ ثم خلق الله من الأرض أبا البشر آدم كما أشار بقوله: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» يعني يتلألأ نور الوراثة الأولية المحمدية من جبهة آدم كتلألؤ القمر ليلة البدر حتى نقله الله من صلب طاهر إلى رحم طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب كما سبق بتفاصيله في فصل البدايات.

«**أول ما خلق الله القلم**» قال: أهل التحقيق المراد منه القلم الأعلى باعتبار أخذه الفيض

الإلهي من حضرة الغيب وفيضان الأشياء منه كفيضان الخط من المداد بواسطة القلم فسمي قلماً باعتبار إفاضته وإشارته إلى لوح العالم يسمى العقل الكلي أيضاً باعتبار تميز ذاته ومعرفة نفسه وربه ويسمى الروح الأعظم باعتبار أنه منشأ المخلوقات، وما أحسن ما أفاد وأجاد نجم الملة والدين في كتاب «عين الحياة في تأويل القرآن» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] الآية.

فقال قدس سره: فاعلم أن الروح الإنساني هو أول شيء تعلقت به القدرة جوهرة نورانية ولطيفة ربانية من عالم الأمر هو الملكوت الذي خلق من لا شيء وعالم الخلق هو الملك الذي خلق من شيء فالروح الأول الأعظم هو أول المخلوقات وهو روح النبي ﷺ لقوله ﷺ: «أول ما خلق الله روحي»، وربما يحتمل أن يكون المخلوق الأول المطلق إلا واحداً وأن الشيئين المغايرين لا يكون كل واحد منهما أولاً في التكوين والإيجاد على الإطلاق إذ لا يخلو إما أنهما أحدثا مصاحبين أو أحدثا متعاقبين فإن أحدثا مصاحبين معاً ويخص أحدهما عن الآخر بالأولية فلا يكون واحد منهما على الانفراد وإن أحدثا متعاقبين يكون المبتدأ أولاً والمتعاقب آخراً فيكون الأول واحداً منهما لا محالة فتعين لنا ووجب أن نحمل كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، على أن المخلوق الأول هو مسمى واحد له أسماء مختلفة بحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر وقد كثرت الأسماء والمسمى المعظم واحد وهو الأصل وما سواه تبع له فلا ريب في أن أصل الكون نبينا محمد ﷺ لقوله تعالى في الخبر القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك» فهو أولى أن يكون أصلاً وما سواه تبع له لأنه كان بالروح بذر شجرة الموجودات فيلزم من ذلك أن تكون روحه عليه السلام أول شيء تعلقت به القدرة وأن يكون المسمى بالأسماء المختلفة لأن كثرة الأسماء الذاتية تدل على عظم المسمى المعظم وجوده وهو محمد ﷺ فباعتبار أنه درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما سبق في خير أول ما خلق الله جوهرة.

وفي رواية «درة فنظر إليها فذابت» الحديث. وباعتبار نورانيته سمي نوراً وباعتبار وفور عقله سمي عقلاً وباعتبار غلبة الصفات الملكية سمي ملكاً وباعتبار صدور الأشياء بواسطته سمي قلماً كما أشار له الخبر الصحيح: «الله معط وأنا قاسم» وقال: «الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم» صلوات الله وسلامه على حبيبه وخليله. وعلى جميع أنبيائه هكذا ذكره الشيخ نجم الدين الكبري في تأويلات سورة الإسراء قدس الله روحه وأفاض علينا فتوحه آمين بحرمة سيد المرسلين ﷺ.

أول من حلت له الغنيمة رسول الله ﷺ وكانت لم تحل لنبي قبله ولذا قال: «جعل رزقي

تحت ظل رمحي والجهاد حرفتي» وورد في الصحيح **«أعطيت خمساً»**، وفي رواية «ستاً **لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة»** ا هـ. من كتاب الشفا «**أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ليس عليهم حساب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي أشهراً وطيب لي ولأمتي الغنائم وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج»** ا هـ. من كتاب الشفا. أول من أحل له القتال بمكة من الرسل الكرام رسول الله ﷺ لما ورد في الحديث عنه ﷺ أن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين **«وأنها لا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار»** ا هـ. من كتاب الشفا.

أول الناس بعثاً رسول الله ﷺوأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ا هـ. من الشفا. أول من يشفع الشفاعة العامة الكبرى رسول الله ﷺ لما ورد عنه في الصحيح: **«أنا سيد ولد آدم وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذٍ آدم فمن دونه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض»** ا هـ. الشفا. أول من يحرك حلقة باب الجنة رسول الله ﷺ لما ورد في كتاب الشفا **«أنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتح لي فيدخلنيها معي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»**، وقال: **«وأنا أكثر الناس تبعاً أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون صفاً من أمتي والباقي من جميع الأمم»** من الشفا. **«أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب من قريش والأنصار ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن ثم من سائر المغرب ثم** العجم ومن أشفع له أولاً أفضل»، وقال ﷺ **«لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من شجر وحجر»** وقال: **«لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة»**. وقال: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»** وقال: **«آتي تحت العرش فأخذ ساجداً فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه فانطلق فافعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فافعل»**.

وقال في آخر الحديث: «يا رب إئذن لي فمن قال لا إله إلا الله فقال سبحانه وتعالى ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله» ا هـ. من كتاب الشفا. أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً نبينا محمد ﷺ وكذا جاء في التوراة نقله صاحب الشفا. وقال: ومن خصائص الأولية الأحمدية أنه ﷺ قال مرة: «وبينا أنا نائم إذ جيء

بمفاتيح الأرض فوضعت بين يدي» ومنها «أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعملت خزنة النار وحمله العرش» ومنها: «قال الله تعالى له سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً واصطفيت نوحاً وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك ولم أصنع ذلك بأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك»، ولذا قال ﷺ «الخلق محتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم» ومنها قوله: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وأنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى». وبشارة آية التوراة لمحمد حبيب الرحمٰن وهي «وأرسلتك للناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً وأعطيت سبعاً من المثاني ولم أعطها نبياً قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً». صلوات الله الرب الرحيم على النبي الكريم صاحب الخلق العظيم شارع الشرع القويم الهادي إلى الصراط المستقيم وعلى جميع إخوانه وعترته وصحابته وورثته إلى يوم الدين آمين اللهم آمين وسلم تسليماً.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله تعالى عنه

[أسئلة من كتابه خواتم الحكم في شؤونه ﷺ]

قوله في كتابه خواتم الحكم وهو مبني على ثلاثمائة وستين سؤالاً عن حكمة بعض الأشياء وجوابها وقد أجاد فيه كل الإجادة بما نقله غيره من أئمة الدين من الصوفية والمحدثين والمفسرين وغيرهم وما أجاب به من نفسه بأجوبة مفيدة وحكمة سديدة

السؤال السادس والستون من خواتم الحكم: ما الحكمة في أن عظمة الحق سبحانه وتعالى أتم من كل عظيم؟ كيف لا وقد ساغ لإبليس واستطاع أن يظهر ويتراءى لكثيرين ويخاطبهم بأنه الحق طلباً لإضلالهم وقد أضل جماعة بمثل هذا حتى ظنوا أنهم رأوا الحق وسمعوا خطابه وأن إبليس لن يظهر بصورة النبي ﷺ

الجواب: أجاب الإمام الهمام الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق في شرح حديث: «فإن الشيطان لا يتمثل بي» وفي حديث آخر: «من رآني فقد رأى الحق»: وقال: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن كل عاقل يعلم أن الحق تعالى ليست له صورة معينة توجب الاشتباه إذ هو منزه من كل الوجوه عما يوجب مماثلته للحوادث بخلاف النبي ﷺ فإنه ذو صورة معينة معلومة مشهودة ممتازة.

والثاني: من مقتضى حكم سعة الحق، إنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء بخلاف النبي ﷺ فإنه مقيد بصفة الهداية وظاهر بصورتها فوجب عصمة صورته من أن يظهر بها الشيطان لبقاء الاعتماد وظهور حكم الهداية فيمن شاء الله تعالى هدايته ورشده، وقال الإمام أيضاً: ذكر المحققون أن النبي ﷺ وإن ظهر بجميع أحكام أسماء الحق تعالى وصفاته تخلقاً وتحققاً فإن من مقتضى رسالته وإرشاده للخلق ودعوته إياهم إلى الحق الذي أرسله إليهم رسولاً هو أن يكون الأظهر فيه حكماً وسلطنة من صفات الحق وأسماء صفة الهداية والاسم الهادي كما أخبر الحق تعالى عن ذلك بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فهو ﷺ صورة الاسم الهادي ومظهر صفة الهادي والشيطان مظهراً لاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة فهما ضدان ولا يظهر أحدهما بصورة الآخر فالنبي ﷺ خلقه الله للهداية كما مر فلو ساغ ظهور إبليس بصورته زال الاعتماد على كل ما بيديه الحق تعالى ويظهره لمن شاء هدايته فلهذه الحكمة عصم الله صورة النبي ﷺ من أن يظهر بها شيطان.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[هل يجوز أن يكون رؤيته ﷺ في المنام]

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والستون من خواتم الحكم: هل يجوز أن يكون رؤية النبي ﷺ في المنام من القسم الثالث، من الرؤيا وهو ما يحدِّث به المرء نفسه أولاً والقسم الأول إلهام من الحق تعالى وهو الصادق. والقسم الثاني: من تخيلات إبليس ووسوسته؟

الجواب: إنه لا يجوز وبيان عدم الجواز موقوف على تقديم مقدمة وهي أنَّ الاجتماع بين الشخصية يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد خمسة أصول كلية الاشتراك في الذات أو في صفة فصاعداً أو في حال فصاعداً وفي الأفعال أو في المراتب وكل ما يتعلق من المناسبة بين شيئين أو شيئاً لا يخرج عن هذه الخمسة وتكون قوته على ما به الاجتماع وضعفه بكثرة الاختلاف وقلته وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس ومن حصل له الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء، وإذا عرف هذا ظهر أن حديث المرء نفسه ليس مما يقدر أن يحصل

مناسبة بينه وبين النبي ﷺ ليكون السبب الاجتماع بخلاف الملك الموكل فإنه يمثل بالموجود ما في اللوح المحفوظ من المناسبة بالملكية لأن القسم الأول من الرؤيا ملكي هذا ما حققه الإمام الأكمل في شرح المشارق. ويؤيد قول الإمام ما حققه المحقق القونوي تلميذ الشيخ الأكبر في شرح الحديث الأربعين قال فمن ثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل من الأنبياء والأولياء الماضين من هذه الوجوه الخمسة اجتمع بهم متى شاء يقظة ومناماً، رأيت ذلك لشيخنا رضي الله عنه سنين عديدة ورأيت بعض ذلك لغيره وأما الشيخ فإنه كان متمكناً من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء وسائر الماضين على ثلاثة أنحاء إن شاء استنزل روحانيته في هذا العالم وأدركه متجسداً في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العنصرية التي كانت له في حياته الدنيوية، وإن شاء أحضره في نومه وإن شاء انسلخ من هيكله واجتمع به حيث تعينت مرتبة نفسه إذ ذاك من العالم العلوي بحسب رجحان حكم المناسبة الثانية بين نفس ذلك المرئي وبين بعض الأفلاك على أحكام ما بينه وبين باقي الأفلاك والعوالم من المناسبات وهذا الحال الذي ذكرته من تمكن شيخنا من آيات صحة الإرث النبوي وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] الآية.

فلو لم يكن النبي ﷺ متمكناً من الاجتماع بهم لم يكن للخطاب من فائق عند أهل الشهود من أهل الله وأما من افتقر إلى تأويل سخيف لا تحقيق فيه قال السؤال من أهل الكتاب أقول وسمعت هذا الاجتماع من شيخنا وشاهدته منه فلله الحمد على ذلك وشيخه هو سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من اسمه ﷺ أربعة أحرف]

قوله في كتابه المذكور السؤال الحادي والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في كون اسم محمد ﷺ أربعة أحرف وما السر في كون اسمه على هذا الترتيب والشكل الخاص محمد؟

الجواب قال الإمام النيسابوري وهو الشيخ الكامل والعالم الفاضل الذي ذكره السيوطي في الاتقان واثنى عليه وشهد بفضله إنه كان شيخ البغداديين في وقته، أما أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى وقد قرن اسمه باسمه في الشهادتين اثنى عليه بذلك بقوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] أي لا أذكر إلا وتذكر معي قال حسان رضي الله تعالى عنه:

أغـــر عليـــه للنبـــوة خـــاتـــم ... يلـــوح مـــن الله الكـــريـــم ويشهـــد

وضـــم الالـــه اسـم النبي إلـى اسمـه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وجعل ذكره في كلمة الشهادة اثنى عشر حرفاً وهو علم المناسبة وسرها كقولنا أبو بكر الصديق اثنا عشر حرفاً وكذا عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ذكر كل واحد بنسبة اثني عشر حرفاً لكمال مناسبتهم في أخلاقهم لتلك الحضرة المحمدية كذلك لهم مناسبة نسبية كل واحد منهم بنسبة ﷺ وأقربهم نسباً له ﷺ علي بن أبي طالب يلتقي نسبه في الأب الثاني وأبو بكر في الأب السابع وعمر في التاسع وعثمان في الأب الخامس كما ذكره أهل السير وذلك لشدة مناسبتهم لتلك الحضرة المحمدية ظاهراً وباطناً أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: «**علي مني وأنا منه**».

قال الشيخ علي دده رحمه الله تعالى أقول لو شئت لأظهرت لك الباب عجباً فالإشارة تكفي والستر أولى، وأما كونه على هذه الأحرف ليكون اسمه جامعاً باعتبار الأسرار العديدة ومناسباتها لعدد المرسلين ثلاثمائة عشر، وذلك بحساب البسط لا بحساب أبجد، وفي ذلك مراتب واعتبارات كما مر في السؤال السابق في ألم غلب الآية، وذلك إذا أخذت في الميمين والميم المدغم م ي م والحاء والدال دال يظهر لك عدد ثلاثمائة وثلاثة عشر وإذا حررت الأمر على حروف أبي جاد في حسابه ضاق عليك الأمر وقل عرفانك في الباب، ؟

وقال الإمام النيسابوري وأما وقوع الأحرف على هذا الترتيب والشكل الخاص فقيل إن الله تعالى خلق الخلق على صورة محمد فالميم بمنزلة رأس الإنسان والحاء بمنزلة اليدين وباطن الحاء كالبطن وظاهرها كالظهر والميم الثانية مجتمعْ الإليتين وطرف الدال كالرجلين.

وقيل: في اسمه محمد ﷺ عشر خصائص إضافة الله تعالى اسمه إلى اسم نفسه. والثاني: خلقه على صورة اسمه وقرن اسمه مع اسمه وكتب اسمه على ساق العرش فسكن هيجانه واشتقاق اسمه من اسمه المحمود، ووافق اسمه اسم الله تعالى في عدد الحروف ووافقت كلمة لا إله إلا الله كلمة محمد رسولِ الله في عدد الحروف أيضاً وتاب الله علي آدم عليه السلام وسمي بأبي محمد لما رأى اسمه مكتوبا على أركان العرش وأبواب الجنان وجباه الملائكة وصدور الحور العين فدعا وقال اللهم بحق محمد تب علي، وفي الهند بقرب سرنديب ولد أحمر عليه مكتوب بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله وكذا في البرية شجرة وفي البحر سمكة مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وولد في خراسان مولوداً على أحد جبينه: محمد رسول الله. وصيد غزال مكتوب عليه اسم محمد أيضاً، ووجد بعض الأحجار القديمة رسم اسم محمد وهذا مما يدلك على أن الله تعالى رفع ذكره في الأكوان وذلك شاهد على رفعِ ذكره في الأعيان لأهل الإيمان والله الفياض المستعان على طريق العرفان ولو شئت لأبرزت لك البيان من أعاجيب الأخبار في ذلك إلا أن الوقت لا يسع فوق ذلك والله الولي الفياض.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من بقاء شر الخلق إبليس]

قوله في كتابه المذكور السؤال الرابع والأربعون من خواتم الحكم: لم أبقى الله تعالى شر الخلق إبليس وأمات خير الخلق محمداً ﷺ؟

الجواب والله أعلم أجاب بعض العلماء بقوله لأن الدنيا خير لإبليس فأمهله تعالى لحكمة منه والآخرة لمحمد ﷺ كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى:١٧] وقال تعالى: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران:١٩٨]، وقيل: أمات خير البرية لسر الخلافة والوراثة فإن خليفة محمد ﷺ يحفظ أمته ويرث حكمته ومعرفته فيحصل للعلماء من أمته فضل الخلافة والوراثة كما أشار ﷺ بقوله: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم».

قالوا هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «تعرض علي أعمالكم كل عشية اثنين وخمسين فما كان خير حمدت الله تعالى وما كان من شر استغفرت الله لكم» وقال ﷺ: «إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطاً وسلفاً».

وقيل: إن محمداً ﷺ أحيا سنته وأكمل شريعته وابقى الحق احكامها بعده فينتقل بانتقاله إلى حضرته خيرها ويبقى إلى يوم القيامة فيتشرف بقدومه الأحياء كما تتشرف الدنيا بحياته.

وقال ﷺ: «أنزل الله علي أمازين لأمتي»، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال:٣٣]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣] فإذا مضيت تركت فيهم الأستغفار وقيل دعا إبليس لبقائه في الدنيا بقوله أنظرني فأجيبت دعوته وإنه من سنة الكفر فيرجع إليه ضره دنيا وأخرى فحياته سوء ومماته سوء كما قال تعالى في حق الكفار ﴿ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [الجاثية:٢١] وقيل ادخره لشقائه كيلا يتأذى بقدومه الأموات كما يتأذى بوجوده الأحياء وقيل قبض سبحانه حبيبة المصطفى ﷺ لدعائه بقوله اللهم الرفيق الأعلى فأجيب دعاؤه ﷺ وقال يوسف الصديق عليه السلام ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

ومن جواهره العارف الشيخ دده رضي الله عنه

[الحكمة من تسمية الله له ﷺ سراجاً منيراً]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثاني والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أن الله تعالى سمى حبيبه ﷺ سراجاً منيراً؟

الجواب قال الشيخ النيسابوري وسمي سراجاً لأن السراج الواحد يوقد منه ألف سراج ولا ينقص من نوره شيء:

فـإنـه شمـس فضـل هـم كـواكبهـا   يظهـرن أنـوارهـا للنـاس فـي الظلـم

نكتة تحقيق: إتفق أهل الظاهر والشهود على أن الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور محمد ﷺ ولم ينقص من نوره شيء كما أشار ﷺ لذلك بقوله: «**أنا من نور الله تعالى والمؤمنون من فيض نوري**».

وفي رواية «**أول ما خلق الله نوري**». قال رحمه الله تعالى: أقول وقد بسطت القول في ذلك في كتابي محاضرة الأوائل في فصل بدء المخلوقات وفصل بيان الخصائص المحمدية فليطلب التفاصيل منه وقيل سمى الله الشمس سراجاً لأن نور السراج يضيء إلى الفوق والتحت والسموات والأرضين كلها كذلك نوره ﷺ يضيء لأمته كلهم وقيل سمي بالسراج لانه يضيء من كل جانب كذلك وهو ﷺ يضيء من جميع الجهات الكونية على جميع العوالم، وفي كتاب الشفا في تفسير قوله تعالى: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: ٣٥] الآية.

قال سعيد بن جبير: المراد بالنور الثاني هنا محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي نور محمد ﷺ ثم قال مثل نور محمد ﷺ، إذا كان مستعداً في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد في بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره أي ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور: ٣٥] لما فيه من الإيمان والحكمة ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥] أي من نور إبراهيم عليه السلام مظهراً ونسلاً ودعوة فضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ [النور: ٣٥] أي تكاد نبوة محمد ﷺ تبين للناس قبل كالامه وظهرت أنواع معجزاته قبل دعوته ونور وجوده قبل وجوده كذا لزيت، وأما تعداد أسمائه ﷺ ففيها رسائل مؤلفة لفضلاء العلماء عدها بعض الفضلاء تسعة وتسعين اسماً على عدد أسماء الله الحسنى وبعضهم ألفاً ألف أسم لأن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، وأماخصائص أسمائه ﷺ ففيها رسائل مصنفة فليطلب الطالب التفاصيل منها.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ دده رضي الله عنه

[ما الفرق بين الحبيب والخليل]

قوله في كتابه المذكور، السؤال الثالث والسبعون من خواتم الحكم ما السر في أن سماه الله تعالى حبيباً وما الفرق بين الحبيب والخليل؟

الجواب: قال القاضي في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلوات الله عليه

وسلامه إختلف العلماء وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة؟ فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلاً ولا الخليل إلا حبيباً لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمداً بالمحبة، وأكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لأنها درجة نبينا محمد حبيب الله ﷺ. وأصل المحبة الميل إلى موافق المحب ولكن هذا هو في حق من يصبح الميل منه والانتفاع بالموافق وهي درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأعراض فمحبته لعبده تمكنه لسعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عز وجل عليه وفائدة المحبة وسرها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر وإليه ببصره فيكون كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره ولسانه الذي ينطق به» وأصل الخلة كما قال بعضهم معناه الاستصفاء وقيل الخليل المختص، وقيل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة، وقال أبكر بن فورك رحة الله عليه الخلة صفاء المودة التي توجب الأختصاص بتخلل الأسرار ومن هذا المقام عبر بعض العارفين بقوله:

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلاً
فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنتُ العليلا

إشارة لطيفة الخليل يصل بالواسط وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] والحبيب يصل بدون واسطة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

وقيل: الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] الآية والخليل قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ [القصص: ٧]، والحبيب قيل له: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التحريم: ٨] فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٩]، والحبيب قيل له: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢]، والخليل قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤]. والحبيب قيل له: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فقد أعطي بلا سؤال، والخليل قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والحبيب قيل له: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والخليل من اختار الله على كل شيء والحبيب من اختاره الله على كل شيء فلا يسع قلبه غير الله كما أشار لذلك ﷺ بقوله: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولانبي مرسل».

وفي رواية «غير ربي» ووجد إبراهيم الخلة ولم يجدها أحد غيره بسببه ووجد محمد ﷺ المحبة ووجدها أمته بسببه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية. اللهم إني أسألك حبك بحرمة حبيبك محمد ﷺ.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من أنه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن]

قوله في كتابه المذكور السؤال الرابع من خواتم الحكم ما الحكمة في أنه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن؟

الجواب: لأنه ﷺ لو أذن لكان كل من تخلف عن الإجابة يكون كافراً كذا أجاب النيسابوري.

قال: ولأنه لو كان داعياً لم يجر أن يشهد لنفسه، وقال غيره ولو أذن وقال أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله لتوهم أن ثم نبياً غيره وقيل لأن الأذان رآه غيره في المنام فولاه إلى غيره، وأيضاً كان لا يتفرغ إليه لاشتعاله بما هو أهم وقال ﷺ: «**الإمام ضامن والمؤذن أمين**» فدفع الأمانة إلى غيره.

وقال الشيخ عز الدين عبد السلام إنما لم يؤذن لأنه كان إذا عمل عملاً أثبته أي جعله ديمة وهو كان لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بتبليغ الرسالة وهذه كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: لولا الخلافة لأذن.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ العارف علي دده رضي الله عنه

[ما الحكمة من أن الله أمر أمته ﷺ بالصلاة عليه]

قوله في كتابه المذكور السؤال الخامس والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أن الله تعالى أمر أمته بالصلاة عليه وخص أمته بذلك؟ وما سر الصلاة عليه؟

الجواب: أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة عليه واثنى هو بعظمته وملا ئكته تعظيماً خاصاً وتشريفاً وزيادة تكرمة وفضيلة، وقيلْ: السر فيها أن الله تعالى أعطاه الوسيلة عطاءً موقوفاً على دعائنا وكذلك الشفاعة، وأمرنا بالتوسل إلى شفاعته بالصلاة عليه فنحن محتاجون إلى حضرته لأنه رحمة للعالمين زينه الحق بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته على الخلق رحمة فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب فكانت حياته رحمة ومماته رحمة لأن صلواتنا تصل أليه تعرض عليه فيستغفر لنا فالصلاة بينه وبين أمته هدية وتدكرة رحمانية وقيل إنما جعلت الصلاة عليه محالة على الله تعالى وإن كانت صلاتنا مدحاً له لأنا لا نستطيع القيام إنما بحقيقة مدحه ﷺ فطلبنا من الله تعالى أن يصلي عليه، فمن قولنا أللهم صل على محمد واللهم أنزل صلاتنا عليه وأيضاً معناه

كما أجبت دعوة إبراهيم في ذريته فاستجب دعوة محمد في أمته وكان ﷺ: «**أنا دعوة إبراهيم**» فهذا معنى قولنا اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم ذكره الإمام النيسابوري رحمه الله، وأما سر الصلاة عليه فالصلاة رحمة خاصة به من عند الله تعالى بالذات وبواسطته على الخلق كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ولولاه لم تخرج الدنيا من العدم إلى الوجود.

وقيل الصلاة: بينه وبين الله تعالى كما أول بعض العارفين قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة أي في صلاة الله تعالى عليّ وملائكته وأمره المؤمنين بذلك إلى يوم القيامة توسلاً به وتقرباً إليه وصلة منه فهذا غاية الكرامة والغبطة العظمى والفضيلة الكبرى لحبيبة المحبتي وخليلة المرتضى، وقيل في صادر الصلاة إشارة إلى صفوته يعني أنه المصطفى للمحبة الخاصة من بين الأحبة والأخبار والمصق من غبار السوء والأغيار وفي اللام إشارة إلى تشريفه باللقاء يعني أنه المنخفض في معراجه باللقاء من بين الخلان والأصدقاء، في الواو وإشارة إلى الوحدة والوصل والوفاء كما أشار السيد المصطفى بقوله: «**لي مع الله وقت لا يسعني جبريل ولا ملك مقرب**»، وفي التاء إشارة إلى ما سوى الله تعالى وتحققه الله تعالى بأخلاق الله فهو المقرب المحقق والحبيب المطلق، وقيل الصاد إشارة إلى كمال الصدق والصفاء واللام لام الجمال واللقاء والواو واو الوصل والوفاء، والتاء تاء التفرد والاجتباه وقيل في اشتقاق الحقيقة والكمال الصلاة مشتقة من الوصل والوصلة فهذه إشارات من أسرار ارتباط الحقائق عند المحققين هذا موج متلاطم من بحر العرفان والله الفياض المستعان والودود الحنان.

ومن جواهر الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من أن الله نزه رسوله ﷺ عن الشعر]

قوله في كتابه المذكور السؤال السادس والسبعون من خواتم الحكم: ما الحكمة في أن الله تعالى نزه رسول الله ﷺ عن الشعر وقال ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس:٦٩] وما الحكمة في أنه قال إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما فاخر عن رسول الله ﷺ وكان يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عنه ﷺ:

الجواب: قيل في جوابه أما تركه الشعر فلأنه مدح أو هجاء والمدح لا ينبغي للأنبياء لأن فيه خوف زلل المبالغة والإكثار وإن الشعراء في كل وادٍ يهيمون وإن الشعر من كلام الإنسان حسنه وقبيحه، وأيضاً قيل في تعريفة الشعر وأرفع ما في الخسيس وأوضع ما في

النفيس، وقيل لكيلا يتهم في القرآن أنه شعر وما ورد منه في صورة النظم والرجز والقافية إن كان كلامه ﷺ فعلى غير قصد يل وافق صورة البيت في الأكثر وصورة المصراع في الأقل وكان يصاغ الشعر وينشد بحضرته ويستزيد منه إلى مائة بيت كما ذكره الترمذي في شمائله وغيره في كتبهم، وما الحكمة في أن الشعر كان المنشد بحضرته هو يستزيده؟ قيل لايدخل احد تحت أقسام السنة وهو ﷺ رحمة للعالمين واسوه الأمة بكل حال كما قال سبحانه وتعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] وهو سر عظيم وحكمة عظمى، فإن قيل هل كان بكل نوع حسن من الشعر؟ وهل كان تحت عمله كذلك؟ أقول كل كمال بشري تحت الحضرة قولاً وفعلاً وخلقاً فهو من كمالاته الجامعية لأنه كان يجيب كل فصيح وبليغ وشاعر وأشعر وكل قبيلة من قبائل الحبش واليمن وغيرهما بلغاتهم وعباراتم وكان يعلم الكاتب علم الخط وأهل الحرف البشرية الكمالية المباحة حرفته كالختانة والزراعة والخياطة كان أعلم بكل كمال أخروي أو دنيوي من أهله كما ذكره صاحب الشفا وأهل السير في سيرهم فليحفظ ذلك فإنه كذلك.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من كونه ﷺ لا يكتب]

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أنه ﷺ كان لا يكتب وهي من كمالات النبوة وإنه معدنها ومجمعها ومحتدها وكان ﷺ يعلم الخطوط ويخبر عنها وعن الصحائف المكتوبة بما فيها كما ورد في الأخبار؟

الجواب: نبه عليه الحق في كلامه المستطاب وهو فصل الخطاب بقوله ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] لأنه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الأولين وقال الإمام النيسابوري إنما لم يكتب ولم يحسب لأنه كان إذا كتب أو عقد الخنصر يقع ظل قلمه وإصبعه على اسم الله تعالى وذكره تعالى فلما كان ذلك قال الله سبحانه لاجرم يا حبيبي بعد أن لم ترد أن يكون قلمك فوق اسمى ولم ترد أن يكون ظل القلم على اسمي. أمرت الناس أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك تشريفاً لك وتعظيماً ولا أدع بسبب ذلك أن يقع ظلك على الأرض ومن أكثر الله ذكره أكثر الله تعالى تعظيمه بين الملأ الأعلى وجميع الخلائق فليعلم الله الموفق بفضله، قال القاضي عياض في الشفا إنما لم يقع ظله على الأرض صيانة له عن بطأ ظله الأقدم، قيل إنه نور محض ولسي للنور ظل وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكوني الظلي وهو نور متجسد في صورة البشر، وقيل كذلك الملك إذا تجسد بصورة الإنسان لا يكون له ظل

وبذلك علم بعض العارفين تجسد الأرواح القدسية وإذا تجسدت الأرواح الخبيثة وقعت كثافة ظلها وظلامه على الأرض أكثر من سائر الظلال الكونية فليحفظ ذلك وفيه مباحث عرفانية قال بعضهم وإنما لمْ يكتب لئلا يشتغل بالكتابة عن الحفظ ولئلا يكون نظر سلفياً، قال الشيخ علي دده أقول وفيه نظر إذ عدم كتابه مع عمله بها معجزة باهرة وآية ظاهرة واختصاص وتفضيل فإن من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتمثسل اعلوم بالآلات الجسمانية لأن الخط صنعه ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية، وفيه إشارة بديعة أن أمته ﷺ بين الأمم هم الروحانيون وصفهم سبحانه وتعالى في الإنجيل يقوله أمة محمد أنا جيلهم في صدورهم لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه ﷺ بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعدادتهم وفي ترك كتابته أسرار العصمة المحمدية وهو النبي الأمي والأم الأصل وعنده أم الكتاب وقد ألمعت لك من أشعة الأنوار وأبديت لك من إشارات الأسرار فاتق الله في كشفه والله الولي الفياض.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من حرمة نسائه ﷺ على أمته]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثامن والسبعون من خواتم الحكم لم حرمت نساؤه ﷺ على أمته وكانت أمهات المؤمنين؟

الجواب: قيل الحكمة في تحريم نسائه علينها أنهن لو تزوجن لكان في ذلك إيذاء النبي ﷺ وترك لمراعاة حرمته وقال الله تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأحزاب:٣٢] فلو تزوجن لكن كسائر النساء، وأيضاً قيل ورد في الخبر النبوي عن النبي ﷺ: «شارطت ربي أن لا أتزوج إلا من يكون معي في الجنة» فلو تزوجن لم يكن معه في الجنة، بل كن مع أزواجهن لأن المرأة لآخر أزواجها وإنما سمى نساؤه أمهات المؤمنين لأنه يحرم نكاحهن على المؤمنين لقوله تعالى ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب:٥٣] فهن أمهات لحرمة نكاحهن على الأمة.

وفيه إشارة إلى أن قوى النفس المحمدية من جهة الراضية والمراضية والمطمئنة وطبقاتها بكلياتها متفردة بالكمالات الخاصة للحضرة الأحمدية دنيا الأحمدية دنيا وأخرى فافهم أسرار الاختصاص والتشريف وفيه أسرار غامضة لا يحتمل المقام كشفها لخلو الوقت عن غطائه قال الشاعر.

مـــا لسلمـــى ومـــن بـــذي سلـــم   أيـــن سكـــانـنـــا وكيـــف الحـــال

وقال آخر:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائهم

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من تسمية نسائه ﷺ أمهات المؤمنين ولم يسمه أباً]

قوله في كتابه المذكور السؤال التاسع والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أن الله تعالى سمى نساءه أمهاتنا ولم يسمه لنا أباً كما قال سبحانه وتعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية وسبب النزول معروف في قصة زيد رضي الله عنه؟

الجواب: قال تعالى: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ولم يقل منهم لأجل فاطمة والحسن والحسين لأنه أبوهم كان يقول: «هما ابناي وكل حسب ونسب ينقطع الاحسبي ونسبي» فهذا سر قوله تعالى: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني ينقطع حسب ونسب كل رجل يوم القيامة الإحسبي ونسبي فإنه يختم بيان التناسل من أهل البيت من صلب المهدي خاتم الخلافة العامة وخاتم الولاية الخلصة ولم يسمه لنا أباً لأنه لو سماه لكان يحرم عليه نكاح أولاده كما حرم على الأمة نساؤه ﷺ لكونهم أمهاتنا.

وقيل وإنما لم يسم أباً لأنه لو سماه أباً لكان يحرم عليه أن يتزوج من نساء أمته كما يحرم على الأب أن يتزوج بابنته وذلك ليس بحرام.

قال الشيخ علي دده: أقول لليس سؤال قرآني ألا وفي القرآن جوابه لفظاً ومعنى صراحة أو إشارة فهمه من وفقه الله تعالى إلى ذلك قال تعالى وخاتم النبين أي لا نبي بعده أي لا ينبأ أحد بعده وعيسى نبي قبله فلو كان له ولد بالغ لكان نبياً لأن أولاد الرسل كانوا يرثون النبوة قبله من آبائهم وكان ذلك من امتنان الله تعالى عليهم قال تعالى حكاية عن زكريا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] الآية وأما نبينا فكانت علماء أمته ورثته ﷺ من جهة الولاية وإن انقطع إرث النبوة ﷺ كما ورد عنه ﷺ في حق ابنه إبراهيم بأنه لو عاش لكان نبياً مرسلاً وقوله تعالى ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فلا يكون أباً حقيقة لمن تبناه لأنه كان قد تبني زيداً وكان يلحق العار بنكاح زوجة المتبنى فنزه الحق برسوله عن ذلك عباده بأنه الشرع المطهر والحكم المنور فافهم الخطاب تفز بحقيقة الجواب ولكن رسول الله وكل رسول أب لأمته في ما يرجع إلى وجواب التوفير والتعظم والشفقة والنصيحة لا في سائر الأحكاما الثابتة بين الآباء والأبناء والأدعياء والنبي من باب اختصاص والتقرب لا غير كالوراثة والنكاح.

إشارة: قوله من رجالكم يعني من رجال آل محمد رجال الله ليسوا كرجالكم فإنهم

المخصوصون بزيادة الأنعام لا ينقطع حسبهم ونسبهم وينقطع حسبكم ونسبكم وأنهم المطهرون بنص القرآن ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] الذين حرمت عليهم الأوساخ أموال من وجوب الصدقة ولهم من اختصاص الفضائل ما لا يحصى.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من حرمة الصدقة عليه ﷺ]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثمانون خواتم الحكم ما الحكمة في أن الصدقة حرمت عليه ﷺ وعلى آله؟

الجواب: إنما حرمت الصدقة عليه ﷺ ليوافق نعته سائر الكتب من صفته ونعته ف الكتب الإلٰهية إن الصدقة محرمة عليه ﷺ، وقيل لأن الصدقة من أوساخ الناس تطهر الأموال فلم يرد الله تعالى أن يأكلها، وقيل ورد في الخبر في معطى الصدقة اليد العليا خير من اليد السفلى لئلا يلزم أن تكون يده اليد السفلى لأن يد النبي ﷺ هي اليد العليا في كل كمال قال وهذا وجه وجيه ما سبقى به أحد في توجيهه والله أعلم.

وقيل: إن الصدقة تنشأ عن رحمة الدفع لمن يتصدق عليه فلم يرد الله أن يكون نبيه ﷺ مرحوم غيره ولذلك نهى بعض الفقهاء عن الترحم في الصلاة عليه تأدباً في حق تلك الحضرة وإن كانت الرواية وردت كما ذكره صدرة الشريعة.

وقيل: لأنه كان ﷺ يأمر بالصدقة فلو قبلها ربما حصلت تهمة عند العقول الناقصة أنه كان يأمر بها لأجل نفسه كما يقول بعض العوام ذلك لعلمائهم كما سمعت من كثيرين في زماننا والعياذ بالله. كاد الجهل أن يكون كفراً فأبعد الله تعالى عنه ﷺ ذلك بتحريم الصدقة عليه لنفي ظنون الجهال ومواضع التهم عنه ﷺ والله تعالى أعلم وأحكم:

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من أن الله رباه ﷺ يتيماً]

قوله في كتابه المذكور السؤال الحادي والثمانون من خواتم الحكمة ما الحكمة في أن الله تعالى ربى رسوله الأكرم ﷺ يتيماً؟

الجواب: إن النبي درة صدف الوجود من بحر الرحمة والجودة متفرد بكل كمال وشهود

كتفرد الدر اليتيم في صدفة وكالبدر التام في شرفه في منازل سيره ومدارج عزه وإنما رباه يتيماً ليعلم أن العزيز من أعزه الله تعالى وإن الشرف كله عند الله تعالى وإنه ليس مورثا من الآباء والأمهات ولا من الأموال والرياسات بل هو من عند الله إلفياض الذي اصطفى من شاء وأعطى لمن شاء وقيل كان الشرف والنبوة والحكمة في الملل السالفة بالإرث عن الآباء إلا ما كان في الخليل الحبيب ولهذا اصطفاه الله من بين الأنبياء بالخلة والمحبة، وقيل رباه الله تعالى يتيماً ليرحم الفقراء والأيتام كيوسف الكريم رباه الله تعالى في السجن وابتلاه بالعبودية ليرحم كل مسجون ومبتلى لما ولاه بعد اعلى أهل مصر فافهم أسرار التربية فقد كشفت لك لثاماً عن وجهها وأبدت لك جواهر عن كنزها بإشارة لطيفة ولكنها ظريفة افهم سر قوله تعالى في خطابه لحبيبه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الشرح: ٦ - ١٠].

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثاني والثمانون من خواتم الحكم ما الحكمة في قوله الله تعالى في سورة الإسراء ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] ولم يقل بنبيه وما السر في أن الله تعالى قرن التسبيح بهذا النصر الذي هو الإسراء ولم قيده بالعبودية ولم جعله الله بالليل دون النهار ولم اكده بقوله ليلاً وإن كان الإسراء يدل على سير الليل دون النهار؟

الجواب: قال بعض المحققين قال تعالى بعبده ولم يقل بنبيه لئلا يتوهم فيه الألوهية كما توهموا في عيسى بن مريم عليه السلام بانسلاخه عن الأكوان وعروجه بجسمه إلى الملأ الأعلى مناقضاً لعادات البشرية وأطوارها:

دع ما ادعتـه النصـارى فـي نبيهـم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[أي شيء خلقه الله أولاً]

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والثمانون من الخواتم أي شيء خلقه الله تعالى أولاً:

الجواب: قال أهل التحقيق من أهل الله إن العالم على قسمين: عالم الأمر، وعالم

الخلق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] واتفقوا: إن عالم الأمر مقدم على عالم الخلق فعالم الأرواح من عالم الأمر وقال أول ما خلق الله من الأرواح القدسية الروح الأعظم المحمدي كما أشار لذلك ﷺ بقوله أول ما خلق الله روحي وأول ما خلق الله جوهرة هي العنصر المحمدي الذي تكون منه عالم العناصر الكونية كلها واختلفوا في أول مخلوق من الأعيان والأكوان فقيل العرش وقيل اللوح المحفوظ.

وقيل: القلم، وقيل: زمردة خضراء، وقيل: العلماء، وقيل: أول ما خلق الله في الأعيان نقطة فنظر إليها الحق أي تجلى عليها بالهيبة فتضعضعت وتمايلت فتكثرت منها، وقيل: هي كناية عن الجوهر الوحداني المسمى بحقيقة عند الصوفية وعند الحكم بالهيولا الكلية، ولا شك أنها كل حقيقة من الحقائق فظهوره بالنسبة إلى سيدنا رسول الله ﷺ. مقدم ظهوره من الكون مقدم على عالم الأسرار ونوره من حيث تمثله بصورة الفيض مقدم على عالم الأنوار وروحه من حث تعنيه في الوجود مقدم على عالم الأرواح وعنصره من حيث بدؤه بمقام أم القرى مقدم عالم على العناصر، والأشباح، فهو ﷺ مقدم وأول في كل رتبة من المراتب وحقيقة من الحقائق فمن أراد التفصيل في بدء المخلوقات فعليه بمطالعة كتابنا الأوائل والأواخر والله الموفق الفياض.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من جعل إبراهيم مشتركاً معه ﷺ في الصلاة]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثالث بعد المائتين ما الحكمة في جعل إبراهيم مشتركاً في الصلاة مع رسول الله ﷺ في قوله: كما صليت على إبراهيم؟.

الجواب قال بعض العلماء شاركه في الصلاة لأنه دعا لنا ولم نكن نحن موجودين فجعل ذلك مكافأة له قيل قد دعالنا رسولان فكافأهما تعالى بالصلاة، والسلام عليهما الأول نوح عليه السلام حيث قال: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨] الآية. فجعل الله تعالى مكافأته السلام بقوله ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، إبراهيم دعا لنا فقال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] فكافأه الله تعالى بما أمرنا بالصلاة عليه وقيل ضمه النبي ﷺ في الصلاة لأنه كان خليل الله ومحمد حبيب الله فقرن اسمهما في الصلاة لأن الحبيب يجب أن يذكره أحبابه وأخلاؤه.

وقال الإمام المحقق النيسابوري لأنه سأل الله تعالى أن يبعث نبياً من ذرية إسماعيل فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] ولذا قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم» فكافأه

شكره وأثنى عليه مع نفسه بالصلاة التي صلى الله وملائكته عليه ﷺ وهذه الصلاة من الحق تعالى عليه قرة عينه لأنها أكمل مظاهر الحق ومشاهد تجلياته ومجامع أسراره فالصلاة مشتركة اشتراكاً قوياً وفعلياً كالصلوات الخمس فافهم سر الصلاتين واشتراكهما بين رتبتي الخلة والمحبة لتجلي الحق بظهور الهوية وسريانها في أكمل حلة جامعة، وذكر بعض العارفين في شرح الفصوص في الفص الإبراهيمي أن خلة إبراهيم كانت مستفادة من حث الباطن من الخلة المحمدية الثابتة لحقيقته أولاً وآخراً فأكمل ظهور الخلة الأحمدية كان في وعاء الإبراهيمية ولذلك كان إسماعيل وعاء لها من ذريته فمن لها اطلع على ذلك السر فقد وقع على سر اشتراك الصلاة عليه وعلى ذريته في قوله: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. فإنه ﷺ داخل في آل إبراهيم معنى في صلاته على نفسه ظاهراً وباطناً وهو المقام المحمدي الجامعي ﷺ وقد صرح أهل التحقيق بأن أكمل مظهر للحقيقة المحمدية حضرة الخليلية ثم حضرة الكليمة ولهذا السر العلي شاركهما رسول الله ﷺ عليه بالذات وصلى عليهم بوساطته لما ورد إذا صليتم عليّ فصلوا على موسى لأن الخليل والكليم أشد مناسبة فخصا وشوركا في الصلاة والثناء على الحضرة المحمدية.

وفي الخبر: أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام جنة عريضة مكتوباً على أشجارها لا إله إلا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فأخبره بقصتها. فقال: يا رب أجر ذكري على لسان أمته ﷺ. وأيضاً أمرنا بالصلاة على إبراهيم عليه السلام لأن قبلتنا قبلته ومناسكنا مناسكه والكعبة بناؤه وملته متبوعة الأمم فأوجب الله على الأمة ثناءه.

نكتة عرفانية: الحكمة في أن أمرنا بتبعية ملته، لأن الحضرة الإبراهيمية وعاء الحضرة الأحمدية لأنها من الحضرة الإسماعيلية فوجب علينا الشكر والثناء فأشار ﷺ باشتراك الصلاة عليه لأنه أظهر المظاهر للحقيقة المحمدية فآل إبراهيم من أكمل الأنبياء ومؤمنوهم هم آل محمد في الحقيقة لأنه أبو الأرواح والكل آله وتحت حيطة أبوة روحانيته صلوات الله عليه وعليهم وعلى آلهم أجمعين.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من تسمية الله له ﷺ خاتم النبيين]

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والسبعون بعد المئتين من خواتم الحكم لم سمى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ خاتم النبيين وما سر الختم في الحضرة النبوية؟

الجواب: قيل إن الختم من شرف الكتاب وكذلك النبي ﷺ أشرف الخلق أيضاً لختم إذا

كان على الكتاب لا يقدر أحد على فكه كذلك لا يقدر أحد أن يحيط بحقيه علوم القرآن دون الخاتم ما دام خاتم الملك على الخزانة لا يتجرأ أحد على فتحها ولا شك أن القرآن خزانة جميع الكتب الإلٰهية المنزله من عند الله ومجمع جواهر العلوم الإلٰهية والحقائق اللدنية فلذلك خص به خاتم النبيين محمد ﷺ ولهذا السر كان خاتم النبوة على ظهره بين كتفيه لأن خزانة الملك تختم من خارج الباب لعصمة الباطن مما في داخل الخزانة قال تعالى في الخبر القدسي: «كنت كنزاً مخفياً» فلا بد للكنز من المفتاح والخاتم فسمي ﷺ الخاتم لأنه خاتم على خزانة كنز الوجود وسمي بالفاتح لأنه مفتاح كنز الأزل به فتح وبه ختم ولا يعرف ما في الكنز إلا بالخاتم الذي هو المفتاح قال الله تعالى أحببت أن أعرف فحصل العرفان بالفيض الحي على لسان الحبيب لما في الكنز والله ولي الفيض.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من جعل خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثامن والسبعون بعد المائتين من خواتم الحكم لم جعل خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ؟

الجواب: أقول أحسن ما قيل فيه من الأقوال ما نقله الإمام الدميري في كتاب حياة الحيوان أن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بلور بين كتفيه خال أسود كالعش والوكر فجاءه الخناس يتجسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله تعالى فخنس ونكص وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلوب.

تنبيه: قال: ولهذا السر الإلٰهي كان يختم ﷺ ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضيق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله: «أعانني الله تعالى عليه فأسلم» أي بالختم الإلٰهي وأيده وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس إليه لذلك وكان خاتمهُ مثل زر الحجلة حوله شعرات مائل إلى الخضرة مكتوب عليه محمد نبي أمين وغير ذلك والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين سمعت ذلك من بعض الأولياء.

قال سيدي وروحي: في وارداته رأيت ﷺ فكشف عن خاتمه المبارك فقبلتهُ وشاهدتهُ،

فالمشاهد يشاهد بمقتضى مقامه ويخبر بحسب حاله، قال بعض العلماء: كون الخاتم بين كتفيه ﷺ للرواية المشهورة في ما وقع ليلة الإسراء من السؤال فيمَ يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قال: **«قلت أنت أعلم»** إلى أن قال: **«فوضع كفهُ بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي»** إلى آخر الحديث.

فلما جاءه العلم الرباني والمدد الإلٰهي والفيض الرحماني من بين كتفيه ختم عليه بخاتم النبوة حتى لا ينسى شيئاً من هذا العلم وحتى يكون حافظاً لما أودعهُ من الإسرار.

قال الشيخ علي دده: قلت: فكان الهيكل الروحي الأحمدي صورة الوثيقة الإلٰهية الجامعة لحقائق الظهور والبطون، قد كتبها القلم الأعلى بيد القدرة والحكمة فأمضاه بخاتم النبوة المحمدية لأنهُ حجة الكلية الأولية قال ﷺ: **«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وأنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري»** إلى غير ذلك.

ومنهم الإمام العلامة الشيخ عمر بن عبد الوهاب العرضي الحلبي[١] المتوفى سنة ١٠٢٤

ومن جواهره رضي الله عنه

[رسالته المسماة مدارج الوصول ﷺ إلى أفضلية الصلاة على الرسول ﷺ]

رسالته المسماة مدارج الوصول إلى أفضلية الصلاة على الرسول ﷺ وهي هذه بحروفها قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أحمد الله على وفور آلائه. وأشكره على جزيل نعمائه وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه، على آله وصحبه وأحبائه.

أما بعد: فيقول راجي سلوك المنهج المرضي عمر بن عبد الوهاب العرضي، هذه أبحاث حسنة، وفوائد متضمنة من كل شيء أحسنه. ضمنتها أفضلية الصلاة على الرسول، مشتملة من ذلك على كل بغية رسول، حملني على ذلك منازعة بعض الفضلاء في ذلك، فقربت إلى فهم الطالب ما أشكل عليه من هذه المسالك وسميتها: «مدارج الوصول إلى أفضلية الصلاة على الرسول ﷺ» ومن الله استمد التوفيق، والهداية إلى سواء الطريق، فأقول رفع إليّ سؤال في شهر ربيع الأول سنة٩٨١ ما سورته: ما قولكم رضي الله عنكم في رجلين اختلفا في أيما أفضل الصلاة على رسول الله ﷺ أو كلمة الشهادة. فقال قائل: بكلمة الشهادة مستدلاً بأمرين: أحدهما: أنها كلمة يحصل بها الإسلام ولا يحصل بالصلاة على النبي ﷺ. ثانيهما: لكلام صدر عن مفتي عصره وشيخ وقته الشيخ برهان الدين، إبراهيم العمادي رحمه الله فهل استدلاله بذلك صحيح أو لا؟

فكتبت الجواب من رأس القلم ما لفظه: الحمد لله الذي يقول الحق ويهدي إلى السبيل إن قول الكافر ومن لم يتصف بالإسلام كلمة الشهادة لا شك أنها أفضل من جميع الأعمال لأنه

---

(١) هو عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم العرضي الشافعي القادري مفتي حلب ومحدثها وفقيهها في عصره مولده في سنة ٩٥٠ هـ في حلب ووفاته فيها سنة ١٠٢٤ هـ.

بها يخرج من الكفر وورطة الشرك والخلاف إنما هو رجل اتصف بالإسلام ودخل في عدادها أهله هل الأفضل له أن يتعبد بكلمة الشهادة أو بالصلاة على رسول الله ﷺ؟ قول لا شك أفضلية الأعمال تتفاوت بتفاوت ثوابها هذه الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل الصلاة عليه ﷺ يكاد من علمها أن يقطع بأنها أفضل من جميع الأعمال مع اشتراكهما بأن الصلاة المفروضة لا تصح إلا بهما لكن لما كان في الصلاة على النبي ﷺ ما في كلمة الشهادة وزيادة كانت أفضل لأنه لا شك في أن من أقر لمحمد ﷺ بالرسالة ومع ذلك أثنى وصلى عليه فقد أقر لله بالوحدانية أيضاً ولا يلزم من كونها يحصل بها الإسلام ولا يحصل بالصلاة أن يكون كلمة الشهادة أفضل لأن كثيراً من الأعمال أفضل من لا إلٰه إلا الله قطعاً ومع ذلك لا يحصل بها الإسلام كتلاوة القرآن فقد صرح النووي أنها أفضل من لا إلٰه إلا الله مع ذلك لو أن كافراً تلا القرآن آناء الليل وأطراف النهار لما حكمنا بأنه أسلم بمجرد ذلك. وكالحمد لله فإن الغزاليّ صرح في الأحياء في باب الشكر أنها أفضل من كلمة الشهادة، ومع ذلك لو أن الكافر أتى بها لا يسلم ونقل الغزالي في ذلك حديثاً أن من قال سبحان الله فله عشر حسنات، ومن قال كلمة الشهادة فله عشرون ومن قال الحمد لله ثلاثون حسنة، وبين حكم تفاوت الحسنات في ذلك ثمه فارجع إليه إن أردته.

وأما استهلاله بمقال الشيخ برهان الدين العمادي رحمه الله تعالى، وكان علامة عصره في كتابه المسمى بـ **«الملخص في ما الشفيع به مخصص»** حيث قال: قلت فهي أفضل من الذكر لأنها ذكر وصلاة على حبيبه ﷺ، إذ الذكر لا يختص بكلمة الشهادة كما أن الحمد لا يختص بالحمد لله فأقول هذا استدلال ما مثله إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فإن مراد الشيخ بكلامه هذا الاستدلال على كون الصلاة على النبي ﷺ ذكراً.

فقال: إن الذكر لا يختص بما تعارفه الناس وهو: لا إلٰه إلا الله لأن كثيراً من الناس من يستبعد كون الصلاة عليه ﷺ ذكراً لأنهم لم يتعارفوا الذكر إلا بكلمة الشهادة فأفاد الشيخ رحمه الله تعالى فائدة سبقه إليها النووي: أن كل ما كان ظاعة فهو ذكر كالصلاة عليه ﷺ، عليه كالعلم فإنه ذكر، وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] أي أهل العلم وليس مراد البرهان العمادي ما توهمه هذا المستدل أن الصلاة عليه ﷺ أفضل من كل ذكر إلا لا إلٰه إلا الله فإن هذا ناشئ عن قلة تأمل.

ثم إن الشيخ البرهان العمادي وضع ذلك بقوله: كما أن الحمد لا يختص بالحمد لله دفعاً لما توهم كثير من الناس وتعارفه عامتهم من أن حمد الله مختص بالإتيان بصيغة

الحمد لله، وليس كذلك، فإن كل ثناء على الله فهو حمد سواء كان بهذه الصيغة أم بغيرها كما صرح القاضي البيضاوي: بأن الحمد لله صيغة من صيغ الحمد. فأفاد أن صيغ الحمد كثيرة وأن الحمد لله منها والله اعلم بالصواب، ثم إني دفعت الرقعة إلى المستفتي فعرضها مع جوابي عنها على بعض الفضلاء فأخذ يحمل كلامي على محامل لم أردها، وإني حيث قلت: إن هذا ناشئ عن قلة التأمل أني انتقصته بذلك وليس في صريح العبارة ولا في لازمها ما يؤدي إلى انتقاص أحد، بل فيها اعتذار عنه حيث نسبت ما فهم إلى قلة التأمل ولم أنسبه إلى الخطأ ولا إلى نحوه وحينئذٍ أخذ يعارض ما كتبته ويشنع عند الناس أني أخطأت في كتابي وأنه رد فتواي حرفاً حرفاً، وشاع ذلك حتى كثر المخبرون لي وجال هذا الأمر بين طلبة العلم فطلبت من بعض مخبريّ بذلك كلامه الذي كتبه فإذا به قد استدل بعد أن ادعى أفضلية التعبد بكلمة الشهادة على الصلاة على رسول الله ﷺ وسلم بأمور غير التي كان استدل بها أولاً منها: حديث رواه الترمذي وابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل الذكر كلمة الشهادة»[1] قال الترمذي حديث حسن وبحديث رواه المنذري عن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الذكر الشهادة وأفضل الدعاءالحمد لله» أقول استدلاله بما ذكر من الأحاديث على مدعاه استدلال لا يجديه نفعاً لكن لا بد قبل بيان ضعف استدلاله من تمهيد شيء وهو أنك علمت أن لا إلٰه إلا الله التي بها يخرج الإنسان من ورطة الكفر لا يرتاب مسلم أنها أفضل من كل عمل في الدنيا كما قررت في صدر جوابي أن لا إلٰه إلا الله في التشهد أفضل من الصلاة على النبي ﷺ، وأن الصلاة على النبي ﷺ عقب التشهد أفضل من لا إلٰه إلا الله لأنها في محلها، وكل عبادة في محلها فهي أفضل من غيرها، كالإتيان بتسبيحات الركوع في الركوع فإنها أفضل من تلاوة القرآن فيه، وإن كانت تلاوة القرآن في نفسها أفضل لأنه قد يعرض للمفضول ما يصيره فاضلاً وهذا أمر ليس لما فيه نزاع وإنما النزاع في من أراد أن يبعد الله ويتبتل ويتقرب إليه في ما عدا ما ذكر من الأحوال هل الأفضل له أن يصلي على النبي ﷺ؟ أو يقول كلمة الشهادة؟ فالمعارض يدعي أن الأفضل له أن يقول لا إلٰه إلا الله مستدلاً بما ذكر من الأحاديث واستدلاله بها غير مثبت لمدعاه، لأن قوله ﷺ أفضل الذكر،

كلمة الشهادة لا يخلو مراده من أمرين: إما أن يريد أن أفضل الذكر ما أفادته كلمة الشهادة من نفي كل معبود بحق وإثبات المعبودية بحق لهذا الفرد المخصوص جل ذكره، فكل شيء أفاد ذلك سواء كان بهذا اللفظ أو بغيره، صدق عليه أنه أفضل الذكر. وإما أن يريد هذا

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٣٣٨٣). وابن ماجه في السنن (٣٨٠٠). والحاكم في المستدرك (١: ٤٩٨، ٥٠٣). والهيثمي في موارد الظمآن (٢٣٢٦).

اللفظ بخصوصه فإن قلتم: إن مراده الثاني فلا نسلم ذلك لأن الألفاظ من حيث هي لا أفضلية فيها، وإنما أفضليتها ومرتبتها بما قام بها من المعاني فكل ما قام به المعنى صدقت عليه الأفضلية وإن كان مراده الأول وهو الظاهر يلزم من ذلك أن تكون الصلاة على النبي ﷺ أفضل من لا إله إلا الله لأن توحيد الله موجود فيها قطعاً وتزيد أمور كثيرة لإنه لا يشك عاقل في أن المسلم إذا صلى على النبي ﷺ لا يصلي عليه إلا مقر معترف بأنه رسول الله ﷺ من صميم قلبه حتى لو فرض أن سائلاً سأل أجهل المصلين عليه ﷺ لم تصلي عليه لقال ما صليت عليه إلا أني مقر معترف بأنه رسول الله ﷺ وكلما صلى عليه مرة فقد أقر برسالته في ضمنها وإذا كان مقراً بأنه رسول الله ﷺ فقد صدقه في كل ما جاء به إذ يستحيل الجمع بين اعترافه برسالته وتكذيبه ولا يرد العناد لأن المسألة مفروضة في غير المعاند، لأنا لم نقرر ذلك إلا في حق مسلم مؤمن فإذا صدق في كل ما جاء به فقد أقر به

ومما جاء به رسول الله ﷺ توحيد الله فحينئذ من صلى عليه فقد وحد الله تعالى وكل ثواب جعل لتوحيد الله يحصل للمصلى عليه ﷺ، فإن قلت لا نسلم إن في الصلاة على النبي ﷺ ما في لا إله إلا اللهمن إثبات الوحدانية لأنه لو كان كذلك لزم أن يحكم بإسلام الكافر إذا اتى بها وليس الأمر كذلك قلت أمادعواك الملازمة المذكورة فمنوعه، لأنها لم ندع أنها أفادت التوحيد صراحة بحيث يستفاد من معناه المطابق حتى يلزم أن يحكم بإسلامه، وإنما هو لازم لها بالطريق الذي قررناه، فإن قلت كيف يثاب على اللازم حتى ينطلق بالملزوم؟ وهل ورد في ذلك شيء؟ فإن مثل ذلك لا يقال من قبل العقل؟ قلت: نعم، ذكر الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي حيث ذكر قوله ﷺ: **«من قال سبحان الله فله عشر حسنات، ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون»** وبين حكم ذلك فقال: إن العبد أول شيء يجب عليه أن يعلم أن ذات الله منزهة عن النقائص وسبحان الله يؤدي إلى ذلك واستحق قائلها عشر حسنات، ثم إنه يعلم أن الذات المذكورة لا تكون إلا واحداً ففي التوحيد تنزيه الله فاستحق به ثواب سبحان الله وزاد عليه بتوحيد الله فاستحق في مقابله التوحيد عشر حسنات، ثم لما علم أنه واحد علم أن كل نعمة في الكون فهي منه فحمدا لله فيكون في الحمد لله تنزيه الله، فله في مقابلته عشر حسنات، وتوحيده فله عشرة أخرى وزاد شكر الله فله عشرة أخرى فاستحق ثلاثين حسنة، فكان في الحمد ما في لا إله إلا الله فأثيب على المعنى المطابق للفظ الحمد لله وعلى لازمه وهو توحيد الله وعلى لازم وهو تنزيه الله ثم معنى التوحيد مستفادة من الحمد لله كما هو صريح كلام حجة الإسلام ومع ذلك لا يحكم بإسلام الكافر المشر ك إذا نطق بالحمد لله لأن التوحيد ليس معنى مطابقاً لها بل هو لازم، والكافر إذا عبر بما يلزم منه التوحيد لم يحكم بإسلامه كما لا يخفى وأما المسلم إذا نطق بما لازمه التوحيد فيثاب على اللازم

والملزوم وحين نطقه بالملزوم وعلى لازمه والفضل أوسع من ذلك فثبت أن في الصلاة على النبي ﷺ ما في توحيد الله وأن الناطق بها يثاب عليها كل ثواب أعده الله لقائل لا إلٰه إلا الله ثم أنها تزيد عليها بأمور منها الأعتراف برسالة محمد ﷺ ومنها مكافأة النبي ﷺ حيث دعا له بالصلاة والسلام والمكافأة على الإحسان مطلوبة ولا إحسان كإحسان نبينا إلينا فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته ومنها أن نفعها متعد إلى غير ونفع كلمة التوحيد قاصر على الموحد ورغم المعارض أنها تتعدى لنحو المختصر، زعم واه وعده لها قبيل ما نفعه متعد فاسد لأنه لا يتعدى إلى المختصر لا إلٰه إلا الله نفسها وإنما يتعدى بتلقينه إياها ثوابها والتلقين غير الملقن ولو أن رجلاً قال لرجل قل لا إلٰه إلا اللهفقالها المأمور لأثيب الأمر بذلك وبعد من النفع المتعدى أجره بذلك لا مأموده الذي لا إلٰه إلا الله والصلاة على النبي ﷺ نفسها متعد نفعها إلى سيد المرسلين ﷺ فإنه ينتفع بصلاتنا عليه ويلزم من انتفاعه جميع أمته لأنه ﷺ كلما ازداد شرفاً ازداد أمته كرامة على الله فكان المصلي على النبي ﷺ دعا له ودعا لكل أمته، بل تكون دعاء لكل من وجد وكل من لدن النبي ﷺ إلى يوم القيامة سواء كان مسلماً أو كافراً لأن الله تعالى أرسل النبي رحمة للعالمين فإذا صلى المؤمن على النبي ﷺ فقد دعا له بمزيد القرب والشرف عند الله، وكما ازداد النبي قرباً من الله تعالى ازدادت الرحمة للعالمين يل أقول أنه ينفع بالصلاة على النبي ﷺ كل من يحشر يوم القيامة وهو الأولون والآخرون من كل إنسي وجني وملك وطير ووحش، لأنه ﷺ أكرمه الله بالمقام المحمود وهو الشفاعة في فصل القضاء لأهل الموقف عامة وهذه الكرامة كلما صلى الله على النبي ﷺ ازدادت بدعاء المؤمن وإذا ازدادت انتفع بها كل من حضر الموقف وأي نفع أكثر وأعم من النفع وكل ذلك منتف في لا إلٰه إلا الله موجود وجوداً بينا في صلاتنا عليه ﷺ.

ﷺ ولهذا حكم جم من العلماء بأنها أفضل من عتق الرقاب منهم الشافعي رضي الله عنه وأفتى بعض العلماء بأنها أفضل من الصدقة المفروضة، كما نقله السخاوي في القول البديع وذلك لعموم نفعها وعتق الرقاب والصدقة المفروضة وإن كان نفعهما متعدياً، لكن لا عموم فيه كعموم نفع الصلاة على النبي ﷺ.

فإن قلت: ماذا تقول في قول النبي ﷺ «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إلٰه إلا الله؟» قلت: يمكن أن يجاب عن ذلك بأمور: منها أنه يحتمل أن يكون النبي ﷺ قال لها قبل أن يؤمر باصلاة عليه لأن الأمر بها سورة الأحزاب وهي مدنية ونزولها متأخر وقد قيل أن الأمر بالصلاة عليه كان في السنة الثانية من الهجرة ومنها أن أفضلية لا إلٰه إلا الله ثابتة على القول الذي يشترك فيه هو وكل نبي قبله، والصلاة على نبينا ﷺ ليست من القول الذي اشترك

فيه هو وكل نبي قبله وإن شاركه فيها بعض الأنبياء كموسى فإنه ورد أنه أمر بالصلاة على النبي ﷺ في أحاديث صحيحة، وبالجملة فأقوال النبي ﷺ أقسام ثلاثة: قسم قاله هو وكل نبي قبله. قسم قاله هو وبعض الأنبياء قبله وقسم قاله هو وحده ولا إلٰه إلا الله ثبت لها الأفضيلة بهذا الحديث على القسم الأول والصلاة على النبي ﷺ ليست من القسم الأول لأنه لم يثبت أن كل نبي قبله ﷺ [قالها](1) ولا يلزم من أفضليتها على القسم الأول أفضليتها مطلقاً لجواز أن يكون اختص هو وبعض الأنبياء بمقالات أفضل منها لأن من قواعدهم أن إثبات شيء لشيء ونفيه عنه اذا كان في الكلام أمر زائد على أصل المعنى توجهاً إليه وهنا إثبات الأفضلية لم يتوجه إلا لما اجتمع هو والنبيون عليه، لا لما انفرد به وحده والإ لما شاركه فيه بعض النبيين وهذه القاعدة مقررة ومشهورة نقلها السعد التفازاني في المطول في بحث أحوال المسنداليه عن الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز.

فإن قلت: من أين لك أن المراد كل النبيين؟ ولم لا يكون المراد بعض النبيين؟ قلت لأن الجمع المحلى بالألف واللام يفيد الاستغراق كما صرح به علماء البلاغة وإن كانت عبارة السكاكي خلاف ذلك فقد شنع عليه السعد في مطوله بما فيه مقنع في رد كلامه فارجع إليه إن أردت.

فإن قلت: ما الحامل ما ذكرت؟ ولَمَ لم تحمل هذا الحديث على فهمه المعارض؟ قلت: الحامل لي على ذلك أنه قد وردت أحاديث تقتضي أفضلية الصلاة على النبي ﷺ على كل قول، بل على كل عمل منها ما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه. قال رسول الله ﷺ **«قلت لجبريل عليه السلام أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة عليك يا رسول الله»** وأخرج أبو القاسم القشيري في رسالته عن ابي عباس رضي الله عنهما قال أوحى الله إلى موسى عليه السلام قال: يا موسى أحب ما تكون إلي وأقر به إذا أكثرت الصلاة على محمد ﷺ إلى غير ذلك من الأحاديث المقتضية لكون الصلاة على النبي ﷺ أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عز وجل. فلو أنا حملنا حديث أفضل ما قلت إلى آخره على ما فهمه المستدل للزوم من ذلك عدم العمل بهذه الأحاديث المقتضية لكون الصلاة على النبي ﷺ أفضل الأعمال أو حملها على غير ظاهرها الذي هو خلاف الأصل مع إمكان حملها على ظاهرها ولو حملت الحديث المذكور على ما قاله المستدل لأبطلنا مقالة النووي الذي هو مستندالمتأخرين علماً وعملاً أن تلاوة القرآن أفضل من الاشتغال بلا إلٰه إلا الله بأن مقول لا إلٰه إلا الله أفضل لقوله ﷺ أفضل ما قلت الحديث ومن مقولات النبي ﷺ

(١) زيادة اقتضاها المعنى.

القرآن فتكون لا إلٰه إلا الله أفضل منه ولبطل ما قاله حجة الإسلام الغزالي والشيخ الحافظ شمس الدين السخاوي من أن الحمد لله أفضل أن نقول لا إلٰه إلا الله أفضل لقوله: «أفضل ما قلت» الحديث.

وكيف يتجرأ عاقل أن يبطل مقالات صدرت عن أئمة حسب أهل القرن العاشر فهم كلامهم فتعين حمل هذا الحديث على ما قررناه، لا على ما فهمه المعارض وليت شعري هل لم يقف الغزالي والنووي والسخاوي على هذا الحديث؟ وهل حكموا بأفضلية تلاوة القرآن والحمد لله على لا إلٰه إلا الله بعد حمل هذا الحديث على مثل هذه المحامل؟ فرحم الله امرأ نظر بعين الإنصاف ورجع عن طريق الاعتساف وترك حظه وراء ظهره، وشهد بشهادة تنفعه إذا ثوى في قبره وليت شعري هل رجح لا إلٰه إلا الله على الصلاة على النبي ﷺ أحد من الأئمة أو تكلم به أحد من الأمة.

فإن قلت: يقال لك مثل ما قلت لنا هل رجح التعبد بالصلاة على النبي ﷺ على لا إلٰه إلا الله أحد العلماء المتقدمين أو الفضلاء المتأخرين؟ وهل صح عن أحد ممن يوثق به القول بذلك حتى يقاس به تقوى دلائلك التي قررتها وحجتك التي أظهرتها؟ قلت: لا شك أن القواعد العلمية كافية في استنباط الأحكام، ومع ذلك فقد قال الشهاب أحمد بن العماد الأقفهسي في تسهيل المقاصد الصلاة على النبي ﷺ أفضل من سائر نوافل الطاعات فشملت كل طاعة هي نافلة سواء كانت قولية أو فعلية. وفي صحيح مسلم ما يقتضي تفضيلها على صلاة النافلة، ولا شك أن صلاة النافلة من جملة أركانها لا إلٰه إلا الله والمفضل على الكل مفضل على الجزء وقال الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل من سائر العبادات قال: وإذا أردت أن تعرف ذلك تفكر في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فسائر العبادات أمر الله تعالى بها عباده وأما الصلاة عليه ﷺ فقد صلى عليه بنفسه ثم أمر المؤمنين أن يصلوا عليه فثبت بهذا أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل سائر العبادات ا هـ. وناهيك بهذا الإمام الذي قارب درجة الاجتهاد فقد حكم بأفضلية الصلاة على الرسول على جميع العبادات.

وقال السراج البلقيني: وأما الصلاة على النبي ﷺ فقرآن القارئ واجب على المصلي والصلاة ﷺ فريضة في كل صلاة فكل واحد منهما في موضعه هو المطلوب في تلك الحالة والصلاة عليه في غير ذلك أفضل لحديث أبي كعب رضي الله عنه إذا جعل الإنسان دعاءه كله صلاة على النبي ﷺ فقد كفي همه، وصريح عبارته أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل من تلاوة القرآن في غير ما ذكر. وقد صرح النووي في التبيان: أن تلاوة القرآن أفضل من لا إلٰه إلا الله

أي من الإتيان بها وهو المسمى بالتهليل فبين أنها أفضل من لا إله إلا الله هذه.

ونقول: وردت عمن لم ندرك من العلماء، وأما من أدركنا من أهل العلم والعمل فمنهم الشيخ برهان الدين العمادي فإني أدركت أيامه ولم أره لصغر سني إذ ذاك وكان شيخ إقليمنا وعالم بلدنا وقد بينت فضائله اللطيفة ومناقبه الشريفة في تاريخي الذي كتبته على حروف المعجم وبينت فيه أعيان أهل القرن العاشر وهو تاريخ حسن لم يؤلف في هذه الأعصار مثله ولله الحمد فذكره في كتابه المسمى بالملخص إن الصلاة عليه أفضل من الذكر وقد فهم منه المعارض ما فهم مما قدمته في جوابي وقررنا فيه ما قررنا ثم ظهر له أن مراد الشيخ أنها أفضل من كل ذكر فجعل يقول أنها من العام المخصوص للدليل وليس فيه تخصيص، إذا العلم مفهومه كلي وحمله على خلافمدلوله خللاف الأصل مع أن الدليل محمول على محامل قررناها. هذه المسألة بعينها وقعت في زمن الشيخ العمادي وذلك أنه كان يعظ الناس في مقصورة الجامع الأموي فقال في خلال وعظه أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل من لا إله إلا الله وكان يتردد إلى درس والدي رجل أعرفه يقال له محي الدين وكان من السامعين لمجلسه حين قال هذه المسألة فأخبر الوالد بذلك فأنكر الوالد ذلك حين خطر في باله هذا الحديث الذي استدل به المعارض وهو أفضل ما قلت إلى آخره فاجتمع الوالد بالشيخ فاستخبره عن حقيقة ما صدر منه فقال: نعم قلت ذلك وأنا الآن عليه ثم قال لي في ذلك أسوة ثم أخرج كتاباً من شروح الحديث أراه النقل كذا أخبرني من لاريبة عندي وعند كل عاقل في صدقه ويكفي المنصف ما حررناه من المسائل وقررناه من الدلائل ومن أراد أن يتضلع من فهم هذه المسألة فعليه بمطالعة الكتب التي ألفت في فضل الصلاة عليه وسلم والله تعالى أعلم، انتهت رسالة الشيخ عمر العرضي رحمه الله تعالى.

ومنهم الإمام العارف سيدي عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة٧٦٨ هـ

ومن جواهره رضي الله عنه

[كتابه نشر المحاسن]

قوله في أواخر كتابه «نشر المحاسن في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» قلت وإذا قد ذكرنا كلامه يعني الغوث الأعظم سيدي عبد القادر الجيلاني في الخليل، ثم في الكليم على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والتسليم، فلنختم كلامه الدر المنظوم في السلك، بقوله في الحبيب خاتم الأنبياء المسك، ﷺ، وبارك وشرف وكرم، وقال الجيلاني رضي الله تعالى عنه لما أرجت مشام أرباب صوامع النور بعطر ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] وأشرق الملكوت الأعلى بأنوار ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قيل لرهبان صوامع القدس الأشرف ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] صار التراب مسكاً في مشام أصحاب يسبحون، وجليت عروس آدم عليه الصلاة والسلام في خلع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [البقرة: ١٣٢] وسجدت الملائكة لسطوع نور ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وسمع موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم فوق روضة الطور بلبلاً يتبرنم بلذيذ لحن ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] وآنس ساقياً يفرغ شراب القدم في كؤوس ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ [طه: ١٣] مادت به جنبات الطور، وطربت تحته أكناف الجبل ووقف تحت الشجرة في الوادي المقدس اشتياقاً إلى رؤية الساقي، هزت أعطافه نشوات سكره، وكتب بيد شدة تشوقه في طرس عشقه حروف أرني فانقلب القلم في يده فكتب ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وسطع لعين عقله نور عين بارقة تجلى وصار الجبل جنة لولا نار ﴿وَخَرَّ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال بعد إفاقته ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قيل له عند انقضاء دولته يا موسى سلم قلم الرسالة ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ [آل عمران: ٤٦] وأعطه الدواة ليكتب في كتب توحيدي أني عبد الله، وينقش في صحف رسالته سطوراً ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] كان تاج شرف رسول الله ﷺ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وعرضه ربه على عيون سكان السموات وأشرق جبين جمال رسالته حين زينه بغرة ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] وضوعفت الأنوار في الملكوت الأعلى

ليلة جلاء عروس أحمد ﷺ، فانبهرت أحداق أشخاص النور مع شعاع بهاء بهجته وغشيت أبصار الملا ثكة من لألاء نوره ﷺ، قيل لهم يا سكان الصفيح الأعلى من القدس الأسنى اقتبسوا من ضياء المبعوث سراجاً منيراً فأنتم في خفارة إمام الأنبياء استترت الشمس السماوية لظهور الشمس الأرضية، واختفت الكواكب حياء من طلوع نجم يثرب، وانطفأت الشهب بتبلج شهاب مكة، واندرجت الأنوار في شعاع نور أحمد ﷺ، وخرجت رهبان صوامع القدس الأشرف لتنظر جمال صاحب ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣] قيل له يا سيد الوجود طورُك ليلة أسرى رفرف النور، والوادي المقدس لك قاب قوسين، البلبل الذي يُرجع لك شهي اللحون ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠] مطلوب موسى قد سجل لك به سجل ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧] أنت آخر حزب كتب في ديوان الأنبياء أنت أعظم سطور رقم في منشور ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا﴾ [البقرة:٢٥٣] زفت عروسك في مجلى الأفق الأعلى فكان من بعض خلعها ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] قد صيغ لمفرق جبين الوجود من شرفك تاج لم يصنع له مثله، الأنبياء كلهم ما قدروا علي عز ليلة ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] ولا وجدوا أنسمة من نسمات روض ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم:٩] ولا قيل لأحد منهم كفاحا السلام عليك أيها النبي، تأخر الكل عندا وأدنى، وتقدم صاحب ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:٨] وجليت عليه عرائس الأكوان في خلع ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] ما تلفت إليها بعين الاشتغال بل تأدب بأدب ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر:٨٨] هذا الوادي المقدس فأين موسى؟ هذا روح القدس فأين عيسى؟ ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:٤٢] فأين أيوب؟ كم سافرت العقول في ميادين الغيوب، وكم طارت الأفكار من أوكار أطوارها إلى رياض العلا، تطلب نسمة من نسمات هذا الشرف الأعلى، وتطمع في نفحة من نفحات هذا الروض الأغن، وتتوغل بالخوض في لجج كل بحر فما وجدت إلى ما طلبت سبيلاً، فنادت ألسن معارفها بلسن اعترافها خاتم الرسل أنت روح جسد الوجود، أمت ورد بستان الكون وأنت عين حياة الدارين، لك نظمت تمائم الوحي، على مشام روحك هبت نسمات عطف لطف القدم، لك عقد القدر لواء ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] بعطر الثناء عليك أرج الملكوت الأعلى من نور علومك أضاء مصباح الشرع، بمصابيح كلمك تشرق سموات الحكم، قامت الأنبياء خلفه صفوفا لتأتم بجلالته في مشهد شهادتهم يتقدمه عليهم، فناداهم منادي القدر يا أصحاب أوكار السعادة، وأرباب الحجة على الخليقة، هذا قمر العلاء، هذا شمس السناء، هذا اتاج الأنبياء، فحدقوا أحداق البصائر في بهائه، واكشفوا برافع الأفكار عن ضيائه، تجدوا درة يتيمة شرف بها جيد الرسالة، وديج بها طراز حلة الوحي، فتلوا بلسان الاعتراف ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤] اهـ كلام الغوث الجيلاني رضي الله عنه.

ومن جواهر الإمام اليافعي رضي الله عنه

قوله بعدما تقدم

[عظيم شرفه ﷺ]

إشارة إلى شيء مما شوهد من عظيم شرفه ﷺ وجلالة قدره وعلو مقامه فوق جميع مقامات جميع الأصفياء واستمداد الكل من نوره وتأدب الكل معه وما يكشف للشيوخ العارفين من العجائب وينالون من المواهب ببركته ﷺ من ذلك ما روي عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبي عبد الله أحمد البلجي رضي الله تعالى عنه قال: سافرت من بلخ إلى بغداد وأنا شاب لأرى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فوافيته يصلي العصر بمدرسته، وما كنت رأيته ولا رآني قبل ذلك فلما سلم وهرع الناس للسلام عليه تقدمت إليه وصافحته فأمسك بيدي ونظر إليَّ متبسماً وقال: مرحبا بك يا محمد قد رأى الله سبحانه مكانك وعلم نيتك قال: فكأن كلامه دواء الجرح وشفاء العليل فذرفت عيناي خشية وارتعدت فرائصي هيبة ونغضت أحشائي شوقاً ومحبة وأوحشت نفسي من الخلق ووجدت في قلبي أمراً لا أحسن أعبر عنه، ثم ما زال ذلك ينمو ويقوى وأنا أغالبه فلما كان ذات ليلة قمت إلى وردي وكانت ليلة مظلمة فبرز لي من قلبي شخصان بيد أحدهما كأس وبيد الآخر خلعة فقال لي صاحب الخلعة أنا علي بن أبي طالب وهذا أحد الملا ئكة المقربين وهذا كأس شراب المحبة وهذه خلعة من حال الرضى ثم ألبسني تلك الخلعة وناولني صاحب الكأس فأضاء بنوره المشرق والمغرب فلما شربته كشف لي عن أسرار الغيوب ومقامات أولياء الله تعالى وغير ذلك من العجائب فكان مما رأيت مقاماً تزل أقدام العقول في سره وتضل أفهام الأفكار في جلاله وتخضع رقاب الأولياء لهيبته وتذهل أسرار السرائر في بهائه وتدهش أبصار البصائر لأشعة أنواره لا تسامته طائفة الملائكة الكروبيين والروحانية والمقربين إلا جنت ظهورها على هيئة الراكع تعظيماً لقدر ذلك المقام وسبحت الله عز وجل بأنواع التقديس والتنزيه وسلمت على أهل ذلك المقام.

ويقول القائل: إنه ليس فوقه إلا عرش الرحمٰن يتحقق الناظر إليه أن كل مقام لواصل أو حال لمجذوب أو سر لمحبوب أو علم لعارف أو تصريف لولي أو تمكين لمقرب فمبدؤه وموئله وجملته وتفصيله وكله وبعضه وأوله وآخره فيه استقر ومنه نشأ وعنه صدر وبه كمل فمكثت مدة لا أستطيع النظر إليه ثم طوقت النظر إليه ومكثت مدة لا أستطيع أن أسامته ثم طوقت مسامته ومكثت مدة لا أستطيع أعلم بمن فيه ثم بعد مدة علمت بمن فيه فإذا فيه رسول الله ﷺ وعن يمينه آدم وإبراهيم وجبريل وعن شماله نوح وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبين يديه أكابر أصحابه رضي الله تعالى عنهم والأولياء قدس الله تعالى

أرواحهم قيام على هيئة الخدم كأن على رؤوسهم الطير من هيبته ﷺ، وكان ممن عرفت من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة والعباس رضي الله تعالى عنهم، وممن عرفت في الأولياء معروف الكرخي والسري السقطي والجنيد ومنهل التستري وتاج العارفين أبو الوفاء والشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وكان من أقرب الصحابة إلى النبي ﷺ أبو بكر ومن أقرب الأولياء إليه الشيخ عبد القادر فسمعت قائلاً يقول إذا اشتاق الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون والأولياء المحبوبون إلى رؤية محمد ﷺ ينزل من مقامه الأعلى إلى هكذا مقام فتستضعف أنوارهم برؤيته وتزكو أحوالهم بمشاهدته ويعلو مكانهم ومقاماتهم وببركته ثم يعود للرفيق الأعلى قال: فسمعت الكل يقولون ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] ثم بدت لي بارقة من نور القدس الأعظم فغيبتني عن كل مشهود واختطفتني عن كل موجود وأسقطت مني التمييز بين كل مختلفين وأقمت على هذا الحال ثلاث سنين فلم أشعر إلا وأنا في سامرا والشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه قابض على صدري وإحدى رجليه عندي والاخرى ببغداد وقد عاد إليَّ تمييزي وملكت أمري فقال لي الشيخ يا بلخي قد أمرت أن أردك إلى وجودك وأملكك حالك وأسلب منك ما قهرك ثم أخبرني بجميع مشاهداتي وأحوالي من أول أمري إلى ذلك الوقت أخباراً يدل على اطلاعه على في كل نفس.

وقال في: لقد سألت رسول الله ﷺ سبع مرات حتى طوقت النظر إلى ذلك المقام وسبع مرات حتى طوقت مسامته وسبع مرات حتى اطلعت على من فيه وسبع مرات حتى سمعت المنادي ولقد سألت الله تعالى فيك سبع مرات وسبع مرات حتى ألاح لك تلك البارقة وكنت من قبل سألته فيك سبعين مرة حتى سقاك كأساً من محبته وألبسك خلعة رضوانه يا بني أمضِ جميع ما فاتك من الفرائض اهـ.

ومنهم العلامة المحقق الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر السلاوي[1] تلميذ الإمام الشهير الشيخ محمد الأمير الكبير المصري من أهل القرن الثالث عشر رضي الله عنهما

ومن جواهره

[رسالته تعظيم الاتفاق]

رسالته تعظيم الاتفاق في آية أخذ الميثاق وهي هذه بحروفها قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أخذ الميثاق على جميع الأنبياء بالإيمان بهذا النبي الكريم، كما أخذ عليهم الميثاق لنفسه بالوحدانية والإقرار بالربوبية الذي هو أفخم كل فخيم، فأخذ عليهم وعلى أممهم أنهم أن أدركوا زمنه يؤمنوا به وينصروه ويفدوه بأنفسهم من كل خطب جسيم، وينصروا دينه في الغيبة والحضور لأنه الدين القويم، الصلاة والسلام على من خص بأخذ هذا الميثاق العميم، وأنزل عليه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعلى آله وأصحابه الذين وفوا بعهودهم ونصروه وفدوه بأرواحهم عند تبليغ وحي الله الكريم، وعلى من تبعهم في كل ذلك إلى يوم يبيض فيه وجه كل من لقي الله بقلب سليم.

وبعد: فيقول كثير الذنوب كبير المساوي، أحمد بن محمد بن ناصر السلاوي، حفه الله بلطف سماوي، وهذه رسالة «تعظيم الاتفاق، في رواية أخذ الميثاق» درجنا فيها مع ما قاله السبكي مدارج الوفاق، وحلنا فيها عن سنن المخالفة والشقاق، إلى سنن الموافقة والارتفاق، راجياً من الكريم الخلاق، أن نكون ممن وفىّ بذلك الميثاق، في حق من شرفه الله بكمال الأخلاق، على المخلوقين بالإطباق، وقد اشتملت على أربعة فصول، الفصل الأول في ذكر ما فيها من التفاسير. الثاني: في ما يتعلق بها من الإعراب. والثالث: في ما يستنبط منها من

---

(١) هو أحمد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي شهاب الدين السلاوي: مؤرخ بحاث. مولده ووفاته في مدينة سلابا بالمغرب الأقصى (١٢٥٠هـ ـ ١٣١٥هـ). وينتمي نسبه إلى الشيخ محمد ناصر الدرعي صاحب زاوية درعة بالمغرب.

تقديم هذا الرسول على سائر الرسل بلا ارتياب، الفصل الرابع في رد من كلام التقي السبكي بما هو الصواب، بعون رب الأرباب.

الفصل الأول: قال الله تعالى في حق من أوجب له التعظيم والمنة ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] اعلم وفقك الله أن في الآية تفاسير عديدة:

الأول: إن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء أي على كل نبي أنه محمد ﷺ في زمنه وأدركه ليؤمنن به ولينصرنه ويكون تابعاً له مصدقاً له وعلى هذا فتنوين الرسول وتنكيره للتعظيم، يدل على هذا ما رواه ابن جرير وابن كثير عن علي رضي الله عنه أنه قال في تفسير الآية لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمن به ولينصرنه، وأمر أن يأخذ العهد بذلك على أمته وهو مروي عن ابن عباس أيضاً موقوف عليهما لفظاً مرفوع حكماً لأنه لا مجال للرأي فيه.

وروي أن الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد ﷺ وأخرج منه أنوار الأنبياء وكمله بإضافة الكمالات والنبوة أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء الذين أخرجوا من نوره فغشيهم من نوره وما أنطقهم الله به وقالوا: يا ربنا من هذا الذي غشينا نوره؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمد بن عبد الله إن أنتم آمنتم به جعلكم أنبياء. قالوا: آمنا به وبنبوته، فقال الله تعالى لهم: أشهد عليكم قالوا: نعم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، في الآية الشريفة من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى والقصد من أخذ الميثاق عليهم بالإيمان به ﷺ مع علم الله تعالى بأن وجوده في الخارج متأخر عنهم ولا يدركونه إظهار زيادة تشريفه وكريمه لجميع الأنبياء ولأمم فلو اتفق مجيئه في زمن نبي من الأنبياء وجب عليه وعلى أمته الإيمان به ونصرته ﷺ وبذلك أخذ الله عليهم الميثاق وعلى هذا التفسير فالضمير في قوله آتيتكم للأنبياء أي وأممهم تبعاً لهم في ذلك والإبهام في رسول للتعظيم.

الثاني: منها أن الله أخذ الميثاق على كل نبي بأن يؤمن بمن في زمنه من الأنبياء وبمن يأتي بعده منهم وينصره إن احتاج إلى ذلك في حياته وينصر أمته بعد وفاته وأن يأمر قومه بنصرته فأخذ الميثاق مثلاً من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد كما أخذ عليهم العهد في تبليغ كتاب الله ورسالاته وأن يصدق بعضهم بعضاً وعلى هذا فالتنوين في رسول في الآية للتعميم أي أن كل نبي لو قدر اجتماعه مع نبي آخر يجب على كل منهم أن يؤمن بالآخر ويصدقه لأن كلاً من عندالله قيل وعلى هذا فلا خصوصية لنبينا ﷺ بذلك، وأجيب

بأن العهد المأخوذ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إجماليّ من غير تعيين وهو معين باسمه وصفته ﷺ ففيه اختصاص له من حيث التعيين والتفصيل، وأجاب شيخنا شمس الدين الأمير بأن الخصوصية ثابتة أيضاً ولو على العموم لأنه أخذ العهد له على غيره ولم يأخذ عليه عهد لعدم وجود غيره معه وبعده، وهذا التفسير أغفله صاحب الكشاف وعلى هذين التفسيرين كان يقتصر أستاذنا في تقريره في قراءة المولد واقتصر عليهما ولده في حاشيته.

الثالث: أخذ الأنبياء على أممهم فاضافة الميثاق إلى النبيين من إضافته إلى الموثّق الفاعل لا إلى الموثّق المفعول كما تقول ميثاق الله وعهده فكأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم بذلك المذكور وعلى التفسيرين بين السابقين الميثاق مضاف إلى المفعول.

الرابع: إن الكلام على حذف مضاف والمراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل وعليه فالظاهر إن المراد الميثاق الذي أخذه الأنبياء على أولادهم خصوصاً فالفرق بينه وبين ما قبله التخصيص والتعميم الوجهي فإن ما قبله الميثاق مأخوذ على الأمم ومن جملتهم الأولاد وهنا الأولاد أخذ عليهم بخصوصهم سواء كانوا من أمة أبيهم الآخذ عليهم أو من أمة غيره.

الخامس: إن المراد أهل الكتاب ويكون قد ورد على زعمهم تهكماً بهم لأنهم كاموا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد ﷺ لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون فالمراد بالميثاق المأخوذ على النبيين أي على أهل الكتاب وسماهم نبيين تهكماً واستهزاءً بهم ويدل عليه قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب. موضع النبيين وبيانه أن الله عهد إلى أهل الكتاب أنه مهما جاءهم رسول مصدق لما معهم يؤمنوا به وينصروه وهم ما وفوا بذلك العهد، بل كلما جاءهم رسول كذبوه.

ذكر هذه الثلاثة مع الأول الزمخشري في كشافه. وذكر الخمسة البيضاوي باختصار، ونقلها شارح المواهب عن تفسير ابن كثير، هذا العهد والميثاق وغير العهد والميثاق المشار إليه بآية ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب:٧] الآية لأن هذا الذي في هذه الآية عهد الاقرار بالربوبية يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[الأعراف:١٧٢] وما نحن فيه هو العهد بالإيمان بنبوة المصطفى واتباعه أن أدركه خلافاً لمن وهم فجعل هذا ذاك ويكون أخذ منهم العهد بخصوصهم تشريفاً لهم أول مرة بالإقرار بالربوبية، ثم أخذ من جميع الخلق بعدهم وأول من قال: بلى في الإقرار بالربوبية هو محمد ﷺ. فلذلك كان مقدماً على الأنبياء في كل شيء وتأخرت بعثته ووجوده في الظاهر لحكم عظيمة، منها: أن شريعته تصير أخر الشرائع ناسخة لما قبلها وليس بعدها ما ينسخها، ومنها عدم طول مكث أمته في القبر، ومنها تأخر وجودهم في الدنيا عن سائر الأمم عوضهم الله بذلك إكراماً لنبيهم السبق في سائر أمور الآخرة فكانوا

أول من تنشق عنهم الأرض وأول من يبعثون وأول من يقضى ينهم وأول من يدخل الجنة وغير ذلك، ولما أقروا بالربوبية عندما فاضت عليهم الأنوار المصطفوية أقروا برسالة المصطفى.

ثانياً: فالإقرار الواقع منهم في عالم الذر إقراران فلما أقروا واعترفوا بذلك والمراد الأنبياء وأممهم تبع لهم قال الله لهم فاشهدوا أي فليشهد بعضكم على بعض بالإفرار، وقيل الخطاب لأهل مكة وقيل المراد اشهدوا أي دوموا على عملكم بذلك واعترافكم به وعليه فالمراد بالشهادة بدوام على العلم والاعتراف.

ويحتمل أن المعنى أخبروا أممكم بذلك واعترافكم ليعلموه وعليه فالمراد بالشهادة المأمور بها هنا الإخبار كما قال شيخنا الأمير الصغير: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [ال عمران: ٨١]، أي والحال أني معكم على إقراركم وشهادتكم من جملة الشاهدين عليكم بذلك، وكذلك ملائكتي يشهدون عليكم والقصد بقوله: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [ال عمران: ٨١]، زيادة التأكيد والأعتناء بالمشهود له وعليه لئلا يكتموا أو ينكروا معاذ الله إذ الأنبياء معصومون من ذلك أو هو تحذير من رجوع الأمم لأن قوله تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [آل عمران: ٨٢] هو في حق الأمم لا في حق الأنبياء لأنهم إذا علموا بشهادة الله عليهم وشهادة بعضهم على بعض امتنعوا من الرجوع عن ذلك لأن التولي ليس من فعل الأنبياء وقد وقع من بعض الأمم وعليه فقوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢] في حق من رجع عن ذلك من الأمم والمشار إليه بذلك الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة من الله ومن بعضهم عليهم، والمراد اشهدوا أي واعلموا قومكم بأني شاهد لكم بالتبليغ عليهم من آمن ومن كفر، وقوله ثم جاءكم ولما آتيتكم الخطاب للأنبياء وأممهم تبع لهم في ذلك ففيه حذف الواو مع ما عطفت ورسول فعول يطلق ويراديه المصدر بمعنى الرسالة فيخبر به عن متعدد ومنه ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] وليس المراد منه في الآية مفرداً وقد اخطأ من توهمه حتى زعم أن موسى وهارون اشتركا في رسالة واحدة فكفر بذلك لأنه نقص كل منهما ويطلق ويراد منه الوصف بمعنى المرسل ومنه ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾ [الشعراء: ١٦] فيثنى ويجمع ولا بد من مطابقته وقوله: ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١] أي من الكتاب والحكمة على ظاهر الآية، أو لما معكم من الأمر بالإقرار لله بالوحدانية التي مدار جميع الشرائع عليها وإن اختلفت أحكام بعض الفروع في التحليل والتحريم لحكم يعلمها الله سبحانه بل رفع ذلك في شريعة واحدة وبهذا اندفع ما يقال كيف يكون مصدقاً لما معهم مع اختلاف الشرائع على أنه لا مانع من أن يكون مصدقاً له بأن الله أرسله إلى أمته المخصوصة بأحكام تخصه:

الفصل الثاني في ما يتعلق بالآية الشريفة من جهة الإعراب: فيقول وإذا أخذ ظرف أي

واذكر يا محمد وقت أي حين أخذ الله ميثاق النبيين وميثاق مصدر إما مضاف إلى المفعول أي أخذ الله الميثاق على النبيين فالنبييون وأممهم لتبعهم لهم مأخوذ عليهم أو مضاف للفاعل أي الميثاق الذي أخذه النبيون على أممهم كما سبق، والميثاق معناه الخلف سمي ميثاقاً لأن صاحبه صار موثقاً بعد أن كان مطلقاً بمنزلة الدابة المربوطة الموثقة لا يمكنها أن تفعل شيئاً مما تريد، والعهد قيل هو الميثاق وقيل إن فسر الميثاق باليمين المدلول عليه بلام القسم كان العهد أعم منه وقيل: يقدر تعلق إذ باذكروا أي يا أهل الكتاب فإذا أريا جميعهم فظاهر، إن أريد الموجودون في زمن المصطفى ﷺ فتنزيل ماجاء آباءهم بمنزلة ما جاءهم أو يقدروا ذكروا إذ جاء آباءكم.

وقيل: إن إذ تتعلق بأقررتم وإن آخر واللام المفتوحة في قوله لما لام التوطئة والميم مخففة والتوطئة كثرة التوطيء سميت موطئة لأنها وطأت طريق جواب القسم أي سهلت تفهيم الجواب على السامع وذلك لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف واللام في لتؤمنن به لام جواب القسم، وما في قوله لما آتيتكم يحتمل أن تكون موصولة متضمنة لمعنى الشرط والتقدير مهما آتيتكم من كتاب، وقوله لتؤمنن ساد مسد جواب القسم وجواب الشرط جميعاً، وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكوه لتؤمنن به وعلي هذا فالضمير هو العائد من الصلة إلى الموصول، وإما على الشرط فهو مفعول آتيتكم والموصولة مبتدأ ولتؤمنن به ساد مسد جواب القسم وخبر المبتدأ أو في التحقيق الخبر محذوف أي تؤمنون به وعلى أنها شرطية أو موصولة فمن في قوله من كتاب بيانية، وقيل: ما في قوله: ما معكم مبتدأ بمعنى الذي والخبر لتؤمنن به وإن كان الضميران عائدين على رسول لكن لما قال: رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظائر في التنزيل.

قلت: ذكر السيد في شرح الكشاف أن الاستغناء يعود؟ إلى ما في اثناء الجملة عن عوده إلى المبتدأ والشرط هو مذهب الأخفش والكسائي وذكره في التسهيل ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومن تبعيضية لا بيانيه لأنه ليس هناك ما يبين وإنما هو امتنان عليهم ببعض الكتاب ومعنى هذه القراءة أي لأجل إيتائي أياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به، ظاهر هذا التقدير إن اللام تتعلق بقوله لؤمنن به، وليس كذلك بل هو تقدير لبيان المعنى، وأما بحسب اللفظ فمتعلق بأقسم المحذوف، وعلى هذه القراءة فما مصدرية، والفعلان معها أعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين أي معنى الإيتاء والمجيء واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الكتاب والحكمة ولأجل أن

الرسول الذي أمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف فكل من هذين الأمرين جدير بأن يكون علة وسبباً في نصرتكم إياه لأنكم أوتيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق مع من كان ولأنه جاءَ بما هو موافق لكم مصدقاً لما معكم وقد تقدم أن اللام بالفتح للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وعلى الكسر فهي تتعلق بأخذ.

ويجوز أن تكون ما موصولة وهي أيضاً على قراءة الكسر والتعليل أي أوجبت على الأنبياء نصرة النبي المدعو به في المستقبل لأجل الكتاب الذي آتيته كل واحد منهم، وجملة جاءكم معطوفة على الصلة أقيم فيها الظاهر مقام المضمر والتقدير لما اتيتكوه من الكتاب ثم جاءكم رسول مصدق له فإن قلت كيف يجوز أن تكون ما موصولة والعطف لقوله: ثم جاءكم على آتيتكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول: للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم.

قلت: يجوز لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم أي هما شيء واحد، فالضمير العائد إلى الموصول محذوف، فكأنه قيل الذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ النبئين بالهمزة من النبوأة وبإبدالها ياء وإدغامها في الياء من النبأ أو من النبوة وقرئ آتيتكم وآتيناكم والخلاف في النبيّ والرسول هل هما بمعنى واحد أو الرسول أخص وعليه ففي قوله ميثاق النبيين حذف الواو مع ما عطفت أي والرسل وأما على القول بتساويهما فلا حذف.

وقوله تعالى: ﴿إِصْرِيۖ﴾ أي عهدي فهو بكسر الهمزة وقرئ بضمها سمي العهد إصراً لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به وهو حبل يشد به أسفل الخباء إلى الوتد وسمي به العهد لثقله على النفس بالتزامها له وعدم انفكاكها عنه ويصح أن يكون مضموم الهمزة جمع آصار والأصر في الأصل الثقل قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ [البقرة:٢٨٦] أي ثقلاً في أحكام شريعتنا والأصر العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستطيع رفعه وقد كان في شريعة موسى عليه السلام وجوب القصاص بحيث لا يندفع بالعفو والصلح ووجوب قطع ما تجنس من الثوب وغير ذلك من الأثقال التي ليست في شريعتنا، استيعر الأصر للتكليف الشاق ومن ذلك سمي اليمين ميثاقاً لأنه يوثق ويشد به، وأصرا لأنه كحامل ثقل لا يقدر على تنزيله عنه وتؤمنن وتنصرن، أصله: تؤمنون فأدخلت نون التوكيد فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان الواو والنون حذفت الواو والضمة قبلها دليل عليها وتنصرن كذلك والله يوفقنا إلى أحسن المسالك.

الفصل الثالث: إعلم وفقنا الله وإياك لطاعته إن هذه الآية الشريفة أجل آية في حقه ﷺ وقد أفردها التقي السبكي برسالة سماها أالتعظيم والمنة في معنى قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١] قال في هذه الآية الشريفة من التنويه بالمصطفى ﷺ وتعظيم قدره

العلي مالا يخفى، وفيها أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم فتكون نبوته ورسالته ﷺ عامة لجميع الخلق من لدن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ﷺ مع بقاء الأنبياء والرسل على نبوتهم ورسالتهم ولا ضرر في صيرورة نبي من أمتنا على فرض اجتماعه بنبينا الاثرى عيسى عليه السلام، فنبينا ﷺ هو نبي الأنبياء والرسل نوابه ويكون قوله ﷺ: «وبعثت إلى الناس كافة» أي من عرب وعجم وأسود وأحمر الشامل للجن إجماعا وللملائكة على أرجح القولين. لا يختص به الكائنون في زمنه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبله أيضاً وقد ورد أن: الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد ﷺ وأدركوه أن يؤمنوا به ينصروه.

وقد قيل: إن الذين أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به هم الموجودون عند مبعثه ﷺ وهم الأمم لعدم وجود الأنبياء إذ ذاك قيل: ويؤيد هذا أنه تعالى حكم على المأخوذ منهم الميثاق أنهم إن تولوا كانوا فاسقين وهذا لا يليق إلا بالأمم والحق أن المراد بالآية أن الأنبياء لو كانوا في الحياة وجب عليهم الإيمان بمحمد ﷺ ويكون الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير، وإذا علمت أن الله أوجب على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ لو كانوا في الأحياء وأنهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة المتولين علمت أن الإيمان بمحمد ﷺ وأجب على الأمم من باب أولى فيكون صرف هذا الميثاق إلى الأنبياء أقوى في تحصيل المقصود وإنما أخذ الميثاق على الأنبياء بالإيمان به مع علم الله بأن وجودهم متقدم عليه إظهاراً لفضله بينهم وبين أممهم ليعملوا أنه المقدم عليهم وإنه نبيهم ورسولهم ويخبروا بذلك أممهم فهو ﷺ نبي الأنبياء ولذا يكون في الآخرة جميعهم تحت لوائه.

وقد ظهر في الدنيا حين صلى بهم ليلة الإسراء إماماً فلو اتفق مجيئه في زمن أحدهم لوجب عليه وعلى أمته الإيمان به ونصرته ﷺ وإنما ذلك متوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك لعدم وجودهم معه لا لعدم انصافهم بما يقتضيه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك، ولهذا يأتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكماً وهو نبي كريم على حاله وهو واحد من هذه الأمة أيضاً بل صحابي لأتباعه لشرع المصطفى ولاجتماعه به في ليلة الإسراء وهو حي وحكمه بشريعة المصطفى أي القرآن والسنة ويستنبط منهما كما يستنبط المجتهدون ولذلك يحكم بعدم قبول الجزية لأن اجتهاده يؤديه إلى أن قبولها له أمده معلوم وقد انتهى بنزوله عليه السلام فلو وجد المصطفى في زمن أحد من الرسل كان ذلك الرسول مستمراً على نبوته ورسالته إلى أمته والمصطفى نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم ويقرب ذلك أن الملك له وزارة وكل منهم يأمر وينهي وأحكام كل منهم وترتيباته قد ينفق في بعضها لمصلحة تقتضي ذلك مع أنهم واتباعهم مقرون بانفراد الملك وسامعون

مطيعون له، وإن اختلفت أوامرهم في بعض الأشياء فكذلك المصطفى لو اتفق مجيئه في زمن أحد من الرسل أو كلهم لكان نبيهم ورسولاً إليهم وكل منهم رسول إلى قومه فإن أمرهم بأمر علوم درجوا عليه وإن لم يأمرهم به فكل يحكم بمقتضى شريعته وإن اختلفوا رجعوا إلى شريعة كبيرهم وسيدهم ويكون اختلافهم إذ ذاك إما لحكم تقتضيها مصالح العباد في البلاد المتفرقة على مقتضى مألوفاتها ومعتاداتهم إن قلنا بعدم نسخ شريعة المصطفى إذ ذاك لشرائعهم الموجودة هي وأصحابها في زمنه فينزل اختلافهم فيها منزلة اختلاف المجتهدين أي غير الأمور العامة التي وقع الأمر بها لعموم، وإن قلنا أنها تكون ناسخة فالأمر ظاهر وعلى عدم النسخ فتكون شرائعهم إذ ذاك من جملة شريعته أيضاً والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأمكنة وبهذا تبين حديث «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» فليس معناه بعلم الله أن يصير نبياً لأن علم الله محيط بجميع الأشياء وجميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للمصطفى ولأجلها أخبرنا بهذا الخبر إعلاماً لأمته ليعرفوا قدره ففيهم منه أن تلك الخصوصية أمر ثابت له في ذلك الوقت وذلك أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد فلعل الإشارة بقوله كنت نبياً إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وتلك الحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وتلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة المصطفى كانت قبل خلق آدم متهيئة للنبوة فآتاها الله ذلك الوصف وأفاض عليها تلك الأنوار فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة لتعلم الملائكة وغيرهم كرامته عند ربه فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وأن جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بتلك الأوصاف العظيمة المفاضة عليها من الحضرة الإلٰهية قبل خلق آدم بمدة وإنما تأخر البعث والتبليغ حتى ظهر ﷺ وبالجملة فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله وقد عرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال قبل خلق الله لآدم عليه السلام، أفاض على حقيقته النبوة في ذلك الوقت وأخذ له المواثيق والعهود على الأنبياء وهي كإيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعلها أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للمصطفى ﷺ من ربه، فبان لك معنى حديث «كنت نبياً»: أنه ليس بالعلم بل بأمر زائد على ذلك وإنما يفترق الحال في ما بعد وجود جسده إلى بلوغه الأربعين بالنسبة إلى المبعوث إليهم وعدم تأهيلهم لسماع كلامه لا بالنسبة إليه واليهم لو تأهلوا لسماعه وقبوله فمن وكل رجلاً في تزويج ابنته إذا وجد كفوءاً لها فالوكالة صحيحية والوكيل أهل لها وقد توقف الأمر على وجود كفؤ ولا يوجد إلا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل، وقوله لتؤمن به أي برسالته وقوله أقررتم الهمزة للاستثبات وقوله وأخذتم على ذلكم أي قبلتم على ذلك المذكور.

وبالجملة فقد خص الله تعالى محمداً ﷺ بفضل لم يعطه أحداً غيره فضله به على غيره وهو ما ذكره في هده الآية ولو على القول بالعموم لما سبق لنا أنه حيث أخذ العهد على غيره له ولم يأخذ عليه لغيره وفي أخذ الله هذا الميثاق على جميع الأنبياء إشارة إلى أن شريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع فيجب على كلٌ من أدركه اتباعه ولذا ورد في الحديث «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي» وفي التوراة والإنجيل شيء كثير من هذا ومن قال إن الخطاب في قوله ثم جاءكم لأهل الكتاب المعاصرين للمصطفى فمعناه أن الله أخذ الميثاق الله أخذ الميثاق على الأنبياء أن يبينوا لأولئك المعاصرين للمصطفى بواسطة أصحابهم خلقاً عن سلف وجوب لإيمان به ونصره وفي الحديث عن أنس مرفوعاً: «أوحى الله إلى موسى أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار قال يارب ومن أحمد؟ قال ما خلقت خلقاً أكرم قال علمنيه قال كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السماوات والأرض إن الجنة محرمة على جميع خلقي جتى يدخلها هو وأمته قال: ومن أمته؟ قال: الحمادون يحمدوني صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم أسود بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله قال: اجعلني نبي تلك الأمة قال: نبيها منها. قال إجعلني من أمة ذلك النبي ﷺ قال: استقدمت واستأخر» أي في الزمان «ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال» انتهى. وورد بمعناه من طرق كثيرة وورد أن موسى عليه السلام وجد في التوراة صفة أمة موصوفة بصفات جميلة فكلما وجدها موصوفة بصفة سأل الله أن تكون أمته فيقول الله تلك أمة أحمد فلما أعياه الأرق قال اللهم اجعلني من أمة أحمد اللهم احشرنا في زمرة أحمد واجعلنا من المحبين لأحمد وأمته آمين.

الفصل الرابع: في رد على التقي السبكي إعلم رحمك الله أن مقتضى كلام التقي البكي إنه على تقدير مجيئه ﷺ في زمان بعض الأنبياء أوكلهم يكون مرسلاً إليهم فتكون نبوته ورسالته ﷺ عامة لجميع الخلق من لدن آدم إلى يوم القيامة بهذا التقدير وتكون الأنبياء واممهم كلهم من أمته ﷺ مع بقاء الأنبياء على نبوتهم ويكون قوله في الحديث وبعثت إلى الناس كافة لا يختص به الكائنون في زمنه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً من عرب وعجم وأسود وأحمرُ إنس وجن إجماعاً، بل يتناول الملائكة في أرجح القولين كما رجحه ابن حزم السبكي ونحوه للبارزي في توثيق عرى الإيمان وقد اعترضه الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض في شرح شفاء عياض وعا به وشنع عليه فقال بعد أن ذكر ما أوحاه الله إلى موسى من قوله أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد إلى آخره واعلم أن معنى كون أحد من أمة نبي من الأنبياء مكلف باتباعه واتباع شريعته ﷺ إن الأمة على قسمين أمة دعوة وأمة إجابة ويلزم أمة الإجابة تعظيمه وتوقيره واعتقاده صدقه في كل ما جاء به ولا يلزم من ذلك أن يكون مكلفاً باتباع شريعته

والتعبد بها فإن الله أعزه وعظمه وأحبه ولا يتصور فيه أن يقول إنه مكلف باتباع شريعته وكذلك الرسل والأنبياء جميعهم معظمون له ومحبون مع أنهم غير مكلفين بأحكام شرعه ﷺ وإلا لم يكونوا أصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه ألا ترى إلى قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وما في معناها من الآيات ا هـ. بعض كلام الشهاب وأنا أقول أن الله العجب غاية العجب مما فاه به هذا العالم الفاضل مما هو ينادي بالرد عليه .كما سنبين لك ذلك إن شاء الله فقوله وقال الله لموسى استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال هو يدل على أن المتابعة ما انتفت عن ذات موسى ومثله كل من سبق المصطفى في الزمان فما ذلك إلا لوجود التقدم في الزمان عن زمان وجوده وعدم اجتماعهما في زمان واحد أي ولو قدر اجتماعهما في زمان واحد لحقق الله طلب موسى وأجابه في ما سأل وجعله من أمة أحمد فكيف يطلب موسى أن يكون من أمته عند اختلاف الزمان ويكون خارجاً عن أمته على فرض أن لو اتفق مجيئه معه في زمان واحد بل شرائعهم على تقدير وجوده في أزمانهم شرع له فيهم.

قوله الثاني هم غير مكلفين بشرعه ﷺ لم يدع السبكي تكليفهم بشرائعه الخاصة بأمته بل، نقول: إن معنى كلامه أن الأنبياء لو وجدوا في زمن المصطفى ﷺ لكان نبياً ومرسلاً إليهم وشرائعهم هي عين شريعة المصطفى بلا خلاف ولو وجد المصطفى ﷺ في أزمنتهم المتقدمة لكان نبياً ومرسلاً إليهم بأحكام تخصهم وتكون شرائعهم إذ ذاك شرعاً له فيهم فهم مكلفون إذ ذاك بأحكام شرعة التي قررها لهم وهي شرائعهم التي بأيديهم إذ ذاك فلا نسخ بل على سبيل التخصص بهم وتكون شريعة المصطفى ﷺ هذه في تلك الأوقات هي عين شريعته بالنسبة إلى هذه الأمة وشرائع الأنبياء هي عين شريعته ﷺ بالنسبة إلى أولئك اونبياء وأممهم إذ ذاك فما أمرهم بالاتفاق عليه لا يجوز لهم مخالفته فيه.

وخلاف ذلك كل على شريعته وكل شر أئعهم من فروعات شرعه ﷺ والأحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص فليس ما ذكره السبكي بغريب إلا اذا أراد التبليغ بالفعل أما إذا أراد بالبعث والإرسال اتصافه ﷺ بكونهم صلوات الله عليهم مأمورين في الأزل باتباعه إذا وجد، كما هو صريح كلامه فلا يخالف واحداً فضلاً عن الجمهور أي الذين يقولون بأن المراد بالكافة في الحديث ناس زمنه فمن بعدهم إلى يوم القيامة، وقوله ويلزم أمة الإجابة تعظيمه هذا أظهر رد عليه، لأنه إذا أوجب على كل من أجابه من أمته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه وإعزازه ومحبته كان معترفاً بأن الأنبياء وأممهم داخلون في أمته لأن الأنبياء يعظمونه ويصدقونه وكثير من أممهم كذلك ومن خالف في ذلك منهم فقد استحب العمى على الهدى وكان ممن تولى ودخل في القوم الفاسقين وكان من أمة الدعوة وكان هذا القدر يكفي في أن الأنبياء من أمته ﷺ.

وأما من جهة الأحكام الشرعية فقد علمت ما قلناه فيها، وقوله والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى آخره الجواب عنه أن التشبيه في مطلق الايحاء إلى كل أي أن الله أوحى إلى كل من الأنبياء بكتب وصحائف وشرائع وأحكام تخصهم بحسب وقتهم وهذا الاينافي أنه لو قدر اجتماعه معهم في زمن واحد وجب علي ذلك النبي اتباعه كما يعلم هذا كل من له أدنى بصيرة فقوله فما تبجح به السبكي واستحسنه هو ومن بعده لا وجه له عند من له أدنى بصيرة كلام ينبغي فإنه هو الحق عند كل من نور الله له السريرة، وقوله أيضاً حيث قال الله لتؤمنن به دون شرعه ينادي بالرد على السبكي غير صحيح، لأن السبكي لم يدع تكليف الأنبياء وأممهم بشريعة المصطفى بالفعل بل ادعى أن إيمانهم وتصديقهم بأنه نبي مرسل إليهم على فرض أن لو كان نبه زمنهم مستلزم لاتباعهم لشرعه وشرع أنبيائهم إذ ذاك من فروعات شرعه فليس في كلامه شيء غاية ما فيه أنه في على اللازم دون الملزوم، وقوله وكيف يتأتى ما قاله مع قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [الشعراء: ١٢٣] فإنه عكسه نقول تأتيه في غاية الظهور فإن الملة الإبراهيمية التي أمر المصطفى باتباعها هي الدعوة إلى التوحيد وأفراد المعبود بالعبادة ولا شك أن هذا القدر أمر مشترك بين جميع الأنبياء فكل منهم داع إلى ذلك وهنا معنى أمر الله لنبيه أن يتبع ملة إبراهيم طريقه وهو أنه يدعو الناس إلى توحيد الله وأن يفردوه بالعباد ولا يشركوا به شيئاً وهذا هو المعني بحديث الأنبياء أخوة أبوهم واحد وأمهاتهم شتى يعني أنهم يدعون إلى شيء واحد وهو توحيد الله فهو أصلهم الذي يرجعون إليه كما أن الأب أصل للولد والولد يرجع إليه والمراد بالأمهات الشرائع وشبهها بالأمهات لأن الأم تتفرع عنها الذرية، كما أن الشريعة تتفرغ عنها الأحكام والفروع.

وقوله: وقد طلب موسى أن يكون من أمته. فأجابه الله بما سبق أي فعلى تقدير أن لو كان في زمانهم يكون مرسلاً إليهم ولطلب موسى من الله أن يكون من أمة أحمد كان له بالمصطفى وبأمته مزيد اعتناء ولذا كان هو الذي راجع المصطفى في شأن الصلاة ليلة الإسراء فكانت مراجعته سبباً في التخفيف وما ذاك إلا لمزيد تعلق قلبه بهذا النبي الكريم وأمته فحصلت له الشفقة على الأمة كما يشفق الأخ الكبير على إخوته الصغار.

وقوله: في حديث «كنت نبياً» إنه في عالم الأرواح معنى غير صحيح بل معناه هو الصحيح ونلتزم أم حقيقته هي غير الروح وتقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعرفها خالقها ومن أمده الله بنور إلهي، وقوله أيضاً في حق عيسى عليه السلام أنه يأتي في آخر الزمان حاكماً بشريعة المصطفى، وهو نبي كريم على حاله هو جمع بين الضب والنون نقول هذا تعصب محض فإنه لا شك أن عيسى حين نزوله لا تسلب عنه نبوته ولا رسالته ينزل متصفاً بهما كما كان في الدنيا قبل رفعه ولكنه يحكم إذ ذاك بشريعة المصطفى وهذا عين الاتباع قطعاً إذ لو لم

يكن متبعاً له ما حكم بشرعه فقد جمع بين تمام نبوته ورسالته في نفسه وبين اتباعه في الحكم والشرع لنبينا ﷺ كيف وقد عدوه من هذه الأمة، بل من الصحابة لملاقاته المصطفى ليلة الإسراء وهو حي فثبت له بالصحبة وهو نبي على حاله فهو نبي صحابي تابع لشرع نبينا مجتهد فيه ولا محذور في ذلك، ويصح أن قوله في الحديث: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» أي متردد بينهما وليس بمعناه الحقيقي لاقتضائه وجود روح آدم وجسده حين بعث المصطفى فالظاهر أن بين ظرف زمان أي في زمان كان بين خلق روحه جسده فيفيد ظهور نبوته بعد خلق روحه وقبل خلق وجسده أي إنه نبأ في عالم الأرواح واطلع الأرواح على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته والإقرار بها ولعل قولهم بين الماء والطين أي بعد خلق عناصره وقبل تركيبها فضلاً عن نفخ الروح فيها فيكون رواية للحديث بالمعنى أن لم يثبت بهذا اللفظ وعلى كل ففي هذه الآية من مزيد شرف المصطفى ما لا يخفي.

ونقل الطيبي رحمه الله عن بعضهم الوقف على النبيين وإن الله تعالى أمرهم بعد ذلك فقال قولوا اللامة عني مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتأمنن به وإذا علمت ما سبق علمت الجواب عن السؤال الذي أورده وهو أن النبوة وصف أي معنى يقوم بالمحل وهو كونه موحى إليه يأمر يعمل به ولا بد أن يكون الموصوف به موجوداً وإنما يكون الوصف بالنبوة بعد بلوغ أربعين سنة وهو شامل ليحي وعيسى فكيف يوصف بها رسول الله قبل وجوده في الخارج وإرساله؟

وقد علمت الجواب وإن الإشارة بحديث: «كنت نبياً» إلى روحه الشريفة وإلى حقيقة من الحقائق يعلمها الله سبحانه فيكون للنبوة محل إذ ذاك قامت به على أن اشتراط المحل الذي تقوم به النبوة إنما هو في النبوة المتعلقة بالجسد بعد ارتباط الروح به، فلا ينافي إن إفاضة النبوة على الروح ووصفها بها حقيقة جائز لعدم اشتراط المحل الذي تقوم به النبوة وهو خارج عن هذا ويؤخذ هذا من اقتصاره على إفاضة النبوة على روحه إذ من لازم حصولها على الروح عدم اشتراط وجود الجسد في الأعيان فضلاً عن بلوغ الأربعين، وبالجملة فحقيقته سابقة على خلق آدم فيستفاد أن نبوته مقدرة في العلم أولاً أي تعلق علم الله بأنه يصير نبياً وهذه المرتبة الأولى ثم خلق نوره وهذه المرتبة الثانية.

ثم كتبه في أم الكتاب وهذه هي المرتبة الثالثة والنبوة الثانية ثم أظهره للملائكة وهذه المرتبة الرابعة والنبوة الثالثة، ثم أظهره للوجود وهذه المرتبة الخامسة والنبوة الرابعة، فقد علم اتصاف حقيقته ﷺ بالأوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الإلهية من أول الأمر قبل خلق كل شيء وإنما تأخر اتصافه بالأوصاف الوجودية العينية لجسده لما وجد في الدنيا، بالجملة فقد أخذ الله والميثاق من النبيين وأممهم أن أدركوا زمن المصطفى أن يؤمنوابه

ويصدقوه وينصروه على أعدائه وأخذ منهم الميثاق أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى الخلق وأن يصدق بعضهم بعضاً وإن كل نبي يؤمن بمن يأتي بعده وينصره إن أدركه ويأمر قومه بنصره فعلى الأول مخصوص بنبينا ﷺ وعلى الثاني عام في جميع الأنبياء وقد سبق لك وجه أفضليته ولو على العموم، وقيل غير ذلك وقد تقدم أن آية وإذا أخذنا من النبيين مياقهم ومنك ومن نوح الآية إنها في الإقرار بالربوبية وقيل إنها في أخذ الميثاق من النبيين بأن يعلنوا بنبوة محمد ﷺ ويعلن محمد ﷺ بأنه لا نبي بعده ففيها له عليه السلام من وجوه، وقيل: أخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة التي أمروا بتبليغها وتصديق بعضهم بعضاً وتصديق من جاء بعدهم وقد ذكر الله في هذه الآية النبيين جملة.

ثم خص بعضاً منهم بالذكر تشريفاً لهم وقدم المصطفى عليهم تشريفاً له على تشريف والتقدم بالشرف ذاتي أو التقدم زماني وتقديم المصطفى للأمرين لحديث كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث وفي الحديث أيضاً بما بدأ الله به وفي الحقيقة المصطفى هو مسك الختام، يحسن به البدء ويشرف به الختام، ونسأل الله حسن الختام، بجاه هذا المصطفى ﷺ، وقد كملت في مقدار خمس ساعات ونسأل الله المحافظة على الدين إلى الممات وخدمة العلم وحسن الملاقاة انتهت رسالة السلاوي.

ومنهم الحافظ جلال الدين السيوطي[(١)] وقد تقدم ذكره رضي الله عنه

ومن جواهره

[القول المحرر على قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾]

رسالته القول المحرر على قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وهي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] هذه الآية فيها أقوال للمفسرين بعضهما مقبول وبعضها مردود، وبعضها ضعيف للدليل القاطع على عصمة النبي ﷺ، وسائر الأنبياء من الذنوب قبل النبوة وبعدها، قال السبكي في تفسيره للناس في هذه الآية أقوال منها يجب تأويله ومنها ما ما يجب رده.

القول الأول: إن المراد ما كان في الجاهلية قاله مقاتل قال السبكي وهو مردود بأن النبي ﷺ ليست له جاهلية.

القول الثاني: إن المراد ما كان قبل النبوة قال السبكي وهو مردود أيضاً بأنه معصوم قبل النبوة وبعدها.

القول الثالث: قول سفيان الثوري ما عملت في الجاهلية وما لم تعمل قال السبكي وهو مردود بمثل الذي قبله.

القول الرابع: ويحكى عن مجاهد ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من أمرأة زيد قال السبكي وهذا قول باطل ولم يكن في قصة مارية وامرأة زيد ذنب أصلاً ومن اعتقد ذلك فقد اخطأ.

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن أبي بكر محمد بن سابق الدين الخضري السيوطي جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي ٩١١ هـ.

القول الخامس: قال الزمخشري جميع ما فرط قال السبكي وهذا مردود إما أولاً فلعصمة النبي ﷺ وسائر الأنبياء وقد أجمعت الأمة على عصمتهم في ما يقع بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرذيلة التي تحط مرتبتهم ومن المداومة على الصغائر التي لا تحط مرتبتهم فذهبت المعتزلة وكثير من غيرهم إلى جوازها والمختار المنع لأنا مأمورون بالاقتداء بهم في كل ما يصدر عنهم من قول وفعل فكيف يقع منهم ما لا ينبغي ونؤمر بالاقتداء بهم وللحشوية تجاسر على الأنبياء فنسب إليهم تجويزها عليهم مطلقاً فإن صح لك عنهم فهم محرجون بما ذكرناه من الإجماع والذين جوزوا الصغائر لم يجوزها بنص ولا دليل وإنما أخذوا ذلك من هذه الآية وأمثالها وقد ظهر جوابها وكذلك الذين جوزوا الصغائر التي ليست برذائل.

قال ابن عطية: هل وقع ذلك من نبينا ﷺ أو لم يقع؟ قال السبكي: لا أشك ولا ارتاب إنه لم يقع وكيف يتخيل خلاف ذلك﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤] وأما الفعل فإجماع الصحابة المعلوم منهم قطعا على اتباعه والتاسى به ﷺ في كل ما يفعله من قليل أو كثير أو صغير أو كبير لم يكن في ذلك عندهم توقف ولا بحث حتى أعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم ذلك أو لم يعلم من تأمل أحوال الصحابة مع النبي ﷺ وما عرفوه وشاهدوه منه في جميع أحواله من أوله إلى آخره استحق من الله أن يتكلم بمثل هذا الكلام أو يخطر بباله، ولولا هذا أقول قد قيل لما حكيناه ونحن براء إلى الله منه ولو قال به من قال به. فهذا الكلام الأول رد على الزمخشري في تفسيره الآية.

وأما ثانياً: فإنه لم سلم ذلك وحاشا لله، فذلك يقول الخصم شيء أو أشياء نادرة حقيرة تناسب ما الآية مشيرة إليه من التعظيم والامتنان وجعله ذلك غاية الفتح المبين المقرون بالتعظيم فحمله على ذلك مخلّ بالبلا غة هذا كلام السبكي في رد مقالة الزمخشري.

القول السادس: قيل المراد بذلك ما كا يقع منه في صغره من خروجه مع الغلمان يلعب وذلك لا يليق بمقامه، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولهذا قال يحيى بن زكريا وهو صغير لما دعاه الصبيان إلى اللعب ما للعب خلقت وهذا القول مردود إما أولاً فلأنه يشعر بتميز السيد يحيى على نبينا ﷺ فلا يمتاز عليه أحد فكل خصيصة أوتيها نبي من الأنبياء أوتي نبينا ﷺ مثلها وأجل منها.

وقد روي: أنه ﷺ كان يعدل وهو رضيع فكانت مرضعته حليمة تعطيه ثديها فيشرب منه، فإذا أعطته الثدي الآخر امتنع لعلمه بأن له شريكاً في الرضاعة فهذه أجلّ من ترك اللعب وهو فوق ذلك السن ولم يثبت أن لعبه مع الغلمان كان لعب لهو، بل هذه اللفظة إن ثبتت

وجب تأويلها على ما يليق بها، ثم ماذا يصنع قائل هذا القول إن حمل قوله على ما تقدم على اللعب مع الغلمان وهو صغير في قوله وما تأخر.

القول السابع: قول عطاء الخراساني ماتقدم من ذنب أبيك آدم وحواء وما تأخر من ذنوب أمتك وهذا ضعيف أما أولاً فلأن آدم نبي معصوم لا ينسب إليه ذنب فهو تأويل يحتاج إلى تأويل وأما ثانياً فلأنه لا ينسب ذنب الغير إلى غير من صدر منه بكاف الخطاب، وأما ثالثاً فلأن ذنوب الأمة لم تغفر كلها، بل منهم من يغفر له ومنهم من لا يغفر له.

القول الثامن: قول ابن عباس: مما يكون. قال السبكي: مؤول أي مما يكون لو كان والمعنى أنك بحالة لو كان لك ذنوب ماضية ومستقبلية لغفرنا لك جميعها لشرفك عندنا.

القول التاسع: قال في الشفا: قيل: المراد بما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له.

القول العاشر: قيل أيضاً: المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر.

القول الحادي عشر: قيل: المراد ما كان عن سهو وغفلة. وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري.

القول الثاني عشر: قال مكي: مخاطبة النبي ﷺ هي مخاطبة لأمته.

فهذه اثنا عشر قولاً كلها غير مقبولة ما بين مردود وضعيف ومؤول وأما الأقوال المقبولة ففي الشفا فقيل: إن النبي ﷺ لما أمر أن يقول: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٩] سر بدلك الكفار فأنزله الله تعالى ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] الآية فأخبر بما للمؤمنين في الآية الآخرى بعدها فمقصد الآية إنك مغفور لك غير مؤاخذ أن لو كان قلت هذا الأثر أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس. قال: في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ فأنزل الله بعد هذا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقالوا هنيئاً لك يا رسول الله لقد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [الفتح: ٥] حتى بلغ فوزاً عظيماً.

قال القاضي عياض: قال بعضهم: المغفرة هٰهنا تبرئة من العيوب، قال الشيخ عز الدين عبد السلام في كتابه «نهاية السؤل في ما سنح من تفصيل الرسول» فضل الله نبينا ﷺ على سائر الأنبياء بوجوه إلى أن قال: ومنها أن الله تعالى أخبر أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم ينقل أنه تعالى أخبر أحداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمثل ذلك بل الظاهر أنه سبحانه

وتعالى لم يخبرهم لأن كل واحد منهم إذا طلبت منه الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصاب وقال نفسي نفسي ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يتكل منها في ذلك المقام وإذا استشفعت الخلائق بالنبي ﷺ في ذلك الموقف قال: «أنا لها».

قال السبكي في تفسيره: قد تأملت هذا الكلام يعني قوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مع ما قبله وما بعده فوجدته لا يحتمل إلا وجهاً واحداً وهو تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه أريد أن يستوعب في الأية جميع أنواع النعم من الله على عبده الأخروية والدنيوية ومنها أشياء سلبية وهي غفران الذنوب وتوبته وهي لا تتناهى، أشار لها بقوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية أشار إليها بقوله: ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾[الفتح:٢]، ودنيوية وان كانت هنا المقصود بها الدين وهي قوله: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:٣]، وقدم الأخروية على الدنيوية وقدم في الدنيوية الدينية تقديماً للأهم فالأهم فانتظم بذلك قدر النبي ﷺ بإتمام نعم الله المفرقة في غيره.

ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة وجعله خاصاً بالنبي ﷺ بقوله لك، قال: وبعد أن وقفت على هذا المعنى وجدت ابن عطية وقع عليه فقال: وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة وقد وفق في ما قال، انتهى.

قال بعض المحققين: المغفرة هنا كناية عن العصمة فمعنى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] ليعصمك الله فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر منه، وهذا القول في غاية الحسن وقد عد البلغاء من أساليب البلاغة في القرآن أنه يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة والتوبة كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المزمل:١٣] عند نسخ تقديم صدقة بين يدي النجوى ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المجادلة:١٣] وعند نسخ تحريم الجماع ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ﴾ [البقرة:١٨٧] انتهت رسالة السيوطي القول المحرر والحمد لله رب العالمين.

ومنهم الإمام المحقق العارف بالله سيدي الشيخ عبد الكريم الجيلي[1] المتوفى بعد سنة ٨٠٥ هـ وقد تقدم ذكره

[التعريف به]

وهو رضي الله عنه من أكابر العارفين، وأئمة الصوفية المحققين، السالكين على منهج الشيخ الأكبر سيدنا محي الدين رضي الله عنهم أجمعين، وهو صاحب كتاب الإنسان الكامل وقد نقلت منه في ما تقدم من هذا الكتاب كما نقلت من كتابه الكمالات الإلٰهية وكل كتبه رضي الله عنه لا نظير لها في معناها، ومن ذلك كتابه الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في قدر النبي ﷺ وقد ذكر في مقدمات أجزائه أنه أربعون جزأ ولم أطلع منه بعد البحث الشديد والطلب الذي ما عليه من مزيد إلا على ثلاثة أجزاء العاشر والحادي عشر والثاني عشر أما العاشر وهو المسمى بكتاب «قاب قوسين وملتقى الناموسين» فسأذكره في ذكره بحروفه وقد اطلعت على ثلاثة نسخ منه الأولى استكتبتها من المكتبة العمومية الخديوية المصرية والثانية كتبت بطلبي من المكتبة المحمودية في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والثالثة ظفرت بها في ضمن مجموعة اشتريتها من تاجر كتب جاء بها من حلب، وقد صححت نسختي الآتية في هذا الكتاب على هذه الثلا ث نسخ فجاءت أفضلها وأصحها وهذا الجزء هو أجمع وأنفع الأجزاء المذكورة في التغيير عن علوّ قدر ﷺ ولذلك ذكرته بحروفه وإن وجد فيه عبارات قليلة معترضة بحسب الظاهر عند من لا يعرف تأويلها ومتى عرف تأويلها فلا اعتراض منها قوله في أحد الأبيات التي مدح بها النبي ﷺ في مقدمته:

شأن الإله وعين واحد ذاته

وهذا بحسب الظاهر منكر يجب انتقاده ولا يجوز اعتقاده وتأويله أن الإضافة في قوله عين واحد ذاته للتشريف والمعنى أنه ﷺ عين الواحد المضاف للذات الإلٰهية إضافة تشريف

---

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ابن سبوا الشيخ عبد القادر الجيلاني من علماء المتصوفين ولادته سنة ٧٦٧هـ، ووفاته سنة ٨٣٢ هـ.

لأنه مخلوق من نورها الذاتي وغيره مخلوق من أنوار الصفات كما ذكره الشيخ الجبلي نفسه وغيره من سادات الصوفية، ومن ألفاظه المتشابهة المخالفة بحسب الظاهر للعقيدة الإسلامية قوله في أوائل الباب الأول منه من قول الحق جل وعلا أني قد اختلست من ذاتي نسخة جامعة لأسمائي وصفاتي ألخ يعني محمداً ﷺ وهذه العبارة معترضة منتقدة ولا يجوز أن تكون بحسب ظاهرها عند أحد من المسلمين فضلاً عن العارفين معتقده وقد نبه هو على الاعتراض عليها بقوله قبلها فحينئذ برزت إشارة كنهيه بعبارة منهية وتأويلها أن يقال في قوله إني قد اختلست من ذاتي أن لفظ من للابتداء لا للتبعيض يعني أن خلق النبي ﷺ ناشئ عن الذات لا عن الأسماء والصفات كما تقدم وليس المعنى إنه ﷺ بعض ذاته تعالى وتقدس واصل الاختلاس الأخذ خفية ومن المتشابهة المخالفة بحسب الظاهر للقصيدة الاسلامية قوله في الباب الثالث واما كماله الحقي الذي قد حياه الله تعالى به فأعظم من أن يدرك له غور أو يعرف له غاية إذا كان ﷺ متحققاً بجميع الأحلاق الإلٰهية قال وقد أوردت ذلك صفة واسماً إسماً في كتابنا الموسوم بالكمالات الإلٰهية في الصفات المحمدية: انتهت عبارته وكتابة هذا قد تقدم النقل عنه في هذا الكتاب.

وقوله: إنه ﷺ كان متحققاً بجميع الأخلاق الإلٰهية التي ينبغي تخلقه بها ﷺ وتليق به ويليق بها لا بالأخلاق الإلٰهية التي لا تليق بالمخلوق كما ذكرت ذلك في ما تتقدم عنه النقل من كتابه المذكور الكمالات الإلٰهية وتطبيق الصفات صفة صفة واسماً واسماً.

ومن ألفاظه المتشابهة المخالقة بحسب الظاهر للعقيدة الإسلامية قوله في الباب الرابع: ورسول الله ﷺ مخلوق من ذاته فمحتده الذات وتأويله كما تقدم أن من في قوله من ذاته هي للابتداء لا للتبعيض أي خلقه ﷺ ناشئ عن ذات الله تعالى بخلاف غيره فخلقهم ناشئ عن صفاته تعالى، هذا ما يتعلق في الجزء العاشر الذي سأذكره بحروفه.

وأما الجزء الحادي عشر المسمى بالنور المتمكن في معنى قوله المؤمن مرآة المؤمن والجزء الثاني عشر المسمى لسان القدر بكتاب نسيم السحر فإنهما قد اشتملا على ما يتعلق بعلو قدر النبي ﷺ وعلى معان أخرى دقيقة صوفية لا تعلق لها بحسب الظاهر بالنبي ﷺ وإنما استطرد لذكرها لمناسبات دقيقة يعلمها هو وأمثاله رضي الله عنه وعنهم ولذلك ذكرت من هذين الجزئين ما يتعلق في وصفه ﷺ فقط وقد استكتبتهما من المكتبة الخديوية المذكورة، واعلم أن أجزاء هذا الكتاب الثلاثة المذكورة وهي العاشرة والحادي عشر والثاني عشر كل واحد منها كتاب مستقل لا تعلق له في ما قبله ولا في ما بعده ولا أدري هل يوجد هذا الكتاب الناموس الأعظم جميعه الأربعين جزء في مكان واحد أولا لأني بعد كمال البحث في فهارس

المكاتب لم اطلع منه إلا على هذه الأجزاء الثلاثة فأطلب ممن يطلع على شيء منه أن يجتهد في نشره لعموم النفع به خدمة لله تعالى وحبيبه الأعظم ﷺ فإن هذا الكتاب لا نظير له في معناه ومؤلفه من أجل الأولياء الذين اطلعهم الله تعالى على علو قدر حبيبه ومصطفاه ﷺ وهذا نص الجزء العاشر من كتابه المذكور المسمى بقاب قوسين وملتقى الناموسين رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي جعل محمداً ﷺ مجلاه الأعز الأكمل، الأفخر الأفضل، الأمجد الأعظم، محل نظره من العالم، ومظهر ذاته من بني آدم، ومرآة جماله وجلاله وكماله الأكمل الأقوم، وترجمان صفاته إلى مخلوقاته بين الحدوث والقدم، باللسان الأقدم أكمل كملاء الوجود المبهم، طراز حلة الصورة والمعنى المعلم، تاج فرق الجمع المحكم، واحد الدهر الأزلي المدغم، سر الله في الوجود، وخزانة الكرم والوجود، سلطان الحقيقتين الرقيقتين، ، وواحد الوجهين، وموصوف الوصفين، وحاوي المعنيين، وحائز الكمالين، من العين والأين، المنفرد بالأكملية صورة ومعنى، صاحب قاب قوسين أو أدنى.

عين الوجود وواحد الموجود ... مجلى محاسن حضرة المعبود
وحقيقة الاسم الذي لصفاته ... خضعت رقاب معاند وحجود
متوحد في كل فضل باهر ... ووحيد فرد حقيقية التوحيد
كل الكمال عبارة عن خردل ... متحقر في عزه المصمود
شأن الإله وعين واحد ذاته ... المجتبى بصعوده لسعود
خال الملاحة نور ضوء جبينها ... قد عم مسبوق الفنا بوجود
سعدت به الأكوان طرا إنما ... بالأصل يسعد فرع كل سعيد
روح المعاني والأواني جملة ... معنى الوجود وصورة الموجود
ذاك النبي الهاشميّ محمد ... عبد الإله خليفة المحمود

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ما صب وبل سجما ... أو لاح برق أضرما
في جنح ليل أظلما

أما بعد: فهذه رسالة مني إلى عشاق حضرة الكمال، ومحبي بهجة الجمال، ومريدي نسخة الجلال، أعني قوماً عقدوا مع الله على حب الحبيب المختار، ولازموا شريعته متعلقين بأذيال عزه آناء الليل وأطراف النهار، قد تشربت جسومهم بما أفاضت عليها القلوب من خمر حبه المنزه عن الخمار.

قـوم بـأحمـد فـي الكـرام تمسكـوا وبحبـه فـي العـالميـن تهتكـوا
وبجـاهـه فتعلقـوا وتشبكـوا فـوداده حـج لهـم وتنسـك
لا يرتجون سواه في المقصود

يبغـون أحمـد عنـد غـايـات المنـى وبـه يحـوزون المسـرة والفنـا
متـوسليـن بـه يـرجّـون الغنـى لله در قلـوبهـم لهـم الهنـا
حلوا به في منزل المسعود

الحـب أبكـاهـم وأنحـل جسمهـم ومحـا وأفنـى فـي الحقيقـة رسمهـم
قد أدغموا في نعت أحمد اسمهم مذ قد دعا داعي المحبة وسمهم
فهم لأحمد من أقل عبيد

شـربـوا بكـاسـات المحبـة متـرعـاً فلذاك قد صرعوا وبالك مضرها
نـالـوا الفخـار بـه وطـابـوا منبعـا وزكـت اصـولهـم بفـرع أينمـا
فهم بأحمد في علا وصعود

متحققيـن بنـوره فـي قـدسهـم أحيـاء قـد عـاشـوا بـه فـي رمسهـم
متطلعيـن لحسنـه فـي أنسهـم متشـرعيـن بفعلـه فـي حسهـم
خلفاؤه في عزة وسعود

ولاهـم الـرحمٰـن عنـه نيـابـة ملـك الـوجـود عنـايـة ومنـابـة
فعـلاهـم مـن عـز أحمـد هـابـه نـور تلبيـه القلـوب إجـابـة
مهما ادعوا للعشق ود ودود

رضي الله عنهم وأرضاهم، وحرسهم ووالاهم، وجمعنا في مقعد مع النبي وإياهم، اعلموا إخواني أوصلنا الله تعالى وإياكم إليه ودلنا جميعنا به عليه، إن الطرائق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق للعوام، وليس إلا طريقة واحدة لخواصه الكرام، وذلك معنى قوله تعالى على لسان حبيبه محمد ﷺ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وذلك السبيل القويم والطريق المستقيم، هو الحجة البيضاء، والحنيفية السمحاء، شريعة خير الأنام، وطريقة المبعوث إلى الخواص والعوام، عليه أفضل الصلاة والسلام، قد انسد في الظاهر كل طريق غير طريقه، وانغلق في الباطن كل باب غير باب تحقيقه، فلا سبيل إلى نيل السعادة الكبرى إلا بوسيلته، ولا وصول الزلفة العليا إلا بواسطة فضيلته، وكل ولي إنما يستمطر سحابها، ويستهل عبابها، وكل من ظن أنه يعرج بغير وساطته، فإنما صعوده هبوط في سجنه وحثالته،، فعليكم بالتعلق بجانبه الرفيع والتمسك بالعروة الوثقى من جاهه المنيع، مع دوام استحضار تلك الصور الكاملة، التي هي لمعاني الوجود وصورة جامعة شاملة، حتى تفيض لكم الأسرار على الأرواح والأرواح على القلوب

والقلوب على النفوس والنفوس على الجسوم من حبه شراباً معنوياً تنتعش به الأرواح والأشباح مذهباً معدماً أطلالكم والرسوم فتذهبون ويكون ﷺ فيكم عوضا منكم عنكم، لتنالوا حينئذ بقابلية حقيقته المشرفة بوجودكم، ما لم ينله كون من الأكوان في معرفة معبودكم لأن الله سبحانه وتعالى خص محمداً ﷺ بالتجليات الكاملة الكبرى التي لم يقبلها قابلية أحد غيره دنيا ولا أخرى فإذا أشرقت أرض وجودكم بنور شمسه الظاهر، واستنشقت مشام أرواحكم من خزامى تلك الرياض الناضرة، واستوت ذواتكم بنصيبها من قابليته على بعض تلك المجالي فأصبحت إلى ربها ناظرة وها أنا أبين لكم في هذه الورقات، ، وأكشف إن شاء الله تعالى نقاب الجهل عن وجوه أسباب هذه المعاني المخدرات، لتعرفوا مقداره ﷺ فتأخذوا بحقائقكم من قابلية النصيب الأعظم، وعند ذلك تغتنموا من السعادة الكبرى كل مغنم، فلذلك جعلت هذا الكتاب مبوباً على سبعة أبواب.

الباب الأول: في محتد روحه القدسية، وتعاليها في الخضرات الإلٰهية، على المناظر العلية، ﷺ **الباب الثاني**: في عظم شأنه عند الله وتنزله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته العليا إلى العالم الكوني وإيجاد الوجود بوجوده ﷺ. **الباب الثالث**: في كمال خلقته واعتدالها، وظهور جمالها وجلالها ظهراً وبطناً، صورة ومعنى، ﷺ. **الباب الرابع**: في تمييز قابليته من قابلية كل موجود سواه، وبيان صفة قطرات الوجود بالنسبة إلى بحر علاه، ﷺ. **الباب الخامس**: في سر تسميته بالحبيب، وبيان الحركة الحبية لمعرفته للبعيد والقريب، ﷺ. **الباب السادس**: في كيفية التعلق بجانبه، والعكوف على بابه، ﷺ **الباب السابع**: في ثمرة ملازمة تلك على مشاهدة تلك الصورة وملاحظة ذلك المعنى بالتخيل والفكرة، وهذه الرسالة الكريمة، المشرقة بهذه المسائل العظيمة، سمتها الإرادة القديمة فى حضرة العين، وحيث لا أين بكتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين، وإنه لهو الجزء العاشر من تجزئة أربعين من كتاب الناموس الأعظم، والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ وهذا أوان الشروع في الكتاب، والله الموفق للصواب.

الباب الأول: في تنزل روحه القدسية، وتعاليها في الحضرات الإلٰهية، على المناظر العلية ﷺ، أخبرنا ترجمان الأزل في مشهده المنزه عن العلل، إن صفات الله الاسنى، وأسماء .الله الحسنى، تقابلت في معاني الكمالات، لإظهار حقائق الذات فأظهرت كل صفة ما يخصها من الجمال والجلال، وأبرز كل اسم ما يقتضي معناه من الكمال، وبقيت الذات الإلٰهية على ما هي عليه من البطون، على حقيقة الكنزية في الكمون، فاجتمعت حقائق تلك الأسماء والصفات، حيث لا أين في مشهد معنوي للذات، ويقول كل منها أنا وإن أظهرنا هذا

الكمال، وأبرزنا هذا الجمال والجلال، فإنما أخبرنا عن قطرة من بحر، وحدثنا عن ذرة في قفر، وهيهات هيهات، أين منا ما حوته الذات، فكيف السبيل إلى ظهور الشؤون الإلهية الذاتية، المتعالية عن الحقائق الأسمائية والصفاتية فحينئذ برزت إشارة كنهية بعبارة منهية إني قد اختلست من ذاتي، نسخة جامعة لأسمائي وصفاتي، يزيد حقائق الكنه الذي لا يعبر عنه أبرز فيه بروزاً هو عين الكمون، وأظهر فيه ظهوراً هو عين البطون، متصوراً بصورة بديعة، متنزلاً في مشاهدي الرفيعة تكون تلك الصورة مجلى لشأوكم الرفيع وتستأثر في نفسها، بما لها في قدسها، من كنه لا يعرف، وحقيقة لا تدرك ولا توصف فتكون نسبة ذلك المظهر الأكمل، والمجلى الأعز الأفضل، إلى مظاهركم العظيمة ومجاليكم الكريمة، نسبة الذات، إلى الصفات، ليكمل ثنائي، على غلائي، فشققت من الحمد اسمها، إذ كان ذلك رسمها، فسميته محمداً وأحمد ومحموداً، وجعلته عابداً ومعبوداً، ومن ثم جعلت لواء الحمد لواه، والوسيلة العظمى مستواه، فالأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم مظاهر الأسماء والصفات ومحمد ﷺ مظهر الذات، ولذلك كان هو الختام، لمقام الجلال والإكرام، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

الباب الثاني: في عظم شأن محمد ﷺ وشرف وكرم عند الله تعالى وتنزله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته العليا إلى العالم الكوني وإيجاد الوجود بوجوده ﷺ اعلم وفقنا الله تعالى وإياك ولا أخلانا من أنسه ولا أخلاك، إن النبي ﷺ هو واسطة الله بينه وبين عباده وإلى هذا أشار ﷺ بقوله أنا من الله والمؤمنون مني قد شهدته الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليه وعليهم قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياتهم، واعلموا علو شأنه عليهم في عظيم مكاناتهم، واستمد الجميع به في ذواتهم، وإلى ذلك الإشارة في إمامته بهم فوق السموات فهو إمام الأنبياء وقدوة الأولياء، صورة ومعنى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، واعلم أنه ﷺ لما تنزل من الحضرة الأحدية، إلى الحضرة الواحدية، ظهر فيها بحقائق الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فتعشقت به الحضرة الكمالية تعشق الاسم بالمسمى والصفة بالموصوف فكل معاني ذلك الكمالات لا تشير بحقيقتها إلا إليه، ، ولا تدل بهويتها إلا عليه، فلو تحقق أحد بكمال من تلك الكمالات المشار إليها، كان عطفاً عليه لديها، وتقدير هذا الكلام إنه لو تحقق مثلاً ألف نبي أو ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل منهم نوراً مطلقاً ثم أطلقت اسمه النور لم يقع هذا الاسم إلا عليه ولم تسبق هذه الصفة إلا إليه ﷺ، ولهذا أسماء الله تعالى في كتابه العزيز بالنور دون غيره، وسر ذلك أن الأنبياء إنما تحققوا بهذه الصفة وهو ﷺ حقيقة هذه الصفة وكم بين حقيقة الشيء على من تحقق به فافهم.

وتحت هذه المسألة فائدة جليلة لو فتح الله عليك بمعرفتها، ثم أن ﷺ أول من تنزل من

حضرة الواحدية، إلى حضرة الألوهية، تلقته منها الحضرة العلمية فتشكل بصورة تلك العلمية، ولهذا لما تنزل إلى الوجود الكوني كان هو ﷺ صورة القلم المسمى بالعقل الأول، ولهذا ورد عنه ﷺ أنه قال: «**أول ما خلق الله العقل**».

وورد عنه ﷺ أنه قال: «**أول ما خلق الله العقل**» وورد عنه ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[1] فعلم بذلك اتحاد هذه الثلاثة المعاني وإن اختلافها إنما هو من جهة التعبير فكان ﷺ أول موجود خلقه الله تعالى بلا واسطة وهذه الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول هي مظهر الذات في الوجود فافهم، ثم خلق الله تعالى بواسطة الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول عقلاً كلياً هو مظهر الصفات سماه بالعرش وهو الذي تسميه الحكماء بالعقل الثاني وهذا العقل الكلي هو حقيقة روح كل نبي وولي كامل لأنه الظهور الكمالي بالمعنى الاسمائي والنعت الصفاتي إذ عرشه العظيم عبارة عن حقيقة الرحمانية التي هي المستوية على العرش المحيط بالعالم المخلوق في نهاية العالم الكوني فالحقيقة الرحمانية المعبر عنها بالعرش العظيم والمظهر الكمالي هي عين الأسماء والصفات الإلهية المحيطة بالوجود أعلاه وأسفله وهذه الحقيقة الرحمانية وسعت كل شيء بالرحمة لقوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وسع مجلاها المسمى بالعرش المحيط كل العالم الكوني صورة ولهذا كان العرش منتهى مقام كل نبي مرسل أو ملك مقرب ولم يصل فوق العرش أحد غير محمد ﷺ وحده، وسر هذا الأمر كما ذكرت لك، إنما هو لعلو محتده ﷺ إذ هو حقيقة النور الذاتي، والأنبياء من حقيقة النور الصفاتي، والذات من وراء الصفات، فاعلم ذلك وتنبه، ثم إن الله تعالى خلق بواسطة هذا العقل الثاني المسمى بالعقل الكلي عقلاً ثالثاً هو مظهر الأفعال وسماه بالكرسي فهو مظهر الأسماء الفعلية.

ومن ثَمَّ ورد أن قدمي الحق متدليتان على الكرسي وإنما ذلك عبارة عن أمره ونهيه وهذه النفس الكلية هي محتد سائر النفوس الناطقة فظاهرها الكرسي الأعلى وباطنها اللوح المحفوظ وهو النفس الموجود هذا العقل فيها لظهوره واسمها كما سيأتي ذكره النفس الكلية ولهذا لم يجد أحد من المخلوقات نسخة العالم كله في نفسه إلا الإنسان لأن اللوح المحفوظ فيه علم كل ما كان أو هو كائن إلى يوم القيامة فالإنسان يحد ذلك جميعه من حيث أن باطن حقيقته هو المسماة بالنفس الكلية واللوح المحفوظ ويؤمر بالعمل الصالح وينهي عن العمل الفاسد لأن حقيقته المسماة بالنفس الكلية هي مظهر الأمر والنهي المعبر عن مجلاه بالكرسي وهو العقل الثالث ولهذا لا ينعم النعيم الدائم غيره ولا يعذب العذاب المقيم سواه وسر ذلك أن الأسماء

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٠).

الفعلية لاينقطع ظهور أثرها أبدا فلهذا اختصت آثارها بالبشر دون كل مخلوق وما ثم من يشاركه في بعض وصفه إلا الملك والشياطين فالملك نور محض يشاركونه في نعيم القرب دون نقمة البعد والشياطين نقمة محضة يشاركونه في نقمة البعد دون نعيم القرب لأن مرتبة الجمع المسماة بالكرسي الذي هو محل تدلي القدمين إنما هو محتد الإنسان وحدة فافهم، ثم إن الله تعالى خلق بواسطة هذا العقل الثالث عقلاً رابعاً وهو روح السماء السابعة، وخلق بواسطة الرابع عقلاً خامساً وهو روح السماء السادسة، وخلق بواسطة هذا العقل عقلاً سادساً وهو روح السماء الخامسة، وخلق بواسطة السادس عقلاً سابعاً وهو روح السماء الثالثة، وخلق بواسطة الثامن عقلاً تاسعاً وهو روح السماء الثانية، وخلق بواسطة التاسع عقلاً عاشراً وهو روح السماء الأولى سماء الدنيا ويسمى هذا العقل بالعقل الفعال جعل الله سبحانه تدبير العالم الأرضي مصروفاً بقدرته تعالى إلى هذا العقل كما جعل تدبير الجسم الحيواني مصروفاً إلى الروح.

ثم أوجد بواسطة هذا العقل الفعال الأركان الأربعة فأول مخلوق منها هو النار ثم الهواء ثم الماء ثم التراب، وتم التدبير بهذه الأربعة مع واسطة العقل الفعال بأمر الله تعالى وإرادته وقدرته على حسب ما جرى به القلم الأعلى في اللوح المحفوظ الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا من جهة من الجهات، هذه الأربعة الأركان المذكورة هي التي كنى عنها سبحانه وتعالى بالأيام بقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] بالحال فإن السؤال بالحال منوط بالإجابة دون غيره كما بيناه في ما مضى على أن الإجابة التي هي لبيك من الله تعالى واقعة فورياً والأمر المطلوب إن وافق سؤال الحال وقع فورياً أيضاً وإلا أخرإلى أن يوافقه سؤال الحال إما في الدنيا وإما في الآخرة.

وأما الأيام التي هي الأربعة الأركان فهي الأركان الأربعة التي جعل مرزاق فيها أرزاق العالم الأرضي، واعلم أن الله تعالى أوجد من كل عقل نفساً تقوم بإظهار ما حواه ذلك العقل فيظهر سره بها، بل هي على الحقيقة سر ذلك العقل كما خلق حواء من آدم عليه السلام لظهور ما في صلبه من الذرية، فالنفس الأولى الموجودة في باطن العقل الأول هي المسماة بروح الأرواح لإطلاقها الكلي وحيطتها بنسخة الكمالات الإلهية على ما هي عليه وهي بعينها تسمى بالروح الإضافية المنفوخة في آدم في ذريته حال جزئيها فافهم، والنفس الثانية الموجودة في العقل الكلي ومنه هي المسماة بالروح الكلية، والنفس الثالثة الموجودة في العقل الثالث ومنه هي المسماة بالنفس الكلية المعبر عن اللوح المحفوظ بها وهي محتد للنوع الإنساني كما سبق بيانه، لكل سماء من هذا العقل الباقية السبعة نفس هي حقيقة الكوكب الموجود في سماء ذلك العقل فنفس العقل الرابع حقيقة كيوان، ونفس العقل الخامس حقيقة المشتري، ونفس العقل

السادس حقيقة بهرام وهو المريخ، ونفس العقل السابع حقيقة الشمس، ونفس العقل الثامن حقيقة الزهرة، ونفس العقل التاسع حقيقة عطارد، ونفس العقل العاشر المعبر عنه بالعقل الفعال حقيقة القمر، فالأركان الأربعة آباء وهذا العقل الفعال في الوجود والأرض والمعدن والنبات والحيوان جميعه آباء هذه الأركان الأربع وتم نظام العالم بوجود ذلك وقال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] فالأيام هذه التي خلق الله السموات والأرض فيها هي الجهات الستة التي أوجد الله العوالم فيها، واليوم السابع الذي استوى الله فيها على العرش هو عدم الجهة الخصوصة له بحال دون غيره فرتب الله الموجودات السفلية بواسطة الأركان الأربعة ورتب الأركان بواسطة هذه العقول المذكو رة وترتيب موجود في هذه العقول العشرة كترتيب وجود العدد من الواحد فإن الاثنين مثلاً لا يوجد إلا بوجود الواحد والثلاثة لا توجد إلا بوجود الاثنين وهلم جراً فلم يوجد عدد إلا بعد وجود ما قبله في المرتبة والكل موجودون ومن الواحد وليس الواحد من العدد لأن كل عدد تضر به في عدد يخرج منه عدد أكثر من مثل أحدهما ولو ضربت جميع الأعداد في الواحد لا يخرج منه شيء لأن الواحد ليس هو بعدد فلو كان عع الخرج من ضربه في نفسه عدد ولهذا كان اعقل الأول الذي هو عبار ة عن حقيقة الروح المحمدية أصلاً لوجود العالم كله عالم الأمر وعالم الخلق فهو على الحقيقة عند المحققين علة العلل والله منزه أن يكون علة لوجود شيء سبحانه وتعالى، وقد علمت بما ذكرناه تفصيل خلقية الوجود من محمد ﷺ فإن سائر الأرواح الجزئية مخلوقة من تلك الأرواح الكلية المخلوقة منها والأجسام مخلوقة من الأركان المخلوقة منها فهو أول الوجود وآخره، وعن ذلك أفصح ﷺ بقوله استدار الوجود في زمانه كهيئته يوم خلق الله السموات، أي كملت الدائرة الوجودية لظهوره ﷺ فيها صورة ومعنى، ولهذا كان ﷺ الختام المخصوص بمقام الإجلال والإكرام فهو ﷺ كما كان أقرب الخلق في الباطن سيكون أعلاهم درجة في الجنة وأقربهم إليه في الظاهر وسمى الله تلك الدر جة التي وعده بالوسيلة، وما الوسيلة في المعنى إلا السبب فهو في الابتداء سبب وجود الخلق ودرجته من الانتهاء الوسيلة لأنه سبب قرب الخلق إلى الحق فحصل له القرب الصوري والمعنوي وكمل له علو المكان وعلو المكانة، ولهذا كان ﷺ أكمل العالم وصفاً وأعظمهم خلقاً وأتمهم في الاعتدال صورة ومعنى خلقاً وخلقاً وهذا موضع ذكر ذلك والله الموفق.

الباب الثالث: في كمال خلقته واعتدالها، وظهور جمالها وجلالها، ظهراً وبطناً، صورة ومعنى، ﷺ ما هدر الورق وغنى، وهب النسيم وهنا، اعلم أيدنا الله والجميع بروح القدس، وجمعنا وإياكم في حضرة الأنس، وإن الوجود المطلق بالنظر إلى مراتبه ومفرداته الموجودة ينقسم إلى قسمين قسم لطيف كالمعاني والأخلاق والأرواح وأمثالها وقسم كثيف كالصورة

والأشكال والأجسام وأمثالها وكل من هذين القسمين يتفرغ إلى طرفين طرف أعلى من الوجود وطرف أدنى، فالطرف الأعلى المعنوي كالتحقق بالصفات الإلهية كالأخلاق المحمدية المحمودية في الإنسان وجميع مراتب الكمالات معنوية وهذا العلو يسمى علو المكانة ونهايتها لا تكون في الوجود الكوني بل نهايتها عند الله لمن أراد الله تعظيمه عنده، والطرف الأدنى الصوري هو الأفعال الحسية الصالحة المشهودة، والصور الحسية الموجودة، والأشكال اللطيفة، والأماكن العلية المنيفة، وهذا العلو الصوري يسمى المكان وأعلى المكانات الجنة وهي متفاوتة في العلو وأعلى درجاتها الوسيلة كما قد أخبر ﷺ وأخبر أن الله قد وعده بها فهو ﷺ مخصوص بعلو المكان الوجودي الصوري كما أنه مخصوص بعلو المكانة إذ لا أحد قدراً عند الله تعالى منه كما قد أخبر في الحديث النبوي «حيث يقول له الحق وخبأت لك شيئاً عندي ولم أخبأه لنبي غيرك».

ولهذا قال أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم: أكمل الله الشرف لمحمد ﷺ على أهل السموات والأرض، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم أقوم عن يمين العرش وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري» وأول هذا الحديث هو ما جاء في الحديث المروي عن أنس رضي الله عنه حيث يقول: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر».

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه في لفظ هذا الحديث: «وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذ حبسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي» وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر».

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال رسول الله ﷺ: «ألا وأنا حبيب الله» وله في رواية عنه ﷺ: «أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ﷺ» وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وأنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين» والأحاديث في أكمليته وأحاطته بجميع الكمالات صورة ومعنى كثيرة لا تحصى فاكتفيت من ذلك بما أوردناه أن لا منازع في أكمليته ﷺ ولا مدافع فله علو المكانة المعبر عنها بالوسيلة والمقام المحمود، فهو ﷺ أعلى الموجودات مكانة ومكاناً فاختص ﷺ

بغاية العلو الوجودي صورة ومعنى وهذا الطرف الأعلى المعبر عن المكان والمكانة بجانبيه من طرف الوجود، والطرف الثاني هو الطرف المعبر عن جانبه بسقوط المكانة وذلك حظ إبليس وجنده وهم الأشقياء كما مضى بيانه في الجزء الذي هو قبل هذا الجزء من كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ فلنقيض عنان القول عن إعادة ما مضى ولنتكلم على ما نحن بصدده من دلائل إحاطته ﷺ بالاكملية وترقيه في العلو الوجودي مكاناً ومكانة صورة ومعنى فنجعل الكلام في هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: في الكمال المعنوي الذي هوالشاهد له ﷺ بعلو المكانة عند الله تعالى، اعلم أيدك الله تعالى وإيانا بروح منه ولا أخلى الجميع في نفس عنه أن الكمال المعنوي ينقسم إلى قسمين فقسم كمالي إلهي يتحقق به الكمل رضوان الله عليهم كما قال ﷺ: **«تخلقوا بأخلاق الله»** وكمال كوني يتخلق به الإنسان وهي الصفات المحمودة التي مجموعها مكارم الأخلاق ولا شك ولا خفاء إنه لا يجمع أحد الله ما كان عليه محمد ﷺ من مكارم الأخلاق لأنه متممها حيث يقول ﷺ: **«بعثت لأتمم مكارم من خلق الأخلاق»**[1] فمنه ابتدأت وبه اختتمت وتمت ولهذا قال الله تعالى له في حقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وكتب السير المروية عنه ﷺ مشحونة بمكارم أخلاقه الفائضة من طيبات أعراقه وهي لا تحصى كثرة بل الله إن كل ما ورد عنه من مكارم الأخلاق التي له هي كالقطرة إلى البحر بالنسبة إلى مالم يرد ولم يحك عنه ﷺ وهي له حقيقة وتحقيقاً فما ورد يسير في جنب ما لم يرد على أن ما ورد لا يجمعه هيكل سواه ولم يحظ به أحد غيره ﷺ وقد علمت بذلك كماله الخلقي، وأما كماله الحقي الذي قد حباه الله تعالى به فأعظم من أن يدرك له غور أو يعرف له غاية إذ كان ﷺ متحققاً بجميع الأخلاق الإلهية وقد أوردت ذلك صفة واسماً في كتابنا الموسوم بـ«الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية» وسأذكر من ذلك ما دل عليه الكتاب العزيز تصريحاً أو إشارة وتلويحاً فمن ذلك اسم الله والدليل على أنه ﷺ كان مظهراً لهذا الاسم قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وهذا معنى قوله ﷺ: **«أنا عبد الله»** وهذه العبودية الخاصة به عبارة عن تسميته باسم ربه لتخلقه بأخلاقه ﷺ، ولا يستبعد هذا الأمر في تعظيم الله إذ ذاك لا يطعن بالحق تعالى وماذا ينقص هذا في الكمال الإلهي أليس الله تعالى قد سماه صريحاً بأسماء كثيرة من أسمائه تعالى ومن ذلك اسمه النور وهذا الاسم اسم ذاتي قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥] يعني محمداً ﷺ ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ١] يعني القرآن ومن ذلك اسمه

---

(١) رواه القاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٢٠٧). والسيوطي في الدر المنثور (٥٨). ومالك في الموطأ (٩٠٤).

الحق قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [يونس:١٠٨] وقال تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ [الأنعام:٥] يعني محمداً ﷺ، ومن ذلك اسمه الرؤوف واسمه الرحيم قال الله تعالى في حقه: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨] ومن ذلك اسمه الكريم: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة:٤٠] يعني محمداً ﷺ، ومن ذلك اسمه العظيم: قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] والخلق هو الوصف فوصفه بالعظمة وهي لله وحده ومن ذلك اسمه الشهيد واسمه الشاهد قال تعالى في حق نفسه حكاية عن قول عيسى عليه السلام له تعالى: ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧]، وقال في حق محمد ﷺ: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] وقد ذكر القاضي عياض رضي الله تعالى عنه إن الله تعالى سمى محمداً باسمه الجبار وباسمه الخبير وباسمه الفتاح وباسمه الشكور وباسمه العليم وباسمه العلام وباسمه الأول وباسمه الآخر وباسمه القوي وباسمه العفو وباسمه الهادي وباسمه المؤمن وباسمه المهيمن وباسمه الداعي وباسمه العزيز إلى غير ذلك من الأسماء الإلهية المخصوصة بالحق وأقام دليل كل اسم من ذلك القرآن العزيز حيث لا يدافعه مدافع ولا يجد مدخلا إليه منازع فأكتفي من ذلك بذكر هذا القدر إذ لا خلاف عند المحققين إنه ﷺ منصف متحقق بجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالغ في ذلك من الكمال مبلغاً لا ينبغي لأحد من المخلوقين سواه ﷺ وآله وصحبه وسلم، وقد تحققت علما بما ذكرته أنه ﷺ صاحب علو المكانة عند الله تعالى حشرنا الله تعالى في زمرته وجعلنا من أهل محبته.

تنبيه: اعلم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وكلامه سبحانه صفته لأن الكلام صفة المتكلم وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن تعني النبي ﷺ فما أعرفها به انظر كيف جعلت صفة الله تعالى خلقاً لمحمد ﷺ لاطلاعها منه على حقيقة ذلك وقال الله تعالى في القرآن: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة:٤٠] وهو على الحقيقة قول الله تعالى فانظر إلى هذا التحقق العظيم بصفات الله تعالى حيث اقامه مقامه في صفاته واسمائه ومقام الخليفة مقام المستخلف فتأمل هذه النبذة فإن تحتها سراً شريفاً أطلعنا الله وإياك على حقيقة ذلك.

الفصل الثاني: في ذكر الكمال الصوري: الشاهد له ﷺ بتحقق علو المكان عند الله تعالى وهذا الكمال ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول ذاتي، القسم الثاني فعلي كالصلاة والصيام والصدقة وأمثالها، والقسم الثالث قولي كالكلمة الطيبة والاهداء إلى غير ذلك وها أنا أذكر جميع ذلك إن شاء الله تعالى.

القسم الأول: أما ذاته الشريفة ﷺ فإنها كانت أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأنورها وأطهرها وصورته أجمل الصور وأحلاها وأزكاها وفي الحديث إنه ﷺ كان أملح من يوسف

عليه السلام، وورد في حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ على فراشه في ليلة مظلمة فسقط من يدها إبرة إلى الأرض فكشفت عن وجه رسول الله ﷺ فوجدتها بنور جبينه فرفعتها.

وفي الخبر عن هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه كالقمر وليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعران انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذ هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يذره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسكاً، سواء البطن والصدر، فسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري البدن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط الراحة، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال تقلعاً، يخطو تكفؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام، متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة ولا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تُعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها، أو إذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها يضرب بإبهامه اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام.

هذا حديث جامع في صفة حِليته واعتدالها وكمال نشأته الظاهرة الكاملة التي أجمع الحكماء من أهل الفِراسة أن كل حلية من هذه المذكورات دالة على معنى الكمال فهو أكمل خلق الله صورة وأعدلهم نشأة لأنه ﷺ هو الموجود الأول الذي هو في غاية الاعتدال كمالاً وبهاء وسناء ولهذا كان كل من قارب هذه الخلقة الشريفة في الاعتدال أكمل من غيره بقدرما أوجد الله تعالى فيه من هذه الصفات المعتدلة الكاملة الخلقة الدالة على شرف الذات صورة ومعنى.

تنبيه: إنما أوردت لك ذكر هذه الخلقة الشريفة لتتصورها بين عينيك وتلحظها في كل

ساعة حتى تصير ممثلة لك لتكون حينئذ في درجة المشاهدين لهﷺ فتفوز بالسعادة الكبرى وتلحق بالصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين فإن لم تستطع ذلك على الدوام فلا أقل من أن تستحضر هذه الصورة الشريفة بما لها من الكمال عند الصلاة عليه ﷺ.

القسم الثاني: أما أفعاله ﷺ الزكية وأحواله الرضية فقد امتلأت الصحف بها وشهدت الأكوان بحسنها وكمالها وناهيك من رجل كل العالم في ميزانه فإنه الذي أسس لهم طرق الهداية، وأخرج الخلق من الغواية، وسن الحلال والحرام، والصلاة والصيام، وكل خير يوجد بين الأنام، ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فله ﷺ أجر جميع الخلق، بل الكل في ميزانه بل الكل قطرة من بحره لأنه الأصل وهم الفرع ويكفي هذا القدر من ذكر جميل أفعاله ومليح أقواله وأحواله ﷺ التي هي أظهر من الشمس ويكفيك ما ورد من ورم أقدامه لطول قيامه ﷺ على أنه مغفور له ومن شدّه الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وقد أوتي مفاتيح خزائن الأرض.

وقال له جبريل: أمرت أن أجعل لك جبال الأرض ذهباً. فأبى ﷺ واختار الفقر نصيباً وأتي ﷺ بمال من البحرين ذهباً، وقيل: إنه كان يغرق فيه الرمح فصبه بين يديه وفرقه جميعه ولم يحمل منه إلى بيته شيئاً ولبيته نيفاً من شهرين لا يوقد فيه نار لطعام، بل كان على الأسودين التمر والماء. وصفاته الظاهرة أعلى من أن تخفى على أحد فلنكتف بهذه القدر والله المستعان.

القسم الثالث: في أقواله المفصحة عن مليح أحواله ﷺ: وهذا القسم أيضاً لا يحتاج إلى تطويل إذ جميع كتب الإسلام مشحونة من تلك الأقوال الشريفة وناهيك بعظيم مكان قوله حيث قال الله تعالى في القرآن الذي هو كلام الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] ذلك لأنه ﷺ الناطق به عندهم وقد صح أن كلامه من كلام ربه وقال الله تعالى عنه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] فانظر إلى أي كلمة شئت من حديثه ﷺ تجد فيها مجامع المحاسن من كل جهة وبكل حقيقة، إذ هداية الخلق مقرونة بأقواله فلم يدع خيراً إلا وقد هدى الأنام إليه ولا ترك فضيلة إلا وقد نبه عليها ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين لأنه قد أحاط بالتنبيه على كل دقيقة وحقيقة، وأوضح بنوره كل طريقة، فلم يحتج الكون إلى مرشد سواه ﷺ.

الباب الرابع: في تمييز قابليته ﷺ من قابلية كل موجود سواه بشان نسبة قطرات الوجود من بحر علاه، اعلم أيدنا الله وإياك أن الفيض الإلهي إنما يكون على قدر القوابل أما ترى الشمس تظهر في المرآة بشعاعها حتى لا يكاد الشخص أن يستطيع النظر إلى المرآة وتظهر في

بقية الجمادات بغير هذا المظهر، وكذلك إذا نظرت في المرآة المعتدلة الهيئة ظهر وجهك فيها على ما هو عليه وإذا نظرت في مرآة مستطيلة طهر وجهك فيها طويلاً وفي العريضة عريضاً وفي الصغير صغيراً وفي الكبيرة كبيراً، فعلم بذلك أن الفيض على قدر القابلية لأن الله تعالى حكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، وقد ذكرنا في ما مضى تفصيل القابلية فظهور الحق تعالى في المخلوقات على قدر قوابلهم بل ظهوره في أسمائه وصفاته على حسب ما تقتضيه قوابلها إذ ليس ظهوره في اسمه المنعم كظهوره في اسمه المنتقم وليس ظهوره في النعمة كظهوره في النقمة فالظاهر واحد والظهور مختلف لاختلاف المظاهر، وقد علمت بما مضى أن ظهور الحق في المظاهر بقدر القوابل وإن قوابل الأشياء تتعلق بمحاتدها التي ظهرت منها فالنعمة مخلوقة والنقمة مخلوقة فهما مظهران مخلوقان فمحتد النعمة اسم المنعم ومحتد النقمة اسم المنتقم وهما اسماه إلهيان فهما مظهران قديمان لأن صفات الله تعالى قائمة بذاته وقد شرحنا لك في ما سبق أن كل شيء في العالم إنما هو أثر أسمائه وصفاته فكل فرد من أفراد العالم له محتد من أسماء الله تعالى وصفاته. وقد عرفناك في أوائل الكتاب أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من أسمائه الذاتية فهي محاتدهم والأولياء خلقوا من أسمائه الصفاتية فهي محاتدهم وبقية الموجودات مخلوقة من صفاته الفعلية فهي محاتدهم ورسول الله ﷺ مخلوق من ذاته فمحتده الذات ولهذا كان ظهور الحق تعالى عليه بالذات ألا تراه انفرد دون غيره بجميع الكمالات الإلهية لأن الصفات ترجع إلى الذات.

ولهذا نسخ دينه سائر الأديان لأن الصفات لا تشهد بعد بروز الذات بل يبقى علمها ولأجل ذلك بقيت نبوة الأنبياء على حالها وما انتسخ إلا أديانهم فنسبة القابلية المحمدية كنسبة البحر ونسبة قوابل الأنبياء عليهم السلام والأولياء رضوان الله تعالى عليهم كالجداول والأنهار ونسبة قوابل بقية العوالم كالقطرات من ذلك البحر، وسبب ذلك أن محمداً ﷺ مجموع العوالم لأن روحه العقل الأول كما شرحناه في ما مضى، وقد علمت أن العالم كله مخلوق منه ﷺ فقابليته وحده بقوابل سائر الموجودات فهو المستفيض الأول والمفيض الثاني لأن الفيض الأقدس الذاتي متوجه إليه بالتوجه الأول ومنه يتوجه إلى بقية المخلوقات بقدر قوابلهم فهو كل الوجود وله كل شيء وما أحسن قول الأمام عبد الله اليافعي رضي الله تعالى عنه في مدحه ﷺ حيث يقول:

ياواحد الدهر ياعيْن الوجود ويا   غوث الأنام وهادي كل حيران

ولما كانت قابليته ﷺ كلية وقابلية سائر الأكوان من المرسلين والنبيين والملائكة المقربين، وسائر الأولياء والصديقين، وغيرهم من المؤمنين الصالحين، وسائر الأكوان جزئية كانت قاصرة بالطبع عن درك شأوه المنيع، عاجزة عن اللحوق بشأنه الرفيع، ولما علمت ذلك

الأنبياء والأولياء وضعت الرؤوس خضوعاً على باب عزه العالي، وحطت رقابها على أرض المذلة لمجده الشامخ السامي، وذلك معنى أخذ الله تعالى على الأنبياء العهد لتؤمنن به ولتنصرنه قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] ثم إن جميع الأولياء المقربين من علو شأنهم إنما يترقون ويعرجون بالاستمساك بحبل عروته الوثقى ﷺ.

ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه: أنشد كل باب إلى الله تعالى إلا باب محمد ﷺ فلا طريق إلى الله تعالى إلا من بابه ﷺ.

يعني ليس لأحد طريق إلا أن يمشي خلفه ويكون تابعه ظاهراً وباطناً حتى يصل إلى الله تعالى والإ فلا، ولولا ذلك لادعت الأولياء ما أدعته الأنبياء من قبل فإن الأولياء من أمة محمد ﷺ نالوا مانالته الأنبياء في الباطن من الله تعالى ولم ينالوا النبوة لا نقطاعها بمحمد ﷺ. والحكمة في ذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما نالوا ما نالوا من النبوة وشرعوه من الأديان بإذن الله تعالى لعلمه سبحانه وتعالى بأن أديانهم تنسخ بظهور الدين المحمدي لأنه ﷺ بعدهم ظهوراً والأولياء ظهروا بعد محمد ﷺ فلو حصلت النبوة لأحد منهم لكان كالناسخ للدين المحمدي وذلك محال فلا سبيل إليه لأن الجزء لا يظهر على الكل، بل الظهور للكل على الجزء فدين محمد ﷺ كلي ولهذا كان مبعوثاً إلى كافة الخلائق بخلاف غيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنهم إنما بعثهم الله تعالى إلى أقوام مخصوصة لأن دينهم جزئي ودين كل منوط بمحتده كلي بكلي وجزئي بجزئي، فقوة محمد ﷺ بقوة العالم كله العرش والكرسي واللوح والقلم والأفلاك والأملاك والسموات والنجوم والكواكب السيارات والشمس والقمر والنار والريح والماء والتراب والشجر والحجر والمعدن والحيوان وجميع الإنس والجان ومجموع ما خلق الله تعالى وما هو خالق، ويزيد على ذلك كله بالجمعية الكبرى التي خص بها وذلك هو المعبر عنه بقاب قوسين ﷺ وليس لسواه من ذلك كله إلا ما وسعته قابليته فانهم والحق نفسك به لحوق القطرة بالبحر لتفوز بالسعادة الكبرى والمكانة الزلفى.

وفي هذه النكتة سر جليل وأمر نبيل لو قدر الله لك فهمه، وإلى هذا اللحوق بالبحر المحمدي أشار سيدي الشيخ أبو الغيث بن جميل رضي الله تعالى عنه بقوله خضنا بحراً وقفت الأنبياء على ساحله لأن اللحوق الحقيقي بالشخص لا يكون إلا لمن بعده صورة ومعنى فالأولياء الكمل من أمة محمد ﷺ لاحقون به صورة ومعنى فهم خائضون بحر اللحوق المحمدي بخلاف الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين لأنهم إنما لحقوا

بمحمد ﷺ حكماً فهم لاحقون من حيث المعنى لا من حيث الصورة فلأجل ذلك وقفوا على ساحل بحر اللحوق بالكمال المحمدي لأنهم كانوا في الظاهر متبوعين لا تابعين لغيرهم على أنهم في الحكم تابعون له ﷺ والأولياء تابعون له لا متبوعون فالأولياء تابعون له ﷺ صورة ومعنى عيناً وحكماً فمن وفق الله تعالى له أن يلحق قطرته ببحر الحقيقة المحمدية فاز بالسعادة الأبدية الكبرى وحق له أن يقول ما قاله الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ما رفع النبي ﷺ قدما إلا وضعت قدمي موضع قدمه الأقدم النبوة العظمى والمكانة الزلفى والوسيلة الكبرى فإنه مخصوص بها ﷺ فاجتهد أن تلحق به وفقنا الله تعالى وإياك لذلك.

الباب الخامس: في سر تسميته ﷺ بالحبيب، وبيان الحركة الحبيبية التي هي محتد اسمه ليعرفه البعيد والقريب ﷺ، اعلم أيدنا الله تعالى وإياك، ولا أخلانا من جوده ولا أخلاك، أنه ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً أن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال ﷺ: **«سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك، وموسى كلمه الله تكليماً وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك، وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر، فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين من أمتي وأنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر»**.

اعلم أن هذا حديث جامع مصرح بكماله وأفضليته على كل الكملاء والفضلاء صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين وقد مضى بيان بعض علو مكانته ﷺ وسأنبئك عن سر تخصيصه ﷺ باسم الحبيب لتعلم أن المقام الحبي أعلى المقامات الكمالية وذلك أنه ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال حاكياً عن الله تعالى: **«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني»**، فكان التوجه الحبي أول صادر من الجناب الإلهي في إيجاد المخلوقات، فالحب لبقية مقامات الكمال أصل وهي له كالفروع ولأجل أن المقام الأولى الأصلي كان مخصوصاً بالموجود الأول الأصلي فجميع الحقائق الإلهية إنما ظهرت بواسطة الحب إذ لولا ذلك لما وجد الخلق، ولولا الخلق لما عرفت الأسماء والصفات، والخلق إنما ظهر ما بواسطة الروح المحمدي، كما سبق بيانه، فلولا الحقيقة المحمدية لم يكن خلق، ولولا الخلق لم تظهر صفات الحق لأحد، فلولا الحقيقة المحمدية لما عرف الله مخلوق ولا ظهرت صفاته لأحد، إذ لا أحد فالحب هو الواسطة الأولى لوجود الموجودات،

ومحمد ﷺ هو الواسطة الأولى لظهور الموجودات، كما بيناه في ما سبق، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى قال له في ليلة المعراج لولاك لما خلقت الأفلاك» فعلم بذلك أن محمداً ﷺ هو الذي كان المقصود بالتوجه الحبي للمعرفة بالكنز الخفي وإن جميع ما سواه كانوا عطفاً عليه فهو الأصل في مقصود الحب الإلهي وغيره كالفرع له، فمن أجل ذلك خصه الله تعالى باسم الحبيب دون غيره، وإنما أحب الله تعالى أمته الذين اتبعوه لقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] لأنهم مخلوقون منه، كما قال ﷺ: «أنا من الله أنا من الله والمؤمنون مني» وهذه خصوصية من الله تعالى لأمة محمد ﷺ دون غيرهم من سائر الأمم. فإن الله تعالى أنكر على من ادعى من الأمم الماضية أنهم أحباء الله، وأثبت المحبة لأتباع محمد ﷺ لأن كل أمة مخلوقة من نبيها ولا حبيب إلا محمد ﷺ فاختصت أمته بمحبة الله تعالى دون غيرهم، واعلم أن الحب على الإطلاق له تسع مراتب في الخلق ومرتبتان في الحق.

المرتبة الأولى: في الحق تسمى الحب باسمه ما لم تكن حركة لظهور أثرها فإذا حصلت تلك الحركة سمي الحب إرادة فالحب الحقيقي والإرادة الحقيقية لله تعالى، ومراتب الحب في الخلق أولها الميل وهو انجذاب القلب إلى المطلوب، فإذا زاد سمي رغبة، فإذا زاد سمي طلباً، فإذا زاد سمي ولهاً، فإذا اشتد ودام سمي صبابة، فإذا قوي واسترسل بالقلب في المعنى المراد سمي هوى، فإذا استولى حكمه على الجسد بحيث أن يفنى المحب عن نفسه سمي شغفاً، فإذا نما وظهرت علامة بحيث أن يفنى المحب عن نفسه وعن فنائه سمي غراماً، فإذا استحكم وطفح وظهر وتمكن تمكناً أفني المحب عن نفسه وعن حبيبه أيضاً بحيث يبقى الأمر شيئاً واحداً وهو الحب المطلق سمي عشقاً، وهذا آخر مقامات الخلق فيه فيصير المحب في هذا المقام حبيباً والحبيب محباً فيتلون كل منهما بصورة الآخر وذلك أن العاشق قد تمكنت روحه بصورة المعشوق فتعلقت بتلك الصورة الروحانية تعلق التمازج كما يتعلق الزاج بالعفص فيستحيل الفك والمفارقة والانفصال بينهما كما قيل:

رق الـزجـاج ورقـت الخمـر فتشـابهـا فتشـاكـل الأمـر
فكـأنمـا خمـر ولا قـدح وكـأنمـا قـدح ولاخمـر

فهذه المراتب التسعة هي للخلق حقيقة لا يقال أنها لله إلا من حيث أن وجود الخلق لله تعالى، وأما الحب والإرادة فهما لله تعالى حقيقة قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠] فالحق

سبحانه وتعالى يحب ويريد فالحب والإرادة من شؤون الله تبارك وتعالى، وللحب مرتبة أخرى تظهر في الحق والخلق ولهذا تسمى المرتبة الجامعة وهي مرتبة الود، فإن الله يسمى الودود فهو يود من يشاء من خلقه والخلق يودونه، فالود مرتبة مشتركة تظهر بالقدم في القديم وبالحديث في المحدث، والمودة من خصائصها الاشتراك لوقوعها من الجانبين ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] فالمودة تكون من الجانبين فهي اسم للمحبة إذا ظهرت من المحب والمحبوب لأن الشيء إذا كان بين اثنين لا يختص به واحد دون الآخر بل هما مشتركان فيه بالود يشترك فيه كل واحد من الزوجين فإذا صار كل منهما محباً للثاني محبوباً له كانت المحبة والمودة بينهما ظاهرة وهو نهاية مراتب العشق في الظهور لأجل وقوعه من الجانبين فقط وإلا فلا شيء في الخلق أعلى مرتبة من ظهور العشق إذ هو نار الله الموقدة فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس: في كيفية التعلق بجنابه والعكوف على بابه ﷺ. اعلم وفقنا الله وإياك للوقوف ببابه، والعكوف بجنابه، أن الله تعالى لما أحبه جعله شفيعاً لخلقه إليه يوم القيامة وليس لأحد من الخلق عموم الشفاعة سواه وسر ذلك أن الأنبياء لم يبعثوا إلى كافة الخلق، وإنما بعث إلى كافة الخلق محمد ﷺ. فهو مقدمهم وراعيهم وكل راع مسؤول عن رعيته، فأوجب الله تعالى عليه الشفاعة لهم والقيام بمصالحهم ديناً وأخرى وما أوجب الله تعالى عليه إلا ما وفقه للقيام به فمن أجل ذلك وعده بالوسيلة التي هي المقام المحمود يوم القيامة، وليست الوسيلة في المعنى إلا الواسطة للوصول إلى المطلوب وهي الشفاعة، ولهذا المعنى منزلة صورية في الجنة المسماة بالفردوس الأعلى وهي أرفع منازل الجنان يكون هو ﷺ فيها الذي يحوي الكمال صورة ومعنى ظاهراً وباطناً، كما سبق بيانه في أوائل هذه الرسالة، فلما كان ﷺ واسطة الجميع في البداية لأجل الظهور كان واسطتهم في النهاية لأجل النعيم المقيم، فليس في الأول والأبد وسيلة ولا واسطة ولا علة لوجودك ووجود كل خير لك ولكل موجود أحد سواه ﷺ. فمن الأولى أن تتعلق بجنابه وتعتكف على بابه ليحصل الميل من الجهتين فيسرع الوصول إلى المقصود، ألا تراه ﷺ قال للإعرابي الذي تمنى عليه أن يكون رفيقه في الجنة: **«أعني على نفسك بكثرة السجود»** فقوله ﷺ أعني دليل على أنه أحب أن يشفع له إلى الله تعالى أن يكون رفيقه في الجنة ولكنه أراد أن يكون الجذب من الجهتين ليسرع وصوله إلى ذلك فأمره أن يعينه على نفسه بالسجود ليتحقق بالمقصود أكمل تحقق، ولهذا كان دأب الكمال من الأولياء رضوان الله عليهم أن يتعلقوا بجنابه ويحطوا جباههم على بابه ﷺ ولم يزل ذلك دأبهم ودأب كل من أراد الله تكميله حتى إنهم رضي الله عنهم إذا حضروا في بعض

الحضرات الإلهية التي يمكنهم أن لا ينظروا فيها إلى محمد ﷺ أسرعوا إلى توجيه المشاهدة للأنوار الإلهية نحو الجناب المحمدي وصرفوا إليه كلمة الحضرة الإلهية وذهلوا عن كل ما تقتضيه حقائقهم من الكمالات الإلهية تأدباً معه ﷺ فيحصل لهم ببركة هذه الحالة من الزيادة ما لا يمكن شرحه وذلك أنهم يسمعون ويشهدون حينئذٍ بالسمع والبصر المحمدي ما هو مناسب للقابلية المحمدية التي ليس في ذات أحد قوتها فيخلع عليهم إذ ذاك من الخلع المحمدية ما لا يمكن حصولها إلا بهذه الطريقة.

ومن ثَمَّ قال شيخنا الشيخ أبو الغيث بن جميل: خضنا بحراً وقف الأنبياء على ساحله. يعني بذلك بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولهذا من تحقق بالسنة المحمدية ظاهراً وباطناً خاض بحر الحقيقة المحمدية التي خاضها هو وأمثاله بكمال الاتباع المحمدي صورة ومعنى لأخذه الأشياء من الله تعالى في بعض الحضرات بالقابلية المحمدية كما سبق بيانه، فإذا علمت ذلك وتحققته فالزم سبيل جنابه ولازم الوقوف ببابه ﷺ. فإن قلت لا أدري كيف هذا التعلق والملازمة بهذا الجناب العظيم والنبي الكريم ﷺ؟

قلنا أن التعلق بمحمد ﷺ على نوعين:

النوع الأول: هو التعلق الصوري بالجناب النبوي وهو على قسمين:

القسم الأول: هو الاستقامة على كمال الاتباع له بمواظبة ما أمر به الكتاب والسنة قولاً وفعلاً واعتقاداً على ما هو عليه أحد الأئمة الأربعة وهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل رضي الله عنهم، إذ قد وقع إجماع العلماء المحققين بأن هؤلاء المذكورين من الأئمة هم أهل الحق وهم الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى يوم القيامة، ومن كمال هذا القسم من الاتباع الصوري أن تعتمد فعل عزائم الأمور ولا تركن إلى الرخص، فإن الله تعالى أمر النبي ﷺ بارتكاب العزائم في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فأمره أن يصبر صبراً كصبر أولي العزم دون غيرهم.

وقيل: إنهم خمسة صلوات الله عليهم وهم المذكورون بالتصريح في هذه الآية وهي ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣] فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أولو العزم من الرسل فينبغي للتابع الكامل الاتباع أن يأتي بعزائم الأمور ولا يركن إلى التسهيل ولا يقف مع الأرخص ولا مع ما أمر به ونهى عنه فإن ذلك مقام الإسلام ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القربة والصديقية ومن شرطها اتباع النبي ﷺ في ارتكاب عزائم الأمور ولن تقدر على ذلك كما ينبغي إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها

ولا يعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله تعالى يدللك على ذلك جميعه ويعرفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأعمال والأحوال.

ألا ترى أن النبي ﷺ كان في بدايته يتحنث في غار حراء الأيام الكثيرة، فلما انتهى وعظم شأنه ترك التحنث في الغار وبقي مع أصحابه طول السنة ماخلا العشر الأخيرة من شهر رمضان ولا يتحنث للطالب معرفة ما هو اللائق به إلا بواسطة شيخ مرشد يدله على ذلك جميعه أو بواسطة جذب إلهي كاشف له عن ذلك وليس لنا مع المجذوب كلام وكلامنا معك أيها العاقل الطالب للاتباع المحمدي فينبغي لك أن تطلب شيخاً مرشداً يدلك على معرفة الله تعالى بتعريفه لك بنفسك فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره ولا تفارق موضعه ولو قطعك البلاء إرباً إرباً واحذر أن تعصيه أو تكتمه شيئاً من أمرك فلو قضى الله عليك بمعصية ينبغي لك أن تعرض لشيخك بعلم ذلك ليسعى في دفع المقتضى لذلك بمداواتك بما يعرفه من أمرك أو بالشفاعة والالتجاء إلى الله تعالى في حقك ليزيل عنك وخاصة تلك الزلة، فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله تعالى فالزم طريق أهل الله تعالى وجملة الطريق إلى الله تعالى أربعة أشياء:

أحدها فراغ القلب عن الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة.

الثاني: الإقبال على الله تعالى بالكلية بالقصد والمحبة المنزهة عن العلل من غير فتور ولا التفات ولا ملل ولا طلب عوض.

الثالث: دوام المخالفة للنفس في كل ما تطلبه من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وأخرى وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله تعالى نظراً واعتقاداً وعلماً.

الرابع: دوام ذكر الله تعالى: النظر إلى جمال الله وجلاله سواء كان ذكر اللسان أو ذكر القلب أو ذكر الروح أو ذكر السر أو ذكر الجملة وقد شرحناها في كتاب «غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوهات الأسماع» فمن أراد معرفة ذلك فليطالع هنالك والله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه.

القسم الثاني من النوع الأول: الذي هو التعلق الصوري هو أن تتبعه ﷺ بشدة المحبة له حتى أن تجد ذوق محبتك له في جميع وجودك فإني والله لأجد محبته ﷺ في قلبي وروحي وجسمي وشعري وبشري كما أجد سريان الماء البارد في وجودي إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد، هذا وإن حبه ﷺ فرض واجب على كل أحد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وقال ﷺ: **«لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده»** فإذا لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك فاعلم أنك ناقص الإيمان فاستغفر الله تعالى وتضرع إليه وتب من ذنوبك وتولع بدوام ذكر النبي ﷺ والتأدب معه والقيام بما أمر مع اجتناب مانهى لعلك تنال ذلك فتحشر معه لأنه ﷺ القائل المرء مع من أحب. يقول مسود

هذه الرسالة العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الكيلاني نسباً البغدادي أصلاً الربيعي عرباً الصوفي حسباً إني أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وجميع خلقه أني أحب محمداً رسول الله ﷺ مؤثراً له على نفسي وروحي ومالي وولدي وأجد لمحبته في قلبي وجسمي وشعري وبشري سرياناً ودبيباً محسوساً لا ينكره من حصل له ذلك وأنا استودع الله تعالى هذه المحبة ولنبيه ﷺ ليحفظها علي إلى يوم القيامة إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وقد علمت بما ذكرته لك أن النوع الأول الذي هو التعلق الصوري بالجناب النبوي ﷺ إنما هو القيام على ظاهر الشريعة وسلوك عزائم الطريقة والاسترسال في محبته بالكلية وبالتعظيم لشأنه ﷺ في السر والعلانية.

ومن جملة التعظيم لشأنه ﷺ أن تتأدب مع أصحابه وأهل بيته بالمحبة والتعظيم والايثار لهم عليك وأن تتأدب مع كافة أهل الله فإنهم أقرب الناس إلى النبي ﷺ فإن سوء الأدب مع أهل الله موجب للبعد عن الله تعالى فالله الله في محبتهم والتأدب معهم حق التأدب والله الموفق الهادي.

النوع الثاني: هو التعلق المعنوي بالجناب المحمدي ﷺ.

وهو أيضاً على قسمين: **القسم الأول**: هو دوام استحضار صورته ﷺ التي سبق حليتها في الذهن والتأدب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة فإن لم تستحضر تلك الصورة البديعة المثال وكنت قد رأيته وقتاً ما في نومك فاستحضر الصورة التي رأيتها في النوم فإن لم تكن رأيته ولم تستطع أن تستحضر تلك الصورة المشخصة الموصوفة بعينها فاذكر، وصل عليه ﷺ وكن في حال ذكرك له كأنك بين يديه في حياته متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته، لأنه متصف بصفات الله تعالى والله جليس من ذكره فللنبي ﷺ نصيب وافر من هذه الصفة، لأن العارف وصفه وصف معروفه وهو أعرف الناس بالله تعالى فإن لم تستطع أن تكون بين يديه بهذا الوصف وكنت قد زرت يوماً ما قبره الشريف ورأيت روضته الشريفة وقبته العالية المنيفة فاستحضر في ذهنك قبره الشريف وتلك الحضرة السنية كلما ذكرته ﷺ أو صليت عليه وكن كأنك واقف عند قبره الشريف ﷺ مع الإجلال والتعظيم إلى أن تشهد روحانيته ظاهرة لك، فإن لم تكن زرت قبره الشريف ولا رأيت موطن حضرته وروضته فأدم الصلاة عليه وتصور أنه يسمعك ﷺ وكن إذ ذاك متأدباً جامع الهمة لتصل إليه صلاتك عليه وأنت حاضر بقلبك لديه فإن لجمع الهمة أثراً واستحي أن تذكره أو تصلي عليه ﷺ وأنت مشغول بغيره فتكون صلاتك جسماً بلا روح لأن كل عمل يعمله العبد من

أعمال البر إذا كان منوطاً بحضور القلب كانت صورة ذلك العمل حية وإذا كان منوطاً بالغفلة وشغل الخاطر بالغير كانت صورته ميتة لا روح لها، ومن ثَمَّ قال مشايخنا رضوان الله عليهم: إن النية روح العمل، ولهذا قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**».

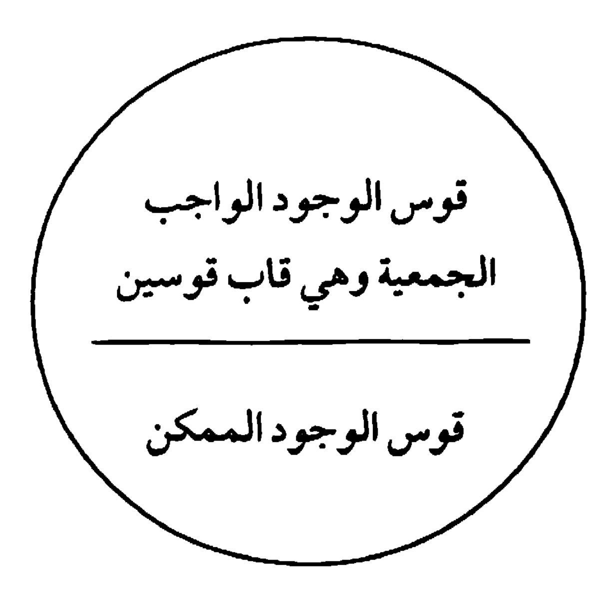
ولقد سمعت سيدي وشيخي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قدس الله تعالى روحه في الجنة يوماً وهو يقول: إن العمل إذا صدر من العبد غير مقارن للنية في أوله فإذا أراد أن يقصد به وجه الله تعالى فلينو بعد الشروع فيه، فإنه يكون ذلك سبباً لنفخ الروح فيه، ولو كان العبد قد نوى نية قبيحة، ثم تاب عنها في أثناء العمل ونوى نية صالحة غير تلك فإن ذلك أيضاً نافع في حسن صورة العمل، ويكون العمل حياً كاملاً، ولقد صدق فيما قاله رضي الله عنه.

وقد علمت بما ذكرناه أن **القسم الأول من التعلق المعنوي**: هو استحضار صورته وما يتعلق بها مع ملازمة دوام التعلق بها بالهيبة مع الإجلال والتعظيم له ﷺ فعليك بذلك ففيه السعادة الكبرى والمكانة الزلفى والله الموفق:

القسم الثاني: من التعلق المعنوي: هو استحضار حقيقته الكاملة، المشرفة بنور الذات الإلهية في الآباد والآزال، المحيطة بكل كمال حقي وخلقي المستوعبة لكل فضيلة في الوجود صورة ومعنى حكماً وعيناً غيباً وشهادة ظاهراً وباطناً ولن تستطيع أن تستحضر كل ذلك له حتى تعلم أنه ﷺ هو البرزخ الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتا وصفات لأنه مخلوق من نور الذات والذات جامعة لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكماً وعيناً.

ومن ثَمَّ قال الله تعالى في حقه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨ - ٩] وإني سأنزل لك حقيقة معنى هذه الآية الشريفة، المفصحة عن كمالاته المنيفة، ﷺ إنزالاً مثالياً يتصور لك في الذهن برؤية هذا المثال تحقيق معناها إن شاء الله تعالى، اعلم أولاً أن الوجود كله كدائرة واحدة مقسومة في النصف بخط يمر على مركز الدائرة، فالنصف الأعلى منها يسمى بالوجود القديم والواجب والحق وتعالى الله عن التقسيم والانقسام، والنصف الأسفل منها يسمى بالوجود المحدث والممكن والخلق فكل نصف من الدائرة قوس والخط الواحد وتر ذاك القوس فالخط وتر قوسي الدائرة وبه تقوس كل نصف على ما هو عليه فقسم هذا الخط الذي هو الوتر قاب قوسين، فعلم أن المقام المحمدي هو الجامع للكمالات الإلهية والكمالات الخلقية صورة ومعنى، وقد مثلنا هذه الدائرة في الكتاب المتقدم على هذا الكتاب من حيث التجزئة ولم نكتف به لأن هذا المحل محتاج إلى ذكرها والله أعلم.

وهذه صورة لدائرة الوجودية المثالية



[كان ﷺ برزخاً]

وإنما كان ﷺ برزخاً بين الحقائق الحقية والحقائق الخلقية لأنه حقيقة الحقائق جميعها ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش وقد علمت أن العرش غاية المخلوقات إذ ليس فوق العرش مخلوق فعند استوائه ﷺ ثم كانت المخلوقات بأسرها تحته وربه فوقه برزخاً بين الحق والخلق بالصورة المحسوسة كما كان برزخاً بالمعنى لأنه الموجود من الحق والخلق موجودون منه ﷺ فهو المتصف بكلتا الصفتين من كلتا الجهتين صورة ومعنى حكماً وعيناً. فإذا علمت ما ذكرته لك سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمدي كما هو له إن شاء الله تعالى.

تنبيه اعلم أن للحقيقة المحمدية ظهوراً في كل عالم يليق بحال ذلك العالم فليس ظهوره ﷺ في عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح لأن عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح لأن عالم الأجسام ضيق لا يسع ما يسعه عالم الأرواح. وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى فإن عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع، ثم ليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء وليس ظهوره في السموات كظهوره عن يمين العرش وليس ظهوره عن يمين العرش كظهوره عند الله سبحانه وتعالى فوق العرش حيث لا أين، ولا كيف. فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الأنزل، ولكل ظهور جلالة وهيبة بقدر المحل حتى يتناهى إلا محل لا يستطيع أن يرى فيه أحداً من الأنبياء والأولياء وذلك معنى قوله ﷺ «لي وقت مع الله تعالى لا يسعني فيه غير ربي» وفي رواية «لي وقت مع الله لا يسعني

فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» فارفع بهمتك يا أخي لتراه في مظاهره العليا بمعانيه الكبرى فإنما هو هو.

إشارة: أوصيك يا أخي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ﷺ ولو كنت متكلفاً مستحضراً فعن قليل تتألف روحك به فيحضر لك ﷺ عياناً تجده وتحدثه وتخاطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة رضي الله عنهم وتلحق بهم إن شاء الله تعالى.

الباب السابع: في ثمرة ملازمة تلك الحضرة الشريفة، والدوام على مشاهدة تلك الصورة اللطيفة بمعانيها العزيزة المنيفة، وملاحظة ذلك ولو بالتصور والتخيل والتفكر.

اعلم أيدنا الله وإياك بروح قدسه، ولا أخلى الجميع من بسطه وأنسه، أن ثمرة العكوف عليه، هي سبب الوصول إليه، ألا تراه ﷺ يقول: **«أكثركم عليّ صلاة أقربكم مني يوم القيامة»** وذلك أن المصلي عليه ﷺ كثيراً لابد أن يتعلق به خاطره فيتعشق قلبه بالصورة الروحانية تعشقاً يوجب المحبة ودوام الذكر له بالصلاة عليه ﷺ فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعه ﷺ. وثم نكتة أخرى وهي ما ورد في الحديث عنه ﷺ أن الداعي إذا دعا لأخيه المؤمن تقول له الملائكة ولك بمثل. ولا خلاف أن دعاء الملائكة مقبول لأنهم معصومون فيصلي الله على المصلي فترجع صلاة المصلي على نفسه ولهذا ورد في الحديث عنه ﷺ أنه من صلى عليه صلاة واحدة صلى عليه، أي على المصلي بها عشراً.

ولهذا يحصل المصلي في حقيقة القرب فيحشر معه فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر وليس الصلاة إلا القرب والاجتماع والإقبال كما ورد في اللغة. فإذا حصل هذا الأمر من الروح والسر هل يكون إلا معه عند الله؟ لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ القرب بالمكان وهو في الجنة ونتيجة العمل الباطن وهو التعلق والإقبال ودوام استحضار صورته ﷺ ومعناه القرب بالمكانة وهو عند الله في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف فافهم.

إشارة: اعلم أن الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره على أنه لا ينساه وكلما ازدادت معرفته بالنبي ﷺ واصذرت وظهرت عليه الآثار عند ذكره ﷺ وذلك أن معرفة الولي لله تعالى إنما هي على قدر قابلية النبي ﷺ، فلهذا لا يطيق أن يثبت له وتظهر عليه الآثار لأنه من فوق أطواره وكلما ازداد الولي في النبي ﷺ معرفة كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الإلهية وأدخل في معرفة الله تعالى على الإطلاق.

بشارة: من خصائص النبي ﷺ أن كل من رآه من الأولياء في تجل من التجليات الإلهية لابساً لخلعة من الخلع الكمالية فإنه ﷺ يتصدق بتلك الخلعة على الرائي وتكون له، فإن كان

قوياً أمكنه لبسها على الفور وإلا فهي مدخرة له عند الله تعالى يلبسها متى تقوى واستعد إما في الدنيا وإما في الآخرة، فمن حصل له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا أو في الآخرة تكون له من النبي ﷺ هذه الفتوة فكل من رأى ذلك الولي في تجل من التجليات وعليه تلك الخلعة النبوية فإنه يخلعها ويتصدق بها عن النبي ﷺ على الرائي الثاني، وينزل للولي الأول من المقام المحمدي خلعة أكمل من تلك الخلعة عوض ما تصدق بها عن النبي ﷺ، فإن أمكن أن يراه فيها أحد بعد ذلك خلعها عليه وحصلت له أخرى، وهكذا إلى مالانهاية له صدقة نبوية محمدية هاشمية جرت سنة محمد ﷺ بذلك من الأزل عند أخذ الله له العهد على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى نالوا بذلك مقام النبوة الشريفة التي قصرت أيادي الأولياء عن نيلها، لأن رؤية الأولياء له ﷺ إنما وقعت بعد تلك الرؤية وفي غير ذلك المحل، ولأجل هذا فازت الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم بدرجة السعادة التي ليست لغيرهم لأنهم أول من رآه في أكمل خلعة له ولم تزل هذه الفتوة دأبه عادة لسائر من يراه من الأولياء إلى أبد الآبدين ولتكن هذه المقالة، آخر هذه الرسالة، والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، والحمد لله رب العالمين صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

انتهى كتاب قاب قوسين.

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه

[كتابه النور المتمكن]

كتابه «النور المتمكن» في معنى قول المؤمن مرآة المؤمن وهو الجزء الحادي عشر من كتابه «الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ».

فمن جواهره فيه قوله رضي الله عنه

[النبي ﷺ مقدم جميع أهل الهداية]

في خطبته الحمد لله الظاهر نور الوجود، الباطن الذي لا يدرك علا ظهوره في كل موجود، الولي الحميد، القريب البعيد، المتفضل بمقتضيات الحقائق على أهل النعيم وأصحاب العذاب الشديد، الآخذ بناصية الكل إليه، من كلتا يديه، فهذا شقي وهذا سعيد، جعل الله محمداً ﷺ مقدم أهل الهداية آخذاً بيد الخلق إلى الحق المجيد، على طريق التقى بالعلم النافع والعمل الصالح والرأي السديد، واقفا بباب الوصل يدعو إليه كل مؤمن رشيد،

وجعل إبليس اللعين مقدم أهل الغواية صارفا للخلق عن الحق إلى الباطل العتيد، على طريق الهوى بالعلم المهلك والعمل الفاسد والرأي العنيد، واقفاً بباب القطع كالحاجب لمنع كل منكر وشيطان مريد، فقسم سبحانه الخلق على قسمين، واتبعهم هذين الشخصين، فهذا ولي مقبول وهذا شقي طريد، وصفاته هي الداعية لوجود هذين الجنسين في العبيد، فالجمال يقتضي النعمة، والجلال يقتضي النقمة، والبسط يقتضي التقريب، والقبض يوجب التبعيد، وبعد قطع مفاوز الطريقين فنهاية الكل إليه الشقي والسعيد، أحمده عين حمده لنفسه بالجمال، وأعظمه تعظيمه لذاته بالجلال، وأقر له بما هو نعته من الجمال، وأشهد أن لا إله إلا هو الواحد بالذات المنزه عن الأصول والفروع والعترة والآل، وأشهد أن محمداً ﷺ قطب رحى الكمالات، ومنصب حقائق الأسماء والصفات، الغوث الفرد الجامع لما قصرت عنه سائر الموجودات، فهو مفتاح خزائن الجود، والفضل في الوجود، وختم سائر المقامات، المبعوث رحمة للبريات، ماتواترت الآيات، وتعاقبت الأوقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وشرف وعظم ومجد وكرم.

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي أيضاً

[خطبة الكتاب]

قوله في مقدمة كتابه النور المتمكن المذكور اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك إن الله سبحانه وتعالى ذو جمال وجلال، فصفات الجمال تقتضي التقريب والتنعيم، وصفات الجلال تقتضي التبعيد والتعذيب، ومدار الوجود الكوني بأجمعه على هذين الحكمين، فما ثم إلا علو وسفل، ولطيف وكثيف، أو قريب وبعيد، أو شقي وسعيد، فأهل العلو هم أهل القرب وهم السعداء الذين لطفت هياكلهم بلطف أرواحهم فصاروا من أهل اليمين ومستقرهم الجنة. وأهل السفل هم أهل البعد وهم الأشقياء الذين كثفت أرواحهم بكثافة هياكلهم فصاروا من أهل الشمال ومستقرهم النار، إلى أن قال رضي الله عنه المقدمة أيضاً وجعل لكل طائفة من أهل السعادة والشقاوة مقدماً هو أعظمهم اتصافاً في ذلك المعنى فمحمد ﷺ هو مقدم السعداء وأعظم الخلق اتصافاً بالسعادة، وهو ﷺ قائدهم إلى كل خير وفي كل زمان وفي كل موطن دنيا وآخرة ولهذا كان مدار الأمر إليه فختم الله به النبوة كما بدأ بخلقه ﷺ، وضده في المعنى أبليس اللعين مقدم الأشقياء وأعظم الخلق اتصافاً بالشقاوة وقائد الأشقياء إلى كل زمان وفي كل موطن دنيا وأخرى.

وسر ذلك أن إبليس أول من عصى الله تعالى حيث أمره الحق ولم يسجد فهو إذن مقدم

العصاة وقائدهم إلى جهنم. ومحمد ﷺ هو أول من أطاع الله في الوجود لقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر**» الحديث. فالعقل الأول هو أول مخلوق لله وهو أول طائع له وهو حقيقة الروح المحمدية لقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**» فهو ﷺ حقيقة العقل الذي هو أول مطيع ولهذا كان قائد المطيعين إلى الله تعالى ومقدمهم في كل موطن ﷺ فمثال محمد ﷺ مثال الدوادار للخلق إلى السلطان.

ومثل إبليس اللعين مثل الحاجب المانع المبعد للخلق من حمى الملك ولله المثل الأعلى وهو المنزه أن يكون له في الوجود حاجب أو دوادار. ثم قال رضي الله عنه فالسعيد المطلق بل أسعد السعداء هو محمد ﷺ والشقي المطلق بل أشقى الأشقياء هو إبليس عليه اللعنة وسعادة السعداء متفاوتة على حسب زيادة اتباعهم لمحمد ﷺ ونقص ذلك بحسبه فما من اتبعه في قوله كمن اتبعه في قوله وفعله وحاله ﷺ، فكما أن هذه الطائفة السعيدة متفاوتون في السعادة بالاتباع المحمدي كذلك تلك الطائفة الشقية متفاوتة في الشقاوة بالاتباع لإبليس. وقد آن أوان تفصيل أهل السعادة أتباع محمد ﷺ والله الموفق.

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي:

[الحقيقة المحمدية لها العلو المطلق]

قوله في كتابه النور المتمكن المذكور الباب الأول في ذكر الحقيقة المحمدية التي لها العلو المطلق في الوجود وفي الاهتداء بها ضرورة علماً وعملاً ظاهراً وباطناً صورة ومعنى أعلم وفقنا الله وإياك، ولا أخلانا عنه ولا أخلاك، أن الله تعالى خلق محمداً ﷺ إكسير السعادة الكبرى وأنموذجاً للطائفة صورة ومعنى، فجعل مرتبته في الوجود، المرتبة العلية التي ليس فوقها مرتبة لموجود، كما قال ﷺ إن الوسيلة على درجة في الجنة وإنها لا تكون إلا لرجل واحد وقال ﷺ: «**وأرجو أن أكون ذلك الرجل**» ورجاؤه محقق لأن الله تعالى قد وعده بها فجميع أحواله وأقواله ﷺ مما يوافق لتلك المرتبة العليا، والمكانة الزلفى، ولهذا كان ﷺ هداية محضة يهدي إلى السعادة المطلقة قولاً وفعلاً وحالاً ظاهراً وباطناً لأن ذاته لا تقتضي خلاف ذلك وضرورة من آمن به أو سلك طريقه أو حذا حذوه أو أحبه أن يسعد لأنه ﷺ إكسير السعادة المطلقة فكل من تبعه أو خالطه أو مازجه أو قاربه بوجه من الوجوه سعد سعادة أبدية على قدر ذلك الاتباع والمخالطة.

ألا ترى أن من آمن به ﷺ ثم مات من وقته كيف يحكم له بدخول الجنة على أنه لم يفعل شيئاً من الأفعال الصالحة ولم يتبعه في شيء من الأقوال والأحوال، إذ هو ﷺ نور محض

والنور يهدي إلى الجنة والقليل من النور كاف ألا ترى إلى نور الشمعة كيف تهديك في الليل المظلم إلى بيتك كما يهديك ضوء الشمس في النهار، ولهذا كانت أهل السعادة تابعة له ﷺ سواء تقدم ظهورهم على زمان ظهوره أم تأخر. وكل نبي من الأنبياء المتقدمين صلوات الله وسلامه عليهم تابع له في باطنه وظاهره، ومن ثَمَّ كانوا نوابه وكانت الأولياء خلفاءه ﷺ فهم أسعد الخلق لأنهم فازوا بالأكملية ظاهراً وباطناً فسايروه باطناً في الكمالات الإلهية، والمعارف اللدنية، وسايروه ظاهراً في النبوة والرسالة والهداية وفي الدعوة المشروعة الخاصة بطريق كل منهم وكذلك من الأولياء المحمديين رضوان الله عليهم تبع له ﷺ في الكمالات الإلهية باطناً وفي الأحوال والأقوال والأفعال ظاهراً فهم أكمل أتباع محمد بعد الأنبياء صلى الله عليه وعليهم، وإنما انحطوا عن درجة الأنبياء لأنهم يدعون إلى الله تعالى على الشرع المحمدي، وكل من الأنبياء والرسل إنما يدعو على شرعه المختص به، فمزية الأنبياء صلوات الله عليهم على الأولياء بالتشريع فقط.

ولهذا قال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» يريد العلماء بالله الذين هم العارفون بجمال الله وجلاله. فمن كان له من الأولياء أتباع كان خليفة عن الرسل، ومن لم يكن له منهم أتباع كان خليفة عن الأنبياء الذين لم يرسلوا، فالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا لمحمد ﷺ كالحجاب لمرورهم قبله في العالم الدنياوي كما يمر الحاجب قبل الملك والأولياء المحمديون رضوان الله عليهم هم لمحمد ﷺ كالخدم والخواص الذين يكونون حول الملك على خزائنه ومراتبه، ومن ثَمَّ قال الشيخ أبو الغيث بن جميل رضي الله عنه: خضنا بحرا وقف الأنبياء على ساحله. المشهور أن هذا كلام أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: يريد بحر القرب المحمدي والاختصاص بشرعه ﷺ في الحقائق الباطنة والدقائق الظاهرة، وليس للأنبياء صلوات الله عليهم من شرعه إلا حكم كونهم اتباعاً له في الحقيقة، فالأولياء المحمديون مطلعون على الأسرار المحمدية خائضون في بحر الكمال المحمدي الذي وقف الأنبياء على ساحله لأنهم كانوا مشرعين لأنفسهم فما خاضوا بحر الشرع المحمدي الذي خاضته الأولياء الكمل من أمته ﷺ.

ومن ثَمَّ قال سيد الأولياء محيي الدين الشيخ عبد القادر الكيلاني: في معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه، يعني أن الأنبياء صلوات الله عليهم أوتوا لقب التبعية للنبي ﷺ فسموا أتباعاً له بالحكم وإنما تبعه حقيقة الأتباع الأولياء من أمته لأنهم تشرعوا بشرعه وتحلوا بكمالاته المختصة به فهم تبع لمحمد ﷺ حقيقة ومجازاً صورة ومعنى ظاهراً وباطناً وكل من دونهم فلا يسمى تبعاً للنبي ﷺ إلا بوجه واحد أو وجوه متعددة لا من كل الوجوه، فما شمول الوجوه كلها بالتبعية إلا للكمال من أمة محمد ﷺ فهم أسعد الخلق بعد

الرسل والأنبياء صلوات الله على الجميع لأنهم اتبعوه من كل الوجوه فسعادتهم تامة من كل وجه كاملة من كل نسبة دون غيرهم من كافة كل الخلق، واعلم أن أتباع محمد ﷺ مقسومون على ثلاثة أقسام.

القسم الأول: هم السابقون المفردون الذين ذكرهم النبي ﷺ بقوله سير وأسبق المفردون وهم الذين صحت التبعية المحمدية في الحقائق الإلهية لهم فتخلقوا بأخلاق الله، وفي الحقائق الكونية فتطهرت نفوسهم وتخلصوا من دنس الصفات المذمومة بالصفات المحمودة الخلقية، وصحت لهم التبعية في الأفعال الظاهرة المشروعة في الطريقة المحمدية. واتصفوا بالصفات المحمدية، وتحققوا بالكمالات الإلهية على حكم التبعية له ﷺ فاستوفوا جميع الوجوه،

والقسم الثاني: هم العارفون الزاهدون في ما سوى الله تعالى المتحققون بالعبودية التابعون له ﷺ في العالم المعنوي بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم في ما يتعلق بأمر الحق وأمر الخلق..

والقسم الثالث: هم المؤمنون العاملون بأقواله، التابعون له في أفعاله حققوا أخباره، ثم اقتفوا آثاره، ﷺ فهم اتباعه في العالم الصوري، وتقسيم هذه الأقسام الثلاثة على ما ورد في كلام الله تعالى حيث قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] فالأئمة في هذه الآية اختلافات كثيرة فمنهم من جعل الظالم لنفسه أقوم في المعنى تأويلاً على أنه ظلمها بعدم إعطاء نفسه شهواتها فأفناها عن الطبائع والعوائد والشهوات وعما سوى الله تعالى حتى فنيت في الله وأبقاها الله فيه به فهم القسم الصديقي، وجعل المقتصد من توسط في ذلك فقام بما يجب عليه من الحقوق الإلهية، وأعطى نفسه حظاً ما من الحظوظ الكونية، فعبد الله تعالى إخلاصاً طلباً لشيء في الدنيا والآخرة فهو القسم الشهيد، وجعل السابق بالخيرات عبارة عمن تبع النبي ﷺ بالأعمال طلباً للدار الآخرة فهو يعبد الله تعالى للجزاء فهو القسم الصالحي، والذي ذهب إلى بحر هذه المعاني في هذه الآية هم المحققون كالشيخ الإمام محيي الدين بن العربي وأمثاله.

ومن الأئمة من عكس هذا القول فجعل السابق في اللفظ المؤخر في الآية سابقاً مقدماً في الأفضلية وجعل المقتصد متوسطاً أي طائعاً محضاً لكنه دون من سبق بالخيرات بعد كونه طائعاً وجعل الظالم لنفسه عبارة عمن خلط فجاء بالطاعة والمعصية كمن ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]

وعسى في كلام الله محققه الوقوع فجعل هذه الثلاثة أصناف عبارة عمن أرادهم الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ [فاطر: ٣٢]، وعلى كلا تقديري الأئمة فالمصطفون من عباده مقسمون على ثلاثة أقسام كما قد سبق بيانه وقد ذكرنا أن القسم الأول هم الأولياء الكمل المحققون الذين صحت لهم التبعية المحمدية من كل الوجوه، وبقي تفصيل القسمين الآخرين وهذا موضع بيان ذلك.

الفصل الأول: في ذكر أتباع محمد ﷺ بمكارم الأخلاق والاهتداء به في المعاني إلى معرفة الخلاق.

اعلم أن النبي ﷺ كانت له طريقة باطنة وطريقة ظاهرة فالطريقة الباطنة هي أمر إجمالي وجملة تفصيله وعماد أمره هو التخلق بالأخلاق الإلهية والسلوك في الحقائق على المنهج الموصل إلى إعطاء كل ذي حق حقه، واعلم أن الأخلاق تتفرع إلى نوعين:

أحدهما: أخلاق إلهية ليس للكسب فيها مدخل بل حصول ذلك لا يكون إلا بمحض العناية الإلهية لمن سبقت السعادة عند الله تعالى له.

ثانيهما: أخلاق كونية وهي المعبر عنها بمكارم الأخلاق وهذا النوع للكسب فيه مدخل فيحصل بالكسب لمن وهبه الله ذلك في الأزل فإن الصورة الحاصلة بالمكاسب ترجع إلى المواهب، وهذا النوع الثاني على ضربين:

الضرب الأول: هو ما يختص بالإنسان كالتقوى وعلو الهمة وشرف النفس واليقين والعقيدة الحسنة في الله تعالى وفي أنبيائه وأوليائه والصبر والعفة والحياة وأمثال ذلك من الفضائل بالإنسان.

والضرب الثاني: هو ما يعم غيره كالحلم والكرم وحسن الخلق ووسع الصدر والهداية والخدمة إلى غير ذلك من الأوصاف المتعدية من الموصوف إلى غيره. وهذا القسم عين التبعية الصورية لأن الروح يوم القيامة تحشر على حسن صورة الأخلاق والجسم يحشر على حسن صورة الأعمال لا الأخلاق فالأهم طلب حسن صورة الروح لأن حسن صورة الجسد تابع للروح.

ألا ترى إلى الطاووس هل نفعه حسن صورة جسمه مع الإنسان وهل يضر الإنسان لو خلق اشوه الخلق وروحه حسنة الصورة في الباطن؟ كلا ولهذا كان الإنسان أشرف من سائر الحيوانات لأن المعتبر في ذلك صورة الروح فأهل الاتباع المعنوي بمكارم الأخلاق أفضل وأشرف من جميع أهل الأتباع الصوري وسوف نفصل ذلك أيضاً إن شاء الله ﷺ تعالى.

الفصل الثاني: في ذكر الاقتداء به ﷺ في الأعمال واقتفاء آثاره في سائر الأفعال

والوقوف مع ما ورد عنه من الأقوال للبلوغ إلى أعلى رتب الكمال.

اعلم أيدنا الله وإياك ولا أخلانا عنه ولا أخلاك أن الاقتداء الصوري أمر كلي وممر الكل عليه وأهل هذا الاقتداء على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هم المقتدون به في أقواله ﷺ وهم العلماء ورثة الأقوال كالقراء والمحدثين والمفسرين وأصحاب الفقه وأصول الدين وجميع صنوف علماء الإسلام فكلهم حفاظ لأقوال النبي ﷺ.

والنوع الثاني: هم المقتدون به في أفعاله القلبية ﷺ كالزهد والإخلاص والمراقبة والتوكل والتفويض والتسليم وأمثال ذلك.

والنوع الثالث: هم المقتدون به في أفعاله الظاهرة ﷺ كالصلاة والصيام والأدعية وصنوف أعمال البر جميعاً.

وكل هذه الأنواع الثلاثة أتباع له وأفعالهم وأحوالهم وأقوالهم مسعدة بحكم تبعيته ﷺ فلم يشق منهم أحد لأنهم أتباع محمد ﷺ وهذه التبعية الصورية هي التي يحشر الجسم على صورتها يوم القيامة فمن كانت أعماله وأقواله الصورية حسنة كانت صورة جسمه في الآخرة من أحسن الصور وأجملها، وكذلك التبعية المعنية هي التي تكون الروح على صورتها يوم القيامة فمن كانت تبعيته المعنوية حسنة كانت روحه في الآخرة أكمل الأرواح وأجملها، فالتفاوت في الجميع والزيادة والنقصان على قدر الزيادة والنقصان في كمال التبعية أو نقصها فافهم. فالفقهاء ورثة أقواله ﷺ والعباد ورثة أحواله الظاهرة ﷺ. والمريدون ورثة أفعاله القلبية الباطنة ﷺ، والعارفون ورثة أخلاقه الروحانية وأوصافه الرحمانية ﷺ، والكمل المحققون ورثة شؤونه الإلهية وأسراره الصمدانية ﷺ قد جمعوا بين وراثة الأقوال والأفعال، في إحراز رتبة الكمال انتهى ما أخذته من كتابه النور المتمكن رضي الله عنه.

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه

[كتابه القدر بكتاب بنسيم السحر]

كتابه المسمى «لسان القدر بكتاب نسيم السحر» وهو الجزء الثاني عشر من كتاب «الناموس الأعظم والناموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ» وقد رتبه على اثني عشر فصلاً.

الفصل الأول: في ذكر تخليته ﷺ واعتزاله عن الناس لانفراده برب ورياضته الأيام ذوات العدد مرة بعد أخرى في غار حراء، عند بداية أمره لا الانتهاء.

الفصل الثاني: في سر رعيه الأغنام والشاة والأنعام زمان الصبا ودرك الأحلام ﷺ.

الفصل الثالث: في سر سفره بالتجارة إلى أرض الشام ﷺ. الفصل الرابع في سر قوله ﷺ جعل رزقي تحت ظل رمحي.

الفصل الخامس: في سر قوله ﷺ المرء حيث وضع نفسه. الفصل السادس: في سر تحبيب النساء إليه وتكثيره من الزوجات ﷺ.

الفصل السابع: في سر تحبيب الطيب إليه ﷺ.

الفصل الثامن: في سر جعل قرة عينه في الصلاة ﷺ.

الفصل التاسع: في سر شوقه ﷺ إلى إخوانه الذين من بعده.

الفصل العاشر: في سر قوله ﷺ: «ولي وقت مع الله تعالى لا يسمعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

الفصل الحادي عشر: في سر قوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

الفصل الثاني عشر: في سر قوله ﷺ حالة انتقاله إلى ربه: «الرفيق الأعلى» وتكراره لذلك ثلاث مرات وكونه كان آخر كلامه ﷺ.

ثم ساق الكلام في هذه الفصول الإثني عشر على ما عقدها لأجله من المعاني والأسرار فصلاً فصلاً ولما كان جل كلامه فيها جارياً على اصطلاح الصوفية من المعاني الدقيقة والحقائق الرقيقة التي لا يدركها أمثالي رأيت أن اختصر من كل فصل منها جملاً نافعة، أنوارها ساطعة.

فمما قاله رضي الله عنه في الفصل الأول الذي عقده في الكلام على تخلية رسول الله واعتزاله عن الناس بغار حراء في أول بعثته ﷺ:

الحمد لله الذي انفرد بالذات، في كثرة ظهوره بحقائق الأسماء والصفات، المتجلي بالأحدية لذاته في ذاته بذاته من وراء سائر النسب والاعتبارات، وفوق جميع النعوت والأوصاف وخلف حقائق معاني الكمالات، الواحد بالظهورات المتعددات، الكثير بالنعوت في الشؤون والمحال المتبرعات، الكبير بالعظمة والتعالي، اللطيف بالقرب والتداني، العظيم بالعزة والكبرياء، القديم بالوجوب والبقاء، قيوم الوجود، المفيض على الحقائق بمقتضى قوابلها من خزائن الكرم والجود، معطي كل حقيقة حقها من النقص والكمال، ومنشئ كل ذرة على حسب مقتضى ذاتها للبقاء والزوال، أحمده بنعوت الكمال، وأثني عليه بأوصاف الجلال. وأشكره بصفات الجمال، حمداً ما فتئ له في الآباد والآزال، وثناء ما برح لسانه ولا

زال، وشكراً ما انفك نواله السرمدي الأفضل، وأصلي على نبيه المخصوص بالخلق العظيم، المتخلق بالقرآن القديم، الذي أسري به لابساً نعله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى العرش الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خير صلاة وتسليم، إخواني أفيقوا من هذه الغفلة، قبل انقضاء زمان المهلة، وجردوا لمقاصدكم السنية، سيوف العزم من أغماد الهمم العلية، وتخلوا بالشغل بالمحبوب، فعسى ولعل أن يحصل المطلوب، وقال في المعنى.

يا من أراد الفوز بالأحباب	هلا اشتغلت بهم عن الأسباب
تهوى الحبيب وتبتغي بدلا به	هذا العمري أعجب الأعجاب
يا من يريد الخل يصحب غيره	إن كان حقاً من أولي الألباب
لم يتسع قلب الفتى في شغله	إلا لشيء واحد وجناب
فاترك سواهم إن أردت وصالهم	واهجر هواك وسائر الطلاب
وتخل معْهم ساعة في خلوة	قد نُزِّهت عن مانع وحجاب

ما تخلى ﷺ في غار حرا، عن سائر الورى. إلا لعلمه بأن الحبيب غيور، لا يسكن قلباً فيه للغير عبور، الوحشة عن الخلق، باب المستأنسين بالحق، والانفراد بالبراري والكهوف، علامة كل واله بالحبيب مشغوف، الخلوة عن الخلق، تفتح الخلوة مع الحق، إذا لم تجد مع الأنس أنس، وقعت مع المحبوس بلا حبس، كلما قلت مسموعات الأذن ومرئيات الأبصار. قلت وساوس الصدور وهواجس الأفكار، وزالت عن القلوب أحدية الأكدار، فانهملت بمحبوبها الأرواح والأسرار، واسترسلت في الاشتغال به آناء الليل وأطراف النهار، قد يشغل عن النفوس. فراق بعض المألوف والمأنوس، ويخف عن الأرواح، في حب من تهواه فراق الأشباح، فإن كنت نفسانياً أخلدت إلى الأرض، وركضت في طولها والعرض، وإن كنت روحانياً في الهوى، طرت إلى المحبوب في الهوا، وفارقت طبعك والهوى، وما ارتاض خير الأنام، في غِار حراء من البلد الحرام، يترك الطعام والمنام والكلام، وإلا لعلمه بأن مقتضيات الجثمان، بترك الشرك والكفران، كلما قوي حكم الجسم على القلب ضعف حكم الأرواح، وإذا قوي سلطان الروح ضعف قوة حكم الأشباح، فأضعف النفس بالجوع، وقوى بالروح الهجوع، وأنف الوسواس بقلة الكلام، وأخل الوقت مع المحبوب بترك الآثام، وقال في المعنى:

قد صفا الوقت بمن أهوى وطاب	ونأى عن وقتنا والواشي وغاب
سمح الدهر بطيب الملتقى	يا لها من حضرة وصل تستطاب
نام عنا عين من يرقبنا	وتجلى الخل من غير حجاب

لازمتنا بالنوى حادثة إنما البعد عن الحب عذاب
لست أخشى جور دهري في الهوى أنا في ظل حبيبي لا أصاب

ترك الطعام وترك الشراب، صيقل القلوب والألباب، والنوم أخو الموت اتركه تحيا، وترى ذلك المحيا، الناس يشغلونك عن المحبوب، فاجعل دأبك تركهم تنل المطلوب، كثرة الكلام تعقب الوساوس، وتركه يجلى القلب من الصدأ والدسائس، فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي، لو كانت الممالك، تنال بدون المهالك، ما شج سيد الخلق ولا كسرت رباعيته هذا وهو نبي وآدم بين الماء والطين، ولو كانت المعارف تقتضي عدم الاجتهاد، والجد في حصول المراد، لما شد لشدة الجوع بطنه بالحجارة سيد العباد، اركب المهالك في الحال، إن أردت اللحوق بالرجال، وما أحسن قول من قال، من لم يرتكب مركب المهالك لم يبلغ مبالغ الرجال، وقال في المعنى:

دعني أسير على الجفون مهرولاً نحو الحبيب ولو على الأرماح
لا خير فيمن ينثني عن خله خوف البلاء وخشية الأفضاح
لو كان بيني والحبيب جهنم لولجتها بالروح والأشباح
أو كان من أهواه في أفق السما لأطير لو قص الغرام جناحي
لاصبر لي عمن هويت ولم أزل أدنو إليه عشيتي وصباحي

الفصل الثاني: في سر رعيه الأغنام، والشاة والأنعام، زمن الصبا ودرك الأحلام، عليه أفضل الصلاة والسلام.

الحمد لله الذي أسقط ظل جماله، على بساط كماله. فكسا الوجود محاسن من نعته وجلاله، خلق على صورته الخليفة آدم، واستخلفه على الخليقة في العالم، فدبر به ملك الوجود، وأجرى على يديه كل فيض وجود، علمه بالفطرة الأصلية، أسماء الخلائق الوجودية، ليحيط علماً بمملكته، إذ لا ينبغي للملك أن يكون جاهلاً برعيته، وأسجد له كرام خلقه المقربين عند كمال ما يقتضيه شرف مرتبته، وتعليماً لهم بكمال قدره وعلو منزلته، ليحيطوا بالسجود له ويسعدوا بخدمته، فكان أول ما من به عليهم من التأديب والتعليم والتهذيب، والتمني لكمال ما تقتضيه حضرة الحبيب، أن رقاهم بالتدريج والتعليم، من حضيض عجب نحن نسبح إلى أوج اعتراف لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وقال:

اخضع لمن تهواه ثم تذلل والثم تراب حمى علاه وقبل

لا تدعني عند الحبيب مكانة دعوى المحب رديئة لم تجمل

أدب الحضور مع الأحبة أن ترى ألا ترى لك في الهوى من منزل

من لم يمت عند الأحبة ذلة لم يحي في عين الوصال الأفضل

لا تطلبنّ إلى إرادته التي اختارها لك في الزمان الأول

فاصبر على ما تبتغيه ولا تكن متعرضاً في أمره وتحمل

إن يقبلوك لخدمة فبفضلهم أو يطردوك فعنهم لا ترحل

كان إبليس مع الملائكة كذلك ألف سنة ما أخرجه من بينهم إلا ظهور الخليفة، قال له لسان حال آدم ليس للأنذال أن يجالسوا أهل المراتب الشريفة، فانزل إلى مقتضى طبعك، ومحل سجنك الأسفل، ومستدعى طبيعتك الكثيفة، من هذه المنزلة العالية المنيعة، فقد مضى زمان لعب الذئاب بين الأغنام، وجاء الراعي بعصاه ليرد كلا إلى المرتبة من التأهيل والإكرام وقال:

أمر الوجود على نظام محكم يجري بتدبير الحكيم الأحلم

فإذا رأيت خلاف ما تبغي فقل طوعاً وسمعاً للعليم الأعلم

في كل وقت للأمور مدبر قطب عليه مدار أمر ملزم

مستخلف لله في أرض له جاءته تلك وراثة عن آدم

إن كنت من أولاد آدم يا فتى فاطلب خلافته بإذن واغنم

إن الخلافة لم تزل تأتي على سنن إلى أهل الكمال الأعلم

هذا تراه بعد ذاك وبعده هذاك في حكم القضاء المحكم

خلفاء حق للإله بملكه يقضون ما يبغونه بتحلم

أوتوا مقاليد السموات العلا والملك والملكوت حقاً فاعلم

فهم الملوك ومن سواهم أعبد لهم على المخلوق كل تحكم

نفذت أوامرهم على كل الورى من غير ما نقض وغير تلوم

لا يسألون إذا أتوا فعلاً ولا يعصون أمراً معقباً بتندم

ما جعل ﷺ راعي الأغنام، قبل دركه للأحلام، إلا تنبيهاً على أنه الراعي الأعظم المتصرف والمتخلف على تدبير العالم، أما تراه فشفع في الأب الأول حتى عفا عنه وشفع لأولاده في الآخرة بالخلاص من جهنم، كل يقول نفسي نفسي خوفاً عليهم من الأمر المبرم، لكونهم رعيته يقول قائلهم ما أملك إلا نفسي لكنما الراعي الأعظم، يقول أمتي لأنه راعيهم وكل راع مسؤول عن رعيته فاعلم، فهو الموجود، الذي عنده راحة الوجود، وهو المنفس في المضايق، عن سائر الخلائق، وقال في المعنى:

نحن الذين إذا ضاقت مسالكها كنا لها نفساً بالروح والكرم
فجاهنا واسع والفضل متصل وفضلنا سائغ في سائر الأمم
لنا المكانة في العليا وشيمتنا بذل المكارم والإحسان من قدم

بعث ﷺ إلى الأحمر والأسود والفصيح والأعجم ليكون رحمة للعالمين، فلا تظن أن رحمته مخصوصة بالمسلمين والمؤمنين فإنه يشفع للخلائق أجمعين، ألا تراه ﷺ يقول آدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر، ليت شعري هل يصل إلى من يكون تحت لواء محمد ﷺ شر من الشر، ما هذا ظني بذلك العظيم القدر، وقد صح عنه ﷺ أنه قال إن الله تبارك وتعالى قد وعده أن يعطيه ثلاث حثيات بيده ممن قد استوجب النار، وقال:

ألا قل لمن أمسى سمير المعاطب وحفت به الأهوال من كل جانب
بأحمد تنجو من بلاء بجاهه فلا تخش بالمختار هول المصائب
هو العاقب الماحي الذي عم فضله جميع البرايا من عدو وصاحب
أتى آخراً إن السلاطين يا فتي يكونون حقاً آخراً في المواكب
فكل الورى للهاشمي رعية نعم وهو راعي شرقها والمغارب
إليه مقاليد الأمور جميعها بدنيا وأخرى وهو معطي المآرب
عليه صلاة الله ما بلبل شدا وحنت على أيك طيور المخالب

لما بلغ عُمْر أن يدرك في مثله الأحلام، قيل له: انزل لرعي الشاة والأغنام، فأنت الراعي الحقيقي لسائر الأنام، إنما جعل الرعي لك كالطريقة، لتحقق بما سبق لك في الحقيقة، لابد لظهور سرك الموهب، من حركة منك أيها المحبوب، فاسع بالجد لكي تنال المطلوب.

يا هذا احذر على غنم غيمة الروح من قرب شيطان النفس، فلا تدع عصا مخالفتها من كف خوف النزع والزيغ واللبس، لولا ما أراد نبيك ﷺ، من تحريضك على مخالفة نفسك وحسن سياسة باطنك على الدوام، لما قال لك مرتبا بحكمته: «**كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته**»، الحواس الخمس والتقوى الباطنة والجوارح الظاهرة جميعها رعية لراعيها فالعدل بها أحرى، إياك أن تستعملها في الموبقات فتشقى بشقائها في الأخرى، فإن ذلك ظلم في حقها وأنت بجزاء الظالم أدرى. قال في المعنى:

العدل من شيم الكرام فلا تكن يا سيدي فيمن وليت ظلوما
أحسن سياسة أمن كل رعية نسبوا إليك وكن بقيت رحيما
فالناس مجزيون بالعمل الذي هم عاملوه وكان ذا محتوما

الفصل الثالث: في سر سفره بالتجارة إلى أرض الشام ﷺ:

الحمد لله الذي أظهر سر المعلومات، فصيرها أعياناً محسوسات، مشهودة معانيها على حسب تنوع معاني التجليات التي كانت سبب اتحاد كل موجود من الموجودات، فدبر الأشياء من عدوة إلى عدوة قصوى في كل وقت من الأوقات، فخلقها في كل نفس خلقاً جديداً للتصور بصورة الأحوال الطيارات، تشكلا بأعيانها على هيئة الأمور المقتضية التقلبات، ليكون العالم بما فيه من الأنواع المختلفات مسافراً في كل آن بسبب الترقي والزيادات، فقال عز من قائل منبها على ذلك للعبيد: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾، وقال في المعنى:

سافر يكلمك الجمال السافر ... نحو الأحبة فالوجود مسافر

ما في البرية واقف في منزل ... كل على شرط الترقي سائر

هذا يسير إلى الكمال منعماً ... يخفى ترقيه لمن هو ماهر

كل يسير إلى العلا مترقياً ... في منهج أجراه فيه القادر

يجري على حسب الإرادة أمره ... وقتاً لأمر يقتضيه الآمر

والأمر يقضي باقتداء صفاته ... في قابلية كل كون دائر

السفر الأصلي، واحد كلي، لا يستطيل بل دوري، وهو السفر الحق من الحق إلى الحق من الله الابتداء، وإلى ربكم المنتهى، كما بدأ كم تعودون، وعلى منوال رواحكم ترجعون، ثم ذكر الإمام الجيلي رضي الله تعالى عنه بكلام دقيق لهذه الطريق عشرة منازل:

المنزل الأول: اعلم الله تبارك وتعالى أول ظهور العبد هناك ولا أولية لذلك الظهور لعدم الإدراك.

المنزل الثاني: هو الكتاب المبين وهو اللوح المحفوظ الذي يظهر به العبد على التعيين.

المنزل الثالث: أصلاب ظهور الآباء يتعين فيه العبد كوناً كالذرية بعد قطع منازل شتى خفية.

المنزل الرابع: هو المنزلة الذرية التي يأخذ الله فيه من ظهور الآباء الذرية.

المنزل الخامس: بطون الأمهات فيها يتعين الجنين بالأشكال والهيئات.

المنزل السادس: هو العالم الدنياوي محل الابتلاء والاختبار ودار الزوال والفناء والأكدار.

المنزل السابع: هو البرزخ.

المنزل الثامن: الحشر وهو المسمى بيوم القيامة.

المنزل التاسع: إما الجنة وإما النار المخلوقتان للبقاء والقرار.

المنزل العاشر: الكثيب لأهل الجنة والأعراف لأهل النار ثم ذكر أسفاراً ستة وتكلم عليها وعلى هذه المنازل العشرة بكلام دقيق على اصطلاح ساداتنا الصوفية أهل الحقائق والتحقيق لا أفهمه أنا ولا أمثالي كقوله:

السفر الأول: نزول الحق إلى الخلق.

السفر الثاني: صعود الخلق إلى الحق من الخلق ويسمى السفر إلى الله تبارك وتعالى والذي قبله يسمى السفر في الله.

السفر الثالث: صعود.

السفر الرابع: سفر الخلق في الحق بالحق.

السفر الخامس: سفر الخلق من الحق بالحق إلى الحق.

السفر السادس: سفر العبد من الحرية إلى العبودية في العبودية وطريقة أهل الحق متفاوتة في الخلق فمنهم من سار على الترتيب، إلى آخر المراتب الكونية بالتدريج، على مدى عمر الكون الطويل الهائل، ومن القوم من طويت له المراحل، وزويت له المسافات بين المنازل، فوصل إلى الله تبارك وتعالى وهو في هذه الدار، واستقر به القرار، فلم يلتفت بعد إلى جنة ونار.

ثم قال رضي الله عنه: ولكل موطن بضاعة موصوفة، وسلعة معروفة، فلا تبع جوهرة البقاء والكمال، في سوق زجاج النقص والفناء والزوال، بل كل الزفر بيد الغير، واكتم لديك ما حويت من الخير، أما علمت أن مال رسول الله ﷺ كان منسوباً لخديجة لا إليه، تنبيهاً لك على ما حرضناك عليه، فلا تقف مع ما حويت في المنازل وانشر تجارة الكمال والإكمال في المراحل، لما نبهناك عليه في دوام سفر الوجود من البداية إلى النهاية، وزيادة في ترقيك إلى الملك المعبود في الأول والغاية، وهكذا صفات الكمال، يترقى بزيادة ظهورها في نوعي الجلال والجمال، في الآباد والأزال، فلم تزل تطلب الزيادة إن كنت من الرجال، فذاك سر تجارة أكمل الأكامل، وأفضل الأفاضل، وسفره إلى الشام ﷺ.

الفصل الرابع في سر قوله ﷺ: «جعل رزقي تحت رمحي»

الحمد لله القيوم القائم، الأحد الواحد الفرد الصمد الدائم، الذي ستر بنور وجوده الكاتم، ظلمة الكون الوجودي العدمي الملزوم اللازم، أظهر نوراً متخلفاً بأعيان حقائق الممكنات، وكساها من خلع الجمال ما اقتضته شؤون أسمائه والصفات، وجعل كل صفة من صفاته ناظرة إلى كل موجود من الموجودات، وغلب على كل موجود صفة منها ليكون مظهر تجليها من بين سائر التجليات، لتحفظه المراتب في العالم عن الممنوع أحوالها المتخلفات،

والصلاة والسلام الاتمان إلا كملان، إلا طيبان، على سيد الثقلين وخير موجود من آل عدنان، محمد بن عبد الله حبيب الملك الديان، وعلى آله وأصحابه ما اختلف الملوان، إخواني ما اشتغل بالخلق، من صدق في طلب الحق، ولا ظفر بالمطلوب، من أنس بغير المحبوب، العمر مع الأنفاس زائل، وأنت إلى ما سوى الحبيب مائل، كيف تنال منه ما تهوى يا جاهل، وقلبك عن الحضور بين يديه لاه وغافل.

قال الشيخ القطب الجليل، فخر اليمن أبو الغيث بن جميل، قدس الله سره: اعلم أن المطلوب بعد صحة المقصد هو الاسترسال في الله تعالى هذا وصف المحب مع الأحباب، أما سمعت ما أثنى الله تبارك وتعالى على نبيه أيوب بالرجوع إليه فقال فيه نعم العبد إنه أواب، يا هذا إذا حرض الله تعالى الأنبياء على دوام الاسترسال فيه بالرجوع إليه، وملازمة الذهاب فيه بالوقوف بين يديه، كيف يستقربك القرار وأنت غير مطروح عليه ولا مقيم عنده ولا عاكف لديه، وقال في المعنى:

أنـخ لعيسـك بـالأحبـاب يـا حـادي ... وانزل بسقط اللوى من سفح ذي الوادي
مـا بعـد منـزل مـن تهـواه مـرتحـل ... كيف الرحيل ومن تهواه في النادي
غنـى الـدليـل إذا مـا سـار مـرتحـلاً ... عنه وحنت حداة الركب والهادي
ليت النياق رمت بي في الهوادج إذ ... جد الـرحيـل ومـالـت بـي لإبعـادي
بـل ليتهـا فقـدت طـرا قـوادمهـا ... ومـا أمـدت بـورد المـاء والـزاد
مالي وما لرحيل عن حمى عرب ... في دارهم من سبا قلبي وأكبادي
المتلفيـن لقلـب فيـه قـد نـزلـوا ... والسـالبيـن لـروح بيـن أجسـادي
والضاربين حجاباً من صوارمهم ... علـى البـدور فـلا تبـدو بـأشهـادي
هـم بغيتـي ومنـى قلبـي وعنـدهـم ... مـأواي حقـاً ومثـواي وتـردادي
لا أبتغـي بـدلاً عـن أرضهـم أبـداً ... إن دمت فيها فيا عرسي وأعيادي

ما قال لك الحكيم الأعظم، رسول الله ﷺ، جعل رزقي تحت ظل رمحي إلا تحريضاً على التعلق بالله وتنويها وتعريفاً لك بما في ظل الوحدانية من الكمالات وتنبيهاً، فإنه بالله كان يصول، وبه سبحانه كان يجول، فرمحه في المعنى، هو هذا الأمر الأسنى، فالزم العكوف على هذا الجناب، فعن قليل ينفتح لك الباب، وتتنعم بملك الكمال في دار الأحباب.

الفصل الخامس في سر قوله عليه ﷺ: «المرء حيث وضع نفسه»

الحمد لله المتجلي في سائر المراتب، بما هي مستحقة له من التفاوت في المناصب،

على ما هي عليه من العلو والسفل والنقص والكمال والأمر والسلام والمنافي والمضاد والمناسب، كل ذلك من غير سلوك فيها أو مزج لها أو اتحاد بها أو انفصال عنها أو اتصال معها في التباعد والتقارب، بل كما يستحقه عز وجل في كماله من المكانة بالذات والوصف الواجب، وثبوت ما أوجبه لنفسه من الكمال وما نفاه عنها التنزيه القدسي السالب، فهو الواحد المتعين بحقائق الكثرة عن المكان المخصوص في تجليه بحقيقة الأمكنة والجهات من كل جانب، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] أي في الملك المشهود والملكوت الغائب. ثم قال فسبحان من نفخ في الانسان روحه واشرق فيه وكلما أنزله في عالم طبع فيه جميع ما يحتويه ذلك العالم من أسراره وبركاته حتى أقامه في أسفل سافلين، بعد أن كان صاحب عليين، يستوعب له الكمالات والنقائص، ويحيط بالمراتب على العلوم وبالتصرف على الأسرار والخصائص، نفى أي مرتبة أقام نفسه فيها، كان ولياً لتلك المرتبة وواليها، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨] وأشار إلى ذلك ﷺ بقوله: «المرء حيث وضع نفسه» فإياك أن تكون ممن جهل مكان حسه، وجفا مكانته العلية وقدسه، ثم قال فكن محمدي المشهد، أحمدي المحتد، حيث قال الله تبارك وتعالى لهذا السيد الكريم، في محكم كتابه القديم، لما انتمى إلى الحمى وسما: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]. وقال الله تعالى لعبده الأكمل الأواه[1]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]إلى أن قال: فاغترف بالسعادة المحمدية من بحر الأحدية، واتبع آثاره في منهج الكمالات الإلهية، لتفوز بالمكانة القطبية، وتنفرد بالغوثية، وتدخل في طرف حاشية من حواشي تمكين الروح المحمدية، عليه الصلاة والسلام مادامت الموجودات وعلى آله وصحبه خير البرية.

الفصل السادس: في سر تحبيب النساء إليه ﷺ وتكثيره من الزوجات

الحمد لله الذي أحب وجود العالم لمعرفته، وخلق الموجودات على أكمل نظام حكمته، فعل كل شيء كاملاً حتى النقص له كمال في مرتبته كمل سبحانه وتعالى كل شيء كمالا راجعاً إلى صفته، برجوعه في كل موجود، وظهوره على حسب ما اقتضاه ذلك الموجود بقابليته، فالظاهر واحد والظهور مختلف لوسع المظهر وضيقه ولطفه وكثافته، وكل مظهر له محتد ظهوري من ذلك الحق ونعتيته، وذلك المحتد عبارة عن معنى معاني الكمالات الواجب بذاته وصفته، فالموجودات منتظمة المعاني على حسب أسمائه وصفاته، التي بحسبها يكون

(١) الأواه: معناها التحزن. [لسان العرب، مادة: أوه].

توجيه إرادته وقدرته، في الظهور الوجودي عند التكوين بكلمته، والصلاة والسلام على نور حضرته، وطراز خلعته، وزبدة محض معرفته، وسيد أهل قربته، وسر ذاته وصفته، خاتم الأنبياء المخصوصين بنبوته، وتاج المرسلين المميزين بإعلاء المراتب من مكانته ومرتبته، محمد بن عبد الله المبعوث من أشرف بريته، وعلى آله وصحبه وعشيرته وسائر أمته، صلاة دائمة بدوام ألوهيته، ثم قال محبته ﷺ للنساء عين محبته تعالى لمعرفته بلا خلاف ولا عناء كما ورد في الحديث القدسي عن النبي ﷺ حاكياًعن الله تعالى في ما ترجم: «**أنه قال كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني**» أحب تعالى ظهور الحقائق، فخلق لذلك الخلائق، وأحبه ﷺ ليتحقق بكل كمال، فكان خب العبد الأواه، تبعاً لحب الله، ولأجل ذلك قال حبب إلى من دنياكم النساء يضيف الفعل إلى المتعال، ولم يقل أحببت باسناده إلى نفسه في الحال، إلى أن قال نقوله حبب إلى من دنياكم إشارة إلى الذات ولاخفاء أن المرأة مخلوقة من ضلع الإنسان، وضلعه ذاته بلا خلاف ولا جحدان، والذات محبوبة بالطبع لكل أحد، تبعاً لمحبة الواحد الأحد، ولذلك صح لمحمد ﷺ استيعاب سائر الكمالات، من سائر الجهات، ففاز بكمالات الوجود فإن كنت مؤمناً فأنت منه، لقوله ﷺ والمؤمنون مني فلا تخرج عنه، أطلب مطلوبه، وأرغب مرغوبه، واحبب محبوبه، وأشرب مشروبه ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فاستيقظ يا هذا من السنه.

الفصل السابع: في سر تحبيب الطيب إليه ﷺ

الحمد لله الذي طيب نشر الملأ الأعلى بصفات الحسن والجمال، وحلى المقربين من الكروبيين بنعوت المجد والجلال، وخلع على الصفوة من أوليائه خلع الكمال، وحبب إليهم الترقي إلى ذاته، بملاحظة صفاته، وحققهم بكمال أسمائه وسماته ليظهر لهم آثارها بوجوده وهيآته، وأخذ بناصية خلقه إليه، من كلتي يديه، فحجب الغافلين عن ذلك وكشفه للحاضرين لديه، هؤلاء قوم أشهدهم الحق جزيان قدرته فأوقفهم بواسطة تجليه في الأفعال عنده ثم من أهل الحضور قوماً كانوا أعزة عليهم به عنهم فما شهدوا في العالم شيئاً سواه ولا خطر بوجودهم أن موجوداً ثم غير الله، فما شعروا بالسكون والحركات، ولا فطنوا لتعاقب الدهور والأوقات، بل غابوا في الله بالله عن سائر الموجودات، لا يخطر في أنفسهم أمر ذاتهم، لا يعرفون فعلهم وصفاتهم، يفوح منهم روائح الجمال، وتفاح الكمال والجلال، لما قد تعطروا به من صفات الكمال، لا يشعرون بما هم فيه من الأفعال، بل هم ذاهلون في شهود الجمال، فانون عن الوجود بكل حال إلى أن قال تهب على الوجود منهم في كل نفس عطرات، ذوات أنفاس طيبات، تحيا بشم نسماتهم أموات القلوب، ويوجد عندهم عياناً جميع أسرار الغيوب،

انكسرت أوعية قلوبهم، من أجل محبوبهم، لا يوجد إلا الله تعالى عندهم ولديهم، فأنزل سوحهم معتمداً عليهم، هم المطيبون بأطياب الكمال، المتلطخون بعبير عنبر الجمال والجلال، وهو الطيب المشار إليه في الحديث النبوي ﷺ وقال في المعنى:

نسمات طيبك هيجت أشجاني ... وشميم عطرك عن سواك سباني
إني سكرت بنسمة عطرية ... فيها تراوح حضرة الرحمن
من طيبته بطيبها أضحى بها ... متضوعاً طيباً بكل مكان
من شم منها شمة نال المنى ... من كل ما يهوى بغير مباني
طيب لو ان الميت شم نسيمه ... أحياه منه محيي الأكوان

الفصل الثامن: في سر جعل قرة عينه في الصلاة ﷺ:

الحمد لله الذي صلى على الصفوة من عباده الكرام، وحياهم بتحياته والسلام، فجعلهم من أفضل الفرق، وهداهم إلى أقرب الطرق، ظهر لهم بالكاف والواو والنون، وتجلّى في كل حركة وسكون، فاستوت عندهم به الأماكن، وتساوى لديهم عنده المتحرك والساكن، رأوا فعله في الوجود، فلم يسندوا حقيقة عمل بعد إلى موجود، وصار قصور كل متحرك في الوجود عندهم كالعلم، فاتخذوا نسبة وجود الفعل إلى الفاعلين كنسبة العدم، وانشد لسان حالهم، بلطيف قالهم وقال:

لا فعل لي إن قلت إني فاعل ... والقول لا قولي إذا أنا قائل
ما في الوجود جميعهم من فاعل ... شيئاً لأنك في الحقيقة فاعل
كذب الذي هو مدعي فعلاله ... بالانفراد فإنه بك جاهل
أنت الذي تعطي وتمنع في الورى ... وهمُ كمالات وأنت العامل

تفرق القوم عند هذا الشهود، فسلك كل طريقة في الوجود، علماً بأن الآخذ بالنواصي، هو فاعل الطاعات والمعاصي، فسيان حالتا العبدين في العملين، وسيان حركاتهما في الحالتين ليس هذا فاعل الطاعة من عمل، ولا لذلك فاعل ما يتأتى عنه الخطأ والخلل، لكنه بفضله جعل المطيع الآيب، وبعدله هلك العاصي الخائب، وهذا معنى قوله المتعالي، هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، لكنما المحب العاشق، والمستهام الواثق، يقول كلما صدر من الغيوب، فهو غاية المطلوب، ونهاية المقصود والمرغوب، وقال في المعنى:

حكم سيوفك في رقاب أهل الهوى ... ما ثم إلا طائع أو راضي

رأوا مواضع المشيئة والإرادة، فشغلوا عن مقتضى الشقاوة والسعادة، واستوى عندهم نمراده فعل المعصية والعبادة، فشقوا الأجفان على المراد، من غير ما توقف وعناد، فقال قائلهم

أتيت الذي يقتضيه فيّ مراده ... وعيني له قبل الفعال تطالع
فإن كنت في حكم الشريعة عاصياً ... فإني في حكم الحقيقة طائع

هؤلاء هم أهل حقيقة السعادة، ولهم من دون من سواهم المزيد والسيادة، لكنهم متفاوتون في المعالي، متمتعون في التعالي، فالمكرم الواصل، والمذلل الكامل، هو من أجراه الله تعالى في طريق الطاعة، وأقام وصلته وأزال انقطاعه، لأنه أوجد في مكارم الأخلاق إياه، فجد في أعمال أهل البر كالصوم والصلاة، لوجوده فيها محبوبه، وشهوده فيها مطلوبه، وإلى هذا المعنى الأعظم، أشار النبي الأكرم، بقوله عليه الصلاة والسلام «جعلت قرة عيني في الصلاة، قرة عينه في كل حال، بوجود ذات الكبير المتعال، والمعنى أنه وجد الكمال والسعادة والسيادة»، في الجانب الأيمن المعبر عنه بالسعادة، فتحقق أيضاً بالربوبية والعبادة، ثم كأنه إلى هذا المعنى أشار سيد الوجود إلى أهل الطرق أيضاً المخصوصة بالجمال على الإطلاق، بقوله بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، لأنه جمع بذاته الكمالات الخلفية، إلى ما هو له من الجبلة والكمالات الخفية، فتمت له به مكارم الأخلاق، لجمعه بين الوهب والكسب إلى ما هو له بالأصالة والاستحقاق.

الفصل التاسع: في شوقه ﷺ إلى إخوانه الذين بعده

الحمد لله الذي جعل قبائل أعيان الموجودات، ليظهرفي كل منها ما حواه الآخر بالذات والصفات، وذلك ظهور الوحدة في إعداد لكثرة المركبات، ولولا ذلك لما صدقت أسماؤه الكلية على الجزئيات، أحمده على سوابغ الأعطيات، وسوابل الأغطيات، حمداً متصلاً بالآيات، يكافئ نعمه الباطنات، ويوافي الآءه الظاهرات، مصلياً على نبيه صاحب المعجزات، ومفتاح خزائن الآيات البينات، وعلم عوامل ديوان المرضيات، وطرازكم فضيلة المحاسن والحسنات ﷺ وعلى آله شموس الكمالات، وأهله سماء المكارم والفتوات، ونجوم مفاوز الهدايات، وشرف وعظم، ثم صلى وسلم، إنما اشتاق ﷺ إلى إخوانه الذين من بعده، بعد أن كان في الصحابة من كان من أهل الغرام بوجده، وسبقهم إلى كل فضل بجهده وحده، لأن للقلوب، في سلوكها إلى المحبوب، طرقاً عزيزة غريبة، ومناهج شريفة عجيبة، ولكل طريق علم عجيب ووارد غريب، وعند ذلك السيد الحكيم، مرهم كل جريح وأليم، فما

قبلت قوابل الصحابة من تلك المراهم، إلا ما كان لجراحاتها في الهوى كالملايم، وبقي القلب المحمدي مشحوناً بالغرائب، مملؤا بالعجائب، فاشتاق إلى ما هو أهل لسماع تلك المعارف، مستحق التجلي بطرف تلك المطارف، ليتنفس في الهوى، بخفيف بعد أثقال الجوى، فإن في بعض الأشجان، تنفيس المكروب الولهان، ولا شك أن أعباء الرسالة، اندمج تحتها من الجلالة والجمالة والكمالة، أمر يعجز عن حله طاقة الإنسان، ولو كان له قوة سائر الأكوان. وإلى ذلك أشار إليه بقوله الرحمن، إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً، فلولا القوة الإلهية له لما وجد لحمله سبيلاً، فألقاه إلى أهل الكمال، من معاني معارف ذلك الجمال والجلال، ينفس عنه مكروب الغرام طرفاً، ويشفي صدره لكونهم يشفون به من البعد والجفا، فارحل أيها الفقير منك فيك إليه، وانزل بسوحه بين يديه، وخيم عنده ولديه، واعتكف من الأزل إلى الأبد عليه، ليداوي جرح القلب الخسيس، بما عنده من ذلك المرهم النفيس، فيشفى من الداء الدسيس، فما أخبرك عليه أفضل الصلاة والسلام بشوقه إليك، ألا تفضلا منه ومنّة عليك، ليجعل بينك وبينه طريقة مسلوكة إليك، فيك ومنك لديك، فتحيا بالتحية والإكرام، من الجناب المحمدي عليه الصلاة والسلام.

الفصل العاشر: في سر قوله ﷺ: «لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»

الحمد لله المهيمن الوسيع، ذي المجد الباذخ المنيع، والشأن والشامخ الرفيع، أحمده على أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، حمداً يؤدي شكر أيادي جماله، ويقوم بواجبات مقتضى جلاله، ويوفي مستحقات معاني كماله، والصلاة والسلام على أفضل الأنام، وخاتم الرسل الكرام، محمد بن عبد الله المبعوث إلى الخواص والعوام، وعلى آله وأصحابه مؤيدي الإسلام، ما همر غمام، وهدر حمام، إخواني عليكم بمشاهدة الكمالات الإلهية، في حقيقة الذات المحمدية، بصرف وجود الحصر إليها، والتعويل بالشهود عليها، لتصطادوا بقابليته شوارد المعاني، وتنالوا بوجاهته جميع الأماني، وتسمعوا بأذن كماله مخاطبات الإنس، في حضرات القدس، فتفوزوا بعلم مكتمات الأسرار، المصنوعات عن أسماع الأغمار، ولا تقتصروا على ذواتكم، فما حوت غير صفاتكم، فليس لكل من الحقيقة الكلية، إلا ما وسعته روحه الجزئية، بخلاف الحقيقة المحمدية، فإنها العقل الأول بل الروح الإلهية، فأخذها منه كلي بكلية القابلية، وأخذنا بجزء القوابل الجزئية، ولا لأحد من الأنام طريق، إلى وجود كمال التحقيق، إلا على الشرح الذي ذكرناه من الكلام، في الأخذ من القابلية المحمدية عليه أفضل الصلاة والسلام، فإن شئت أن تحظى بمطلق الكمال، ويبرز لك بالعقل ما هو بالقوة من الجلال، فتعلق بالحضرة المحمدية بالأذيال.

تـوسـل بـالحبيـب إلـى الحبيـب ... لتحظـى بـالتـوسـل مـن قـريـب
وحـادي العيـس عـرس بـالمطـايـا ... بسـوح النـازليـن علـى الكثيـب
وبـرّد بـالعـذيـب غليـل حـر ... لاكبـاد تـذوب مـن الـوجيـب
نناجيهـا بـألسنـة التـدانـي ... ونسمعهـا بـإذان المجيـب
ونبسـط فـي بسـاط الأنـس شـرحـاً ... لحـال فـي مـودتهـا غـريـب
فنحظـى بـالـوصـال علـى أمـان ... مـن العـذال والـواشـي الـرقيـب

ما عرفك صاحب جوامع الكلم، بأن له القدم الأقدم في القدم، حيث قال: لي وقت مع الله تبارك وتعالى لا يسعني فيه غير ربي إلا لتعلم أنه ذو الشرف الأعلى، ومن دونه عنه في المقام الأنزل، فتأخذ أنت بقابلية من ربه حباه كل وصف أفضل، وترقى به في الكمال إلى المقام الأكمل، واعجباً كيف وسعت القلوب الحق تعالى؟ ولم تسع المصطفى ﷺ أما تراه سبحانه يقول في ما ترجم عنه الرسول: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن، من وسع ربه كيف لا يسع محمداً في وقته مع الله المهيمن، إنما ذلك لكون وسع القلوب للحق المتعال، على ما في قوابلها من النقص والكمال، وقوابلها جزئية المحتد في الآزال، وروح النبي ﷺ كلية فقابليتها كلية الأخذ بلا محال، فلأجل ذلك رجعت القلوب عنه القهقرى، وقد وسعت الحق بلا مراء، وهذا الأمر لا يطلع عليه إلا الكمال الفقر.

الفصل الحادي: عشر في سر قوله ﷺ: «لا احصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»

الحمد لله أهل المجد والثناء، ومفيض النوال والسناء، ذي العز الشامخ، والمجد الباذخ، والفضل القديم، والجود العميم، والفخر الكامل، والكمال الشامل، الذي حمد نفسه بكل المحامد، وأجرى بربوبيته العبودية من كل شيء فكل موجد له خاشع وساجد، أحمده بمقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأشكره شكره لمجده الأسنى، وأثني عليه بما به على نفسه أثنىَ، مصلياً على النور الأعظم، والطراز المعلم، صاحب قاب قوسين أو أدنى، ﷺ وعلى آله ما زمزم الحادي وغنى، إخواني إن كمال مرتبة الإنسان، بتحقق ثناؤه على الملك الديان، وثناؤه له منوط بقابليته التي هي أثر محتده من ذات الملك المنان، وعلى نسق ما أعطته المواهب من الاستعداد يا هذا إنما الثناء على الله تبارك وتعالى بما هو له أهل، لا بما صوبه لك الفكر والدليل بالعقل، أين أنت يا هذا؟ هيهات، من محل قوم أثنوا على ذاته بالذات، بأن تحققوا بما له فيهم مما هو حقه من معاني الكمالات، فكم توسطوا في بحره العجاج، وتلاطمت بهم الأمواج، وأغرقتهم من كل جهة بالكمال الأبهى الوهاج، واحتووا

نهاية مالا ينتهي، من معاني ذلك الوجه البهي، أخذوه تفصيلاً في الإجمال، من غير تفصيل في الحال، فقال سيدهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، أي لكثرة ما شهدته من معاني الكمال التي هي ليست ذات نهاية بحال، أنت كما أثنيت على نفسك تفصيلاً وإجمالاً، فلك الكمال إجلالاً وإجمالاً، والله تعالى أعلم وقال في المعنى:

يا حائزاً لمحاسن الأخلاق ... يفنى الزمان ومدح وصفك باقي
أعجزت ألسنة الورى في نعتهم ... بمحاسن تعلو على الإنطاق
عجز النهى عن درك وصفك قدرة ... العجز فيك سجية الحذاق

الفصل الثاني عشر: في قوله ﷺ عند انتقاله من دار الدنيا إلى دار الأخرى: «الرفيق الأعلى» وتكرارها ثلاثاً وكون ذلك آخر كلامه

الحمد لله خالق المعارج، ونور المراقي والمدارج، الهادي لخلته بمخلوقاته، والدال لأوليائه بأسمائه وصفاته عليه، الذي تودد إلى خواصه فاحبوه، وتعرف إليهم فطلبوه، أشهدهم جماله وجلاله في كل شيء من غير حلول فشهدوه، وأوجدهم ذاته في غير محل مخصوص فوجدوه، وكملهم بكماله، وجملهم بجماله، وأظهر على أيديهم آثار لطفه وأنوار جلاله، أحمده على ما يعلمه لنفسه الكريمة من نفسه، وأشكره على ما خصني به من معرفة حظائر قدسه، وأثني عليه بما اسبغ علي من نعمه بالقرب الحقيقي المحفوف بأنسه، وأصلي على الوسيلة العظمى، ذي المحل الأعز الأسنى، والمقام الأكمل الأهنى، صاحب قاب قوسين أو أدنى، المبعوث إلى كافة خلق الله، بالهداية المطلقة إلى الله، ﷺ وعلى آله وصحابته، وخلفائه وعترته، أما بعد فإن الإنسان، له من وجوه المعاني وجهان، فوجه يكون به مع الأكوان، ووجه يكون به مع الملك الديان، فهو في حال ظهوره بكل وجه يا إخوان، كامل بما يقتضيه ذلك الوجه من الذات والوصف والاسم والفعل والأثر والشأن، فكأنه في الحقيقة له ذاتان، فالوجه الأبعد له وجه العجز والحصر والافتقار والنقصان، والوجه الأقرب منه له وجه العز والكبرياء والكمال والمعنى والوجود الإحسان، ثم قال رضي الله عنه لما قضى رسول الله ﷺ من العالم الدنياوي محبة وولى، قال ثلاث مرات في الرفيق الأعلى، فما كان هذا آخر كلام الرسول في النفس الآخر، عند القدوم من الدنيا إلى اليوم الآخر، إلا لتحقيق أمر في الحقيقة، مع الله على هذه الطريقة، لكيلا يرجع عن الرفيق الأعلى الرحماني، إلى الرفيق الأنزل النفساني والروحاني وقال:

لا تصرفوا نظري عن المحبوب ... ما إن سواه في الهوى مطلوبي
إني يعز علي أنظر غيره ... في موضع يأوي له محبوبي

قلبي محل الخل بل كلي له مأوى وما قلبي أخو تقليب
لي في الغرام تملك وتمكن من حسن ذاك الأبلج المحبوب
أصبوا إليه وهو عندي إن ذا عجب وما شأن الهوى بعجيب

ومن جواهر العارف بالله عبد الكريم الجيلي:

[خاتمة كتابه الإنسان الكامل]

قوله في خاتمة كتابه الإنسان الكامل: واعلم أن مقام القربة هي الوسيلة وذلك لأن الواصل إليها يصير وسيلة للقلوب إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية. والأصل في هذا أن القلوب ساذجة في الأصل عن جميع الحقائق الإلهية ولو كانت مخلوقة منها فإنها بنزولها إلى عالم الأكوان اكتسبت هذه السذاجة، فلا تقبل شيئاً في نفسها حتى تشاهده في غيرها فيكون ذلك الغير لها كالمرآة أو الطابع فتنظر نفسها في ذلك الشيء فتقبله لنفسها وتستعمله كما تستعمل ذلك الشيء بحكم الأصالة، فاسم الحق أولاً وسيلة الأرواح إلى السكون إلى الأوصاف الإهلية وقلب الولي الواصل إلى مقام القربة وسيلة الأجسام إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية لظهور الآثار فلا يمكن الولي أن يتحقق جسده بالأمور الإلهية إلا بعد مشاهدته كيفية تحقق ولي من أهل مقام القربة فيكون ذلك الولي وسيلة في البلوغ إلى درجة التحقق وكل من الأنبياء والأولياء وسيلتهم محمد ﷺ فالوسيلة هي عين مقام القربة وأول مرتبة من مراتبها مقام الخلة وانتهاء مقام الخليل ابتداء مقام الحبيب لأن الحبيب الذاتي عبارة عن محل التعشق الاتحادي فيظهر كل من المتعشقين على صورة الثاني ويقوم كل منهما مقام الآخر.

ألا ترى إلى الجسد والروح لما كان تعشقهما ذاتياً كيف تتألم الروح لتألم الجسد في الدنيا ويتألم الجسد لتألم الروح في الأخرى ثم يظهر كل منهما في صورة الآخر. وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] أقام محمداً ﷺ مقام نفسه وكذلك قوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ثم صرح النبي ﷺ لأبي سعيد الخراز لما رآه في النوم فقال له: يارسول الله أعذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك فقال له: يا مبارك إن محبة الله هي محبتي.

فلما كان محمد ﷺ هناك خليفة عن الله كان الله هنا نائباً عن محمد ﷺ، والنائب هو الخليفة والخليفة هو النائب فذاك هو هذا وهذا هو ذاك، ومن هنا تفرد محمد ﷺ بالكمال فختم الكمالات والمقامات الإلهية باطناً، وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهراً وآخر مقام المحبة أول مقام الختام ومقام الختام، عبارة عن التحقق بحقيقة ذي الجلال والإكرام إلا

في نوادر مما لا يمكن لمخلوق أن يصل إلى ذلك فتكون تلك الأشياء له على سبيل الإجمال وهي في الأصل لله تعالى على سبيل التفصيل، فلأجل هذا لا يزال الكامل يترقى في الكمال لأن الله تعالى ليس له نهاية فلا يزال الولي يترقى فيه على حسب ما يذهب به الله في ذاته، ثم اعلم أن مقام العبودية غير مختص بمكانة دون غيرها فقد يرجع الولي من مقام الخلة إلى الخلق فيقيمه الله في مقام العبودية وقد يرجع من مقام الحب وقد يرجع من مقام الختام، وفائدة هذا الكلام أن العبودية رجوع العبد من المرتبة الإلهية بالله إلى الحضرة الخلفية فمقام العبودية له هيمنة على جميع المقامات، والفرق بين العبادة والعبودية والعبودة هو أن العبادة صدور أعمال البر من العبد لطلب الجزاء، والعبودية صدور أعمال البر من العبد لله تعالى عارياً عن طلب الجزاء، بل عملاً خالصاً لله تعالى، والعبودة هي عبارة عن العمل بالله ولذلك الهيمنة لمقام العبودة على جميع المقامات وكذلك مقام الختام فإنه منسحب على مقامات القربة جميعها لأنه عبارة عن ختم مقامات الأولياء، وبمجرد بلوغ الولي مقام القربة يجوز جميع المقامات التي يصل إليها المخلوق في الله تعالى، لأنه يلتحق في مقام القربة بالله تعالى فيختم بوصوله إليها جميع مقامات الخلق ويكون له فيها نصيب من مقام الخلة ونصيب من مقام الحب فيكون هو الختام في نفس مقام القربة وإنما اختص اسم الخلة بأول مرتبة من مقامات القربة لأن المقرب هو من تخللت آثار الحق وجوده ثم مقام الحب بعد ذلك لأنه عبارة عن المقام المحمدي في المناظر الإلهية، ومقام الختام هو اسم لنهاية مقام القربة، ولا سبيل إلى نهايتها، لأن الله تعالى لا نهاية له، لكن اسم الختام منسحب على جميع مقامات القربة، فمن حصل في مقام القربة فهو ختم الأولياء ووارث النبي في مقام الختام، لأن مقام القربة هو المقام المحمود والوسيلة لذهاب المقرب فيها إلى حيث لا يتقدمه فيها أحد فيكون هو فرداً في تلك المقامات الإلهية وينبغي أن يعتقد ذلك بمحمد ﷺ.

وقد أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: **«إن الوسيلة أعلى مكان في الجنة ولا تكون إلا لواحد وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل»** لأنه كان له البدء في الوجود فلابد أن يكون له الختام، عليه أفضل الصلاة والسلام انتهت عبارة سيدي عبد الكريم الجيلي التي ختم بها كتابه الإنسان الكامل.

فائدة مهمة: قال العارف بالله سيدي السيد مصطفى البكري إمام الطريقة الخلوتية وأحد أكابر أئمة الصوفية رضي الله عنه في آخر رسالته **«الثغر الدري البسام في من يجهل من نفسه المقام وهو من أهلْ الرسوخ في المقام»**: وقد عن لي أن أختم هذه الرسالة بخاتمة في الختم المحمدي، جعلني الله ممن به يقتدى ليهتدي، فاقول مستعيناً بربي، فإنه وليي وحسبي: اعلم علمك الله من لدنه علماً، وجعل لك في ذوق الحقائق سهماً، أن نبينا ﷺ لما ختم بمبعثه دائرة

النبوة، وأكمل حائطها المشيد بالفتوة، كذلك ختم باب ولاية النبوة في الظاهر وتختم بعيسى ولاية النبوة في الباطن وقد انختمت الولاية المحمدية الباطنية بسيدي محيي الدين قدس الله سره وستختم الولاية المحمدية الباطنة والظاهرة بالإمام، محمد المهدي المقدام، عليه منا السلام، ولنذكر عبارة سيدي محيي الدين في فتوحاته المكية، من أنه خاتم الولاية المحمدية الباطنية، قال فيها إن رسول الله ﷺ حين ضرب لنا مثلاً في الأنبياء عليهم السلام فقال ﷺ: **«مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطاً فأكمله إلا لبنة واحدة فكنت أنا تلك اللبنة فلا رسول بعدي، ولا نبي»**، فشبه النبوة بالحائط والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط وهو تشبيه في غاية الحسن فإن مسمى الحائط هذا المشار إليه لم يصح ظهوره إلا باللبن فكان ﷺ خاتم النبيين.

وكنت في مكة سنة ٥٩٩ أرى في ما يرى النائم الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب لبنة فضة ولبنة ذهب وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء وأنا أنظر إليها وإلى حسنها فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي وهو إلى الراكن الشامي أقرب فرأيت موضع لبنتين لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب وفي الصف الأعلى ينقص لبنة وذهب وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين فكنت أنا عين تلك اللبنتين وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص وأنا واقف أنظر وأعلم أني واقف وأعلم أني عين تلك اللبنتين لا أشك في ذلك وإنهما عين ذاتي واستيقظت فشكرت الله تعالى وقلت متأولاً إني في الاتباع في صنفي كرسول الله ﷺ في الأنبياء عليهم السلام وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي وما ذلك على الله بعزيز وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط وإنه كان تلك اللبنة فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن في مكة من أهل تبريز فأخبرني في تأويلها بما وقع لي وما سميت له الرائي من هو فالله تعالى أن يتممها على تكرمه، فإن الاختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وإن ذلك من فضل الله تعالى يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، انتهى أي كلام سيدي محيي الدين.

قال السيد مصطفى البكري بعده: وفي كل عصر لابد من وجود ختم يختتم الله به دائرة أولياء عصره وتارة يكون هو القطب وتارة يكون غيره ومقامه مقام الختام، وأصول مقاماته ألف على التمام، وله الظهور فيها جميعها بدون إبهام، وسيره بالكشف، وإرشاده بالرشف، جاز علم مراتب الوجود، وحاز فهم أسرار الشهود، فكانت الخاء والتاء عدد أصول مقاماته التي اطلع عليها، والميم لمراتب الوجود التي أوصله الكشف للوقوف على أسرارها والوصول إليها، يخفى حاله على كثير من الأولياء، فكيف لا يخفى على الأغبياء.

قال شيخنا الشيخ عبد الغني في قصيدته التي مدح بها الهمام الأكبر قدس الله سرهما:

وفي كل عصر فرد ختم ولاية ... على الأوليا يخفى فكيف أولي الحجد

وقلنا في الألفية:

والختم وهو واحد في العصر ... قد خص بالتأييد ثم العصر

ثم قلنا مشيرين لختم الولاية المحمدية الخاصة:

للأولياء الكاملين ختم ... فرد له التقديم فيه كتم

ولم يكن أكبر منه فيهم ... كأن إمداداته تكفيهم

وإن ذا ختم الولاية التي ... بالكامل المحمدي خصت

ثم أشرنا لختم الولاية المحمدية العامة الذي هو المهدي فقلنا:

وثم ختم آخر قد ختمت ... فيه الولاية التي قد علمت

ثم نقل سيدي مصطفى البكري بعدما ذكر عبارة سيدي عبد الكريم الجيلي السابقة فقال: قال الجيلي قدس الله سره في أواخر كتابه الإنسان الكامل: ومن هنا تفرد محمد ﷺ بالكامل فختم المقامات الإلهية باطناً وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهراً إلى آخر عبارته السابقة، يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه قد نقلت في الجزء الثالث من كتابي هذا «جواهر البحار» قول سيدي العارف الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين رداً على من أنكر أنه خاتم الأولياء، كما أن نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء، إن دعواه أنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة لا يمنعها كثرة الأولياء في عصره ولا فيما بعده إلى آخر ما قاله هناك فراجعه وقلت بعد انتهاء عبارة سيدي عبد الغني في هذا الشأن إني رأيت في كلام غيره ما يدل على أن مرتبة الختمية للولاية التي نالها الشيخ الأكبر هي مرتبة باقية وكان من أهلها أحمد صفي الدين القشاشي المدني المتوفى سنة ١٠٧٤ في المدينة المنورة انتهى ما قلته هناك.

وانقل هنا عبارة كتاب خلاصة الأثر في ذلك لتمام الفائدة وهي: قول المحبى في ترجمته رضي الله عنه ووصل إلى مقام الختمية في عصره، فقد قال: في ما وجد بخطه على هامش رسالة العارف بالله سالم بن أحمد شيخاني با علوى المسماة «بشق الحبيب في معرفة رجال الغيب» عند قوله: والختم وهو واحد في كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة وهو الشيخ الأكبر ما نصه: الذي يتحقق وجدانه أن الختمية الخاصة مرتبة إلهية ينزل بها كل أحد لها حسب وقته وزمانه غير منقطعة أبد الآباد إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله لعدم خلو المراتب الإلهية عن القائمين بها حتى يصير القائم بها كالصفر الحافظ لمرتبة العدد في ما

قبله وبعده بأنفاسه تتم الصالحات وتقضى الحاجات وقد تحققنا بذلك حقاً ونزلناه منازلة وصدقاً وممن رأيته من مشايخي من أهل الختمية المذكورة سنداً متصلاً منهم إلينا من غير انقطاع بإذن الله تعالى خمسة أنفس سادسهم كلبهم لا رجماً بالغيب وربه ثم قال بعدها قاله عبد الجميع أحمد بن محمد المدني ومثله لا يتكلم بمثل هذا الكلام إلا عن إذن إلهي ونفس ووعي. انتهت عبارة المحبى في خلاصة الأثر وهي صريحة بأن ختمية الولاية ليست خاصة بالشيخ الأكبر.

ومنهم أحد أكابر الصوفية صاحب كتاب التنبيهات في علو مرتبة الحقيقة المحمدية

ومن جواهره رضي الله عنه:

[كتابه الموجود في المكتبة الخديوية]

هذا الكتاب النفيس الذي وجدت اسمه في فهرست المكتبة الخديوية المصرية فأرسلت استكتبته، وها أنا أثبته هنا بحروفه وأرجو ممن يطلع على اسم مؤلفه أن يثبته هنا حتى إذا تيسر طبع هذا المجموع مرة أخرى يصرح فيه باسمه مع أن كثيراً من معانيه تقدم نقلها عن أئمة الصوفية كالشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه، وقد صرح بالنقل عنه في مواضع وهذا نص كتاب التنبيهات المذكور قال مؤلفه رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، خصوصاً على نبيه ورسوله ووليه وصفيه المجتبى، الذي كمله وأشهده وقربه حتى كان منه كقاب قوسين أو أدنى، محمد المختص بمظهر الربوبية العظمى ﷺ، صلاة وسلاماً دائمين بلا انقطاع ولا انتهاء، أما بعد فإني ذاكر تنبيهات دالات على علو مرتبة الحقيقة المحمدية وتوحده بها مما كوشف به بعض محققي وارثه لتحيى قلوبنا بفهمها وتتشرف أسماعنا بأدراكها وتسعد ألسنتنا بذكرها ﷺ.

التنبيه الأول: اعلم أن الحقيقة المحمدية مسماة بالعقل الأول، وبالقلم الذي علم الله تعالى به الخلق كلهم، وبالحق الذي قامت به السموات والأرض، وبالباء وأحسن أسماء هذه الحقيقة المحمدية الباء من حيث ظهور الأشياء بها وإنما ظهرت الأشياء بالباء لأن الحق تعالى واحد ولا يصدر عنه إلا واحد فكأن الباء أول شيء صدر عن الحق تعالى فهي ألف على الحقيقة وحداني من جهة ذاتها، وهي باء من جهة مرتبتها لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الموجود، فلهذا سميت باء لتمتاز عن الحق تعالى ويبقى اسم الألف له تعالى، فالباء اثنان من جهة المرتبة فهي عدد والأشياء عدد فصار العدد من العدد يعني من الباء وبقي الواحد الأحد في

أحديته مقدساً منزهاً، ثم اعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل فلهذا كانت النقطة التي تحتها بين العالم الكوني وبينها إشارة إلى الأحدية فلو كان الأثر للباء لم تكن هذه النقطة أصلاً فثبت بوجود هذه النقطة أن الأثر لها لا للباء والله تعالى أعلم.

التنبيه الثاني: اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان وهو سيدنا محمد ﷺ الذي هو الغاية المطلوبة من العالم ومرتبة الكمل النازلين عن مرتبته بمنزلة القوى الروحانية من الإنسان وهم الأنبياء ﷺ، ومرتبة من نزل عن مرتبتهم بمنزلة القوى الحسية من الإنسان وهم الورثة رضوان الله تعالى عليهم، وما بقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل وهو من جملة الحيوان فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطى النمو والإحساس.

وإنما قلنا: إنه ﷺ النفس الناطقة لما أعطاه الكشف ولقوله ﷺ: «أنا سيد الناس» والعالم من الناس لأنه الإنسان الكبير في الجرم المتقدم في التسوية لتظهر عنه صورة نشأته ﷺ كما سوى الله تعالى جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه، ثم نفخ فيه من روحه روحاً كان به إنساناً تاماً، والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان وكذلك الجن فليس العالم إنساناً إلا بوجود الإنسان الذي هو نفسه الناطقة كما أن نشأة الإنسان لا تكون إنساناً إلا بنفسه الناطقة ولا تكون هذه النفس الناطقة من الإنسان كاملة إلا بالصورة الإلهية فلذلك نفس العالم التي هي عبارة عن سيدنا محمد ﷺ حازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في الوجود والبقاء والتنوع في الصور وبقاء العالم به، فكان حال العالم قبل ظهوره ﷺ بمنزلة الجسد المسوى بلا روح، وحاله بعد وفاته ﷺ بمنزلة النائم، وحاله ببعثه ﷺ يوم القيامة بمنزلة الانتباه بعد النوم، ولما أراد الله تعالى بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التميز خلق لها أجساداً برزخية تميزت بها عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا في النوم وبعد الموت والله تعالى أعلم.

التنبيه الثالث: اعلم أن الأرض الواسعة إنما هي أرض عبادتك فتبعد الحق فيها كأنك تراه في ذاتك من حيث بصرك على ما يليق بجلاله تعالى وعين بصيرتك يشهد بأنه ظاهر لها ظهور علم فتجمع في عبادتك بين ما يستحقه تعالى من العبادات في الخيال وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال، فتعبده مطلقاً ومقيداً وليس هذا لغير هذه النشأة الإنسانية المؤمنة التي جعلها الله تعالى حرمه المحرم وبيته المعظم فكل من في الوجود من المخلوقات يعبد الله تعالى على الغيب إلا الإنسان الكامل فإنه يعبد الله تعالى على المشاهدة ولا يكمل العبد إلا بالإيمان الكامل فإنه النور الذي يزيل كل ظلمة فإذا عبده على المشاهدة رآه جميع قواه فما قام بعبادته تعالى غيره ولا ينبغي أن يقوم بها سواه، واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة ومالك

قدم في هذه الدرجة فأنا أدلك على ما يحصل لك به هذه الدرجة العليا وذلك أن تعلم أن الرسل صلى الله عليهم وسلم أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم تعالى وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية على قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب فلذلك لم يبعث نبي منهم إلا لقوم معينين لأنه على مزاج خاص مقصور وأن سيدنا محمداً ﷺ ما بعثه الله تعالى برسالة عامة إلى جميع الناس كافة ولا قبل مثل هذه الرسالة العامة إلا لكونه على مزاج عام يحتوي على مزاج كل نبي ورسول فمزاجه ﷺ أعدل الأمزجة كلها ونشأته أقوم النشآت أجمعها.

فإذا علمت هذا وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية فالزم الإيمان والاتباع له ﷺ واجعله مثل المرآة أمامك، وقد علمت أن الله تعالى لابد أن يتجلى لسيدنا محمد ﷺ في مرآته فيكون ظهور الحق تعالى في مررته أكمل ظهور وأعدله وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته ﷺ تكون قد أدركت منه كمالاً لم تدركه في غير مرآته ﷺ ألا ترى في باب الإيمان بما جاء به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه بها على لسان الشرع بما تحيله العقول ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي فكما أعطانا بالرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى كذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا عند المشاهدة عن إدراك ما تجلى في مرآته ﷺ أن تدركه في مرآتها وكما آمنت به في الرسالة غيباً شهدته عند التجلي عيناً فقد نصحتك وأبلغت لك في النصيحة فلا تطلب مشاهدة الحق تعالى إلا في مرآته ﷺ واحذر أن تشهد النبي أو تشهد ما تجلى في مرآته من الحق تعالى في مرآتك فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية فالزم الاقتداء به والاتباع له ﷺ ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك ﷺ فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العليا والشهود الكامل في المكانة الزلفى والله الموفق.

التنبيه الرابع: اعلم أن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً فظهرت الأرواح المهيمة بين الجلال والجمال وخلق في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين العنصر الأعظم وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي وما منهم روح يعرف أن ثَمَّ سواه لفنائه في الحق بالحق ثم إنه تعالى أوجد بتجل آخر من غير تلك المرتبة المقدمة أرواحاً متحيرة في أرض بيضاء وهيمهم فيها بالتسبيح والتقديس لا يعرفون أن الله تعالى خلق سواهم وكل منهم على مقام من العلم بالله تعالى والحال وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة وسميت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيرة ولا يجوز عليها التبديل ولا تزال كذلك أبد الآباد لما سبق في علم الله تعالى وللإنسان

الكامل في هذه الأرض مثال وله فيهم حظ وله في الأرواح الأول مثال آخر وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم، ثم إن هذا العنصر الأعظم له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ولا وجود لذلك العالم في العين وهذا العنصر المسار إليه أكمل موجود في العالم، ولولا عهد الستر الذيْ أخذ على أهل هذه الطريقة لبسطنا الكلام فيه وبينا كيفية تعلق كل ما سوى الله تعالى به، فأول ما كان الوارد بعد تلك الالتفاتة العقل الأول.

وقيل فيه: أول لأنه أول عالم التدوين والتسطير وتلك الالتفاتة إنما كانت للحقيقة الإنسانية التي لها الكمال من هذا العالم فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز أسباباً مقدمة لترتيب نشأته كما سبق في العلم ومملكته ممتدة قائمة القواعد له ﷺ لأنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله تعالى فلا بد من تقدم وجود العالم الذي هو مملكته عليه وأن يكون هو آخر موجود بالفعل وإن كانت له الأولية بالقصد فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة إليها توجهت العناية الكلية فهو عين الجمع والوجود والنسخة العظمى والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه ﷺ.

التنبيه الخامس: اعلم أن الوجود واحد وله ظهور وهو العالم وله بطون وهو الأسماء وله برزخ جامع فاصل بينهما ليتميز الظهور عن البطون والبطون عن الظهور وهو الإنسان الكامل ﷺ فالظهور مرآة البطون وما بينهما فهو مرآة لهما جمعاً وتفصيلاً.

واعلم أنه كان بين ذات الحق تعالى وذات الإنسان الكامل مضاهاة وبين عمله وعلمه مضاهاة وإن كل ما فيها مجمل فهو فيها مجمل، وكل ما فيها مفصل فهو فيها مفصل فكذلك بين القلم وروح الإنسان الكامل مضاهاة وبين اللوح وقلبه مضاهاة وبين العرش وجسمه مضاهاة وبين الكرسي ونفسه مضاهاة وكل واحد منها مرآة لما يضاهيه، فكل ما في القلم مجمل فهو في روحه مجمل وكل ما في اللوح مفصل فهو في قلبه مفصل، وكل ما في العرش مجمل فهو في جسمه مجمل وكل ما في الكرسي مفصل فهو في نفسه مفصل، فالإنسان الكامل جامع لجميع الكتب الإلهية والكونية فكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته فكذلك نقول في حق الإنسان الكامل أن علمه بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء من علمه بذاته لأنه هو جميع الأشياء إجمالاً وتفصيلاً فمن عرف نفسه فقد عرف ربه وعرف جميع الأشياء وانظر إلى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:١ - ٢] فالألف يشار به إلى الذات الأحدية من حيث أنه أول الأشياء واللام يشار به إلى الوجود المنبسط على الأعيان الوجودية والميم يشار به إلى الكون الجامع وهو الإنسان الكامل فالحق تعالى والعالم والإنسان الكامل كتاب لا ريب فيه والله تعالى أعلم.

التنبيه السادس: اعلم أن مقام المحبة أعلى المقامات والأحوال وهو الساري فيها وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد، وكل مقام أو حال بعدها فمنها يستفاد، لأنه مقام أصل الوجود وسيده، ومبدأ العالم وممده، وهو سيدنا محمد ﷺ الذي أتخذه الله تعالى حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً فمن حقيقة هذا لاسيد تفرعت الحقائق كلها علواً وسفلاً فأعطى الله تعالى أعلى المقامات، وهو المحبة لأصل الموجودات وهو سيدنا محمد ﷺ، واعلم أن طلب الاتصاف بأوصاف الإهلية حجاب عن التحقق بها في الجملة كما كان سيدنا محمد ﷺ الذي كان من ربه تعالى في القرب بأدنى من قاب قوسين، ثم أصبح وليس عليه أثر من ذلك لأنه ما ورد عليه أمر لم يكن فيه ولا ورد عليه شيء لم يكن في فطرته، وأما غيره، يعني سيدنا موسى عليه السلام، فإنه لما ورد عليه أمر غريب ورد عليه أمر أثر فيه فكان يتبرقع من النور الذي كان على وجهه لأنه كان يأخذ بأبصار الناظرين والله تعالى أعلم.

التنبيه السابع: اعلم أن الإنسان الكامل كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية لأنه نسخة العالم الكبير فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي يسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه يسمى كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه يسمى كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها ومعانيها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية، وما ذكرت من الكتب إنما هو أصول الكتْب الأهلية، وأما فروعها فكل ما في الوجود تنتقش فيه أحكام الموجودات فهي أيضاً كتب إلهية والله تعالى أعلم.

التنبيه الثامن: اعلم أن رب الأرباب هو الحق تعالى باعتبار الاسم الأعظم، والتعين الأول هو منشأ جميع الأسماء وغاية الغايات، ومتوجه الرغبات، والحاوي لجميع المطالب كلها وإليه الإشارة بقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] لأنه ﷺ مظهر التعين الأول فالربوبية المختصة به هي هذه الربوبية العظمى، واعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر والموجودات العينية وتلك الأسماء الإلهية صورة في العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر والموجودات العينية وتلك الأسماء أرباب تلك المظاهر، فالحقيقة المحمدية صورة لاسم الجامع لجميع الأشياء الإلٰهية الذي منه الفيض على جميعها فهو تعالى ربه، فالحقيقة المحمدية التي هي ترب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب فبظاهرها ترب ظاهر العالم وبباطنها ترب باطن العالم لأنه صاحب الاسم الأعظم وله الربوبية المطلقة إنما هي له من جهة مرتبته ﷺ لا من جهة بشريته فإنه من تلك الحقيقة عبد مربوب محتاج إلى ربه سبحانه وتعالى.

التنبيه التاسع: اعلم أن القطب الذي عليه مدار أحكام العالم وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة إنما هو الحقيقة المحمدية وباعتبار حكم الكثرة متعدد فالنبي في كل عنصر قطبه، وعند انقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها انقلبت القطبية إلى الأولياء مطلقاً فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائماً في هذا المقام، ليحفظ الله تعالى به هذا الترتيب والنظام، إلى أن يظهر خاتم الأولياء الذي هو خاتم الولاية المطلقة والله تعالى أعلم.

التنبيه العاشر: اعلم أن الحق تعالى تجلى لذاته بذاته وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النور الإنساني في الحضرة العالمية فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً فصارت أعياناً ثابتة فأعيان العالم في العلم والعين وكمالاتها إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم.

التنبيه الحادي عشر: في بيان معاني وصف الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى للحقيقة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم بأنه الحادث الأزلي، والنشء الدائم الأبدي، والكلمة الفاصلة الجامعة، أما حدوثه الذاتي فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب، وأما حدوثه الزماني فلكون نشأته العنصرية مسبوقة بالعدم الزماني، وأما أزليته فبالوجود العلمي، فعينه الثابتة في العلم أزلية وكذا بالوجود العيني الروحاني لأنه غير زماني، والفرق بين أزلية الأعيان الثابتة في العلم والأرواح المجردة وبين أزلية الحق تعالى هو أن أزليته تعالى نعت سلبي ينتفي به افتتاح وجودها عن العدم لكن وجودها من غيرها، وأما دوامه وأبديته ﷺ فلبقائه ببقاء موجده تعالى دنيا وأخرى، وأما كونه كلمة جامعة فلاحاطة حقيقته بالحقائق الإلهية والكونية كلها علماً وعيناً، وأما كونه كلمة فاصلة فلأنه هو الذي يفصل بين الأرواح وصورها في الحقيقة وإن كان الفاصل ملكاً معيناً فإنه بحكمه يفصل بينها وكذلك هو الجامع بينها لأنه الخليفة الجامع للأسماء ومظاهرها، فلما وجد هذا الكون الجامع تم العالم وجوده الخارجي، لأنه روح العالم المديرة له والمتصرفة فيه وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجود العيني لأنه لما كانت عينه في الخارج مرتبة من العناصر المتأخر وجودها عن الأفلاك وأرواحها وعقولها وجب أن توجد قبله لتقدم الجزء على الكل بالطبع وكون هذا الكامل ختماً على خزانة الدنيا فهو أيضاً ختم على خزانة الآخرة ختماً أبدياً فيه دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة إنما هي بواسطته ﷺ والمعاني المفصلة لأهلها متفرعة عن مرتبته ومقام جمعه أبداً كما تفرعت أزلاً، فما للكامل من الكمالات في الآخرة لا نهاية لها والله تعالى أعلم.

التنبيه الثاني عشر: اعلم أن إطلاق الصورة على الله تعالى عند أهل النظر إنما هو مجاز لا حقيقة إذ لا تستعمل حقيقتها إلا في المحسوسات دون المعقولات وأما عند المحققين فإنها تستعمل في وصف الله تعالى حقيقة لأن العالم بأسره صورة الحضرة الإلٰهية تفصيلاً والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلٰهية جمعاً، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى خلق آدم على صورته»**[1] فالنشأة الإنسانية حازت صورة الحضرة الإلٰهية وصورة العالم لأنه أي آدم بروحه حاز رتبة الحضرة الإلٰهية، ورتبة الأرواح الروحانية وبجسمه حاز رتبة الأجسام، فرتبته حازت الجمع والإحاطة، إن ولهذا قامت حجة الله تعالى على الملائكة لإحاطته ﷺ بما لم يحيطوا بعلمه والله تعالى أعلم.

التنبيه الثالث عشر: اعلم أن كلاً من الظاهر والباطن ينقسم إلى قسمين باطن مطلق وباطن مضاف وظاهر مطلق وظاهر مضاف، فأما الباطن المطلق فهو الذات الإلٰهية وصفاتها والأعيان الثابتة في علم الله تعالى، والباطن المضاف هو عالم لأرواح، فإنه ظاهر بالنسبة إلى الباطن المطلق وباطن بالنسبة إلى الظاهر المطلق وهو عالم الأجسام فلذلك أنشأ الله تعالى صورة الإنسان الكامل الظاهرة من حقائق العالم وصوره وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى فلذلك قال الله تعالى كنت سمعه وبصره فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم عليه السلام كذلك هي سارية في كل موجود من العالم لكن سريانها وظهورها في كل حقيقة من حقائق العالم إنما هو بقدر استعدادها، واعلم أن لكل فرد من الأفراد الإنسانية نصيباً من الخلافة به يدبر ما يتعلق به من أمر نفسه أو غيره وهو سهمه الذي ورثه من والده الأكبر الذي هو الخليفة ﷺ.

التنبيه الرابع عشر: اعلم أن سيدنا محمداً ﷺ اختص بمقام الجمع فجاء بقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة وبين الجمع والتفصيل والتنزيه والتشبيه بل جامع لجميع المقامات الأسمائية فجمع الله تعالى له في قوله ليس كمثله شيء بين إثبات المثل وبين نفيه في آية واحدة بل في نصفها وبسبب هذا الجمع والتنزيه والتشبيه قال ﷺ: **«أوتيت جوامع الكلم»** أي جميع الحقائق والمعارف ولهذا جمع الله تعالى له في القرآن جميع ما أنزله من المعاني في كتب الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم فدعا أمته إلى الظاهر في عين الباطن، وإلى الباطن في عين الظاهر، وإلى الوحدة في عين الكثرة، وإلى الكثرة في عين الوحدة، وما دعاهم إلى الغيبة والوحدة وحدها ولا إلى المشاهدة والكثرة وحدها والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه ابن حجر في فتح الباري (٥: ١٨٣).

التنبيه الخامس عشر: اعلم أن الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وورثتهم رضي الله تعالى عنهم خادمو الأمر الإلهي مطلقاً سواء كان الأمر موافقاً للإرادة أو مخالفاً لها، بل هم في نفس الأمر خادمون لأحوال الممكنات من حيث إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم ومنعهم مما يضر دينهم ودنياهم وهذا الإرشاد والخدمة منهم لهم إنما هي من مقتضيات أعيانهم وأحوالهم الثابتة في الحضرة العلمية دون وجودهم الخارجي، فانظر ما أعجب هذا الأمر إن خادم الأمر الإلهي يكون خادماً للممكنات مع جلالة قدره عند الله تعالى والرسل صلى الله عليهم وسلم خادمو الأمر التكليفي بالحال كإتيانهم بالعبادات والأفعال المثبتة لطريق الحق ليقتدى بهم وبالقول كالأمر بالإيمان والنهي عن الكفر والعصيان وبيان ما يثابون عليه ويعاقبون عليه، وليسوا بخادمي الإرادة إذ لو كانوا خادميها لما منعوا أحداً من فعل ما يتعلق بالإرادة، بل كانوا يساعدونهم فيه والله تعالى أعلم.

التنبيه السادس عشر: في معنى قول الشيخ أي الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى في فصوص الحكم حكمة فردية في كلمة محمدية إنما كانت حكمة فردية لانفراده ﷺ بمقام الجمعية الإلهية الذي ما فوقه إلا مرتبة الذات الأحدية لأنه ﷺ مظهر لاسم الله الأعظم الجامع للأسماء كلها، ولأن أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان عينه الذاتية، وأول ما وجد بالفيض الأقدس من الأكوان روحه فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية وعينه الثابتة الفردية الأولى، واعلم أن أول الأفراد الثلاثة مازاد عليها، بل هو صادر منها، وهذه الثلاثة الأفراد المشار إليها في الوجود هي الذات الأحدية والمرتبة الإلهية والحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الأول ولما كانت تعطي الفردية الألالى بما هو مثلث الشيء قال ﷺ: «حبب إلي من دنياكم ثلاث»[1] بما فيه من التثليث وجعلت المحبة التي هي أصل الوجود ظاهرة فيه فقدم ذكر النساء ثم الطيب ثم قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» وإنما حبب النساء إليه ﷺ لكمال شهود الحق فيهن إذ لا يشاهد الحق تعالى مجرداً عن المواد أبداً فإن الله تعالى بالذات غني عن العالمين ولانسبة بينه تعالى وبين شيء من هذا الوجه أصلاً فلا يمكن شهوده تعالى مجرداً عن المواد فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ولم تكن المشاهدة إلا في مادة فشهود الحق تعالى في النساء أعظم الشهود، وأكمله في حال النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب وأعظم الوصلة الجماع وهو نظير التوجه الإلهي على خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه مثال صورته، وكذلك الناكح يتوجه لإيجاد ولد على صورته ينفخ بعض روحه فيه يعني النطفة ليشاهد عينه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٢). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٩٤).

في مرآة ابن ويخلفه من بعده فصار النكاح المشهود نظير النكاح الأصلي الأزلي بظاهر صورة الإنسان خلق موصوف بالعبودية وباطنه حق لأنه من روح الله تعالى الذي يدبر ظاهره ويربيه إذ هو الظاهر بصورته الروحانية والله تعالى أعلم.

التنبيه السابع عشر: اعلم أن سيدنا محمد ﷺ لما خلق عبداً بالأصالة لم يرفع رأسه قط إلى السيادة مراعاة لما تقتضيه ذاته من العبودية الذاتية الحاصلة من التعين والتقيد وحفظاً للأدب مع الحضرة الإلهية بل لم يزل ساجداً لحضرته متذللاً لربه تعالى واقفاً في مقام عبوديته ورتبة انفصاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعاً لأنه ﷺ قال: **«أول ما خلق الله تعالى نوري»**[1] الذي سماه عقلاً بقوله: **«أول ما خلق الله تعالى العقل»**[2] فأعطاه رتبة الفاعلية بأن جعله خليفة متصرفاً في الوجود العيني معطياً لكل من الوجود العيني في العالم كما قاله فالروح المحمدية هو المظهر الرحماني الذي استوى على العرش فتعم رحمته على العالمين كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

التنبيه الثامن عشر: قال الشيخ أي سيدي محيي الدين رضي الله عنه: اعلم أن دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة فكان سبب نزول جبريل على سيدنا محمد ﷺ في صورته إعلاماً من الله تعالى أنه ما بيني وبينك يا محمد سفير إلا صورة الحسن والجمال، وهي التي لك عندي فيكون ذلك بشرى له حسناء ولاسيما إن أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه فيه ذلك الوعيد والله تعالى أعلم.

التنبيه التاسع عشر: قال سيدي محيي الدين رحمه الله تعالى: أعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بسيدنا محمد ﷺ أن كل واحد من الرسل صلى الله عليهم وسلم يحشر جزئي الحكم لاقترانه بطائفة مخصوصة والقطب منا ليس كذلك فإنه عام جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر، وإن كان إرثه عيسوياً أو موسوياً فلا يقدح ذلك فيه فإنه من مشكاة محمدية فله المقام الأعم وقد نبه عليه رسول الله ﷺ بقوله عن طائفة من أمته ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم للبركة المحمدية التي نالتهم من مقامه الأعم ﷺ.

التنبيه العشرون: في بيان المعاني المرادة من قول سيدنا محمد رسول الله ﷺ إن الحق تعالى وضع يده بين كتفيه وإنه أحس ببرد أنامله بين ثدييه فعلم ما في السموات وما في الأرض.

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٠).

(٢) رواه ابن حجر في فتح الباري (٨: ٦٦١). وفيه: «القلم».

اعلم أن الحق تعالى منزه عن اليد الحسية وأناملها وإنما هي يد امتنان واصطفاء بإفاضة الأنوار النبوية والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد ببصيرته وبصره العوالم كلها أولها وآخرها ظاهرها وباطنها كلياتها وجزئياتها دنيا وأخرى، ولذلك أخبرنا ﷺ بالأوائل والأواخر بما كان وبما يكون في الدنيا والآخرة، لأن الحضرات الكونية صارت أمام بصيرته وبصره حتى أنه كان ﷺ يرى من ورائه كما يرى من أمامه، وإنما خصص وضع اليد بين الكتفين لأن النور الإلهي لا يأتي إلى من خصصه الله تعالى به إلا من ورائه، وىما برد الأنامل التي أحس بها بين ثدييه ﷺ فهو عبارة عن اللذة التي حصلت له بما كشفه الله تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له، وهذا كله إنما هو بمقتضى مرتبته وأما من حيث بشريته فقال: «إني أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر»[1] وأمثال ذلك من الستر عليه في بعض الأمور إنما هو لأمر عارض اقتضاه الحكم الإلَهي ولذلك قال ﷺ: «لست أنْسَى ولكني أُنسى لأسنّ».

التنبيه الحادي والعشرون: اعلم أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده الله تعالى بها في نفسه، فإن بعث بها إلى غيره كان رسولاً، فتارة ينزل الملك بالوحي على قلبه وتارة يأتيه على صورة حسنة من خارج، فيلقي ما جاء به على أذنه فيسمعه، وتارة على بصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء، وكذلك سائر القوى الحسية، وهذا باب قد غلق بسيدنا محمد ﷺ ولا سبيل أن يتعبد الله تعالى أحداً بشريعة ناسخة لهذه الشريعة، وإذا نزل عيسى ﷺ فإنما يحكم بهذه الشريعة المحمدية وهو خاتم أولياء هذه الأمة فإن من شرف سيدنا محمد ﷺ أن الله تعالى ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم، وهو ﷺ أن الله تعالى ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم وهو ﷺ يحشر يوم القيامة مع الرسل رسولاً ومع هذه الأمة ولياً تابعاً والياس بهذا المقام أيضاً، وأما حالة أنبياء أولياء هذه الأمة فهم كل شخص إقامة الله تعالى في تجل من تجلياته وأقام له مظهر محمد ﷺ ومظهر جبريل ﷺ وهو يلقي خطاب الأحكام المشروعة لمظهر رسول الله ﷺ فيسمع صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية فيرد إلى نفسه وقد وعى جميعها وعلم صحتها علم اليقين، بل عين اليقين فأخذ حكم هذا النبي وعمل به على بينة من ربه تعالى فهؤلاء أولياء هذه الأمة ولا ينفردون بشريعة قط ولا يكون الخطاب بها إلا بتعريفهم أن هذا هو شرح محمد رسول الله ﷺ انتهى.

هذا آخر كتاب التنبيهات في بيان حقيقة سيد السادات ﷺ.

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٢٢١). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١١٤). والسيوطي في الدر المنثور (٢٠).

ومنهم العارف بالله الشيخ عبد الله البسنوي(١) الرومي شارح الفصوص المتوفى سنة ١٠٤٥هـ

وقد ترجمه المحبي في خلاصة الأثر وأثنى عليه كثيراً وذكره
صاحب كشف الظنون في شراح الفصوص وأثنى على شرحه
وذكر كتابه الآتي وقال إنه تأليف عبدي أفندي شارح الفصوص

ومن جواهره رضي الله عنه:

[كتاب مطالع النور السني]

كتابه مطالع النور السني المنبئ عن طهارة النسب العربي وهو من أجل الكتب المؤلفة في شؤون النبي ﷺ وأدلها على جلالة مؤلفه ومعرفته بعلو قدره ﷺ وهو هذا بحروفه قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد الله الذي أراد أن يفتق الرتق المختص بحضرة العماء والأسماء، ويفتح حضرات الكرم والجود وخزائن الآلاء والنعماء، ويظهر الأعيان الغيبية في الصور الحسية لحصول كمال الجلاء والاستجلاء، وإظهار الأمور المخبوءة في خزائن الأسماء، والأحوال المكنونة في حقائق الأشياء، فخلق نور نبينا ﷺ قبل خلق جميع الأشياء، في صورة الدرة البيضاء، وخلق منه أنوار السفراء، وأرواح جميع الأنبياء، وجعله أباً واصلاً لجميع التعينات من العقل الأول إلى آخر مراتب الإيجاد والإنشاء، فكان صفاء آبائه في التسوية والاستعداد بالنسبة إلى ظهوره وتعينه فيهم كصفاة الزجاجة وصفاء الصهباء، فسبحان من أضاء حقائق الممكنات في الغيب المجهول بالدرة البيضاء، التي استخرجها من خزانة الغيب على صورة البدر في الليلة الظلماء، فأفاض من نورها على الأشياء المعدومة في ظلمة الغيب فظهرت فيه كأنجم الجوزاء، الذي جعله نبياً في حضرات الأسماء، وعوالم الأرواح في اسم الباطن وآدم كان منجدلاً بين الطين

(١) هو غلامك نحند بن موسى البوسنوي السرائي الشهير فاضل من علماء الترك المستعربين كان قاضي القضاة بحلب توفي سنة ١٠٤٥ هـ.

والماء، فلما استدار الزمان بانتهاء مدته بالاسم الباطن في نوبة الميزان الذي هو أعدل البروج في الفلك الأطلس في إبقاء الأمور والإعطاء، كما استدار من قبل في نوبة سائر البروج المعهودة كالسنبلة والجوزاء، وابتدأ بدورة أخرى بالاسم الظاهر لإظهار جسم محمد ﷺ بمعالم الأسماء ومنازل الآلاء، في عالم الشهادة الذي هو أجمع جميع العوالم ومحل نزول الآيات والأنباء، وتوقف ظهوره في الوجود الحسي البشري على الأسباب المعدات من الأمهات والآباء.

جعل الله أصلاب الآباء على الترتيب الذي وقع في الوجود كالمنازل للوصول إلى حضرة الحس مرتبة الاستكمال بين الإفناء والإبقاء، فوجه ذلك النور الأبهر، والروح الأنور، إلى عالم التفصيل عالم التخطيط والتركيب والأجزاء، مستودعاً في لب الروح المنفوخ في آدم الخلفاء، محفوظاً بأصداف الأصلاب الطاهرة والأرحام الطيبة على مقتضى الحكمة البالغة في الإنشاء، لكونه لب الألباب، وصورة سر رب الأرباب، في حضرة البطون والإخفاء، فتعين في كل أب من الآباء على حسب التسوية فيهم والهوية والإلقاء، وظهر في كل صلب من الأصلاب مندرجاً في الظهور بحسب الطهارة والنزاهة فيها عن الأوصاف السفلية والأهواء.

كما قال ﷺ: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة»[1] مصفى مهذباً إلى رتبة الأنبياء، فكلما ازدادت التسوية في الأصلاب أدت فيه قوة الخروج إلى مفازة الحس والإفشاء، وكلما ازدادت فيه قوة الخروج والظهور وانشقت عنه قشور الأصلاب كاللوز من القشرة الخضراء، قرب طلوع ذلك النور الأسنى بالغرة البيضاء والشريعة الغراء، التي أضاءت نواحي بقاع عالم الإمكان والأرجاء، وأنارت قلوب أهل الاصطفاء بصنوف الفيوض والآلاء، التي عزت عن العد والإحصاء، محمد الذي خلق روحه من نوره وأقامه اثنتي عشرة ألف سنة قدام الحضرة في مقام القرب من الحضرة والإلجاء، فظهر وتجلى لأهل القرب والتمكين بالحلة الحمراء، مثل العروس العذراء في الربوة الخضراء، بوجه يدهش لمعانه عقول العالمين، ويأخذ شعاعه عيون الحور العين، ورباه في فضاء عالم القدس ومفازة حظيرة الإنس والصفاء، بألبان الفيوض وتجليات الجمال بالإفاضة من حضرة الجود والإلقاء، وخلق له فيه حجباً وإقامه في كل حجاب مدة معهودة بالتسبيح والتقديس على مقتضى الحكم والإمضاء، إلى أن تكاملت تلك النشأة الروحية النورية للخروج إلى مفازة الحس بأنوار الرحمة والإهداء، وخلق جسمه الطيب الطاهر من أطهر الأعراق البشرية وأطيب الأنساب الاصطفائية

---

(١) رواه السيوطي في حاوي الفتاوي (٢: ٣٦٨). والسيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٤).

الإنسانية وأنفس جواهر النطف الناشئة بين الأمهات والآباء، الذي به فاق أبواه على سائر الآباء والأمهات من خيار القرون وكرام القبائل والأحياء، وإن نبض عرق أبي جهل بعدم القبول والإذعان، في وادي الحرمان، عند سيل النكران، مثل البقلة الحمقاء، فسبق ﷺ بالطهارة الذاتية، والنزاهة الأصلية، في حلبة المسابقة إلى حشرة الوحدة وميدان الإسراء، وأمر في رتبة الدعوة والأنباء بالعدل والإحسان ونهى عن المنكر في حدود الإسلام والفحشاء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا على المحبة البيضاء، وعطفوا عنان التوجه والعزيمة على الإبداء.

أما بعد: فاعلم أن روح سيدنا محمد ﷺ لما كان مظهراً للجمع الأحدي الذاتي، والرفق العماآتي الأسمائي والصفاتي، وأراد الحق تعالى إظهار أسراره الغيبية المكنونة، وأنوار صفاته وتجلياته المستجنة المخزونة، في غيب الهوية به ﷺ قدمه على سائر التعينات العلمية، والحقائق الغيبية، وجعله أصلاً لجميع الحقائق، الإلهية الإسمائية، والحقائق المظهرية الإمكانية، فلما شاء الحق أن يظهر به جميع ما تنطوي عليه الحضرة الكلية الإلهية، من الكمالات الإلهية الإنسانية، والأسرار الغيبية العلمية، ويفتح به أبواب حضرات الجودية، وخزائن الاعطاآت الغيبية الشهودية، وأراد أن يظهر صورته الروحية الغيبية، في الصورة الحسية العنصرية البشرية، قدر له الآباء والأمهات، بحسب الأزمان والأوقات، وجعلهم الوسائط والروابط لوجوده البشري الكلي واصطفى أباه عبد الله وأمه آمنة للأبوة والأمومة في آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية له ﷺ باختصاصه بهما واختصاصهما به من جهة طهارتهما ومناسبتهما بحسب تعلق علمه وإرادته وحسب استعدادهما الذاتي فإن حصول الزوجية بين الزوجين وخلق الإنسان بينهما من نطفة وحمل الأُنثى من ذكر ووضعها حملها الإنسان لا يكون إلا بإذن الله وإرادته.

كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] ولا سيما خلق نبيه الذي جعله سبباً لمعرفته وشهوده بين أبويه لا يكون إلا قصداً له تعالى فلو كانت المناسبة في زوجين آخرين في الإمكان أكثر وأوفق لما أراد الحق من ذلك النور الأبهر، والضياء الأسنى الأطهر، لقدرهما في الأزل أن يكونا أبوين له ﷺ وخلقه بينهما من مائهما لأنه لا تحجير على الله ولأن الله تعالى إنما خلق العالم كله أعلاه وأسفله له ﷺ فما ينزله في محل إلا ما يقتضيه حكمته وتتعلق به إرادته وما يمر به عن عالم إلا تقتضيه طهارة سره وروحه ولاسيما تعين مادته الجسمانية إنما وقع على حسب طهارة أبويه ونزاهتهما، وقد زلت قدم بعض الناس قديماً وحديثاً في نسبة أبويه ﷺ إلى الشرك، ووقعوا في بئر الغواية والإفك، لأن الولد بضعة من الأب.

كما قال ﷺ في ابنته فاطمة: «**إنما فاطمة بضعة مني**»[١] وقد كانت الكمل من السلف واقفين عند باب الربوبية بالعبودية معرضين عن عالم الخلق والكثرة والأئمة من المجتهدين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إنما صرفوا أوقاتهم لإحياء الحق والدين، بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ وما يجب عليهم فما التفتوا إلى مالا يعنيهم بالجواب والرد على من أنكر طهارة نسبه ﷺ إلا قليل منهم، وقد وفقني الله تعالى لإثبات دين إبراهيم عليه السلام وبقائه وبقاء الأمة المسلمة من ذريته إلى بعثة نبينا محمد ﷺ وإثبات طهارة نسبه ﷺ بالآيات التي أنزلها الله على قلبه فشهد ببعضها على ذلك ونص ببعضها وأخبر ببعضها فكتبت هذا الكتاب ورتبته على تسعة مطالع.

المطلع الأول: في انبعاث الروح المحمدي، من الجمع الذاتي الأحدي، إلى الصورة الكمالية الإنسانية، والهيئة البشرية الحسية الشهادية.

المطلع الثاني: في ثبوت إسلام أبويه بالآيات التي أخبر الله بها عن دعوة إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها في حق إبراهيم.

المطلع الثالث: في الآيات التي دلت على بقاء ملة إبراهيم في ذريته وعدم اندراسها إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ.

المطلع الرابع: في الأحاديث التي دلت على طهارة نسبه ﷺ إلى آدم عليه الصلاة والسلام.

المطلع الخامس: في إحياء أبويه وإيمانهما به ﷺ.

المطلع السادس: في الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما في النار وعدم جواز الحكم به على ذلك.

المطلع السابع: في بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام.

المطلع الثامن: في بيان من بقي على دين إبراهيم في الفترة.

المطلع التاسع: في عدم التعذيب لمن مات في الفترة وسميته «بمطالع النور السنيّ المنبئ عن طهارة نسب النبي العربيّ، ﷺ» وبالله التوفيق.

المطلع الأول في انبعاث الروح المحمديّ، من الجمع الذاتيّ، إلى الصورة الكمالية الإنسانية، والهيئة البشرية الحسية الشهادية.

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٧٧٩٩).

اعلم أن الحق تعالى لما أراد أن يعرف من حيث ظهور آثار الأسماء الإلهية، وتجليها من حضرة الألوهية، خلق أولاً الروح المحمدي على الصورة الجمعية، ثم منه جميع العوالم العلوية الروحية العقلية، والعوالم السفلية الخلقية العنصرية، إلى خاتم الصور النوعية الكونية، وهو آدم عليه السلام كما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله قال: **«هو نور نبيك يا جابر خلقه من نوره ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزانة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب إثني عشر الف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر الف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة نبياً أو رسولاً، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله تعالى إثني عشر ألف حجاب، فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية، وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما كان بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور في الجبهة من جبينه حيث سجدت له الملائكة الكرام، ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى إدريس وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله ابن عبد المطلب ومنه إلى رحم آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة العالمين، وقائد الغر المحجلين، هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر» ذكره في المنتقى.**

فتعين سيدنا محمد ﷺ في كل واحدة من تلك الصور المخلوقة منه بحسبها مع كليته في

مرتبته التي تعين فيها أولاً فلما خلق الله آدم أي سوى طينته ونفخت فيه من روحه كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] تعين فيه من روحه ﷺ على حسب تسويته ومظريته فكان آدم بجسمه وروحه مظهراً للروح المحمدي الكلي بحسب قابليته فظهر هو فيه بحسب مظهريته فلما توقف حصول المعرفة الإلهية على ظهور الروح المحمدي الذي هو جامع لجميع الحقائق الإلهية وجميع الحقائق العلوية الروحية في الصورة الطينية العنصرية البشرية والصورة الجمعية الكلية المحمدية وكانت تلك الصورة في غيوب أصلاب الآباء وبطون أرحام الأمهات في صلب آدم كالنواة له في مظهرية الروح المحمدي الكلي توقف ذلك الظهور على حصول التسوية في مادة تلك الصورة من الجهة التي تلي الظاهر والحس لا من الجهة التي تلي الباطن والغيب كما وقعت التسوية في طينة آدم لنفخ الروح فيه فقدر الله تعالى على مقتضى حكمته البالغة وقدرته الكاملة في تلك التسوية المراتب والأطوار بحسب الأصلاب المعينة المعدودة، والأرحام المقدرة المعهودة، في صلب آدم كما قدر من النطفة في رحم المرأة أطواراً حيث قال: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فجعل صلب آدم الذي هو كالقشرة لصلب ولده وللأصلاب التي فيه ولتلك الصورة المحمدية التي هي كاللب لها محل التسوية لظهور الأصلاب التي في صلبه وفي وقته فلما حصلت التسوية في صلب آدم عليه السلام لظهور الصلب الذي هو كاللب له وهو صاحب ولده نعينت النطفة فيه وظهرت منه بحسب المحل والتسوية الإلهية فيه أي ظهرت بصورة زبدة أخلافه وسيرته ووقعت تلك النطفة هيولى ومحلاً لظهور صورة الولد وصلبه فكان صلب آدم كالقشر الذي انشق عن لبه وكان ولده بالنسبة إليه كاللب وبالنسبة إلى الأصلاب التي في صلبه وإلى الصورة المحمدية فيها التي هي لب اللب كالقشر الصائن للبه فتعينت المادة المحمدية في ولده وصلبه بحسب المحل وتعين الروح المحمدي أيضاً في تلك المادة بحسبها فباعتبار تعين مادته ﷺ في أصلاب آبائه وكونه لبهم وتعين روحه في صورهم كان ﷺ عين آبائه وعين النطفة في أصلابهم وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة».

فلما حصلت التسوية في ذلك الصلب لظهور الصلب الآخر فيه الذي هو محل التسوية الأخرى أيضاً ظهر ذلك الصلب فيه فتعينت المادة المحمدية فيه بحسبه تعيناً زائداً على تعينها في صلب أبيه كتعين الصورة الإنسانية في صورة النطفة في رحم الأنثى أولاً ثم في صورة علقة ثم في صورة مضغة ثم في صورة عظام ثم في صورة لحم إلى تعينها في صورة الشرية الإنسانية التي تنتج الولادة فكلما ازدادت التسوية في النطف بارتفاع قشور الأصلاب عنها قرب ظهور تلك الصورة والمادة المحمدية فجعل الله كل صلب من أصلاب الرجال من آبائه ﷺ على

الترتيب الذي وقع في الوجود محل طور تلك التسوية على الوجه الذي يقتضي سلامة تلك المادة عن الانحرافات من حيز الوسط ويقتضي حصول الاستعداد منها للانتقال إلى الطور الآخر والتقلب في الصلب الآخر الطاهر فيزيد على جميع الأصلاب التي عبر عليها وخواصها وكمالاتها وأسرارها هكذا مترقياً سالماً ومندرجاً عارجاً بالأوصاف الزائدة والكمالات الحسية الوجودية إلى أن وصلت تلك المادة إلى آخر تلك الأطوار في التسوية وتلبسها بلباسه وهو العبودية المحضة التي تقتضي انفتاح الصورة المحمدية فيمن تحقق بها وهو والده أبوه عبد الله المتصف بالعبودية المحضة وتكاملت تلك النشأة الكلية والمادة المحمدية بحصولها في صورة اقتضت العبودية الكاملة التي تقتضي انتفاخ الصورة الإلهية فيها فلما حصلت التسوية في تلك المادة لانتفاخ النطفة الطاهرة الطيبة بحسب المحل الطاهر الطيب التي تصلح لانتفاخ الصورة المحمدية فيها نفخ الله تعالى في تلك الصورة المسواة والمادة المستعدة روح النطفة الطاهرة فتعين في الصلب الطاهر المطهر عن دنس الغيرية والطاهر بصفات العبودية التي تطلبها حضرة الألوهية والحقيقة الكلية المحمدية وانفصلت منه في وقت سعيد مع موافقته جميع الأسباب العلوية والسفلية إلى رحم أمه آمنة من الانحرافات الطبيعية والصفات السفلية العائقة ومن طرفي الإفراط والتفريط فحفظها الله في ذلك المحل الأطهر والوعاء الأصفى الأنور في جميع الأطوار الرحمية والمنازل الاستقرارية ورباها على ماتقتضيه الحكمة إلى أن تكاملت تلك النشأة وتمت التسوية الإلهية ثم نفخ فيها الروح المحمدي والسر الأحدي الجمعي الذي يتوقف ظهوره وتعينه على تلك النشأة الكلية والتسوية الإلهية الجمعية ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] فولد في وقت سعيد وظهرت به الصورة الجمعية الاسمائية وانفتحت فيه النسخة القرآنية وحصل به الغرض الإلهي من بَدء الإيجاد والخلق لأنه ظهر الأصل في صورة الفرع من النتيجة بسبب الإحاطة الكلية وصفة العبودية التي جاء بها من غير تعويق بشيء في أصلاب الآباء ولا انحراف في الأمهات والآباء لأن سيره كان على وتيرة واحدة على الطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية فما عبر على شيء غير ملائم لما أراد الحق منه وما عوق في الطريق بشيء لا يوافقهُ ولا يساعده في الظهور بهذه الصورة المحمدية والجمعية الذاتية والرحمة الإلهية فإن الحكيم الذي أراد ذلك الظهور وحكم به في الأزل وقضى لا رادَّ لقضائه ولا مانع لحكمه لأنه لا تحجير في القدرة الإلهية فإنه لو عبر على شيء يخالف طهارته لأثر ذلك الشيء فيه لا محالة لأن كينونة كل شيء إنما تكون بحسب المحل ولاسيما في حالة الوقاع لأن الولد لا يظهر إلا بصورة والديه لأنه صورة سرهما ولاسيما في حالة الوقاع.

كما قال ﷺ: «الولد سر أبيه» لأن مادة الولد في صلب أبيه إنما تعينت أولاً من رطوبته الغريزية وحرارته الطبيعية بل من زبدة جميع أخلاطه وصفاته وأخلاقه فيكون صورة سر أبيه

فإذا انتقل إلى رحم أمه تنضم إليه رطوبتها الغريزية وأخلاقها الطبيعية فيتربى بتلك ويتغذى بدم طمثها بحسب أخلاقها وسيرتها وصفاتها وكدورتها فلا يظهر الولد إلا بصورة سر والديه ولا تتعين له المادة الجسمانية إلا من جسمانيتهما بل تظهر سيرتهما بصورته فما تعينت مادة جسمانية نبينا ﷺ إلا من جسمانية أبويه وأخلاقهما وصفاتهما.

فلما ظهر ﷺ بالصورة الطيبة الطاهرة البشرية والقابلية الكلية الإحاطية التي اقتضت ظهور الحق وتجليه بالصورة الجمعية الأسمائية وحصول المعرفة الربانية والعبادة الإلٰهية التي لأجلها تعلقت الإرادة الذاتية بعالم الخلق، وتوجه الروح المحمدي إلى عالم الكثرة والفرق، وظهر به النسخة القرآنية، التي اقتضت المعرفة التامة والعبادة الكلية وصار هو رحمة لأعيان الممكنات وحقائق الموجودات كلها وبالاسماء الإلهية المستكنة في غيب الهوية ظهرت طهارة أبويه ونزاهتهما عن دنس الميل والالتفات إلى الغير لأنهما كانا أصل خلقته وبشريته فظهر هو بصورة الطهارة التي كانت في نفسهما الطاهرة الطيبة وذاتها المطهرة القدسية.

فلما ظهر ﷺ بالطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية الكلية من غير تغيير ولا انحراف على الصورة التي أرادها الحق تعالى أزلاً لأجل الظهور والإظهار ولأجل المعرفة والعبادة عرف من طهارته طهارة أبويه بل طهارة آبائه كلهم بحسب مراتبهم الوجودية لأن الله تعالى جعلهم كالمعدين لهذه الصورة المحمدية لأن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية إنما توقف حصولها على ما أرادها الحق على الصورة المحمدية الكمالية وتوقف حصول هذه الصورة على كمال الاستعداد في الآباء بحسب مراتبهم في الأخلاق والتحقق بالصفات الكمالية كالتسليم والانقياد إلى الله والعبودية المحضة التي تقتضي اضمحلال صفات العبد وذاته في الأنوار الإلهية والتجليات الذاتية ولهذا كملت التسوية لتلك المادة المحمدية عند وصولها إلى أبيه عبد الله الذي تحقق بعبودية الله التي هي أكمل صفات العبد إذ ليس للعبد فوق العبودية إلا الاستهلاك فلهذا قدر الله أزلاً أن يكون أباً له ﷺ لأن الصورة المحمدية لا تظهر إلا من العبودية المحضة التي هي أكمل الصفات الكمالية الإنسانية فلهذا كان أبوه عبد الله آخر آبائه فما ولد إلا على الصورة الكمالية الكلية التي قدر الله ظهوره فيها وبها وما ذلك إلا من جهة أبيه الذي هو أصله وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «الولد سر أبيه».

وهذه الطهارة لأبويه من جهة جسمانية أي طهارتهما من طهارة جسمانيته وهذه المادة الجسمانية له ﷺ من جهة نسبه وعرقه من آبائه إلى آدم عليه السلام لا من جهة الغذاء الذي تغذى به أبواه الذي نزل بحسب السلسلة الوجودية من العقل الأول إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان أي الغذاء الذي تغذى به أبواه فكل مادة جسمه ﷺ في الصورة الإنسانية فإنه لا حكم فيه لآبائه بل للموجودات التي عبر عليها ولا للوالدين الذين ولد بينهما لأنه نزل على وتيرة واحدة

فافهم، وأما من جهة روحانيته وروحه ﷺ فإن روحه أول مظهر من المظاهر النورية، وأول مجلى من المجالي الإلهية، فهو مطلع الشمس الوترية، ومشرق نور الصمدية، لا يتعين في شيء إلا ويقلبه إلى وصفه، ولا يظهر في مظهر إلا وينصبغ ذلك المظهر بصيغه، إذ هو الكبريت الأحمر، والحجر المكرم الأنور، الذي يقلب ما جاوره من النحاس والأقرب إلى وصفه وإلى هذا أشار بعض الكمل بقوله: وللأرض من كأس الكرام نصيب، فما مر ﷺ على صلب إلا وأثر فيه إذ كان هو مطرح هذا النور الإلهي، والروح المحمدي، فأبواه ﷺ كانا من أصفى مطالع هذه الشمس الصمدية، وأنور مشارق النور الفردية، شرفهما الله بما لم يشرف به أحداً من بني آدم إذ خصهما بذلك الأمر الخطير في علمه تعالى وقضائه فظهر على ذلك الوصف في العين إذ بهما انفتحت الصورة الإلهية الأسمائية، والنسخة الكمالية القرآنية، ومنها فاضت الرحمة الرحمانية العامة لجميع الموجودات العلوية، والمخلوقات السفلية، فلما كان أبواه ﷺ على الوصف الذي يقتضي ظهوره بينهما على الصورة الكمالية التي قدر الله ظهوره بها وظهر هو بينهما على تلك الصورة من جهة طهارتهما التي تقتضي ظهوره بتلك الصورة بينهما على ما يحبه الحق ويرضى رضي الله تعالى عنهما لإظهارهما تلك الصورة على حسب إرادته ورضاه بالطهارة والنزاهة التي كانت محلاً مستعد التعين تلك الصورة الكمالية المحمدية فيها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فصل

اعلم أن المعرفة الإلٰهية والعبادة الربانية الذاتية لما توقفت على الصورة الكمالية المحمدية والصورة الكلية الحسية البشرية التي تحتوي على الصورة الإلهية الأسمائية المؤثرة الفعالة في الجمعية الأسمائية في حضرة الوجوب، والصورة الخلقية المظهرية المؤثرة الانفعالية في الجمعية الخلقية في بقية الإمكان محل النقائص والعيوب.

وتوقف تحقق تلك الصورة في حضرة الحس والشهادة على خلق الله تعالى آدم على الصورة الكليية الجمعية، التي تجمع بين الصورة الإلٰهية الأسمائية الفعلية، وبين الصورة المظهرية الخلقية الانفعالية، نفخه فيه من روحه من حضرة الألوهية والحقيقة المحمدية، وعلى تحقق تلك الصورة الآدمية بحقائق الأسماء وفيوضها وتجلياتها وكونها مظهراً لجميع الأسماء الإلهية، والصفات الربانية، وحقائق المظاهر الخلقية، وخواصيها المودوعة فيها وزبد كمالاتها التي تستدعيها الصورة الكمالية الآدمية.

خلق الله تعالى آدم على القابلية الكلية التي تجمع بين الصورة الإلهية الأسمائية، والصورة الخلقية المظهرية، ونفخ فيه روحه فظهرت فيه الصفات الإلهية، وتجلت له الأسماء

الوجودية، واجتمعت فيه زبد جميع المظاهر الخلقية وخواصها وكمالاتها التي لزمت الخليفية ورتبة الخلافة عن الله فتحققت به الخلافة عن حضرة الألوهية، وحصلت الإفاضة للأسماء بتجليها في مظاهره وإظهارها آثارها وأحكامها وفيوضها فيها وحصلت الاستفاضة للمظاهر بقبولها ربوبيات جميع الأسماء وآثارها وأحكامها بحسب استعداداتها المختلفة وحقائقها المتنوعة، فاجتمعت في آدم الكمالات الأسمائية، والكمالات المظهرية التي توقف حصولها في آدم وتحققه بحقائقها وحصول الاستعداد الكلي فيه على الإضافة الكلية الجمعية، من حضرة الجمع والوجود، وينبوع الفيض والجود.

فلما كان محمد ﷺ بجسمه وروحه روح الروح المنفوخ في آدم وسره ولبه الذي يمده وكان آدم بمظهريته الكلية الجمعية الأسمائية كالبشرية والقشر الذي يحفظ إذ كان الإمداد والإفاضة من اللب والحفظ والتربية والإظهار من القشر وأراد الحق للظهور الجمعي الأحدي الكلي، والشهود الأسمائي التفصيلي، نقله من البطون إلى الظهور، ومن الكمون إلى السفور، فجعل له في بطون آدم منازل وأطواراً للتنقل من السير الآدمي، إلى رتبة الظهور البشري، على عدد الآباء المقدرة له في علمه تعالى أزلاً في صلب آدم من أبيه عبد الله إلى إدم على ما تقتضيه الحكمة الإلهية، في إظهار تلك الصورة المحمدية، في الصورة الحسية البشرية، كما جعل للنطفة في رحم المرأة أطواراً كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] إذ كان ﷺ في الروح المنفوخ في آدم كالانسانية في النطفة وبه حصول التسوية في كل طور من الأطوار الرحمية لأجل الانتقال من طور إلى طور بحيث يتوقف انتقاله من طور إلى حصول التسوية فيه فكلما كملت التسوية فيه وقع الانتقال كما وقع الانتقال من طور النطفة عند تمام التسوية فيه إلى طور العلقة وظهوره في صورة العلقة إلى آخر الأطوار الرحمية وهو ظهوره في صورة البشر، فلما كملت التسوية للمادة المحمدية في آدم الذي هو بمنزلة الطور الأول من جهة الظاهر للظهور الكلي المحمدي لتحققها في رتبة الخلافة وظهور كمالات الصورة الإلهية الأسمائية الفعلية، وكمالات السورة الإمكانية المظهرية الانفعالية، وآثارها وخواصها فيه عليه السلام، وحصول الإفاضة من خزائن الأسماء الاستفاضية والقبول من المظاهر وحقائق الأشياء وحصل لها الاستعداد للانتقال إلى طور آخر انتقلت تلك المادة المحمدية في صورة نطفة آدم التي ظهرت وتعينت في صلبه خواص جميع الأسماء الإلهية وربوبياتها وفيوضها التي تحققت في آدم وخواص جميع الأشياء وصفاتها الكمالية الوجودية وزبدها وخلاصتها التي جمعتها الصورة الآدمية إلى رحم حواء وبعد التربية الإلهية في الأطوار الرحمية في حواء إلى ظهورها في الصور البشرية في رحمها ثم إلى ولادتها في صورة ولده

شيث عليه السلام الذي هو بمنزلة الطور الثاني لظهور تلك المادة بالنسبة إلى الآباء المقدرة له ﷺ في بني آدم فتعينت المادة المحمدية فيه تعيناً زائداً على تعينها في أبيه آدم وهكذا لم تزل تظهر من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة من شيث إلى إبراهيم بالكمالات الوجودية والصفات الكمالية التي تقتضي ظهور تلك المادة وتعينها بها وظهورها وتلبسها بالصفات الأخر الكمالية الإنسانية والإلهية التي تقتضي ظهور الصورة المحمدية البشرية فيها وارتفاع الظروف والقشور التي كانت محفوفة بها

وأكمل تلك الصفات وأوفقها لذلك الظهور والانقياد إلى الله بالتجلي المفاض من الله إفناء الوجود بالله الذي عبر عنه بلسان الشرع بالإسلام فلهذا طلب إبراهيم عليه السلام ذلك الإسلام له ولذريته الذين هم آباؤه ﷺ الاختصاص ظهوره بمرتبة العبودية المحضة التي تقتضي الانقياد إلى الله لأنه عبد محض لاحظ له في القيومية فمن توجه من البطون إلى الظهور لا يصل إلا بصفة العبودية والفقر إلى الله وكذلك لم تزل المادة المحمدية تظهر من صلب إبراهيم وأصلاب ذريته بالصفات الكمالية الزائدة والاستعدادات الوجودية المكتسبة.

فلما كان الفقر الذاتي الذي هو صفة العبد المحضة المتصفة بالعبودية المحضة مستقر النور المحمدي والسر الأحمدي الذي لا يتعين فيه غيره لأنه لا يقبل التجزي ولا الغيرية وكان أقرب صفات العبد من الله لأنه ليس بينه وبين حضرة الألوهية حجاب ولا واسطة ولا قبلت عينه الثابتة وحقيقته المطلقة الوجود إلا به وما تعين روحه أولاً إلا بصفة الفقر والعبودية المحضة توقف ظهور المادة المحمدية في الصورة الحسية البشرية من آبائه على حصول الفقر الكلي في الصفات الوجودية وحصول وصف العبودية المحضة التي تقتضي انقطاع العبد عن العالم واتصاله إلى الحق لأنه ﷺ بحقيقته كان مظهراً للجمع الأحدي ولا يظهر ذلك الجمع إلا في المظهر الإنساني الكمالي الذي فني في الله بوجوده وصفاته وذاته ولا يحصل هذا في العالم التفصيلي إلا برجوع الأمر إلى الأصل الذي منه بدأ ووصوله إليه، وحكم الأصل فيه وعليه وهو الجمع الذاتي الأحدي، والتعين الكلي المحمدي.

فلما حصل ذلك حكمت سلطنة الذروة العرشية، وحلت نوبة دولة الميزان الذي هو أعدل البروج في الفلك الأطلس واقتضت إظهار الصورة المحمدية، في الاسم الظاهر في الحضرة الحسية البشرية، لاختصاصها بالنوبة الميزانية، والدولة الاعتدالية، التي تعطى إفاضة جميع الأسماء في حضرة الوجوب حقوق التجليات على مظاهرها بحسب استعدادها وقابليتها وتعطى قبول المظاهر حقوقها المعينة بالموازين المقدرة من الاستعداد القابلية من الأسماء واستفاضتها واختصاص الميزان بإظهارها مع موافقة ربوبيات الأسماء الإلهية، والأدوار الفلكية، وحركات الكواكب وتوجهات جميع العوالم العلوية السماوية، والعوالم السفلية

الأرضية، وقواها وخواصها وسائر الأسباب التي أودعها الله بهذه الصورة الكلية المحمدية، في الحضرات الأسمائية، والعوالم الروحانية والمثالية، والخزائن المظهرية السفلية، وجعلها كالمقدمات لتلك الصورة الكلية الكمالية، فلما انتهت الانتقالات الصلبية، والتحولات المادية المحمدية، إلى غايتها وهي ظهورها بصورة أبيه عبد الله بانتهائها إليه بالكمالات الأسمائية وخواص جميع الموجودات العلوية والسفلية وقواها وزبد أسرار الآباء وأخلافهم وخلاصتها من آدم إلى عبد الله يستدعي اجتماعها فيه تحقق التسوية الكلية، والقابلية الإحاطية في المادة المحمدية، وظهرت وتعينت فيه بصفة الانقياد الكلي والفقر الذاتي العيني والعبودية المحضة التي ليس فوقها وصف للعبد وحصلت فيه مادة تلك التسوية الكلية لانتفاخ الصورة المحمدية فيها فاقتضت تلك التسوية الغذاء المعتدل صورة وحكماً فتجلى الحق لتلك المادة في صورة الغذاء المعتدل وتناول عبد الله ذلك الغذاء بأحسن وجه وأسعد وقت فلما وقع الالتحام المعنوي والنكاح النمري بين تلك المادة المستعدة والغذاء المعتدل ووقعت الاستحالة في الغذاء بين ازدواج الغذاء بتلك المادة نفخ الله تعالى في تلك المادة التامة التسوية روح النطفة الكلية الجامعة في اعتدال زمانه فاستقرت في صلبه وتلبست بلباس المحل الطيب الطاهر وظهرت بوصفه المبارك ونوره الباهر، ولما كان بدء هذا الأمر من حضرة الجود والوهب اصطفى الله آمنة ابنة وهب لهذا الأمر الجسيم، وجعل رحمها صدفاً لهذا الدر اليتيم، لاختصاصها به واختصاصه بها لكمال طهارتها ونزاهتها وكمال استعدادها وجعل الزوجية بينهما فلما توجهت المحبة الأصلية الأزلية وحكمت المناسبة الكلية الذاتية فيها في أكمل حالة وأجمع وجه وصح الاجتماع بينهما انتقلت النطفة الطيبة الطاهرة والدرة اليتيمة النورية المباركة من مرتبة الفردية التي تقتضيها عبودية عبد الله بالطهارة الأصلية والنزاهة الكلية في صورة العبدوية المحضة والوصف الغالب عليه في حال الوقاع الذي يلايم ذاته المقدسة والمرتبة الكلية المحمدية إلى رحم آمنة الآمنة من الانحرافات الطبيعية، الأمينة على تلك الأمانة الإلهية، في أيمن ساعة وأسعد طالع مع موافقة جميع الأسباب العلوية واجتماعها على تربية تلك النطفة الميمونة، والدرة المكنونة، ورعاية ذلك المزاج الأكمل الأعدل، والوجه الأسلم الأجمع الأشمل، على ما يطلبه الروح المحمدي الأقدس الأسنى، والنور الأحمدي الأنفس الأصفى، المسمى بالعقل الكلي والقلم الأعلى، في أكمل وقت وأسعد ساعة، فلما اقتربت الساعة وانشق القمر، وقرب طلوع الشمس من المغرب على ما قد جاء في الخبر، ولد ﷺ في أيمن الأوقات، وأجمل الحالات، حساً ومعنى.

وأضاء بنوره عند ظهوره العالم كله شرقاً وغرباً، كما أخبرت أمه آمنة عن ذلك عند ولادته في حديث طويل، ولما انتهى سيره ﷺ إلى صورة البشرية، وظهر فيه من روحه الكلي

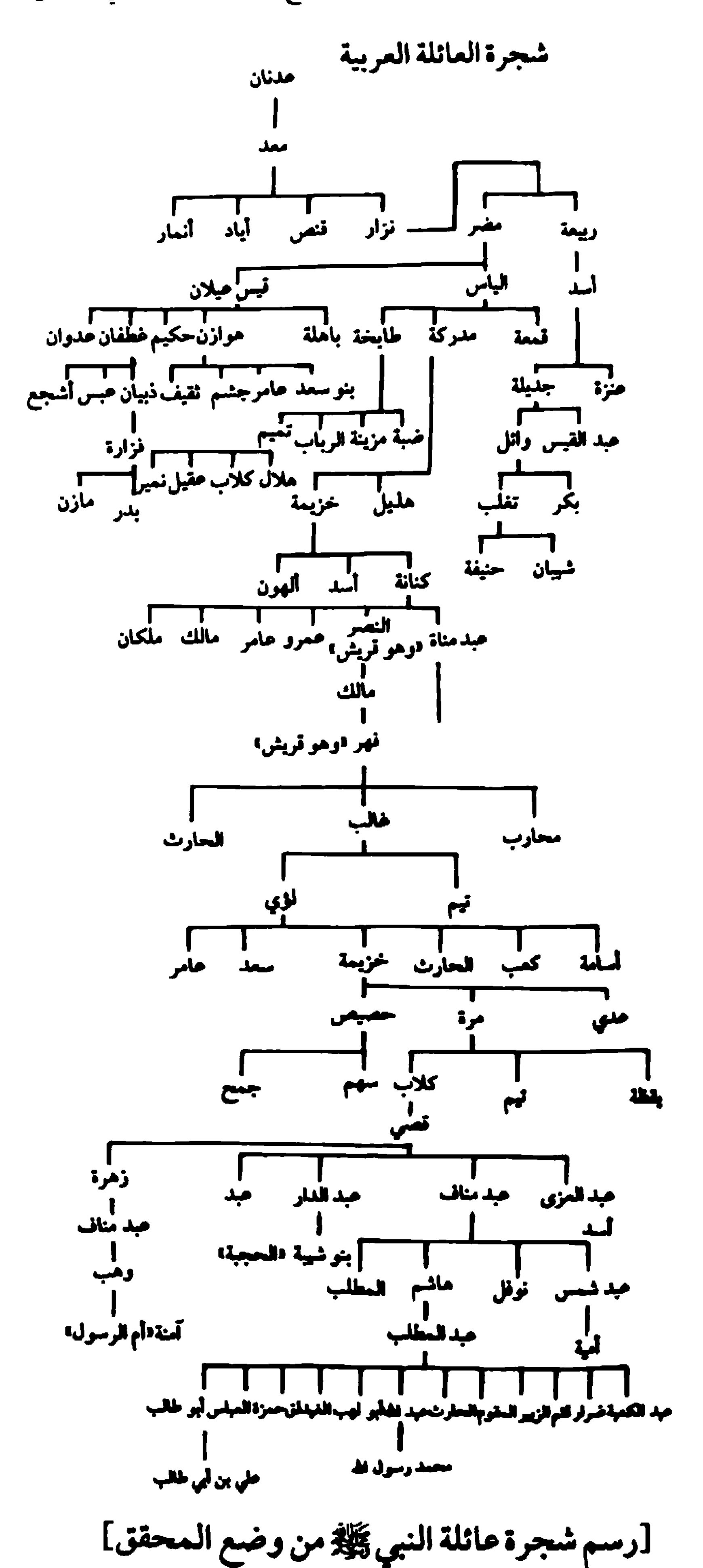
على حسب تلك الصورة العنصرية وأراد الحق بلوغ تلك الصورة إلى رتبة الصورة الكلية الكمالية المحمدية، التي توقف ظهور الروح المحمدي الإلهي عليها، أخذ ﷺ يعرج في تكميل تلك الصورة الكلية، بقطع مراتب البشرية، وتحصيل القوى الجزئية المزاجية، والقوى الكلية العقلية الروحية، والقوى الكلية العقلية الروحية، إلى أن بلغ أربعين من عمره الذي هو رتبة تخمير الطينة البشرية المحمدية، ورتبة نفخ الروح الكلي المحمدي من الحقيقة الكلية، وحضرة الهوية الغيبية، ورتبة النبوة والرسالة ورتبة الخلافة عن الله ورتبة قاب قوسين ورتبة الظهور الكلي الإلهي الجمعي، الذي توقف على ذلك المظهر الكلي المحمدي، وذلك الجسم المستعد والمستوى القابل الأحمدي، ثم سار يقطع مراتب الأكملية إلى رتبة أو أدنى التي ليس فوقها رتبة وبالله التوفيق.

واعلم أن الروح الكلي المحمدي والنور الأحمدي لما توقف ظهوره وتعينه في الصورة البشرية العنصرية المحمدية على طهارة عرقه ﷺ ونسبه وطهارة مادته وتسويتها مع آدم عليه السلام بالانتقالات الصلبية والتحولات الاستعدادية في آبائه إلى آخر أب له صورة وهو عبد الله وحصولها في رتبة العبودية المحضة التي تقتضي انقطاع العبد عن العالم واتصاله بالحق بارتفاع النسب الخلقية، والصفات الإمكانية، التي قد كان تلبس بها النزول في الصورة البشرية، كذلك توقف تكميل النشأة الكلية الإنسانية، ونفخ الروحانية الكلية المحمدية النورانية، المفاضة من حضرة الوجوب على حصول التسوية الكلية، في الصورة الحسية البشرية، بإعراضها عن علائق هذا العالم وتوجهها إلى حضرة الألوهية، بقلب سليم وإفناء صفاتها وأحكامها في الله جميعاً وتحققها بصفة العبودية المحضة التي لا واسطة بينها وبين حضرة الوجوب التي أفاضت الروح المحمدي والنور الأحمدي من الحقيقة المحمدية الكلية المطلقة وبالله التوفيق.

فصل في آبائه ﷺ

إلى إبراهيم عليه السلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. إلى هنا روى البخاري من غير اختلاف ابن اد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قيل: إن آدم عليه السلام أولد حواء أربعين ولداً في عشرين بطناً إلا شيث وصيه فإنه ولد



[رسم شجرة عائلة النبي ﷺ من وضع المحقق]

منفرداً كرامة لكون نبينا ﷺ من نسله، ثم لما توفي وصى بنيه بوصية أبيه له أن لا يضعوا هذا النور الذي كان بجبهة آدم إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها في القرون إلى أن وصل ذلك النور لجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

وذكر الحافظ أبو سعيد النيسابوري: أن نور النبي ﷺ لما صار إلى عبد الله بن عبد المطلب كان يضيء في غرته ويفوح من فمه رائحة المسك الإذفر وكانوا يستقون به فيسقون ونام في الحجر فانتبه مكحولاً مدهوناً قد كسي حلة البهاء والجمال فتحير في من فعل به ذلك فانطلق به أبوه إلى كهنة قريش فقالوا إن إله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج، ونام مرة أخرى في الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا: إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والأرض وليكونن في الناس علماً.

وأخرج أبو نعيم والخرائطي وابن عساكر: أن عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للرؤى التي رآها وقد مرت كاهنة قرأت الكتب فرأت نور النبوة في وجهه ومن ثمة كان أجمل رجل في قريش فسألته أن يقع عليها وتعطيه مائة من الإبل فأبي، وقال: أما الحرام فالممات دونه. فمر به أبوه حتى أتى به وهباً أبا آمنة فزوجه بها وهي يومئذٍ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فوقع عليها يوم الإثنين أيام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تكلمه فسألها: لمَ لم تعرضي نفسك الآن علي؟ قالت: فارقكَ النور الذي سألتك لأجله.

ولما وضعت أمه رأت نوراً أضاء له قصور الشام

وفي رواية قالت: لما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، وآمنة تلتقي مع رسول الله ﷺ من جهة آبائه في كلاب لأنها ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وكان وهب سيد بني زهوة نسباً وشرفاً وأم آمنة مرة ابنة عبد العزى بن عبد الدار بن قصي بن كلاب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

المطلع الثاني في ثبوت إسلام أبويه ﷺ بالآيات التي أخبر الله بها عن دعوة إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها في حقه عليه السلام.

اعلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أمره الحق تعالى ببناء البيت للعبادة كما قال ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة:١٢٥] الآية امتثل أمره تعالى فشرع مع ابنه إسماعيل في بنائه فلما رفع قواعد البيت دعا الله تعالى كما أخبر الله عنه فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧] الآية فأفرد الله إبراهيم في رفع القواعد لأنه كان هو الباني وإسماعيل المناول.

وقال إبراهيم بضم ولده إسماعيل إليه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧] أي أعمالنا وسعينا في بنائنا البيت بأمرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] لندائنا وأعمالنا ونباتنا وما في ذواتنا ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨] أي منقادين لأمرك في الانقياد لما تريده من التصرف فيناوبنا في عالمك لك ولما يجري منك علينا من الأحكام التي تقتضيها عبوديتنا وتقتضيها حضرة الألوهية ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] وهذا اختصاص لبعض ذريته وهم آباء نبينا ﷺ وأجداده من إبراهيم إلى أبيه عبد الله اعتناء بهم وطلباً لحصول الاستعداد بالانقياد إلى الله تعالى والاستسلام إليه لظهور الرسول الذي هو في لب أصلابهم ولهذا اختص البعض أي واجعل البعض من ذريتها ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] أي منقادة مستسلمة في الانقياد لأمرك حتى يحصل بهم الأمر الذي لأجله خلقت الخلق ويظهر بهم وفيهم الأمر الكائن في علم غيبك ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة:١٢٨] أي متعبداتنا، أي محل عبادتنا أو مذابحنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ [البقرة:١٢٨] أي أرجع علينا بالإفاضة من بحر جودك حتى نتوب إليك ونرجع إلى حضرة قدسك بالاستفاضة والاستهلاك في أنوار شهودك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [البقرة:١٢٨] على من رجع إليك ٱلرَّحِيمُ لمن لاذ بجناب قدسك، ولما تخلل الخليل في الحضرات الإلهية، والخزائن الأسمائية، وشاهد فيها بنور النبوة وعين البصيرة كمال نور نبينا ﷺ ووجوده الحسي في أصلاب الرجال من ذريته الذي يأتي بالكتاب المبين، وبه يظهر الحق ويكمل الدين، وبه يحصل المراد الإلهي من انجاز عالم التفصيل ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ [البقرة:١٢٩] أي في تلك الأمةُ المسلمة من ذريتي ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] أي من أنفسهم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة:١٢٩] التي تنزلها عليه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٢٩] أي القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩] أي وضع الأشياء في موضعها وهي الإصابة في الأمور على ما هي عليه من حقائقها ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:١٢٩] أي يزكي نفوسهم من تلوث الالتفات والميل إلى الغير ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

اعلم أن إبراهيم عليه السلام طلب من الله في ندائه هذا أموراً:

أحدها: أن يجعلهما مسلمين منقادين له والإسلام والانقياد إلى الله صفة العبد وهما مراتب وأعلاها مرتبة قرب النوافل التي هي مرتبة اضمحلال صفات العبد ومرتبة قرب الفرائض التي هي مرتبة اضمحلال ذات العبد، وأعلى مراتب الانقياد بإفاضة التجليات الإلهية على العبد فتستهلك صفاته بصفات الحق وتستهلك ذاته بتجليات الحق فكل ما يظهر منه إنما يظهر بتلك الإفاضة الإلهية والا يسند إلا إلى الله، فطلب إبراهيم عليه السلام من الله أعلى مراتب الإسلام وهو الانقياد إليه بالتجلي الإلهي المفاض منه تعالى فيكون انقيادهما إليه مجعولاً له تعالى بإفاضة التجلي والقدرة على مراتب العبد والاستكنان تحت الأسرار الإلهية

والظلال الربانية فلما شاهد إبراهيم عليه السلام نفسه وعاد للسر المحمدي طلب أعلى الانقياد الذي هو كالتوبة لظهور وجود النبي ﷺ.

والأمر الثاني: لما شاهد إبراهيم النبي ﷺ في بطون بطون لبه وأصلاب أصلاب رجال من صلبه بحسب القرون المتطاولة والأزمنة المتعينة لهم طلب لهم الإسلام والانقياد الذي طلبه لنفسه ليظهر ذلك النور الإلهي والروح المحمدي على الوجه الذي أراد الحق تعالى فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] أي طلب من الله تعالى أن يجعل من ذريته أمة مسلمة أي منقادة له تعالى بالانقياد الذي يحصل من الإفاضة الإلهية والإعانة الربانية فحض ذريته بل البعض منهم الذين هم لبه لأنه رأى النور المحمدي يتلألأ في غيوب بطون ذريته في صلبه فطلب انقياده المجعول لتظهر ذريته على سره وطلب انقياد ذريته له تعالى الذي هو سر انقياده ليحصل كمال التوبة لظهور تلك الصورة المحمدية.

والأمر الثالث: طلب محل العبادة والتعبد وذلك لوجهين:

أحدهما: أنه كان في بناء البيت للطواف والعبادة فطلب من الله أن يريه محل العبادة عنده وتعينه له لأن العبد لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه بل يفعل بأمر السيد.

والثاني: كان إبراهيم مهيماً في أنوار جمال الحق تعالى فكان لا يميز مظهراً من مظهر ولا محلاً فطلب من الله أن يعينه.

والأمر الرابع: طلب من الله أن يبعث في تلك الأمة المسلمة من ذريته رسولاً منهم فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [البقرة:١٢٩] هو سيدنا محمد ﷺ فيتضمن ذلك القول أموراً:

أحدهما: أن تكون الأمة التي بعث فيهم سيدنا محمد ﷺ منهم مسلمة بالإسلام المجعول من الله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك الرسول من ذرية إبراهيم لأن الأمة التي بعث فيهم رسولاً كانوا من ذريته.

والثالث: امتداد الملة الحنفية والشريعة الخليلية إلى بعثة نبينا ﷺ وعدم انقطاعها بين إبراهيم وبين بعثته ﷺ، لأن الإسلام قبل بعثته في ذرية إبراهيم عليه السلام من جهة إسماعيل عليه السلام لا يتصور إلا على دين إبراهيم عليه السلام ولا يتصور بعثته من الأمة الإسلامية من ذريته إلا بامتداد الإسلام منه في القرون التي بين إبراهيم عليه السلام وبين نبينا ﷺ إلى بعثته.

والرابع: بعث الرسول فيهم منهم لا من غيرهم لأن الرسول المختص بهم لا يمكن أن يجيء من غيرهم لاختصاص ظهوره منهم وحينئذ لا يبعث فيهم غيره لأنه ظهر بصورة الانقياد

الذي فيهم وأنتج أن يظهر على تلك الصورة أن انقيادهم الكلي إنما وقع لتلك الصورة المحمدية التي هي المراد الإلهي فكانت صورة نتيجة لانقيادهم وحالهم فرجعت إليهم ثمرة أعمالهم فلا يبعث فيهم إلا الرسول الذي هو صورة انقيادهم ونتيجته وهو منهم لا من غيرهم لأنه لا تظهر تلك الصورة المحمدية إلا من انقيادهم فكان ﷺ من الأمة المسلمة نسباً وملة فشرف الله إبراهيم بأن ختم ملته من حيث أضافتها إليه برسولنا ﷺ عند بعثته في ملة إبراهيم عليه السلام لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم عليه السلام وشرفه الله أيضاً بجعل ملته شرعاً له ﷺ وإحيائه إياها وجعلها ملة باقية دائمة إلى يوم القيامة.

والخامس: أن يجيء الرسول بين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالدين الآخر لتكون الأمة المسلمة هي التي بعث فيها نبينا ﷺ ودينه الذي بعث فيه هو دين الإسلام، **والسادس** ثبوت بعثة نبينا ﷺ في ملة إبراهيم عليه السلام من حيث كون ملته شرعاً له من الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨] فإذا ثبت امتداد الإسلام وعدم انقطاعه من إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعثة نبينا ﷺ وثبت وجود الأمة المسلمة التي بعث فيها منها ثبت توحيد أبيه عند الله وإسلامه وتوحيد أمه آمنة وإسلامها على طريق أخرى لأنه لا يتصور وجوده فيهم ومنهم وهما من ملة دونهم، ولما ثبت كونه منهم بحسب القرابة الطينية ثبت كونه منهما وكونهما أمة مسلمة بحسب القرابة الرحمية على طريق أخرى لأن مادة جسمه البشري ما تعينت إلا في أبيه ﷺ، وما كملت صورته البشرية إلا في رحم أمه فثبت كونهما أمة مسلمة كما قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل:١٢٠] ولو لم يوجد مسلم غيرهما والعكس بخلاف ذلك فإنه لا يجوز إطلاق بعثته من الأمة المسلمة بحسب القرابة الطينية فكونه منهم بحسب كونه منهما فلما دعا إبراهيم عليه السلام أول ما دعا عند البيت الذي أمره الله ببنائه للعبادة والدعاء أن يبعث الله من الأمة المسلمة من ذريته رسولاً منهم استجاب الله دعاءه لأنه صادق وقد وعد باستجابة دعاء عباده كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] فحفظ دينه بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته عليه السلام ثم بعثه فيهم وما كان غرض إبراهيم في دعائه هذا إلا استدامة العبودية في الأمة المسلمة من ذريته وبعثة الرسول إلى تلك الذرية المسلمة ودعا له وكان هو كالدر اليتيم مكنوناً في لبهم وهذا هو عين مراد الحق وبه تعلقت الإرادة الإلهية كما وقع بعد بعثته ﷺ فحفظ الله دين إبراهيم بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته ﷺ فلهذا ما بعث إلا في دين إبراهيم فأحياه.

فلما بعث الله محمداً اعلم أنه تعالى أجاب دعوة إبراهيم وأنه ما بعث إلا من الأمة المسلمة من ذريته عليه السلام فثبت كون أبويه ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام وهو الإسلام

الذي طلبه من الله له وللأمة من ذريته هذا من جهة دعوة إبراهيم فقط وأما من جهة أخبار الله تعالى عنه عليه السلام بهذه الآيات وشهادته عنه في معرض إثبات نبوة نبينا ﷺ بحكاية قول إبراهيم عليه السلام عند من توقف عن التصديق وعند من أنكر وادعى أنه على دين إبراهيم وسمع من آبائه دعوته بذلك الدعاء وكون شهادة الله عنه عليه السلام في هذه الأخبار بمنزلة الشاهد على نبوة نبينا ﷺ، فيكون ذلك القول من الله نصاً على كون أبويه من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام، أي أن رسولكم الذي أرسلته فيكم من أنفسكم هو الرسول الذي دعا به أبوكم إبراهيم وطلبه منا أن نبعثه فيكم بعد طلبه منا أن نجعلكم أمة مسلمة وأنتم سمعتم من آبائكم دعوة أبيكم عليه السلام في حقكم بالإسلام وانبعاث الرسول فيكم منكم ولا تنكرونه، بل تنتظرون بعثته.

وأما من جهة بعثته ﷺ وثبوت رسالته بالمعجزات الظاهرة والآيات القاهرة فثبوت رسالته يتضمن إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام وهو يتضمن كون أبويه ﷺ من الأمة المسلمة ولهذا قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[1]، بل ثبوت رسالته عين ثبوت كونه من الأمة المسلمة لثبوت بعثته منهم بشهادة الله تعالى فمن آمن برسالة سيدنا محمد ﷺ وصدقه فيها آمن ببعثته من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام.

واعلم أن إبراهيم عليه السلام لما تحقق بالإسلام والانقياد إلى الله كما يقتضي انجذب قلبه من عالم الحس إلى عالم الغيب فأطلعه الله على صورة محمد ﷺ في أصلاب رجال من صلبه كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٧٥] فشاهد أنه يبعث رسولاً بالكتاب وأنه يحيي دينه وبه يحصل المراد الإلهي من إيجاد عالم الحدثان وشاهد أن تلك الصورة المحمدية إنما تظهر بكمال العبودية والاستسلام إلى الله تعالى ثم طلب من الله انقياد أمة من ذريته إلى الله وإسلامهم حتى تظهر ذريته بصورة الانقياد الذي هو سيرته عليه السلام ويظهر فيهم أيضاً الانقياد الأخير الذي شاهده بالصورة المحمدية فكان غرضه من قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] استدامة دينه وبقاءه حتى يظهر ذلك الرسول الذي اراه الله اياه في اصلاب رجال من الامة فلهذا قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩] فقبل الله دعوة إبراهيم عليه السلام في حق نفسه ودينه وفي حق الأمة المسلمة من ذريته وفي حق الرسول الذي بعثه فيهم ومنهم لأنها هي مراد الحق ووافقت إرادته فلما أرسل الله الرسول

---

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). وصاحب مناهل الصف (٣٠). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١).

بالكتاب في دين إبراهيم عليه السلام علمنا أن بعثه من الأمة المسلمة من ذريته وعلمنا ببعثه من الأمة المسلمة عدم خلو الزمان بين إبراهيم عليه السلام وبين تلك الأمة المسلمة بل بين مبعث نبينا ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام عن قوم مسلمين من ذريته وغيرهم الذين أقاموا دينه وبهم قال الدين وإن وقعت الغلبة للمفسدين والمشركين في بعض الأزمنة فجاء ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام وأمر بالاتباع له قال تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥] وقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

فلما كان هذا القول نصا في الاتباع لدين إبراهيم عليه السلام كان نصاً في وجود الأمة المسلمة من ذريته الذين بهم قام دين إبراهيم عليه السلام وإذا كان نصاً في وجود الأمة المسلمة كان نصاً في إسلام أبويه لكونه منهما ولم يكن نص آخر يعارضه بوجود المشركين بينهم لأنه لا يحكم على أحد من القوم الذين بعث فيهم منهم رسولاً بالشرك على التعيين إلا بالنص الصريح وإن وقعت عبادة الأصنام قبل بعث الرسول فكيف في حق أبويه ﷺ وهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم فإن أبراهيم عليه السلام دعا بثبوت الأمة من ذريته على الإسلام وإبقائه فيهم إلى بعث الرسول منهم وبعث الله فيهم الرسول بنص القرآن وما بعد الحق إلا الضلال فكيف يحكم مسلم بإشراك جميع ذريته؟ حاشا فهذا بغي وضلال فإن إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات خص البعض من ذريته بالإسلام إشارة إلى آبائه ﷺ لأنه لا يمكن بعثه من أعراق جميع ذريته وطلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يجنبه وذريته كلهم عبادة الأصنام بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] لإمكان ذلك.

فبعث الله نبينا ﷺ بدين إبراهيم من حيث كونه شرعاً فأحياه فأكمله به قال الله تعالى في حقه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وأبقاه إلى يوم القيامة ولما ثبت بالنصوص الإلهية والآيات اتباعنا واتباع نبينا لملة إبراهيم حنيفاً وثبت وجود دين إبراهيم عليه السلام والذين قاموا بالدين وأقاموه ثبت إسلام أبويه ﷺ وتوحيدهما لكونه منهما وظهوره بينهما فإن إطلاق الأمة المسلمة وإرادتهما منها أحق وأقرب من إطلاقها وإرادة أقربائه لأن القرابة الرحمية أقرب من القرابة الطينية كما ذكرنا.

فصل: في الآيات التي تدل على طهارة نسبه ﷺ

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] فنهي المشركين لنجاستهم المعنوية عن التقرب من المجسد الحرام، أي عن الدخول فيه والوطء على أرضه، وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] فجعل

الأوثان عين الرجس فنهى عن التقرب منها وقال تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ [النور: ٢٦] فخص الخبيثات من النساء المشركات بالخبيثين من الرجال المشركين وخص الرجال الخبيثين بالخبيثات من النساء للمناسبة التي اقتضت المقارنة بينهما.

وقال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦] فخص الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء فإذا جعل الله المشركين عين النجس ونهى أن يقربوا المسجد الحرام وجعل الأوثان عين الرجس ونهى عن التقرب منها فكيف يقر العليم الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها الروح الطاهر الطيب النبوي الذي هو رحمة للوجود بأصلاب المشركين وأرحام المشركات التي هي عين النجاسة ويجعلها أصله ﷺ في التكوين والتصوير فحاشا قدره جناب القدس الإلهي عن العجز والتحجير، وحاشا عزة ذلك النور المبين عن التلوث والتلبس بما لم يكن من عالم التقديس والتنوير، وقد خص الله الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء، وإذا كان هذا في الالتحام النكاحي فوقوعه في أصلاب الرجال وأرحام النساء للمناسبة بينهما وبين النطف التي تتكون في الأصلاب وتسقر في الأرحام أولى بذلك لأن الاختصاص في الأول للمناسبة بين الشخصين وفي الثاني إنما لتعين النطف ويولد بصورة سر الآباء والأمهات فافهم.

المطلع الثالث في الآيات الدالة على ثبوت ملة إبراهيم عليه السلام وبقائها في ذريته وعدم اندراسها من زمان بعثة نبينا ﷺ:

قال الله تعالى في سورة البقرة بعد ذكر دعوة إبراهيم عليه السلام ببقاء ملته وبقاء الأمة المسلمة من ذريته وبعث الله فيهم الرسول منهم: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي يردها، أي لا يرغب أحد عن ملته ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي لا يعرض عن ملة إبراهيم إلا من جهل نفسه وجهل شرف ذاتها لكمال قابليتها لانطباع الصورة الإلهية الأسمائية فيها وأهانها وجهل مرتبتها عند الله فلم يعرف أن شرف نفسه وكمالها إنما يحصل بالتحقق بملة إبراهيم وهو الانقياد إلى الله والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية تماماً فكان الظهور بالملة التحقق بملة إبراهيم عليه السلام فإن ملة إبراهيم كانت في النفس بالقوة وإذا حصل الاستكمال يظهر بالفعل فمن عرف شرف نفسه وكمالها في الانقياد الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام لا يرغب عنها وهذا القول من الله يدل على وجود ملة إبراهيم عند بعثة سيدنا محمد ﷺ بالنبوة والدعوة إلى الله والتحريض على الاتباع لها، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥] وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أي قالوا في الترغيب إلى

ملتهم أي قالت اليهود: كونوا هوداً. وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا. جواب للأمر قال الحق تعالى قل أمراً لمحمد ﷺ: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة:١٣٥] أي قبل بل كونوا أهل ملة إبراهيم أو بل نتبع مِلة إبراهيم فأمرهم بالاتباع لملة إبراهيم وذلك يستلزم وجود ملته عليه السلام وأحكامها حنيفاً أي مائلاً عن الباطل إلى الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥] تعريض بالمشركين من أهل الكتاب وغيرهم فإنهم كانوا يدعون اتباعهم لملة إبراهيم عليه السلام وهم مشركون، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [يونس:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عينية أنه سئل هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام قال: لا ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

فإن قيل: كيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد ابراهيم؟

يقال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن يعبدوه إذا أسكنهم إياه، فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦]، ولم يدع لجميع البلدان بذلك ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] فيه وقد خص أهله، وأخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في هذه الآية قال فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته فاستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعل إماماً من ذريته يقيم الصلاة.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣] أمره الله تعالى أن يتبع ملة أبيه إبراهيم فكانت ملته شرعاً من الله وليس فوق هذا في إثبات ملة إبراهيم وبقائها إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ نص فأن سيدنا محمداً ﷺ كان في ملة إبراهيم قبل بعثته فلما بعث منها بعث بها من حيث كونها شرعاً له وقال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم:٤٠].

أخرج ابن جرير في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ

﴿يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم:٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر:١١] أي آدم وهم كانوا في صلبه ثم من نذفة، أي من آدم عليه السلام ونطف بنيه ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [فاطر:١١] من ذكر وأنثى للتوالد والتناسل وامتداد النوع الإنساني ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ [فاطر:١١] من نطفة ذكر ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ [فاطر:١١] حملها ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١] وإذنه، فالخالق الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها ويجري الأمور على سبلها ومسالكها الذي خلق أولاً روح محمد ﷺ وجعله أصلاً وأبا لجميع الأرواح وقدر في الأزل ظهور الحق والدين به وكونه مظهر كلياته وبه تحصل المعرفة الربانية والعبادة الإلهية التي قصدت من بقعة الإمكان وأنزل القرآن الذي يتضمن الجمع بين صورة العبودية والتحقق الكلي بالعبودية المحضة على قلبه لا يخلق محمداً من نطفة مشرك أبداً ولا يجعل الزوجية بين مشرك ومشركة ليكون هو نتيجة عنهما ولا يريد أن تحمل مشركة من نطفة مشرك محمداً ﷺ الذي هو رحمة الوجود، ومفتاح خزائن الكرم والجود، لأنه يخالف حكمته ولا تحجير عليه ولا مجبر له على ذلك حاشا لأنه مستخرج من حضرة الألوهية على الصورة الجمعية الأسمائية ولأن وجوده ﷺ قصداً خاصاً لله تعالى لإظهار أحكام بوبيته، وانتشار رأفته ورحمته على بريته، بخلاف حال سائر الكمل من الأولياء والرسل فافهم.

فإذا كان خلق الإنسان من نطفة وجعل الزوجية بين الزوجين أمراً مخصوصاً بالله تعالى وكان حمل الأنثى ووضعها حملها بعلمه تعالى وإذنه فما خلق محمداً ﷺ إلا من اطهر بقعة وأصفاها، وأشرف لمعة وأنورها وأسناها، وما جعل الزوجية بين أبويه إلا في أشرف الأصول وأكرمها وأمجدها، وما رباه في رحمها التي هي أطهر الأرحام إلا بأحسن التربية وأطيب الأغذية التي تقتضيه طهارة ذاته ونزاهتها، وما وضعته إلا في وقت سعيد أيضاً يعلمه الحق موافقاً لكماله وقدره له على مقتضى علمه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ [الزخرف:٢٦] أي بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦] أي من الآلهة التي تعبدونها ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٧] الصراط المستقيم، والطريق القويم، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد باقية، أي أراد بقاءها في ذريته أو وجعل إبراهيم كلمة قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] كلمة باقية أي طلب بها من ابقاء ملته في ذريته ودوامها إلى مجيء الرسول منهم فاستجبت دعاءه فجعلتها باقية في ذريته متصلة ببعث الرسول فيهم منهم فأضاف الجعل إلى إبراهيم لاستدعائه بقاءها في ذريته وكونه سبباً لبقائها فيهم أو فطلب إبراهيم منا بقاءها فجعلتها كلمة باقية دائمة في ذريته إلى مجيء الرسول فيهم منهم.

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]، قال: شهادة أن لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم عليه السلام.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]، قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال عبد بن حميد: حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]، قال: شهادة أن لا إله إلا الله. والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده.

وقال عبد الرزاق في تفسيره عن ابن معين عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]، قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده أخرجه ابن المنذر ثم قال: وقال ابن جريج في الآية: في عقب إبراهيم فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يوحد الله ويعبده بقوله: لا إله إلا الله، وقال: وقول آخر فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨] أي لعل المشركين منهم في كل دور يرجعون إلى الله بدعاء الموحدين من ذريته، ثم اضرب عن جعل إبراهيم كلمة التوحيد ودوام ملة إبراهيم عليه السلام في ذريته إنما هو بإعطاء الله لهؤلاء القوم من قريش وآبائهم من النعمة وطول العمر فكان بقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول ﷺ بإمداد الله إياهم وحفظهم حى جاءهم الحق ورسول مبين أي متعت هؤلاء وآباءهم إلى إبراهيم بالمد في عمرهم وعدم انقطاع نسلهم فبقيت الكلمة الإبراهيمية والملة الخليلية في ذريته إلى مجيء الحق أي ظهور دعوة التوحيد ورسول ظاهر بالمعجزات القاهرة، فأخبار الله لنا في القرآن أنه جعل كلمة التوحيد وملة الإسلام في ذرية إبراهيم باقية لم تزل فيهم من لدن إبراهيم إلى بعثة رسول الله ﷺ فيهم إنما هو من جهة آبائه وأجداده كلهم إلى إبراهيم عليه السلام، فثبت توحيد عبدالله أبي النبي ﷺ وأمه وإسلامهما وتوحيد سائر آبائه إلى إبراهيم عليه السلام، وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما شاهد في أصلاب رجال في صلبه صورة محمد ﷺ وبعثه بالكتاب والحكمة ورأى إحياءه الحق وملته وشاهد أن ظهور تلك الصورة المحمدية في الحضرة الحسية إنما يكون الإسلام والانقياد إلى الله وإفناء الوجود في الله وكان مغرماً بظهوره طلب من الله أن يبقى الإسلام والتوحيد في ذريته نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن إلى بعثة الرسول ليكون ذلك سبباً لظهور الصورة المحمدية والنسخة القرآنية وبهما يظهر الحق ويكمل الدين فكان أبواه ﷺ من الأمة المسلمة الذين طلب إبراهيم في الدعاء بعث الرسول منهم بالكتاب وجعل الله كلمة التوحيد باقية في ذريته أي في جميع آباء النبي إلى إبراهيم إلى مجيء الرسول منهم كما شهد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] وكان ذلك من إبراهيم تدبيراً

إلهياً في ظهور الرسول الذي شاهده في أصلاب رجال من ذريته فطلب من الله ظهوره بالكتاب والحكمة ولا يكون ذلك إلا ببقاء التوحيد والانقياد إلى الله في ذريته في جميع آباء النبي إلى بعثه ﷺ لأن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [تازخرف: ٢٨ - ٢٩] يقتضي ذلك.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] فأخبر الله تعالى في هذه الآيات عن بقاء ملة إبراهيم وبقاء دينه في ذريته إلى بعثه ﷺ منهم وأمرنا ببعضها باتباع تلك الملة الحنيفية والشريعة الخليلية وأمر رسول الله ﷺ في بعضها أيضاً باتباعه لها ودعوته بها من حيث كونها شرعاً له ﷺ فإذا صح بقاء ملته في ذريته إلى بعثه ﷺ سح توحيد أبويه وإسلامهما لكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم، بل لكونهما أمة مسلمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: ١٢٠] فإن نسبته إليهما أقرب من نسبته إلى ذوي قرابته فافهم التخليص، واعلم أن الملة الحنيفية والشريعة الخليلية التي هي الإسلام اتصلت إلى بعثة نبينا محمد ﷺ، بل بعث هو فيها ومنها وأمر باتباعها وإحياء أحكامها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وما وقعت الفترة بين الشريعتين أي بين شريعة إبراهيم وشريعة نبينا ﷺ من حيث اندراس شريعة إبراهيم عليه السلام وعدم بعثته ﷺ لأنه بعث في دين إبراهيم وكانت الأحكام التي وضعها إبراهيم عليه السلام أصول شريعته ﷺ بل كان الغرض الإلهي من ملة إبراهيم بعثة نبينا ﷺ فيها بالكتاب المستوعب لجميع الشرائع الإلهية والنبوات البشرية مع اختصاصه بأحكام زائدة عليها، بل وقعت الفترة والفتنة في دين إبراهيم عليه السلام وبجيوش الشرك من عبدة الأصنام ووقوع الغلبة منهم على الإسلام كما وقعت الفترة في دين نبينا ﷺ في زمان التابعين وبعدهم بحدوث الفرق الضالة مع بقاء الإسلام والمسلمين فإن الله تعالى أمر نبينا ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام ووجود ملته إلى زمان بعثه ﷺ إلى الذين أقاموا الملة والدين وبهم قامت الملة كما قال ﷺ في الصلاة من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين، فامتداد الملة وبقاؤها من زمان إبراهيم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ لا يقع إلا بوجود المسلمين في الأزمنة التي بينهما وإقامتهم إياها فإذا ثبت وجود ملة إبراهيم في زمان بعثته ﷺ ثبت وجودها من زمان إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعثته ﷺ وإذا ثبت وجود ملة إبراهيم ثبت إسلام أبيه عبد الله وتوحيده، لأن المراد من الملة الحنيفية الانقياد إلى الله تعالى وتسليم الأمور إليه والتحقق بالعبودية المحضة التي توجب ظهور الصورة الكلية المحمدية والمراد منها ظهوره وبعثته ﷺ فإذا ظهر من صلب عبد الله بصفة العبودية ولهذا أسماه الحق بالعبد.

وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] علم عبودية عبد الله وتحققه بها لأن الولد سر أبيه ولا يتصور التحقق بها إلا بالإسلام والانقياد إلى الله والتوحيد وكذلك أمه فكان أبواه ﷺ على ملة إبراهيم عليه السلام، ودين الإسلام الذي اتصل إلى ابنهما محمد عليه الصلاة والسلام ومن أصدق من الله قيلاً والله يقول: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾.

المطلع الرابع: في الأحاديث التي دلت على طهارة نسبه إلى آدم عليه السلام قال النبي ﷺ: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة».

وقال في حديث آخر أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه» أي بعثت في صور أصولي وآبائي من لدن آدم عليه السلام إلى عبد الله في كل قرن من خير قرون بني آدم أي بعثت في خير ذلك القرن.

ولهذا قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩] إنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد وكان خير تلك القرون قرناً بعد قرن لأنه بمنزلة الأصل للشجرة والقرون بمنزلة الشجر والصور الموجودة المشهودة بمنزلة أغصان الشجرة وأوراقها وأزهارها وأثمارها ولا يجيء المدد والفيض للشجرة وأغصانها وأوراقها إلا من أصلها حتى كنت أي مازلت في الظهور في أصلاب الآباء المعينة في القرون المقدرة إلى أن كنت بغير واسطة صورة أب من الآباء، بل بالصورة البشرية الكلية والصورة الجمعية الإلهية المختصة بي بالرسالة الكلية العامة في القرن الذي كنت فيه فحينئذٍ كانت آباؤه الذين كان هو في أصلابهم وظهر بصورهم من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله في كل قرن خير ذلك القرن لكونهم مظاهر للجمعية الأسمائية وإفاضة الله على الأعيان الممكنة في بقعة الإمكان من تلك الجمعية وكونهم محل مادة جسمه ﷺ الذي فيه تجلى الروح الكلي المحمدي بجسمه.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فاخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية» أي ما افترق الناس من لدن آدم عليه السلام في قرن فرقتين إلا جعلني الله في خير فرقة منهما فأخرجت في كل قرن في صورة الأب المختص بذلك القرن من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية من عبادة الأصنام وغيرها فكان جميع آبائه إلى آدم مسلمين سواء كانوا في عهد الجاهلية أو في غيره، وخرجت من بين أبوي من نكاح شرعي ولم أخرج من سفاح، أي زنا، من لدن آدم حتى انتهيت أي في الخروج على الطهارة الأصلية إلى أبي عبد الله وأمي آمنة سالماً من أوصاف أهل الجاهلية وشين السفاح فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً،

وأخرج البيهقي في سننه ما ولد من سفاح الجاهلية شيء ما ولد في إلا في الإسلام، وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها، وأخرج الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر: «**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء**».

وأخرج أبو نعيم لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، وابن مردويه قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] أي بفتح الفاء قال: أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم من سفاح كلنا نكاح.

وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب بن الكلبي عن أبيه قال: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة في صورة الآباء والأمهات من لدن آدم مصفى من الكدورات الطبيعية مهذباً عن الأوصاف السفلية لا تتشعب شعبتان في كل قرن إلا كنت في خيرهما**».

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**كنت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله تعالى آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي لم يلتقيا على سفاح قط**».

وأخرج مسلم والترمذي صححه عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**».

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف في فضائل العباس من حديث واثلة بلفظ «**إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من إبراهيم إسماعيل واسطفى من مضر كنانة وقريشاً ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب**» أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى.

وأخرج ابن سعيد في طبقاته عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله**

ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما» أي كنت في كل قرن وزمان خير الفرقتين من أهل ذلك القرن والزمان، قال جلال الدين السيوطي.

اعلم أن الأحاديث المذكورة تصرح أكثرها لفظاً وكلها معنى أن آباء النبي ﷺ وأمهاته إلى آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر ليس فيهم كافر لأنه لا يقال في حقه مختار ولا طاهر ولا مصفى بل يقال نجس قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] فوجب أن لا يكون في أجداده مشرك مازال منقولاً من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومازال ينقل نوره من ساجد إلى ساجد كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩] فالآية تدل على أن جميع آبائه ﷺ كانوا مسلمين وحينئذٍ وجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما كان ذلك عمه.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤] قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر بأسانيد من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال ليس آزر إبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، قال: ليس آزر بأبيه، وإنما هو إبراهيم بن يترخ، أو تارخ بن شاروخ بن ناخور بن فالخ. وحينئذٍ كان آزر عمه والعرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال السيوطي أيضاً وأخرج أبو علي بن شاذان في ما أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية: منا رسول الله ﷺ، فقالوا: نبتت النخلة أو الشجرة في الأرض الكباد فذكرت ذلك صفية لرسول الله ﷺ فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس فقام على المنبر فقال: **«أيها الناس من أنا»** قالوا: أنت رسول الله. قال: **«انسبوني»** قالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: **«فما بال أقوام ينزلون أصلي فوالله إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً»**.

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال: بلغ النبي ﷺ أن قوماً نالوا منه فقالوا: إنما مثل محمد كمثل نخلة أنبتت في كناس فغضب رسول الله ﷺ فقال: **«إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلاً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً ثم قال أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً»**.

واعلم أن النبي ﷺ لما كانت حقيقته أصل جميع الحقائق الإلهية والكونية وأصل جميع الأرواح كان هو روح آدم المنفوخ فيه ولب لبه فلما أراد الله أن يفتح به خزائن الكرم والجود ويظهر به أعطيات الأسماء من حضرات الجمع والشهود نفخه في آدم في لب الروح المنفوخ فيه فما ظهر في صورة لبُّ آبائه من آدم إلى أبيه عبد الله في كل قرن وزمان إلا كان هو خير أهل ذلك القرن والزمان وذلك لوجهين:

أحدهما: أنه ﷺ أصل جميع الصور الكونية والصور البشرية الإنسانية وروحها لأنه الروح المفاض من حضرة الفردية والوترية ولا يتعين فيها غيره فلا يماثله روح ولا صورة لأنه أول تعين من التعينات العلمية والعينية وأصل جميع الصور العلوية والسفلية فلا تماثله الصور التي تفرعت منه وكان هو روحها ولبها ففي أي صورة من صور آبائه من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله ظهر وتعين كان هو خير جميع الصور في ذلك القرن لأنه روح الكل ومنه الإفاضة والإمداد إلى جميع تلك الصور.

والثاني: أنه لما كان المراد الإلهي من إيجادعالم الإمكان الذي توقف حصوله على الصورة المحمدية الحسية الشهادية كانت الصورة المحمدية في كل واحد من آبائه في جميع القرون من لدن آدم إلى أبيه عبد الله أكمل جميع الصور وأجمعها وخيرها في كل قرن من القرون التي ظهرت صورته فيها في صور آبائه لأن الصورة الإلهية إنما ظهرت وتجلت في صورته بحسب قابليتها واستعدادها والمعرفة الربانية إنما تحققت وحصلت في كل قرن بتلك الصورة لكونها أنور جميع الصور وأجملها وأكملها وفي كل صورة وجهة توجد روحه ﷺ وتعين فيها كانت تلك الصورة سيدة الصور كلها، وحينئذ كانت صور آبائه ﷺ من لدن آدم كالمنازل والمراحل لروحه ﷺ إلى عالم الظهور ومن حضرة الجمع والعماء لكمال الجلاء والاستجلاء إلى أن وصل إلى منزل حضرة العبودية المحضة التي تقتضي فناء العبد فيها بالذات والصفات وتحققه بالفقر الكلي الذاتي الذي كان لعينه الثابتة في العلم وفي حال العدم الذي يقتضي تعينه الكلي في الحضرة العلمية أولاً وهو وصوله إلى أبيه عبد الله فلهذا ظهرت صورته الحسية المحمدية من أبيه عبد الله على الصورة الكلية الكمالية التي أرادها الحق لأجل الجلاء والاستجلاء الكلي لتحققه بالعبودية المحضة لله تعالى.

وظهور الصورة المحمدية منه على الطهارة الأصلية الذاتية لطهارة المحل الأنور الأصفى من الصفات الكونية والأوصاف الخلقية فلتفرد عبد الله بالعبودية المحضة كانت هذه الصورة المحمدية الحسية كرتبة الفردية التي تعين فيها ومنها روح نبينا ﷺ أولاً لأن الصورة المحمدية لا تتعين ولا تظهر إلا من الفردية فكان تقلبه في الساجدين من آبائه ونقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة عين تحصيل القوة

والاستعداد فيه للوصول إلى رتبة العبودية المحضة التي يقتضي حصوله فيها ظهوره بالصورة الكلية المحمدية ولنفخ الصورة الإلهية الجمعية الآحادية فيه فلهذا طلب إبراهيم من الله إسلامه والانقياد إلى الله وطلب بقاء الإسلام والانقياد في ذريته حتى يحصل الاستعداد منهم والانقياد إلى الله والتوجه الكلّي والفقر الذاتي لظهور الرسول الذي شاهده في غيوب أصلاب الرجال من ذريته ويظهر به الأمر الإلهي ويحصل الظهور الكلي الذي أراده به.

كما قال إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩]، ولهذا قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي» فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن ظهوره بالصورة الكلية المحمدية وبعثه بالرسالة الكلية العامة إنما هو من دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام ونفسه الذي جرى في حقه ببعثه من رتبة العبودية الكلية التي يقتضيها الانقياد إلى الله في آبائه ولاسيما في أبويه اللذين هما آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية إذ لا يظهر الولد إلا بصورة أبويه وهذا في الأخلاق فكيف في الصورة الجسمانية التي لا تتعين في الولد الا بحسب والديه ولهذا لما كانت الطهارة في أبويه ﷺ في النهاية وبلغت فيه الصفوة الغاية من حيث تعينه في التفرد في أبويه في خيره الذي لا يقبل التجزؤ لم يكن لهما ولد يشاركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لاستحالة التعدد والتكثر في تلك الرتبة الفردية.

فلما ظهر في رتبة الفردية فرداً وانتقل منهما انتقلت الفردية فيه أيضاً وظهر هو بصورته فلم يبق لها وجود وبقاء في الحس بعد انفصاله منهما ولهذا مات عنه أبواه، فأما أبوه فمات وهو حمل. قيل: وهو حمل شهرين، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: مات وهو في المهد، فقيل: إنه مات في طيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام عند أخوال أبيه عبد المطلب بني النجار.

وذكر الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي في كتابه «الدرة السنية في مولد خير البرية»: كان سن عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله نحو ثمانية عشر عاماً ثم ذهب إلى المدينة ليشتري منها التمر فمات بها عند أخواله بني عدي بن النجار والنبي ﷺ حمل على الصحيح، وقيل: مات وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وقيل: كان لعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة، وقيل: كان عبد الله يوم تزوج آمنة ابن ثلاثين سنة، وقيل: سبع عشرة سنة.

وأما أمه ﷺ فماتت وهي بنت ثمانية عشر عاماً وكانت قد قدمت به طيبة تزور به أخوال أبيه فأقامت به عندهم شهراً ومعها مملوكته أم أيمن.

وأخرج ابن سعد أنه ﷺ لما رأى دار النابغة قال: «بهذه نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني النجار»، وكان قوم من اليهود يختلفون عليَّ ينتظرون إليَّ قالت أم أيمن: فسمعت

أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت أمه به ماتت بالأبواء».

وفي رواية: «أنها دفنت بالحجون»، وفي أخرى «في دار التابعة بمكة» فماتت أمه وهو ابن ست سنين، وقيل: لما بلغ ﷺ أربع سنين، وقيل: خمساً، وقيل: سبعاً، وقيل: تسعاً، وقيل: اثني عشر ماتت أمه، وتقدم أبوه في ذلك على أمه لتقدم انفصاله منه على انفصاله منها وعدم بقاء وجوده بعد انفصاله منه لأنه كان ظاهراً في صورة أبيه بل في صورة آبائه كلهم ولهذا قال لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة وتأخرت أمه عنه في ذلك أما قبل ولادته فظاهر وأما بعد ولادته فليتغذى بلبن أمه من أبيه ويتربى في حجرها فتقر عينها لمشاهدتها انتشاءه في حجرها فلما كان أبوه عبد الله بعبوديته التي تقتضي استدامة توجهه إلى حضرة الألوهية مظهر الفردية ووعاء المفرد المتعين فيه الذي لا يتعين فيه غيره واقتضت الفردية في التحقق على الصورة البشرية الكلية الكمالية الانتقال من عبد الله إلى رحم أمه انتقلت مع الفرد المتعين فيها إلى رحمها لتكمل الصورة البشرية المحمدية فيها ولتحقق الفردية في الصورة التي لم تتحقق بها في أبيه ﷺ وتعين فيها الفرد الذي كان كامناً فيها في أبيه عبد الله فلما اقتضت الحكمة الإلهية البالغة والإرادة الذاتية الرائقة تحققت الفردية في الصورة البشرية المحمدية وتعين الفرد المعين فيها في الصورة الكلية الكمالية وتكاملت نشأته ﷺ في رحم أمه ولد منها وظهر في الصورة الحسية الشهادية فلما انفصل منها بالفردية التي كانت كالروح لأبويه ﷺ وتحقق هو فيها بقيت صورتها بلا روح لأن الفردية لا تتعين في الشخصين ولا تقتضي غير الشخص الواحد.

فلهذا تفرد ﷺ فيها فاقتضى الأمر موت أبويه وعدم انتاجهما ولداً آخر غيره لأن الحكم الإلهي والأمر الرباني إنما يفاض من حضرة الفردية والفرد المتعين فيها فلو كان أبواه في الحياة لزم إكرامهما ومراعاة حقوقها ولهذا قال ﷺ: **«لو أدركتوا لدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء قد قرأت فيها بفاتحة الكتاب ينادي يا محمد لأجبته لبيك»**[1] ذكره البيهقي في شعب الإيمان، وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنما يتم ﷺ لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق.

وهذه الحضرة العلية لها رتبة السيادة والإفاضة لا التوجه إلى الغير سوى حضرة الألوهية والتذلل والعبادة لها فلهذا ما كانت لأحد عليه العزة، وفيه أمر آخر وهو أن اليتم كما لا يقتضي غير الفرد الواحد في مرتبته الفردية التي لا يتعين فيها غير الواحد الذي منه تنشأ الكثرة كذلك

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٤٥٥٠٠). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ١٧٤). والسيوطي في حاوي الفتاوي (٢: ٤٠٤).

في الظاهر في الصورة الحسية لا يتحقق إلا بقطع النظر عن النسب الخلقية والأوصاف الكونية بل بالإعراض عن الوجوه الجزئية الأسمائية سوى وجه المسمى الذي يجمع جميع الوجوه الأسمائية ولا تتجلى الصورة الإلهية الأسمائية إلا على اليتيم الذي فني في الله بذاته وصفاته وانقطع عن تعلق الكثرة الخلقية فلم يبق له سوى نسبة العبودية إلى حضرة الألوهية ونسبة الفقر الذاتي إلى الله فلما اقتضى الأمر الإلهي ظهور الحق به ﷺ وتجليه له بالصورة الجمعية الأسمائية التي تقتضي كمال العبودية وكمال الشهود تحقق ﷺ باليتيمية في الظاهر، فكان علماً في التسمي باليتيم لأن الفردية لا تتحقق في الظاهر إلا باليتيمية وهذه رتبة محمدية لا تتحقق إلا بالانسلاخ عن الأوصاف الخلقية والتحقق بالصورة الإلهية الأسمائية.

وإلى هذا أشار الحق تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فاقتضى أمر الوجوب وأمر العبودية والاختصاص بالجناب الإلهي موت أبيه ﷺ.

واعلم أن الحق تعالى لما خلق سيدنا محمد ﷺ لإظهار الصورة الإلهية الأسمائية والصورة الكلية الكمالية لأجل الإفاضة والاستفاضة وعين في الأزل على مقتضى علمه أن يكون عبد الله أباً وآمنة أماً له على الصورة التي اقتضتها حضرة الألوهية واقتضاها الظهور المحمدي واقتضت الظهور منهما على الصورة الكلية الكمالية المحمدية جعلهما أبوين له فظهر بالكمالات الكلية والمحاسن والأخلاق الفاضلة التي لم يظهر بها أحد من الآباء والأمهات من بني آدم إذ أنتجا الصورة المحمدية التي ظهرت بجميع الكمالات الإلهية الأسمائية سوى الوجوب وظهرت فيها جميع الكمالات الإنسانية فلا يتوهم في طهارة نسبه وطهارتهما إلا من بقيت عنده بقية من عرق اليهودية أو شعرة من نسب النصارى الذين ظهروا بالعداوة الكلية لسيدنا محمد ﷺ وبعدم الانقياد إلى دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ أعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

المطلع الخامس: في إحياء أبويه وإيمانهما به تشريفاً لهما: اعلم أن كثيراً من حفاظ المحدثين وغيرهم مثل ابن شاهين والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وغيرهم ذهبوا إلى أن الله أحيا له أبويه فآمنا به واستدلوا لذلك بحديث ضعيف أسند عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمر بعقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلاً، ثم عاد إليّ وهو فرح مبتسم فقلت له في ذلك فقال: «ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي

وردها الله»[١] وهذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين، بل قيل: إنه موضوع ولكن الصواب ضعفه وسبب الاختلاف فيه هو الاختلاف في إحياء الله إياهما وإيمانهما به وكيفما كان لا نحتاج في الاستدلال على إسلامهما بهذا الحديث سواء كان ضعيفاً أو موضوعاً لثبوت إسلامهما بالكتاب والأحاديث الصحيحة في حياتهما لأنهما كانا على دين جدهما إبراهيم عليه السلام وقبضهما الله عليه ولاسيما بعد عبور الروح المحمدي والنور الأحمدي الذي هو الإكسير الأعظم والحجر المكرم فيهما وانتشار الجسم المحمدي الختمي منهما الذي منه ظهرت جميع الأحكام الإسلامية والأوصاف الكمالية المحمدية فثبوت إحيائهما وإماتتهما بعد الإحياء يوجب تشريفهما بالإيمان به حساً فقط فلا حاجة في إثبات إسلامهما إلى الاحتجاج بذلك الحديث فسقط الاعتراض بأنه موضوع بل يسقط الاستدلال على إيمانهما به لمن استند به على إيمانهما بعد الإحياء فإنهما كانا مطرح الروح المحمدي ومطلع النور الصمدي الذي أشرف على المظاهر الكونية والأعيان الوجودية كلها.

المطلع السادس: في الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما في النار وعدم جواز الحكم به على ذلك

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يارسول الله أين أبي؟ قال: **«في النار»** فلما قام دعاه قال: **«إن أبي وأباك في النار»**[٢] روى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له.

اعلم أن لفظة قوله إن أبي وأباك في النار لم يتفق على ذكرها الرواة وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه وهي الطريق التي رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبي وأباك في النار ولكن قال: **«إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار»** وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمر ألبتة.

وأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعدى عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن إعرابياً قال: يارسول الله أين أبي؟ قال: **«في النار»** قال: **«حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار»**[٣] وهذا إسناده على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه

---

(١) رواه الشوكاني في مجموعة الفوائد (٣٢٢). والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١: ١٣٨).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٤٧). وأبو داود في السنن (السنة ب ١٧). وأحمد في المسند (٣: ١١٩، ٢٦٨). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ١٩٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٦٨٧). والبيهقي في دلائل النبوة (١: ١٩٢). والسيوطي في حاوي=

على غيره وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره، قال فأسلم الأعرابي بعده، فقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار، فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه ﷺ وإن الإعرابي بعد إسلامه رأى ذلك أمراً مقتضياً للامتثال فلم يسعه إلا امتثاله ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي وغيره اثبت منه كذا ذكره السيوطي.

وقال أيضاً: لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ كان معارضاً بما تقدم من الأدلة والحديث الصحيح إذا عارضته أدلة أخرى أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر في الأصول وبهذا الجواب الآخر يجاب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعاً عن الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فلعلها كانت عليها تبعات غير الكفر فمنع من الاستغفار لها بسببها.

والجواب عن الآخر: أن العرب تقول للعم: أباً وللعمة أماً كما قال ﷺ في عمه العباس: «هذا بقية آبائي»، وقال فيه أيضاً: «ردوا علي أبي»[1] الحديث وإطلاق ذلك على أبي طالب كان شائعاً في زمن النبي ﷺ ولهذا كانوا يقولون له: قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا فكان نسبية أبي طالب أباً للنبي ﷺ شائعاً عندهم لكونه عمه ولكونه رباه وكفله في صغره وكان يحوطه ويحفظه وينصره فيجوز أن يكون المراد من الأب في قول السائل فأين أبوك وقوله ﷺ في حديث أنس أن أبي عمه ﷺ نقل هذا عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدي فلا يكون هذا الحديث نصاً على كون أبيه ﷺ في النار. وقوله في حديث الاستغفار: [«فلم يؤذن»][2] له لا يكون نصاً على عدم قبول الاستغفار منه لأمه لوجهين:

أحدهما: أن كون قبر أمه في الحجون غير متفق عليه لأن الحديث الآخر يعارضه لأنه قيل أن أمه آمنة ماتت بالأبواء وفي رواية أنها دفنت بالحجون وفي بعضها في دار التابعة بمكة فلا اتفاق في كون قبرها بالحجون.

وقال الأزرقي في تاريخ مكة: حدثنا محمد بن يحيي عن عبد العزيز بن عمران عن هاشم بن عاصم الأسلمي قال: لما خرجت قريش إلى النبي ﷺ في غزوة أُحد فنزلوا بالأبواء

= الفتاوي (٢: ٣٩٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٧٠٧٧). والهيثمي في مجمع الزوائد (١: ١١٣).

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤: ٤٨٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠١٩٥). وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١١). وفي شرح معاني الآثار (٣: ٣١٥). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٧: ٢٣٦).

(٢) وردت في الأصل: «لم فيؤذن».

قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب: لو بحثتم قبر آمنة أم النبي ﷺ فإنه بالأبواء فإن أسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان بإرب من آرابها، فذكر ذلك أبو سفيان لقريش فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذا ينبش أبو بكر موتانا.

والوجه الثاني: أن عدم الإذن بالاستغفار لا يوجب كونهما من أهل النار لوجهين.

أحدهما: بالنسبة إلى النبي ﷺ لأنه مأمور بدعوة الأحياء إلى الإيمان لا بدعوة الأموات الذين انتقلوا إلى البرزخ قبل بعثته والاستغفار لهم وإن كان يستغفر لهم من تلقاء نفسه أو لأنه كان يطلب الإذن بالاستغفار من غير وحي إلهي له به والأولى والأجد له أن يكون عند وحي ربه ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف:٩] أو كان يطلب الإذن قبل مجيء الوقت وقبل القضاء به وذلك من الاستعجال الطبيعي ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه:١١٤]. وقال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [الأنبياء:٣٧].

والثاني: بالنسبة إلى من طلب الإذن بالاستغفار له لعدم مجيء الوقت المعين له عند الله فيؤخر لاختصاصه بالوقت الآخر فإذا جاء الوقت لا يؤخر فيؤذن فيجوز أن لا يؤذن في وقت ويؤذن في وقت آخر كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ماشاء الله، ثم رجع مسروراً وقال: «سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها» ذكره الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ فيبطل القياس بالحديث الذي رواه مسلم في عدم الإذن بالاستغفار على عدم الإذن لإبراهيم بالاستغفار لأبيه آزر والحكم به على أن أبويه ماتا بالشرك لعدم كونه نصاً صريحاً في ذلك لمعارضة حديث عائشة له وعدم دلالته على عدم الإذن مطلقاً للإذن له في وقت آخر والاستغفار أيضاً ما هو مخصوص بالمشرك والكافر، بل هو شامل للمؤمن والكافر والطائع والعاصي والولي والنبي كما قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [محمد:١٩]، وقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:٣] فلا يحكم بعد الإذن بالاستغفار بشرك من لم يقع الإذن بالاستغفار له لجواز عدم وقوع الإذن له قبل استيفاء الجزاء من المؤمن الممتحن فلا يقاس على عدم الإذن لإبراهيم عليه السلام بالاستغفار لأبيه آزر سواء كان آزر أباً له أو عماً كما وقع الاختلاف فيه، بل أقول: بعد هذا كله أن الحديث لا يدل على عدم طهارة أمه من الشرك، بل يدل على طهارتها لأنه ﷺ كان على بصيرة بأن الله تعالى لا يغفر الشرك ولا يقبل الاستغفار منه للمشرك ولهذا نهى الله إبراهيم عن الاستغفار لأبيه آزر، بل ورد النهي الإلهي له ﷺ عن الاستغفار للمشركين كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣] فهو لا يستغفر

للمشرك لأنه عند الوحي الإلهي لا غير فإذا صح طلبه الإذن بالاستغفار لأمه عدم إشراكها وعدم انتقالها على الشرك لأن طلبه الإذن بالاستغفار في حجة الوداع على ما قالت عائشة رضي الله عنها وورد النهي له عن الاستغفار للمشركين قبل ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٨٠] فحينئذٍ إذا صح طلبه الإذن أن يستغفر لها لأنه صحت طهارتها عن دنس التلوث بالشرك.

وقد أمره الحق أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات كما قال في سورة الحج: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩] فهو مأمور بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فما استغفر إلا لمن وقع له الإذن كاستغفاره لأمه فطلبه الإذن لزيارتها إنما هو عند الإذن الإلهي والأمر الرباني لا غير وهو يدل على طهارتها لأنه وقع النهي له عن القيام على قبر المشرك كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، فلما طلب ﷺ الإذن بالاستغفار لأمه علم أنها قبضت في الإسلام على الإيمان لأنه ﷺ لا يطلب المحال ولا الأمر الذي لا يرضى به ربه فمجرد طلبه الإذن بالاستغفار لها فيه كفاية في الدلالة على سعادتها، سواء أذن في الاستغفار لها أو لم يؤذن، أو استغفر لها أو لم يستغفر، فلا يستدل مسلم بحديث مسلم على أن أبويه ﷺ من أهل النار.

وأما الحديث الذي أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله أين أمي؟ قال: «أمك في النار» قلت: «فأين من مضى من أهلك» قال: «أما ترضى أن تكون أمك مع أمي» فلا يلزم منه أن تكون أم النبي ﷺ في النار وكذا الحديث الذي ورد في سؤال شخص عن أبيه قال: «أبي وأبوك في النار» فإن العرب تقول للعم أباً كما تقول للعمة أماً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما إنه كان يقول الجداب ويتلو قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق قال يسمى العم أباً.

وأخرج عن محمد بن كعب القرطبي قال الخال والد والعم واد وتلا هذه الآية، وأما حديث «ليت شعري ما فعل أبواي»[1] فنزلت ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ [:]

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٤٤٠). والسيوطي في حاوي الفتاوي (٢: ٣٨٩). =

لم يخرج في شيء من كتب الأحاديث المعتمدة وما ورد في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه والثابت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب.

وقال جلال الدين السيوطي: ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخر من جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان وذلك أن الآيات من قبل هذه ومن بعدها كلها في اليهود قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٤] ولهذا اختتمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآيتين، فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار مكة وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر.

وأما حديث: أن جبرائيل ضرب صدره، وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف وحديث: أنه قال لابني مليكه: «أمكما في النار» فشق عليهما فدعاهما فقال: «إن أمي مع أمكما» فضعفه الداقطني. وحلف الذهبي يميناً شرعياً بأنه ضعيف.

فالجواب عما ورد في أم النبي ﷺ: أن غالب ما يروى من ذلك ضعيفاً ولم يصح في أم النبي ﷺ إلا حديث مسلم خاصة وقد أجبت عنه.

واعلم أنه لا دلالة في تلك الأحاديث على وقوع الشرك من أبويه فكيف على موتها عليه كما زعم البعض فثبت أنهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم الذين دعا إبراهيم لهم بالإسلام ودعا ببعث الرسول فيهم منهم فقبل الله دعوته فحفظ ملته إلى بعثته ﷺ، بل إلى يوم القيامة فبعث فيها الرسول فأحيا ملته وأمر بالدعوة إليها من حيث كونها شرعاً فلما كان النبي ﷺ سر إبراهيم في قوة صلب أبيه والأصلاب التي في صلب إسماعيل الذي ظهر من صلبه كان شرعه ﷺ سر شرع إبراهيم عليه السلام ولبه فلهذا ظهر فيه، فما وقع الاندراس في ملة إبراهيم عليه السلام ودينه بينه وبين بعثة نبينا ﷺ، وما وقعت الفترة من حيث ملته، بل وقعت الفترة فيها من حيث حدوث الشرك والفساد من المتغلبين، وما وقع الفتح له لأنه ﷺ كان نتيجة دينه أي كان صورة الانقياد الذي في دين إبراهيم عليه السلام فلهذا كان ﷺ أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام بخلاف الشرع الذي في أولاد إبراهيم ونسله من جهة إسحاق عليه السلام في أنبياء بني إسرائيل لأنه ختم بعيسى عليه السلام ونسخ بمحمد ﷺ وذلك لأن إبراهيم إنما دعا عند البيت لبلد البيت والذرية الذين أسكنهم فيه ما دعا لجميع ذريته في جميع البلدان كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

= والسيوطي في الدر المنثور (١: ١١١). والطبراني في التفسير (١: ٤٠٩).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب بن منبه: أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فذكر الحديث بقوله في قصة بيت الله الحرام وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام: «واجعله أمة قانتاً بأمري داعياً إلى سبيلي أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم واستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته» الحديث وهذا الأمر موافق لقول مجاهد المذكور آنفاً، ولا شك أن ولاية البيت كانت مقرونة بأجداده ﷺ خاصة دون سائر ذرية إبراهيم عليه السلام إلى أن نزعها منهم عمر والخزامي ثم عادت إليهم فعرف إن كان ماذكر عن ذرية إبراهيم من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليه في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] وقد سبق أنه أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان ابن عيينة أنه سئل هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام قال: لا. ألم تسمع قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قيل فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم عليه السلام قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوها إذا أسكنهم إياها فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ولم يدع لجميع البلدان بذلك، فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ فيه وقد خص أهله وذلك لتحصيل الاستعداد في ذريته الذين أسكنهم عند البيت لظهور الصورة المحمدية التي كانت في صلب أولاده ولب ذريته في القوة التي بها تحققت التجليات الذاتية التي لم تزل ولا تزال فلهذا دعا إبراهيم ببعث الرسول فيهم منهم ذاتاً وحكمة دنيا وآخرة بخلاف التجليات الصفاتية التي كان إسحاق دعا لها وظهرت في أنبياء بني إسرائيل وختمت بعيسى عليه السلام وذلك لاضمحلال التجليات الصفاتية وعدم ظهور حكمها عند التجليات الذاتية فلهذا أبطنت الملة الإبراهيمية والشريعة الخليلية عند ظهور الصورة المحمدية فيها بالتجليات الإلهية الذاتية التي كانت في قوة إبراهيم وملته وهي الانقياد إلى الله والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية.

واعلم أن ظهور الصورة المحمدية والهيئة الجسمانية الحسية البشرية بين أبيه عبد الله وأمه آمنة إنما وقع بالوضع الإلهي وترتيب الله تعالى له، الأسباب من الآباء العلوية الفعلية الكلية وهي الحقائق الإلهية الفعلية والأرواح العلوية، ومن الأمهات السفلية وسائر الأسباب التي قدر الله بها ظهور تلك الصورة الكلية الكمالية المحمدية عند اجتماع جميع الأسباب واتفاقها وأكمل جميع الأسباب له ﷺ وأتمها وأجمعها طهارة أبويه اللذين كانا كالوعائين لهذا النور اليتيمي الأنور الأصفى إذ كانا كالمطلعين لهذا النور الإلهي الغيبي الأبهر الأسنى ونزاهتهما من الصفات الانحرافية والكدورات الطبيعية المانعة له من ظهوره بتلك الصورة الكمالية الاعتدالية، فكانا من أتم أسباب هذه الصورة الكلية الكمالية المحمدية وأجمعها لأن

الروح لا ينفخ في كل مظهر خلقي إلا بحسب ذلك المظهر والتسوية والجسم الإنساني لا يتعين في رحم المرأة في مادة العلة والمضغة التي ظهرت من النطفة إلا بحسب الأب الذي منه انفصلت النطفة على صورة أخلاقه وصفاته وسيرته وبحسب المرأة التي سقطت النطفة في رحمها وحسب أخلاقها وصفاتها وسيرتها وكينونة كل شيء في شيء إنما تكون بحسب محل ذلك الشيء من الصفاء والكدورة فلا بد لتكون الجسم المحمدي الأنور من لطافة المحل الأنور الأظهر وصفاته ونزاهته وتسويته وهو جهة أبويه لأن جسمه ﷺ ما تعين فيهما إلا بحسبهما فإن الحكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها ولا يظهر الأمور إلا بحسب محالها فلهذا قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩] وأظهر صفاتهما الإسلام والانقياد الذي دعا إبراهيم عليه السلام ببقائه في ذريته وبظهور نبينا ﷺ بعثه في صورته لأن الصورة المحمدية لا تظهر ولا تتعين إلا في الانقياد الكلي إلى الله وأعلى مراتب الانقياد وأقربها من حضرة الألوهية الانقياد الحاصل للعبد في مرتبة قرب النوافل ومرتبة قرب الفرائض بإفناء صفات العبد وذاته وظهور العون الإلهي والتجلي الرباني من حضرة الألوهية فيه فينقاد العبد الفاني بصفاته أو ذاته بالتجليات المفاضة عليه من حضرة الألوهية وحضرة الجمع الوجودي كما أشار إليه بقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] والله يقول الحق وهو الهادي إلى السبيل القويم.

المطلع السابع: في بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام قيل بأن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي ﷺ والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي عليهما السلام، واعلم إن كينونة الفترة بين عيسى وبين نبينا عليهم السلام إنما تتصور أن لو كانت رسالة عيسى عليه السلام إلى كافة الخلق كرسالة نبينا ﷺ وهي ليست كذلك فأن عيسى عليه السلام ما أرسل إلى العرب وذرية إسماعيل بل أرسل إلى بني إسرائيل فقط كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩] فإذا أريد من الفترة على الوجه الثاني اندراس شريعة عيسى عليه السلام لا يكون العرب قبل بعثة نبينا عليه السلام من أهل الفترة لكونهم خارجين عن دعوة عيسى عليه السلام فهذا بالنسبة إلى اندراس شرعه، وأما بالنسبة إلى عقائد النصارى وإجرائهم الأحكام التي شرعها عيسى عليه السلام لقومه في زمان رسالته إلى بعثة نبينا ﷺ فلا اندراس في شرعه أيضاً فلا فترة بين عيسى وبين سيدنا محمد ﷺ بهذا الاعتبار لعدم اندراس شريعة عيسى عليه السلام.

واعلم أن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام باعتبار اندراس شريعة عيسى بالنسبة إلى قوم ثبتوا على الفترة الأصلية سواء كانوا أمة عيسى أو غيره وشاهدوا بنور تلك الفطرة بطلان المذاهب المتفرقة التي أحدثها النصارى وحرفوا دين عيسى عليه السلام ولم يبق من شرعه الذي شرعه الله له وشرعه هو لأمته حكم شرعي فلم يلتفتوا إلى أديانهم المنحرفة ومذاهبهم المعوجة لاندراس شرعه في نظرهم وهذا بالنسبة إلى نظرهم وإلى دين عيسى عليه السلام الذي حرفته النصارى وغيره بهذا الاعتبار لا يكون العرب من أهل الفترة.

وأما على الوجه الأول أي كون الفترة في الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي ﷺ فالفترة في العرب بين زمان بعثة عيسى عليه السلام وزمان بعثة نبينا ﷺ إنما هي بالنسبة إلى خلو العرب في تلك المدة من الدعوة إلى الله والشرع الإلهي في العموم وظهور الفساد في الدين أو بالنسبة إلى الإرسال من الله لا غير، لأنهم قبل بعثة عيسى عليه السلام كانوا على الحال التي كانوا عليها بعد بعثته، سواء كان في زمن الرسول الآخر الذي لم يرسل إليهم أو في زمن خال عن الدعوة.

وأما إذا أريد من الفترة خلو الزمان عن الرسول والدعوة وخلوه من الشرع الإلهي ظهور الفتنة والفترة في الشرع الأول فالفترة تشمل الأزمنة التي غيرت فيها النصارى دين عيسى عليه السلام إلى بعثة نبينا ﷺ والأزمنة التي بين عمرو الخزاعي وبين نبينا ﷺ في العرب فإن عمراً الخزاعي أحدث في دين إبراهيم عليه السلام عبادة الأصنام فأظهر الفتنة فظهرت الفترة فإذا أريدت الفترة بين عيسى وسيدنا محمد عليهما السلام إنما تراد من جهة الزمان الذي وقع بين شرعهما الخلو عن الشرع الإلهي في العموم ومن جهة عدم الإرسال في أهل الجاهلية من العرب ويكونون من أهل الفترة بعد إحداث عمرو الخزاعي عبادة الأصنام وحملهم عليها الظهور الفتنة والفترة في دين إبراهيم عليه السلام.

وأما بالنسبة إلى دعوة إبراهيم ببقاء كلمة التوحيد والإسلام في ذريته وقبول الخلق دعوته وإبقائه إياها كما أخبر بقوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] وعدم زوال دين إبراهيم عليه السلام إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ وعدم اندراسه فلا يقال لهم: أهل الفترة لبقاء دين إبراهيم عليه السلام فيهم، بل يقال لهم: أهل الجاهلية لغلبة الجهل على الأكثرين لا الكل فأبوا النبي ﷺ بهذا الاعتبار لا يكونان من أهل الفترة، بل من الملة الحنفية والشريعة الخليلية.

ثم اعلم أن أهل الفترة عند الأكثر بين عيسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ فإذا كانت الفترة من اندراس الشرع الأول فتكون الفترة بعد عيسى عليه السلام وفي بني إسرائيل لا في

غيرهم لاختصاص شريعة عيسى عليه السلام في بني إسرائيل فلا تقع الفترة في الأمة الخارجة عن بني إسرائيل مثل ذرية إسماعيل والأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى بزوال شريعة عيسى عليه السلام ولا بإرسال عيسى إلى بني إسرائيل في غير شمول رسالته لهم لأنه كما لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام لم تبلغهم دعوة أحد من أنبياء بني إسرائيل أيضاً قبله فتعين أن الفترة إنما تقع من عدم رسالة أحد من الرسل وخلو الزمان عن الرسول الداعي إلى الحق وظهور الفتنة في الدين الأول وغلبة الجهل على الناس وحينئذ تشمل الفترة الأزمنة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والأزمنة التي بعد حدوث الفتنة في دين إبراهيم عليه السلام وبين بعثة سيدنا محمد ﷺ لظهور الفتنة والفترة في دين إبراهيم عليه السلام وخلو الزمان عن المبلغ والزاجر وغلبة الجهل على الخلق لا غير.

قال العالم المحقق جلال الدين السيوطي فإن قلت: هذا المسلك الذي قررته هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم؟

قلت: لا، بل هو خاص بمن لم تبلغه الدعوة، أي دعوة نبي أصلاً أماً من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصروا على الكفر فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه، وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين فآخر الأنبياء قبل بعثة نبينا ﷺ عيسى عليه السلام وكان الفترة بين بعثته وبعثة نبينا محمد ﷺ نحو ستمائة سنة، ثم إنهما كانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أهل الكتاب متفرقين في أقطار الأرض في الشام وغيرها ولم يعهد لهما تقلب في الأسفار سوى المدينة ولا عمرا عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش فإن والد النبي ﷺ لم يعش من العمر إلا قليلاً انتهى كلامه.

فقوله: بل خاص بمن لم تبلغه الدعوة أي دعوة نبي أصلاً وأما من بلغته دعوة أحد من الأنبياءالسابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه صحيح بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل إليهم رسولاً وبلغتهم دعوته لا بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل في زمانهم رسولاً إلى بني إسرائيل كعيسى عليه السلام ولم يرسل إليهم ولكن بلغتهم دعوته فإنه لم يجب عليهم الإيمان به لأنه ما أرسل إليهم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] أي وما كنا معذبين فريقاً حتى نبعث فيهم رسولاً فإنه ما بعث فيهم رسول بالحجة والبينة وما بلغتهم دعوته فلو بلغتهم دعوة رسول لم يرسل إليهم لم يجب عليهم الإيمان به وما كانوا معذبين بعدم إيمانهم به لأنه ماهو رسولهم وما دعاهم إلى الإيمان وآن بلغتهم دعوته قوماً أرسل إليهم فهم لا يخرجون عن حكم قوله ما كنا معذبين حتى نبعث

رسولاً. وقوله: وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور تأخر زمانهما، وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين، غير موجه، لأن عدم بلوغهما دعوة أحد ومن الأنبياء السابقين لتأخرهما بعدهما عنهم لا يوجب النقص لهما في إسلامهما وإيمانهما وكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل الذين لا يرسل إليهم رسول إلا منهم ولا يجب عليهم الإيمان برسول آخر خارج عن ذرية إسماعيل الذي أرسل إلى قوم آخرين.

وقوله: فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا محمد ﷺ عيسى عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا محمد ﷺ نحو ستمائة سنة وإنهما كانا في زمن الجاهلية وقد طبق الأرض شرقاً وغرباً وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أحبار أهل الكتاب إلى آخر كلامه غير موجه أيضاً لأن وقوع الفترة بين عيسى عليه السلام وبين بعثة نبينا ﷺ وبعدهما عن دعوة عيسى عليه السلام لا يوجب نقصهما في رتبة الإسلام والانقياد التي قدر الله فيها أن يكونا أبوي النبي الذي جعله للعالمين، بل لو بلغا زمان عيسى ودعوته لا يجب عليهما الإيمان به لعدم كونه مرسلاً إليهما لكونهما وعاءين لنبي يكون عيسى من أمته وخاتماً لولايته وفقد الشرائع من آل يعقوب لا يوجب فقد شرع إبراهيم عليه السلام من جهة إسماعيل عليه السلام لأن إبراهيم عليه السلام دعا ببقائه، بل يوجب ظهور دين إبراهيم وإحيائه ببعثة خاتم النبيين من ذريته لانختام الشرائع من آل يعقوب بعيسى عليه السلام ولهذا ختم الله الشرائع في بني إسرائيل برسول روحاني ما جاء منه ولد يشير إلى ختام تلك الشرائع لأنه لم يبق بالقوة غير مجيء دورة الدولة المحمدية في الشريعة الحنيفية والملة الإبراهيمية فإن اعتبرت الفترة زمان الجاهلية الذين لم يرسل إليهم رسول فأهلها كلهم داخلون في حكم قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] فلا تعذيب قبل البعثة.

قال جلال الدين السيوطي في كتاب المسالك له وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، قال وفي قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ [الإسراء:١٥] قبل البعثة وردا بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكيم العقل.

وأخرج ابن جرير وابن أبي خاتم في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، قال: إن الله ليس معذب أحداً حتى يسبق إليه من الله تعالى خبر وتأتيه من الله بينة اهـ.

وإن اعتبرت الآيات التي دلت على دعوة إبراهيم عليه السلام لذريته بالإسلام وبقاء ملته في عقبه إلى بعثة نبينا محمد ﷺ من ذريته وعدم زوال ملته والأحاديث التي دلت على طهارة

نسبه إلى آدم فأبواه أولى بذلك وأحق من الكل لظهوره منهما على الطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية الكلية التي اقتضت كونه مظهراً للصورة الإلهية والجمعية الذاتية واقتضت نزول النسخة القرآنية الجامعة لجميع الكتب الإلهية والحاوية لجميع الكمالات والأخلاق الكمالية الإنسانية على قلبه ﷺ.

قال الإمام الفاضل الجلال السيوطي في المسالك عن أبي عبد الله محمد بن خلف شارح مسلم أنه قال: إن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه.

القسم الثاني: من بدل وغير وأشرك ولم يؤمن وشرع لنفسه وحلل وحرم وهو الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن العرب عبادة الأصنام وشرع الأحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى لحامي وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدنة وحجاباً يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة.

القسم الثالث: من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان كذلك.

فانقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به. وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين للقطع كما تقدم.

وأما القسم الأول فقد قال ﷺ في كل واحد من قيس وزيد أنه يبعث أمة وحده. وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذي دخلوا فيه ما لم يلحق واحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين اهـ.

وقال الشيخ رضي الله عنه في الفتوحات في الباب العاشر: وأما مرتبة العالم الذي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وهم أهل الفترة فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم فمنهم من وحد الله بما تجلى لقلبه عن فكرة وهو صاحب الدليل فهو على نور من ربه ممتزج يكون من أجل فكره فهذا يبعث أمة وحده كقس بن ساعد وأمثاله فإنه ذكر في خطبته ما يدل على ذلك فإنه ذكر المخلوقات واعتباره بها وهذا هو الفكر.

ومنهم من وحد الله بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر

ولا استدلال فهم على نور من ربهم خالص غير ممتزج بكون فهؤلاء يحشرون أخفياء أبرياء.

ومنهم من ألقى في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره لخلوص تعينه على منزلة محمد ﷺ وسيادته وعموم رسالته بالطناً من زمان آدم إلى وقت هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود:١٧] يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف به فهذا يحشر يوم القيامة في ضنائن خلقه وفي باطنيته ﷺ.

ومنهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود وتنصر واتبع ملة إبراهيم أو غيره من الأنبياء لما أعلم أنهم رسل من عند الله يدعون إلى الحق لطائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سنتهم فحرم على نفسه ما حرمه ذلك الرسول وتعبد نفسه مع الله بشريعته وإن كان ذلك ليس واجباً عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثاً إليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة.

ومنهم من طالع في كتب الأنبياء شرف محمد ﷺ ودينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وإن لم يدخل في شرع نبي ممن تقدم وأتى بمكارم الأخلاق فهذا أيضاً يحشر في المؤمنين بمحمد ﷺ.

ومنهم من آمن بنبيه وأدرك نور محمد ﷺ فآمن به فله أجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله. ومنهم من عطل فلم يقر بوجود عن نظر فأصر ذلك القصور هو بالنظر إليه غاية قوته لضعف مزاجه عن قوة غيره، ومنهم من عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق.

ومنهم من أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل الجهود الذي تعطيه قوته. ومنهم من أشرف لا عن استقصاء نظر فذلك شقي.

ومنهم من أشرك عن تقليد فذلك شقي ومنهم من عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها لضعفها.

ومنهم من عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء في النظر أو تقليد فذلك شقي، فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب انتهى.

فإن قلت: كيف التوفيق بين كون البعض من أهل الفترة مشركاً في النار وبين عدم التعذيب في الفترة قبل مجيء الرسول؟

قلنا: إن كون بعضهم أهل النجاة والسعادة وبعضهم مشركاً من أهل الشقاوة إنما هو في الفترة التي بين عيسى وبعثة نبينا محمد ﷺ، ولكن أهل السعادة منهم كقس بن ساعد وزيد بن عمرو ابن نفيل وغيرهما ممن تدين بالدين الإلهي منهم فهم أعم من أن يكونوا على دين موسى أو دين عيسى أو دين إبراهيم.

أما أهل الشقاوة من أهل تلك الفترة فهم يزعمون أنهم منتسبون لعيسى وشريعته وفقدت

من بينهم مع وجود شرعه الذي شرعه لأمته فكيف بعد اندراس شرعه فالفترة بعد عيسى في شريعته بالنسبة إلى الشرع الإلهي الذي نزل عليه وبالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى أمته المنتسبة إليه فإنهم يزعمون أن شريعته ثابتة دائمة وأنهم على دين الحق فمن كان منهم في تلك الفترة يعذب لأنه ما هو فاقد شريعته بزعمه، بل رغم أنه عيسوي فصاحب هذا الاعتبار ما اندرست بحقه شريعة عيسى حتى يكون من أهل الفترة؛ بل هو في ذلك الوقت ما هو من أهل الفترة لادعائه الامتثال إلى عيسى والآية التي دلت على عدم التعذيب في الفترة نزلت في أهل الجاهلية من العوب وذريتة إبراهيم عليه السلام فيي الفترة التي ظهرت في دينه بأحداث عمر والخزاعي عبادة الأصنام فإنهم انتسبوا إلى شريعة عيسى بل كانوا يدعون بزعمهم انتسابهم إلى إبراهيم والمراد من الرسول في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص:٥٩] وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] هو سيدنا محمد ﷺ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص:٥٩] فحال هؤلاء المشركين ليست كحال المشركين من النصارى والمشركين من العرب بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ فإنه مابعث فيهم رسولاً يمنعهم عن ذلك والنصارى يدعون الإشراك في الشرع العيسوى ولكن بقيت في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً دقيقة وهي أن السلف من المفسرين وأئمة الاجتهاد ذهبوا إلى عدم تعذيبهم قبل مبعث الرسول ولكن الظاهر أن المراد من العذاب هنا هو العذاب الدنيوي وهو الإهلاك بسبب الإشراك كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص:٥٩] فحينئذٍ تكون الآية نصاً في عدم التعذيب والإهلاك في الدنيا قبل الرسول وقبل الدعوة إلى الله، لا في عدم التعذيب بعد الموت. إلا أنهم رضي الله عنهم قاسوا على عدم التعذيب في الدنيا عدم التعذيب في الآخرة، أي لما لم تبلغهم بعثة الرسول.

وفي هذه الآية دقيقة أخرى وهي قد ثبت في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتي يوم القيامة بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول»** الحديث وحينئذٍ لا تعذيب لأهل الفترة في الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم ولا تعذيب لهم أيضاً في الآخرة يوم القيامة قبل بعث الرسول إليهم نبعث الله لأصحاب الفترات والأطفال والمجانين يوم القيامة رسولاً من أفضلهم وتمثل لهم ناراً يأتي بها هذا الرسول المبعوث في ذلك اليوم فيقول لهم: أنا رسول الحق إليكم. فيقع عندهم التصديق به ويقع التكذيب عند بعضهم، ويقول لهم: أقحموا هذه النار بأنفسكم فمن أطاعني نجا ودخل الجنة ومن عصاني وخالف أمري هلك وكان من أهل النار فمن امتثل منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال الثواب العملي ووجد تلك النار برداً وسلاماً ومن عصاه استحق

العقوبة فدخل النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله في عباده فحينئذٍ التعذيب لأهل الفترة في الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم لا يوجب عدم التعذيب مطلقاً في الآخرة، بل يوجب عدم التعذيب قبل بعث الرسول إليهم فإنه من آمن منهم فقد سعد ونجا ومن تخلف فقد شقي ودخل النار فلا يحكم على أحد منهم في الدنيا بأنه في النار يوم القيامة، بل يحكم عليه بعدم التعذيب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فحينئذ تصير حال أهل الفترة في الآخرة إلى دعوة الرسل إياهم يوم القيامة. وأخرج الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب»**(١).

وأورد المحب الطبري في ذخائر العقبي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم»**.

وأخرج أبو سعيد في شرف النبوة عن عمر أن ابن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سألت ربي أن لا يدخل النار أحد»** من أهل بيتي فأعطاني ذلك.

وأخرج تمام الرازي في فوائده بسنده ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي في الجاهلية»**(٢).

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

قال: من رضي محمداً ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار فاعلم هذا.

فصل: في حدوث الشرك في الفترة، أخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه.

قال: كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام في الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية لبيك أللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

قال فمازال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك. قال السهيلي في الروض الأنف: كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهماً عن مكة قد جعلته العرب رباً

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤١٤٥). والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢: ٢٣٩). والألباني في السلسلة الضعيفة (٧٣٢). وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢: ٧٩).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٩: ٧٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٣٣).

فما ابتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم.

وقد ذكر ابن إسحاق: أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحملهم على عبادتها وكانت التلبية على عهد إبراهيم عليه السلام لبيك أللهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي فبينما هو يلبي إذ تمثل له الشيطان في صفة شيخ يلبي معه، وقال: عمرو لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريك هو لك. فأنكر ذلك عمرو وقال: ما هذا؟ فقال الشيخ: تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا. فقالها عمرو، فدانت بها العرب. انتهى كلام السهيلي.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه: كانت العرب على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد آل النبي ﷺ فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية بعد قوله: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، فهو أول من قال ذلك وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم السالفة. ومنهم على ذلك بقايا على دين إبراهيم عليه السلام وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة وكانت ولايتهم مشؤمة إلى أن جاء قصي جد النبي ﷺ فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب وانتزع ولاية البيت منهم إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدث لها عمرو الخزاعي عن عبادة الأوثان وغيرهم وذلك لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يغير انتهى كلامه.

واعلم أنه لا يلزم من انتزاع عمرو الخزاعي ولاية البيت من أجداد النبي ﷺ وإحداثه عبادة الأصنام إشراك جميع العرب وعبادتهم لها مدة ولايته لقوله ﷺ كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم القائل: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فكيف بعد انتزاع ولاية البيت من خزاعة فلهذا غار قصي جد النبي ﷺ على دين إبراهيم واستعان على حرب خزاعة بالعرب فأعانوه، وانتزع ولاية البيت منهم فلو كان العرب كلهم على الإشراك الذي أحدثه عمرو الخزاعي لما أعانوا على دين إبراهيم عليه السلام وأزالوا المشركين من خزاعة عن البيت، لكن العلوام والجهلة ما رجعوا عما أحدث عمرو من عبادة الأصنام فمنهم بقي الشرك في العرب إلى بعث النبي ﷺ وبقي دين إبراهيم في خواص العرب وآباء النبي ﷺ كما دعا إبراهيم عليه السلام وأخبر الله تعالى عن بقائه قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المطلع الثامن: في بيان من بقي على دين إبراهيم عليه السلام في الفترة قال جلال الدين السيوطي قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية إنهم تحنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام وتركوا الشرك فما المانع أن يكون أبوا النبي ﷺ سلكاً مسلكهم في ذلك.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في التقليح في تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل، ورباب بن البزار، وسعد بن كهريب الحمري، وقس بن ساعدة الأيادي، وأبو قيس بن صرمه اهـ.

وقد وردت الأحاديث بتحنيف زيد بن عمرو، وورقة، وقس. وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهزه إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: أللهم إني أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكن لا أعلم.

قلت: وهذا يؤيد ما تقدم في المسلك الأول إنه لم يبق إذ ذاك من تبلغه الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن عمرو بن عبد الله السلمي قال: رغبت عن إلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها باطل يعبدون الحجارة.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ بن خمير بن حسب الجهني أنه ترك الشرك في الجاهلية وصلى لله تعالى وعاش حتى أدرك الإسلام. انتهى كلام السيوطي.

أقول: إثبات دين إبراهيم في زمن الجاهلية بثبوت توحيد البعض من أهل تلك الفترة وتركهم عبادة الأصنام يلزم أن لو ثبت شرك جميع الناس من ذرية إبراهيم وغيرهم بعد حدوث الشرك بعمرو الخزاعي فيهم وهذا غير ثابت بل الثابت بشهادة الله تعالى بقوله ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [إبراهيم:٣٥] بقاء الإسلام والتوحيد في ذريته إلى بعثة نبينا محمد ﷺ وهو الأصل الثابت الذي شرعه الله للناس كما قال الله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الشورى:١٣] والشرك بين العرب إنما أحدثه عمرو الخزاعي وحمل الناس على عبادة الأصنام وهو وضع المخلوق لإثبات له ولا قيام لا في الحقيقة ولا في الظاهر لضعف واضعه وعدم سريانه في جميع الناس وعدم تأثيره في من ظهر به فهو في الزوال فليست له قوه المقاومة للدين الإلهي الذي وضعه الله للناس ورسخه في قلوبهم، وطلب إبراهيم من الله بقاءه في ذريته وأجاب الله دعوته ولاسيما في ذرية إبراهيم من آباء النبي ﷺ وأصوله، لأن عمراً المذكور لما حكم على البيت وأدخل فيه الأصنام وحمل الناس على عبادتها فبعضهم عبدوها بالإكراه وبعضهم عبدوها تبعاً لهواه وهم العوام والجهال الذين لا يخلو زمان من الأزمنة من أمثالهم وبعضهم ما عبدوها بل ثبتوا على دين إبراهيم فلم تسر عبادة الأصنام في العرب كلهم ولم يرد النص إلا بوجود الشرك في تلك الفترة فقط لثبوت

الإسلام ورسوخه في قلوب الناس وثبوتهم على الدين الإلهي فإن ذلك لا يمكن وقوعه ولو بالإكراه الذي رخصه الله للمؤمنين فإنا شاهدنا أهل الأندلس عند غلبة الكفار عليهم وإكراههم على الكفر وعبادة الأصنام، فإنهم ثبتوا بقلوبهم على دين الإسلام وما أخرجهم إكراههم ولا زجرهم عن الإسلام.

فلما رأت الكفار ذلك منهم خافوا على دولتهم فأخرجوهم من ديارهم إلى دار الإسلام وكذلك أهل السنة والجماعة في ديار العجم بغلبة أهل الرفض عليهم ما تركوا مذهبهم ودين الإسلام الذي دانت به آباؤهم إلى رسول الله ﷺ مع وقوع الزجر لهم على ذلك واختيارهم الملامة والذلة، فكذلك الشرك في الجاهلية ما سرى في الناس كلهم لرسوخ دين إبراهيم وبقائه، بل في بعضهم وهم أيضاً ما ثبتوا عليه لرسوخ الإسلام الذي هو دين إبراهيم في قلوبهم وكون آبائهم عليه فيمكن لبعضهم أن يتركوا الشرك ويعبدوا الله على دين إبراهيم عليه السلام كما وقع في الخبر عن البعض لعدم إنكارهم الألوهية ودين إبراهيم وكونهم على الفطرة الأصلية التي فطرهم الله عليها.

فوقوع الشرك في الجاهلية لا يوجب ثبوت شرك الناس كلهم في تلك المدة ولا يوجب ثبات المشرك عليه وانتقاله عليه لامكان رجوعه منه ورجحان حضرة الألوهية عليه في قلبه إذا نظر إليها كما نقل عن زيد بن عمرو بن نفيل ومن انتقل منهم على عبادة الأصنام والشرك فحاله ما هو مثل حال المشرك بعد بعثة الرسول وعدم إيمانه به لأنه ما أنكر الربوبية، بل ركب بزعمه في الأصنام أنها عباد الله شفعاء عنده فيشفعوا له وما أنكر الرسول لأنه ما أرسل إليه رسول فهو صاحب عذر ولا يعذب الله أحداً عند إقامته العذر قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، فحال الفترة من أهل الشرك لا يقتضي أن يدخلوا النار حتى يرسل الله إليهم يوم القيامة رسولاً يدعوهم إلى الله فمن يطع الرسول أمن من النار وأدخل الجنة ومن لم يطع يسحب إلى النار، وهذا هو الحكم في أهل التفرة في عاقبة أمرهم بمقتضى النص النبوي فإثبات الإسلام والتوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم شمول الشرك جميع ذريته من بعده إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ على ما دلت عليه النصوص الإلهية والدلائل القطعية أحسن في إسلام أبوي الرسول ﷺ وتوحيدهما من إثبات فقدان الإسلام في ذرية إبراهيم في الجاهلية وعدم بقاء من بلغته الدعوة وعرف حقيقتها على وجهها والاعتذار عنهما لأنهما كانا في زمن الجاهلية.

وقد طبق الشرك الأرض شرقاً وغرباً وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا تفسيراً من أحبار أهل الكتاب مفرقين في أقطار الأرض في الشام وغيرها ولم يعهد لها تقلب في الأسفار سوى المدينة ولا عمرا عمراً طويلاً بحيث يقع لها التنقيب والتفتيش

في غير ذلك وحملهما على من تحنف وتدين بدين إبراهيم في الجاهلية كزيد بن عمرو بن نفيل وغيره لثبوت الأصل الذي شرعه الله تعالى وهو الإسلام وبقائه في عقب إبراهيم بالنص وسريانه في الناس كلهم من ذرية قبل حدوث الشرك الذي هو وضع المخلوق في أفراد من أهل الجاهلية لا في الكل لعدم سريانه في الكل لثبوت بقاء الإسلام في ذريته فلا يقاوم الأصل، الذي هو الإسلام، فلا يحكم بإسلامهم على خلو الزمان من الإسلام قبل إسلامهم إلا أريد من بيان إسلامهم بقاء الإسلام وثباته في ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم خلو الزمان عن الإسلام قبل البعثة المحمدية فأهل الإسلام في الجاهلية بعد إحداث عمرو الخزاعي الشرك وتغيره دين إبراهيم عليه السلام في العموم على نوعين:

الأول: ثبوتهم على دين إبراهيم عليه السلام من غير تغيير ولا انحراف كثبوت نبينا محمد ﷺ قبل الانبعاث.

والثاني: تدينهم وتحنفهم به بعد الإدراك فلا يلزم من كون زيد بن عمرو وورقة بن نوفل وغيرهما على دين إبراهيم وتدينهما به عدم وجود دين إبراهيم وعدم تدين أحد به غيرهما بل يلزم الثبوت على دين إبراهيم لمن كان منهم من ذرية إبراهيم عليه السلام.

وأما من لم يكن من ذريته فيجوز الثبوت على الأصل الذي هو دين إبراهيم ويجوز التحنف والتدين وإنما قلنا فأهل الإسلام في الجاهلية على نوعين لأن أهل الإسلام في الجاهلية إلى بعثة النبي ﷺ كانوا على أربعة أنواع:

الأول: كانوا على دين إبراهيم عليه السلام من غير تغيير ولا انحراف.

والثاني: تدينهم بدين إبراهيم بعد تركهم عبادة الأصنام.

والثالث: تركهم الشرك ودخولهم في دين موسى عليه السلام.

والرابع: دخولهم في دين عيسى عليه السلام كما قيل في ورقة أنه تنصر في الجاهلية وقيل في تبع أنه تهود وذلك في أهل الجاهلية.

واعلم إن ثبوت الإسلام والتوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ بثبوت إسلام زيد بن عمرو بن نوفل وورقة وغيرهما وكونهما على دين إبراهيم الذي دعا إبراهيم عليه السلام ببقائه في ذريته أولى من ثبوت إسلامهما وتدينهما بدين إبراهيم عليه السلام وحمل أبوي النبي ﷺ في الإسلام عليهما وعل كلا الوجهين لا تخلو الأزمنة التي بين إبراهيم عليه السلام وبين بعثة.نبينا محمد ﷺ عن الإسلام وممن قام به الإسلام وأقامه سواء كان وجود الإسلام بالتدين والتحنف بعد الشرك أو كان وجوده ببقائه من زمن إبراهيم إلى زمان بعثة سيدنا محمد ﷺ وعدم زواله كما قال تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه الآية.

واعلم أن إبراهيم عليه السلام لما طلب من الله في النداء أن يجعله مع ولده إسماعيل من المسلمين ويجعل من ذريته أمة مسلمة له وطلب من الله تعالى بقاء الإسلام والتوحيد منهم وبعثة سيدنا محمد ﷺ فيهم منهم قبل الله دعاءه فأبقى الإسلام وكلمة التوحيد في ذريته وأثبت ذريته في ملته وملته في ذريته إلى بعثته ﷺ كما قال جل جلاله وجعلها كلمة باقية في عقبه فثبوت إسلام آبائه كلهم وسعادتهم من لدن دعوة إبراهيم عليه السلام مدرج في ثبوت رسالته ﷺ من الله بالمعجزات الظاهرة والآيات القاهرة والكتاب الذي جاء به من عند الله الذي دل على نبوته وعلى طهارة نسبه والعجب أنه ما صدقه في ذلك القوم الذين اتبعوه وما اهتدوا إلى معرفة طهارة نسبه التي نطق بها الكتاب الذي جاء به من عند الله.

فلا يتوهم مؤمن مصدق بالله ورسوله والكتاب الذي جاء به في حق آبائه ﷺ غير ما تقتضيه حضرة الربوبية للمعرفة والعبادة وتقتضيه حضرة العبودية المحمدية ﷺ للعبادة والاستفاضة واستنزال الفيض الإلهي المختص بحضرة الجمع والوجود وحضرات الكرم والجود على مظاهر الممكنات في بقعة الإمكان لأجل الظهور والشهود.

قال السهيلي رحمه الله في الروض الأنف في الحديث النبوي **«لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين»**[1].

وأخرج أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع في كتاب الغرر من الأخبار قال حدثنا إسحاق بن داود بن عيسى المروزي وأبو يعقوب الفراء قال سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا عثمان بن قائد عن يحيي بن طلحة بن عبد الله عن إسماعيل بن محمد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين»**.

وأخرج بسنده عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تسبوا تميماً ولا ضبة فإنهما كانا مسلمين»**.

وأخرج بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا قسا فإنه كان مسلماً»**، ثم قال السهيلي ونذكر عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمناً»**، وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ.

قال: وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، وقيل: هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم في خطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به قال وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأعلام له.

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٩٨٧). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١ : ١ : ٣٠).

قال السيوطي: هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره كان بين موت كعب ومبعث النبي ﷺ خمسمائة سنة والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا وهو صاحب الحاوي الكبير وله كتاب أعلام النبوة في مجلد كثير الفوائد، وقد رأيته وسأنقل عنه في هذا الكتاب، فحصل مما أوردنا أن آباء النبي ﷺ من عند إبراهيم عليه السلام إلى كعب ابن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم والظاهر أنه كذلك ويقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباءهم كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم ولم يظهر فيهم نقل لا بهذا ولا بهذا.

وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: وهو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره.

والثاني: إنه على التوحيد وملة إبراهيم وهذا ظاهر من كلام فخر الدين وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عبتيه وغيرهما في تفسير الآيات السابقة.

والثالث: إن الله أحياه بعد بعثة النبي ﷺ حتى آمن به وأسلم ثم مات، حكاه ابن سيد الناس وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها، لأنه لا دليل عليه ولم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيْره ولا قال هذا القول من أئمة السنة إنما حكوه عن بعض الشيعة ولهذا اختصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولَين وسكتوا عن حكاية الثالث انتهى كلامه.

واعلم أن عبد المطلب الذي كان وعاء لسيدنا محمد ﷺ كان على دين إبراهيم عليه السلام وهو الإسلام والانقياد إلى الله تعالى الذي يقتضي ظهور الصورة المحمدية الكلية فيه وتعين الصورة المحمدية الحسية البشرية منه فإن النور المحمدي والسر الأحمدي كان قد هجم على سره وقلبه لأنه كان في ظهره وصلبه ولا سيما قد قرب طلوع شمس الأحدية وبان وقت إشراق نور الصمدية من سره وصلبه فتحقق بالانقياد إلى حضرة الربوبية وبالعبودية التي تقتضي ظهور ابنه عبد الله على صورته وسره فمن آمن بالله ورسوله الذي انبعث من حضرة الفردية على الصورة الكلية الإلهية الكمالية يؤمن بطهارة أصوله الذين كانوا محامل لتلك الصورة المحمدية لأن الفرع يدل على الأصل والجزء يدل على الكل، وبه نستعين في الجمع والفرق وعليه نعتمد في الرتق والفتق.

المطلع التاسع: في عدم التعذيب لمن مات في الفترة أعلم أن أهل الفترة الذين خلت أزمنتهم عن الشرع الإلهي المنزل على الرسول لاندراس الأحكام الشرعية التي تحققت بالوحي الإلهي وعدم مجيء الرسول إليهم وعدم إيمانهم به وكانوا على الفطرة الأصلية لا تعذيب لهم في الدنيا قبل مجيء الرسول إليهم ولا تعذيب لهم أيضاً في الآخرة قبل مبعث الرسول فيهم

وقبل الامتحان يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] أي لا تعذيب لأهل الفترة حتى نبعث فيهم رسولاً بالدعوة الإلهية والحجة الربانية لعدم مجيء الرسول إليهم بالأمر والنهي وعدم وقوع العناد والتكذيب للرسول منهم لأنهم كانوا على الفطرة الأزلية والإيمان السني الروحي.

واعلم أن الحكمة والشرائع المخصوصة والأديان المخترعة التي اخترعها أرباب الرياضات الشاقة من العقلاء والحكماء في أزمنة الفترات عند فقد الأنبياء والشرائع الإلهية المنزلة عليهم ولاسيما في الفترة التي بين عيسى وبعثة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم بالذوق الروحاني وصفاء بواطنهم فإنهم لما شاهدوا مقام عبوديتهم وما اقتضت حضرة الربوبية من العبادة بالأنوار اللامعة من بواطنهم النقية والأقمار اللائحة من قلوبهم الصافية كلفوا نفوسهم بالعبودية إما بأنفسهم وإما بإلهام الواردات القدسية وإلقاء اللوائح الإنسية طلباً لرضوان الله فاخترع كل واحد منهم طريقة خاصة وشريعة مخصوصة لم يجيء بها الرسول المعلوم في العامة من عند الله ليعبد بها الحق تعالى، فلما وافقت الحكمة والمصلحة الظاهرة فيها الحكم الإلهي في الوضع المشروع الإلهي اعتبرها الله اعتبار ما شرعه من عنده وما كتبها عليهم كما قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧] ولما فتح الله بينهم وبين قلوبهم باب العناية والرحمة من حيث لا يشعرون أوقع في قلوبهم تعظيم ما شرعوه فيها يطلبون بذلك رضوان الله فلذلك اعتبرها الله اعتبار ما شرعه من عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الحديد: ٥٧] أي من المقلدين إياهم في تلك النواميس المشروعة والأديان المخترعة الموضوعة ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧] أي خارجون عن الانقياد إليها والقيام بحقها.

قال الشيخ رحمه الله في الفتوحات في الباب الستين ومائة: ومن هذا الباب السياسة الحكمية لمصالح العالم التي لم يأت بها ملائكة الإلهام واللممات على قلوب علماء الزمان وحكماء الوقت فيلقونها أفكارهم لا على أسرارهم فيضعونها ويحملون الناس عليها والملوك وما فيها شيء من الشرك، فهذه هي الرسالة الملكية التي فيها مصالح العالم في الدنيا وهي البدع الحسنة التي أثنى الله على من رعاها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله. انتهى كلامه. فأهل الفترات حينئذ كانوا على ثلاثة أقسام.

القسم الأول: الخواص وهم الذين اخترعوها وحملوا الناس عليها.

والقسم الثاني: العوام وهم الذين قلدوهم فيها ورعوها حق رعايتها بالانقياد إليها والعمل بمقتضاها ابتغاء رضوان الله تعالى.

القسم الثالث: الخارجون عن الانقياد إليها والقيام بحقها فلهذا ما حكم أهل السنة والجماعة على أحد من أهل الفترات الخالية عن الشرائع الإلهية النبوية بأنهم أصحاب النار، بل ذهبوا إلى أنه لا تعذيب لهم لعدم مجيء الرسول إليهم كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً.

واعلم أن أئمة أهل السنة من أهل الكلام والأصول اتفقوا على أن من ماتولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فاستدلوا بهذه الآيات على أنه لاتعذيب قبل البعثة وردوا المعتزلة بها على من خالفهم ومن وافقهم في تحكيم العقل وهذا مبنيّ على مسألة الاختلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال والبدعة في شكر المنعم هل هو واجب عقلاً أو لا؟ فمذهب أهل السنة إن تنكر المنعم ليس بواجب عقلاً، بل بالسمع. ومذهب أهل الاعتزال إنه واجب عقلاً.

قال الإمام فخر الدين الرازي: في المحصول شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة لنا أنه لو حقق الوجوب قبل البعثة فلا وجوب. وقال الكيال الهراسي في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم: اعلم أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى حكم قضيات العقول فأما ما عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول ومنها ما يتلقى من قضيات العقول.

قال: وأما نحن فنقول: لا يجب شيء قبل مجيء الرسول فإذا ظهر وأقام المعجزة تمكن العاقل من النظر فنقول لا تعلم أول الواجبات إلا بالسمع انتهى كلامه.

وذلك لأن الوجوب إنما يتوجه على العبد بعداء لا الحق له بحكم من الأحكام على لسان الرسول، وهذا لا يتصور في الفترة قبل مجيء الرسول فلا وجوب ولا عذاب، فمن مات في الفترة. وزمان الجاهلية قبل البعثة المحمدية بالبينة والحجة الإلهية يموت ناجياً، وهذا مذهب أهل السنة، فمن قال فيه إنه في النار فهو من أهل الاعتزال والبدعة لأنه خالف أهل الحق من أهل السنة وهو مبني على وجوب شكر المنعم عقلاً وهذا ليس كذلك لعدم توجه الوجوب على أحد في الزمن الخالي عن الشرع الثابت على لسان الرسول فلا تعذيب قبل مجيء الرسول كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، قال: إن الله تعالى ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبراً ويأتيه من الله بينة، ولكن الأوفق للحديث المذكور في حق أهل الفترة والأطفال والصغار

والمجانين إن تنجر حالهم يوم القيامة إلى بعث الرسول إليهم ودعوته إياهم فإن آمنوا أمنوا وإن خالفوا أدخلوا النار كما ذكر في أحوال أهل الفترة فافهم.

واعلم إن حال أبوي النبي ﷺ في حكم العقل لا يخلو عن أمرين أي أنهما إما من أهل الفترة والجاهلية وإما من الأمة المسلمة في دين إبراهيم فإن كانا من أهل الفترة فهما من أهل النجاة لقوله تعالى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً وإن لم يكونا من الفترة فلا يرسل الله إليهما غير ابنهما محمد ﷺ لاختصاصه بهما في الدنيا بحسب الأبوة والأمومة ولاختصاص الدعوة في ذرية إبراهيم من نسل إسماعيل في الدنيا به وابنعاثه فيهم في الدنيا فإن الله تعالى كما أرسله في الدنيا إليهما من ظهوره بهما وبعثه في ذرية إبراهيم يرسله إليهما في الآخرة كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [البقرة:١٢٩] الآية وإن كانا من الأمة المسلمة كما هو ظاهر من الآيات الإلهية والشهادة الربانية فهو المدعي فظهرت سعادتهما في الأزل باصطفاء الله تعالى إياهما من جميع المخلوقات ليكونا أبوين لمن جعله رحمة للعالمين وظهر من سعادتهما في الدنيا امتيازهما عن سائر الموجودات من جهة ظهوره في عالم الشهادة بالصورة الكلية الكمالية المحمدية منهما وتظهر سعادتهما في الآخرة بشهودهما ابنهما في المقام المحمود عند الحوض المورود بالشفاعة العامة العظمى والرحمة الكافة الكبرى ونجاتهما في عاقبة أمرهما.

الوصية: اعلم أن مما وجب على العبد التقي والمؤمن الورع النقي التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة وأن ينزه نفسه عن الصفات النفسانية والأخلاق الطبيعية التي تقتضي توجهه إلى عالم الخلق ويخلي قلبه عن الخواطر الكونية واللوائح الغيرية التي توجب احتجابه عن حضرة الجمع والرفق وأن يطلب من الله تعالى أولاً الفهم في الكتاب والسنة أي بعد إعراضه عن الخلق وتوجهه إلى الحق، وأن يطلب الفهم من الله بالتنزه عن الصفات الكونية والتحلي بالصفات الإلهية كما في الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله والكلام الذي صدر من لسانه فإنه ﷺ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[1] أي أهل القرآن في الفهم فيه عن الله بإعطاء الله لهم فيه الفهم بالتجلي الإلهي في قلوبهم وبواطنهم هم أهل الله وخاصته فيحكم بالفهم الذي رزقه الله في كتابه والفهم الذي رزقه الله في حديث رسوله وراثة حقيقية وهي الفهم عن الله تعالى في القرآن والحديث فإن الحديث مثل القرآن في النص فإنه ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي وهو الفهم عن الله في قلبه ﷺ فالذي يعطيه الفهم عن الله في القرآن والحديث في حق أبوي النبي ﷺ هو الإسلام والتوحيد فإن الله تعالى

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٨). و صاحب الميزان (٤٨٢٠). ولسان الميزان لابن حجر (٥: ٣٠٢).

أخبر في القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام في حق ذريته وبقاء ملته فيهم وبعث الرسول فيهم منهم بالكتاب والحكمة وشهد ببقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول فقبل الله دعوته فأبقى ملته في ذريته وأثبت ذريته عليها، ولا سيما ذريته الذين كان ﷺ يتقلب في صورهم وينقل من أصلابهم الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة إلى ظهور الصورة الحسية البشرية والصورة الكلية المحمدية الجامعة مترقياً في الصفاء والتهذيب إلى أن وصل إلى أبويه اللذين اقتضت حالهما كمال نشأته العنصرية البشرية وظهوره على الصورة الكمالية المحمدية التي أرادها الحق تعالى وتوقف عليها نزول الكتاب أي القرآن الذي يتضمن المعرفة التامة والعبودية الكاملة كما قال ﷺ لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً.

وأما ما عدا الفهم عن الله في الكتاب والسنة بالتوجه إلى الأمور الحسية والأحوال الخسيسة واستعمال الأنظار الفكرية والأدلة العقلية على مقتضى الخواطر البشرية والإلقاءات الشيطانية، فضلال وحرمان وطرد من جناب الحق وخذلان.

ثم اعلم أن إبراهيم عليه السلام صاحب الشريعة الخاصة والملة العامة له تخلل في الحضرات الأسماية وتخلق بالصفات الإلهية في المراتب الغيبية متوجه لوجه الله الجامع لجميع الوجوه الأسمائية معرض عن الوجوه المظهرية في العوالم العلوية والسفلية متحقق بالعبودية الكلية التي هي الغرض من الشرائع الإلهية فلهذا طلب من الله في ندائه ثبوته على الإسلام والانقياد إلى الله وطلب ثبوت ذريته عليه وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول ﷺ بالكتاب والحكمة فإن بيت إبراهيم عليه السلام بيت النبوة في ذريته الذين هم آباؤه ﷺ الذين ظهروا من صلبه بصورة سره ونشأوا في حرم خلته بالبان أحكام نبوته وتحققوا بالصفات الخليلية والملة الحنفية هم محامل للصورة البشرية المحمدية لا قابلية فيهم بعد تحققهم بحقيقة الإسلام والانقياد إلى الله وتقريبهم من الله تعالى أن يرجعوا إلى الصفات البشرية التي تقتضي ميلهم إلى الإلقاءات الشيطانية والخواطر النفسانية وليس للشيطان عليهم سلطان يغويهم كما أخبر الحق تعالى في الكتاب العزيز لنا عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

ولا شك أن إبراهيم عليه السلام وذريته الذين هم آباؤه ﷺ الذين دعا إبراهيم في حقهم ثبوتهم على الإسلام وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول وقبل الله دعاءه وبعث رسوله الذي طلبه منه فيهم منهم كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنا دعوة أبي إبراهيم» فهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان في إضلالهم في الإشراك فإنهم محفوظون بحفظ الله إياهم في بيت ملة الخليل وحرم الإسلام والانقياد والعبودية التي في ذواتهم وبوعد الله بذلك فإنه صادق الوعد

فإذا ثبت ذلك عندك وعرفت معنى الإسلام والانقياد ودعوة إبراهيم به وطلبه من الله أن يثبتهم على الإسلام ويبقيه فيهم إلى مبعث الرسول فيهم منهم وعرفت بعثه منهم بالكتاب والملة لا تحتاج أن تستدل بالآيات والأحاديث على بقاء ملة إبراهيم في ذريته وثبوتهم عليها وكون آبائه ﷺ كلهم إلى إبراهيم عليه السلام على الإسلام والتوحيد وبعث الرسول من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام بعد إخبار الله تعالى عن دعوة إبراهيم وإخباره بإبقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول لعدم ثبوت الشرك منهم بالنص من الكتاب والسنة الذي يعارض ذلك الإخبار فإنه لا نص في ذلك فإنه بعض الظن من بعض الجهلة الذين لا فهم لهم من الله في الكتاب والسنة لأن دين إبراهيم عليه السلام باق في ذريته من المسلمين إلى مبعث الرسول فلذلك وفقهُ الله تعالى في ابتداء أمره لعبادته بملة إبراهيم عليه السلام حتى جاء الملك من عند الله تعالى بالرسالة والنبوة،

قال الشيخ رضي الله عنه في الفتوحات في الباب الخامس والأربعين: ولما كانت حالته ﷺ في ابتداء أمره إن الله وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل عليه السلام وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه عناية من الله سبحانه به ﷺ إلى أن فجأه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة وعرفهُ بنبوته فلما تقررت عنده أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. انتهى كلامه.

فحينئذٍ مازالت ملة إبراهيم ثابتة ومازالت أمة من ذريته مسلمة من لدن دعوة إبراهيم عليه السلام إلى بعثة الرسول ﷺ بالرسالة والنبوة عند الأربعين من عمره فحينئذ كان ﷺ بعثته من الأمة المسلمة من ذريته ولهذا قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم فنختمت به ﷺ ملة إبراهيم عليه السلام عند بعثته من حيث تعبده بملة إبراهيم عليه السلام من حيث كونها ملة إبراهيم عليه السلام وبعد بعثته شرعت له ملة إبراهيم اتباعاً لملته لا لإبراهيم فتعبد بها من حيث بقيت ذريته في ملته وملته في ذريته من الأمة المسلمة وختمت ملته بالرسول الذي طلبه من ربه أن يبعثه من الأمة المسلمة من ذريته وجعله قبل بعثته منهم لأنه منهم نسباً وملة فشرف الله إبراهيم عليه السلام بأن ختم ملته في ذريته برسولنا ﷺمن حيث كونه قبل البعثة من ملته ومن حيث انبعاثه في ملته وإحيائه ملته ومن حيث بعثته فيها بالكتاب المبين والحكمة الإلهية التي كانت في قوة دين إبراهيم عليه السلام فأنتج إسلام إبراهيم، أي انقياده وانقياد ذريته وملته بالكتاب الذي يتضمن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية على ما تطلبه حضرة الربوبية وتقتضيه رتبة العبودية الكاملة والحكمة التي تعطي وضع الأشياء في مواضعها وإجراء الأمور على سبلها وبالله التوفيق.

التتميم للوصية: اعلم أن ما تقتضيه حضرة الألوهية من الإفاضة من حضرات الكرم والجود وخزائن الغيب والوجود على مظاهر عالم الإمكان وصدر بعثة الحدثان لأجل الشهود والإفاضة والعرفان وأجل الجلاء الكلي والفتق الجمعي الأليّ وما تقتضيه حضرة الصورة الكلية الكمالية المحمدية من الطهارة الذاتية والنزاهة الكلية والإحاطة الجمعية والمظهرية الكلية للصورة الإلهية في الحضرة الحسية الشهادية وتقتضيه الحكمة البالغة والإرادة الكلية الذاتية التي تعلقت بإيجاد الصورة الكلية الكمالية الإلهية أن يكون جميع آبائه ﷺ من آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله مهذبين منزهين عن الطبيعة والأصاف الردية السفلية التي تخالف الطهارة الذاتية المحمدية والنزاهة الأصلية الأحمدية مستعدين لقبول روح ذلك النور الأبهر والضياء الأظهر الأنور لا ينفخ روح تلك الصورة المحمدية في كل واحد منهم إلا بحسب المناسبة الذاتية والتسوية الإلهية التي تقتضي تعينه ﷺ فيه وعبوره عنه ولا يقبل كل واحد منهم ذلك الروح الإلهية والنور الأزلي الجمعي إلا بالطهارة التي في ذاته والمناسبة الذاتية في حقيقته وصورته.

فإن الشرائع الإلهية والنبوات الشرعية إنما نزلت على الحكمة ونطقت بالمناسبة كما قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] فكانت الآباء المعينة والأجداد المعهودة المقدرة له ﷺ كالأسباب والوسائط لتلك الصورة الكلية المحمدية وحصولها على تلك الهيئة الكمالية، فمازال ﷺ من لدن آدم عليه السلام ينقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة على مقتضى الحكمة الإلهيية والطهارة الأصلية باستكمال التسوية في تلك المادة إلى أن كملت التسوية في المادة المحمدية التي تعينت في أصلاب آبائه لحصول الصورة المحمدية البشرية على الوجه الذي أراده الحق تعالى أزلاً منه في صلب أبيه عبد الله المتصف بالعبودية المحضة التي تقتضي فناء صفات العبد وذاته وتقتضي ظهور الصورة الإلهية الأسمائية وتجليها منها فما تعينت تلك المادة المحمدية والمضغة العنصرية البشرية في أبويه إلا بحسب طهارة روحهما وأخلاقهما وصفاتهما وما ولد بينهما إلا بحسب طبيعتهما وجسمانيتهما فإنه كان بضعة مني فمن آمن بالله ورسوله ومبعثه بالصورة الطبيعية الطاهرة والهيئة الكلية الكمالية لا ينسبه إلى النسب الطاهر.

ومن أضاف إليهما أمراً يخالف رتبته العلية وطهارته الذاتية فهو من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية: عن رجل قال: إن آباء النبي ﷺ في النار.

فأجاب: بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، قال: ولا أذى أعظم من أن يقال في أبيه: إنه في النار.

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في المقنع: ومن قذف أحد أجداد النبي ﷺ قتل مسلماً كان أو كافراً.

وفي قول: آخر يقتل كافراً فوجب على السلطان العادل والإمام النقي المعتدل الذي يحمي الشريعة الكلية المحمدية ويحارب على الملة الغراء الحنيفية أن يزل الفساد من الأرض وأي فساد أعظم في الدين والوجود من إضافة النبي ﷺ إلى عرق المشرك وإضافة الشرك إلى من منه طلعت شمس التوحيد والإيمان ومنه أشرقت أنوار الرحمة على أعيان الممكنات في بقعة الإمكان وبالله التوفيق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. انتهى كتاب مطالع النور السني للشيخ عبد الله البوسنوي.

خاتمة أذكر فيها عدة فوائد مهمة

[الفائدة الأولى]

الفائدة الأولى: في ذكر شيخ العصر، الذي يفتخر به الفخر، سيدنا ومولانا وشيخنا وبركتنا الذي لا أعلم له نظيراً في من عرفتهم أو بلغتني أخبارهم من أولياء هذا العصر العارفين، وعلمائه العاملين، الإمام العلامة العامل، المرشد الكامل، مجمع الفضائل والفواضل، العارف بالله، شيخ الوقت بلا اشتباه، الحسيب النسيب الشريف الحبيب، سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس أكبر أكابر [أولياء][1] السادة العلويين في حضرموت رضي الله عنه وعنهم وعن سائر ساداتنا أهل البيت الطيبين الطاهرين، ونفعني والمسلمين ببركاتهم أجمعين، بجاه جدهم الأعظم، ﷺ

شرفني منه مكتوب في هذه الأيام، ذكر لي فيه بعض ما وقع له في المنام، من سماعه النداء من الملك العلام، واجتماعه مراراً كثيرة بجده الأعظم عليه الصلاة والسلام، وغيره من أكابر الصحابة والأولياء الكرام، وأجازني فيه خير إجازة حصلت لي من مشامخي في ما تقدم من الزمان.

كما أنه رضي الله عنه أجلهم في العلم والعمل والعرفان، فقد أخبرني كثير من الثقات العارفين به إنه يجتمع بالنبي ﷺ يقظة وهذه أعلى درجات الولاية وإن لم يصرح بها هو في إجازته الآتية وقد ذكر أنه كتم أموراً هو غير مأذون بإفشائها الآن فلعل رؤيته النبي ﷺ يقظة هي من تلك الأمور التي كتمها ولم يصرح بها في هذه الإجازة مع أن عبارته فيها تحتملها وإن لم تكن صريحة بذلك.

وكيف ما كان الحال،ففي هذه الإجازة دلالة واضحة على أنه رضي الله عنه من أكابر أولياء الله وأنه كثير الاجتماع بسيد المرسلين وأهل البرزخ السابقين واللاحقين من الأنبياء والأولياء الصالحين الذين أجازوه بكتبهم وغيرها وسواهم رضي الله عنه وعنهم ونفعني والمسلمين ببركاتهم أجمعين.

وقد قدمت في الجزء الثالث من هذا المجموع مكتوباً له رضي الله عنه آخر ورد إلي منه

---

(١) وردت في الأصل: «ولياء».

منذ سنوات أجازني فيه بمروورياته عن مشايخه الأحياء وبعض الأموات رضي الله عنه وعنهم فلا حاجة لإعادته هنا وها أنا أذكر كتابه الأخير المشتمل على الإجازة المطولة المذكورة وأذكر بعده مكتوبين آخرين وردا إلى منه قبل الإجازتين المذكورتين.

وقد ذكرتهما مع مكتوب الإجازة الأول في كتابي أسباب التأليف من العبد العاجز الضعيف الذي أرسلته إلى مصر ليطبع على هامش كتابي جامع كرامات الأولياء ولم يطبعا إلى الآن يسر الله طبعهما والنفع بهما، سائر كتبي آمين وهذا مكتوب إجازته الأخير المطول الذي شرفني منه في هذه الأيام قال رضي الله عنه وأرضاه. ورزقني في الدارين رؤيته ورياه.

[خاتمة الفائدة الأولى]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تزال أعلام دينه منشورة، ودرر مواهبه منشورة، وقلوب أهل محبته بمشاهدته معمورة، حمداً يجتلي القلب نوره، وينبسط مدده على المعنى والصورة، ويكون سلماً للوصول إلى حيث المساعي مشكورة، والألباب مسرورة، والعيون مقرورة، حيث يرفع الحبيب ستوره، في حضراته المحضورة، الفاتح أقفالها، والقاسم أنفعالها، حبيبه المخمود في كل سورة.

اللهم صل وسلم عليه صلاة وسلاماً تجدِد بهما سروره، وتضاعف بهما أجوره، وتعيد بركاتهما علينا وعلى حبيبنا وصفينا ولينا في الله، الصادق في المصافاة والموالاة، المرفوع ذكره، والمشروح بنور الإيمان والعرفان صدره، الروض المزهر بالمعارف، والبحر المتدفق باللطائف، محبوب الحضرة المحمدية، والمهدي إلى الأستماع من أوصافها الزكية، وأسرارها السنية، كل طرفة شهية، الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني جعل الله اتصالنا به واتصاله بنا، محكم الأساس والبنا، موصولاً بنعم الاتصال الأبدي في دار الهنا، في خير ولطف آمين وإلى ذلك الجناب الكريم نهدي شريف التحية والتسليم.

وقد سر قلبي وصول كتابكم، وتلذذت بسماع لذيذ خطابكم، المنبئ عن خلوص الوداد، وقوة روابط الاعتقاد، وقد من الله علينا بأداء النسكين في ذلك العام، وتشرفت مواطئ الأقدام بالوقوف بتلك المشاعر العظام، والمواطن المنهلة عليها سحائب المن والأنعام، ولم يخل البال عن استشعار ملاحظتكم الخصوصية، بالدعوات الخيرية، في التوجهات والنيات، والاستمدادات في الحركات والسكنات، وسائر التقلبات، وهناك هيأ المولى لنا الاجتماع، والاتصال والانتفاع، بطوائف كثيرة من كمل الأفراد، وصلحاء العباد، من سائر البلاد، وممن

عرفناه وأحببناه وواليناه في الله، من أهل مدينة بيروت الشيخ العلامة الفهامة يوسف بن علي علائي والسيد الهمام محمد بن أحمد خرما وقد استنبأناهم عن أخباركم وأفادونا بما نحب عنكم وأودعناهم السلام عليكم والتماس الدعاء من حضرتكم ولم نتمكن بعد الحج من التوجه إلى المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام للزيارة لجملة أسباب وأعذار، نفذت بها الأقدار، وسيكون إن شاء الله تعالى وذكرتم ترجيكم لدخولنا إلى الشام ونزولنا ببيتكم الميمون وحبذا لو يسر الله لنا زيارة البلاد الشامية ومن فيها من ذوي الخصوصية ونؤمل من مولانا تعالى أن يسعف بهذا المأمول عن قريب في خير وعافية آمين.

وذكرتم ما قد طبع من تأليفكم المسمى جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ ونظمكم القصيدة الفريدة الرائية فالحمد الله الذي أقامكم بهذا المقام من إعلاء منار الدين. ومقاومة الأعداء الشياطين، فهذه نعمة عظمى وموهبة كبرى، تقتضي إدراككم الشرف الكامل في الدين والدنيا والأخرى، وإن شاء الله تكون آمالكم بالغة، وحجتكم دامغة، وكتبكم كلها مقبولة، لا مدخولة ولا معلولة، وكفاكم فضلاً وشرفاً التعلق بجناب المصطفى ﷺ وهو الباب الذي لا يدخل منه إلا سعيد، ولا يحضر على مائدته إلا الخلص من العبيد، ولا يدعى إلى حضرته العلية، إلا من سبقت له العناية الأزلية.

وقد دخلنا في شهر شعبان الماضي إلى مدينة تريم وزرنا فيها أسلافنا العلويين، وخلائفهم الموجودين، واجتمعنا ببلد سيون بأخينا العارف بالله تعالى الإمام الهمام السيد علي بن الحبيب محمد بن حسين الحبشي وكثير من فضلاء العصريين وجرى ذكركم لديهم وتلونا مكتوبكم عليهم فطربت أرواحهم، وتضاعفت أفراحهم. وألقى الله محبتهم في قلوبهم الطاهرة العامرة ومنحوكم صالح الدعاء، وجميل الذكر والثناء، فهنيئاً لكم بذلك، وقد قبلت إجازتكم لي بالصلاة الفيضية وأفدت بها كثيراً منهم فجزاكم الله عني وعنهم وعن المسلمين خيراً وطلبتم مني أن أذكر لكم تفصيل المرائي والإجازات التي أجازني بها أهل البرزخ من الأكابر ومثلي لا يحسن الخوض منه في هذه الأشياء لما أعرفه من نفسي في سائر أحوالي وكذلك لا يحسن إبداء ما هناك إلا ما دعت الحاجة إلى إظهاره وامتثال أمركم لدي من أهم الحاجات وأكبرها واستغفر الله من كل ما لا يرضاه وسيرة السلف الصالح مبنية على الذبول والخمول وسترها هناك إن وجد شيء وبالجملة فلم أجبكم إلى ما طلبتم ألا اغتناماً لدعائكم ولما أرجو من حصول الارتباط بكم لاسيما وقد قويت رابطتكم بسيد البرية وبالعصابة المرضية ممن اتبع وانتفع واهتدى وهدى.

وأقول مستعيناً بالله تعالى لي إجازات كثيرة من علماء الباطن والظاهر أهل البرزخ وذلك أمر يفوت الحصر وقد ذهب من حفظي الأكثر وأما ما حضرني الآن فسأذكره لكم فمن ذلك أني

رأيت الحق سبحانه وتعالى وأمرني بذكر الهوية(هو) سبعاً ولم يتبين لي هل أراد سبعاً من المرات أو من المئين أو من الآلاف؟ وأنا أفعل ذلك تارة بالأقل وتارة بالأكمل. وأما سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام فلي منه المدد التام والنظر الخاص والعام رأيته ﷺ مرات لا تحصى منها أني رأيته وهو يصلي العشاء وصليت وراءه وسمعت قراءته، ورأيته ﷺ مرة أخرى وقرأت عليه قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إلى آخر الآيات الثلاث قراءة مرتلة وقلت له: أهكذا القراءة يارسول الله؟ قال: «نعم» والثلاث آيات هي قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً، ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً.

ورأيته ﷺ مرة أخرى وقرأت عليه شيئاً من القرآن مرتلاً فلما فرغت قرأ بعدي بالحذر والإدراج على ما اعتاده من الحدر والسرعة في التلاوة، وصافحني ﷺ مناماً مرات متعددة وعانقني وسألته عن المصافحة وفهمت من كلامه إن المشابكة آكد وشابكني ومرة أخرى وضع السبحة في يدي ومرة لقمني وأمرني بقراءة ما تيسر من سورة الإخلاص بعد صلاة الصبح، ورأيته ﷺ أخرى لما كنت بالأبطح راجعاً من الحج متوجهاً إلى حضرموت فقال لي: «تريد الخروج إلى حضرموت» قلت: نعم فقال ﷺ: «أستودعك الله الذي لا تضيع وداعته» فقلت له: قبلت الوداعة التي لا تضيع.

ورأيته مرة أخرى مع نبي الله عيسى عليهما الصلاة والسلام في بعض المساجد وتلوت عليهما: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وخاطبت بها سيد الوجود ﷺ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم والتفت إلى سيدنا عيسى عليه السلام وما كنت لديهم إذ يختصمون ووقفت فقال سيد الوجود ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٤٢] مشيراً إلى أن الآية متصلة المعنى بما بعدها ولم أقف عليها من بعد، وفترت ليلة عن قيام الليل فرأيته ﷺ جاءني بمصلى خوص وناولنيه لأقوم للصلاة.

ورأيته ﷺ مرة أخرى بعد أن طالعنا في كتاب الأغاني فقال لي طالعوا في علم التصوف.

ورأيته ﷺ مرة أخرى سقاني عسلاً في إناء. ورأيت وأنا بالمدينة المنورة كأن الخضر أتى إليّ وأخذ بيدي ومشى إلى المواجهة تلقاء القبر الشريف ونادى: يارسول الله أهذا ولدك؟ قال: «نعم هذا ولدي محسن».

ورأيته ﷺ أخرى وسألته عن الشيخ محيي الدين بن عربي فقال: «هو من الجواهر المفردة» ورأيته ﷺ مرة أخرى وعرضت عليه الصلوات التي فتح الله بها علي فاستحسنها وهي هذه.

أللهم صل صلاة كاملة كما هي في علمك صلاة كاملة، وسلم سلاماً تاماً كما هو في علمك سلام تام، على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل محمد عدد صلاتك عليه وعدد صلاة من صلى عليه من خلقك ومثل صلاتك عليه ومثل صلاة من صلى عليه من خلقك وعدد سلامك عليه وعدد سلام من سلم عليه من خلقك ومثل سلامك عليه ومثل سلام من سلم عليه من خلقك في الأول والآخر والظاهر والباطن والسر والعلانية ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم وعدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك وكلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون وعدد ما كان وما يكون وما هو كائن في علمك، وزنة ما كان وما يكون وما هو كائن في علمك، وملء ما كان وما يكون وما هو كائن في علمك، وعدد كل ذرة من ذلك ألف مرة، وزنة كل ذرة من ذلك ألف مرة، وملء كل ذرة من ذلك ألف مرة.

وفي كل لمحة ولحظة وخطرة وطرفة يطرف بها أحد من أهل السموات وأهل الأرضين وجميع المخلوقين، صلاة تكون لك رضى ولحقه أداء، وسلاماً يكون لك رضى ولحقه أداء، وترضى بهما ويرضى بهما عنا وعن والدينا وعن أولادنا وعن مشايخنا وعن معلمينا وعن أهل الحقوق علينا وعن جميع المسلمين في الدين والدنيا والآخرة، وأجر يارب لطفك الخفي في أموري وأمورهم وأمور المسلمين في الدين والدنيا والآخرة آمين يارب العالمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، أللهم صل وسلم بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم،

وصل وسلم باسمك الأعظم ورضوانك الأكبر، وصل وسلم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، على روح سيدنا محمد في الأرواح وعلي جسده في الأجساد وعلى قبره في القبور، بكل صلاة وبكل سلام صليت وسلمت بهما عليه وبكل صلاة وبكل سلام صلى وسلم بهما عليه أحد من خلقك، في الأول والآخر والظاهر والباطن والسر والعلانية ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وعدد النعم وعدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك وكلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون، وعدد ما كان وما يكون وما هو كائن في علمك، وزنة ما كان وما يكون وما هو كائن في علمك، وملء ما كان وما يكون وما هو كائن في علمك، وعدد كل ذرة من ذلك ألف مرة، وزنة كل ذرة ذلك ألف مرة، وملء كل ذرة من ذلك ألف مرة.

وآته الوسيلة والفضيلة والشرف والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة واجزه عنا ما هو أهله بما هو أهله في الدين

والدنيا والآخرة أمين يارب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وفي ذكر هذا القدر من المراثي النبوية كفاية، ومما سمعته من سيدي العارف بالله أبي بكر بن عبد الله بن طالي العطاس قال كان السيد أحمد بن علي بجر القديمي يجتمع بالنبي ﷺ يقظة فقال له يوماً: أريد أن أروي عنك حديثاً بلا واسطة فقال له: أحدثك بثلاثة أحاديث:

الأول: «مازال ريح قهوة البن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة».

الثاني: «من اتخذ سبحة ليذكر الله بها كتب من الذاكرين كثيراً إن ذكر بها أو لم يذكر بها».

والثالث: «من وقف بين يدي ولي لله حياً أو ميتاً فكأنما عبد الله تعالى في زوايا الأرض حتى تقطع إرباً إرباً» اهـ.

قلت: والسيد أحمد هذا شيخ السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل والسيد عبد الرحمن شيخ شيخنا السيد أبي بكر المذكور واتصلنا به أيضاً من طرق أخري.

ورأيت سيدي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وطلبت منه الإجازة فقال ليس في وقتنا إجازة وإنما اعلمك صلاة على النبي محمد ﷺ ولقنني هذه الصلاة، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد زين الوجود، وعلى آله خير كل موجود.

ورأيت سيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال: أتريد أن أعلمك هيئة وضع الرداء على كتفيك؟ قلت: نعم، فوضع طرفاً منه على كتفي الأيمن مرسلاً إلى ما يلي الصدر وأدار الباقي وراء ظهري وإلى ما تحت الإبط من الجانب الأيسر حتى وضع الطرف الآخر على الكتف الأيسر مشرفاً على الظهر.

ورأيت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فأمرتني بتكرير قوله تعالى. قل: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور ورحيم.

ورأيت سيدي القطب عبد الرحمٰن بن محمد السقاف باعلوي التريمي فأمرني بقراءة هذا الورد وأجازني به وهو للشيخ الغوث أبي بكر بن سالم باعلوي المتوفى بعينات وهو هذا.

أللهم يا عظيم السلطان، يا قديم الإحسان، يا دائم النعم، يا كثير الخير، يا واسع العطاء، يا خفي اللطف، يا جميل الصنع، يا حليماً لا يعجل، صل يارب على سيدنا محمد وآله وسلم وارض عن الصححابة أجمعين، اللهم لك المد شكراً، ولك المن فضلاً، وأنت ربنا حقاً، ونحن عبيدك رقا، وأنت لم تزل لذلك أهلاً، يا ميسر كل عسير، ويا جابر كل كسير، ويا صاحب كل فريد، يسر علينا كل عسير، فتيسير العسير عليك يسير، أللهم يا من لا يحتاج إلى

البيان والتفسير، حاجاتنا كثيرة، وأنت عالم بها خبير، أللهم إني أخاف منك وأخاف ممن يخاف منك وأخاف ممن لا يخاف منك، أللهم بحق من يخاف منك نجنا ممن لا يخاف منك، أللهم بحق محمّدا حرسنا بعينك التي لا تنام، وأكنفنا بكنفك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

ورأيت سيدي القطب الشيخ أبا بكر بن سالم باعلوي فأجازني بأوراده كلها ومنها هذا الورد المتقدم وسألته هل يثاب قارئ القرآن بقلبه قال: نعم. ووضع لسانه في فمي حتى أحسست بوصوله إلى حلقي.

ورأيت سيدي السيد الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس باعلوي صاحب حريضة وأجازني براتبه هذا وهو.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاثاً، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثاً، بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشراً[(١)]، بسم الله الرحمن الرحيم ثلاثاً، بسم الله تحصنا بالله بسم الله توكلنا على الله ثلاثاً، بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه ثلاثاً، سبحان الله عز الله سبحان الله جل الله ثلاثاً، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ثلاثاً، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أربعاً[(٢)]، يا لطيفاً بخلقه يا عليماً بخلقه يا خبيراً بخلقه ألطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاثاً، يا لطيفاً لم يزل، ألطف بنا فيما نزل، إنك لطيف لم تزل، ألطف بنا والمسلمين ثلاثاً، لا إله إلا الله أربعين مرة، محمد رسول الله مرة، حسبنا الله ونعم الوكيل سبعاً، اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم إحدى عشرة مرة، وبعد الأخيرة يقوله يارب صل عليه وسلم أستغفر الله إحدى عشرة.

وبعد الأخيرة يقول: نتوب إلى الله ياالله بها ياالله بها ياالله بحسن الخاتمة ثلاثاً. انتهى. الراتب ويسمى عزيز المنال وفتح باب الوصال وهو مجرب لدفع الشدائد والمهمات وتفريج الكربات وقضاء الحاجات، ومن غريب ما اتفق لي أني لما وصلت إلى مكة المشرفة وصبحت سيدي السيد أحمد دحلان وابتدأت في طلب العلم أمرني بترك جميع الأوراد فامتثلت الأمر ألا في هذا الراتب ثم قال لي حتى الراتب فتركته فجاءني في المنام سيدي الحسين بن صاحب

---

(١) هكذا في الأصل.
(٢) هكذا في الأصل.

الراتب المذكور وأمرني بقراءته فلم أقرأه ثم جاءني سيدي عمر العطاس صاحب الراتب يأمرني به أولاً وثانياً وفي ثالث مرة جاء يتهددني كالغضبان وأجازني به فعاودت قراءته، ورأيت سيدي القطب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد باعلوي التريمي مرات وأجازني براتبه وأوراده ومؤلفاته.

وقرأت يوماً في كتاب المهذب للشيخ أبي اسحق الشيرازي فرأيت مؤلفه أبا اسحٰق داخلاً عليَّ بمؤلفاته وغيرها، وقلت له: شكر الله سعيكم في تأليف المهذب ونعم ما أود عتموه من البسط وذكر الدليل والتعليل ولكنكم تحكون القولين أو الوجهين وتسكتون عن الترجيح غالباً وإن طلبة العلم الآن ما لطمئن قلوبهم إلا بحكاية ذلك.

فقال: هذه صفة لأهل التحكم في الدين ونحن نقلنا لكم كما نقلنا، ورأيت الشيخ أبا حامد الغزالي وأجازني بجميع مصنفاته وسألته هل يكفي من يريد الصلاة بداره الآذان العام بالبلد؟

قال: نعم. فقلت له إن طلبة العلم إذا أخبروا بمسألة قالوا من نص عليها، قال: إذا سألوك فقل لهم نص عليها الغزالي في الوسيط، فلما انتبهت أخذت الوسيط وراجعت المسألة فإذا قوله فيه: وأولى بأن لا يؤذن اكتفاء بالنداء العام.

ورأيت الإمام النوري وطلبت منه الإجازة فأجازني بعلم الفقه وبجميع كتبه ومصنفاته ورأيته مرة ثانية وسألته الإجازة فقال: أجزتك بشرطها المعتبر عند أهلها فقلت له، أن سلفنا ما يعتبرون إلا الارتباط بين المجيز والمجاز.

فقال: وهو كذلك اجزتك، ورأيت الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي فأجازني بمؤلفاته ومروياته وأمرني أن أجعل المعوذتين في أورادي فجعلت وردي منهما كل يوم مائة مرة.

وفي رؤيا أخرى قلت له: قد انتفعت كثيراً بكتاب المهذب ولم تشرحه فقال: فيه مسائل مشكلة فاستفهمته عن ذلك فقال: بسط النية على تكبيرة الإحرام فقلت له: سبحان الله إذا رأى الإنسان نفسه قائماً وذاكراً وصامتاً وقال الله أكبر فهل كبر نفسه أو كبر ربه فسكت فقلت له: بل كبر نفسه. فقال: صدقت ورأيته ندم وود لو أنه شرحه.

وإيضاح قولنا: بل كبر نفسه هو أن الإنسان إذا قام إلى الصلاة مستحضراً للنية من أول التكبير إلى آخره متصوراً أفعال الصلاة مالنا قلبه بهذه التصورات والحركات والسكنات كما أوجبه الفقهاء المتأخرون فمن أين له حينئذٍ وجود التعظيم والتكبير لله في قلبه؟ لأنه إنما أعظم أفعال نفسه وملأ قلبه بتعظيمهما لما رآها بهذه المثابة.

وأما حقيقة التكبير لله فإن تنفي عنه هذه التصورات يمتلك قلبه باستحضار عظمة الله وكبريائه وبوجود هذا تنتفي الوساوس.

وأما النية فإنما شرعت لتمييز الأعمال لا غير وليلة سمعت جماعة من أهل الغيب يتلون أسماء الله الحسنى يقولون بصوت واحد: يارحمن يارحيم أدخلنا جنتك يا ملك يا قدوس أدخلنا جنتك وهكذا إلى آخر الأسماء، وسمعت يوماً هاتفاً يقول: يا عالم السر والنجوى نجنا من كل بلوى فوقع أثر ذلك شيء يستغاث منه وكررت الدعوة وحفظ الله.

ورأيت بعض أهل البرزخ يقول لي إنا ننتفع كثيراً بهذا الدعاء الذي تدعو به عندنا وقت زيارتك يا واسع المغفرة والرحمة أغفر لنا ولهم وإرحمنا وارحمهم ووالدينا ووالديهم واجعلنا وأياهم من الذين آمنوا بما أنزلت على رسلك، وهو منسوب للسيد محمد بن عمر باعلوي التريمي.

وجئت ليلة إلى تريم في حالة الفهوانية والتمثل وعرضت نفسي على أهل برازخها من سلفنا العلويين وغيرهم وميت منهم التحكيم والإلباس والإجازة فحصل لي ذلك منهم فأخبرني أحد السادة المكاشفين من أهل البلد ليلة كذا يعني تلك الليلة رأيتك بتريم ورأيت السلف كلهم يلبسونك بملابس متعددة مختلفة منها القميص ومنها العمامة ومنها القلنسوة ومنها غير ذلك.

وأما الذين اخذت عنهما بالإجازة ألعامة في عالم البرزخ أيضاً غير من ذكروا فلا يمكن استقصاؤهم لتقادم الزمان ولما هو غالب على الذهن من النسيان ولم يزالوا بحمد الله تعالى يترددون عليَّ إلى الآن واجتمع بهم في برازخ الفهوانية والمنام ولي بحمد الله الإجازة وتلقين الذكر والإلباس والمصافحة والإذن بذلك ممن ذكروا جميعاً، ومن سيدي أبي العباس الخضر عليه السلام مرات متعددة، ومن سيدي الإمام علي زين العابدين بن الحسين السبط رضي الله عنهما، وسيدي أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق أول من خرج من العلويين إلى حضرموت وسيدي الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وسيدي الشيخ عبد القادر قبلاني مرات متعددة، وسيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس باعلوي، وعمه سيدي الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف، وسيدي أبي بكر بن عبد الله العيدروس نزيل عدن، وسيدي الحسين بن عمر العطاس صاحب حريضة، والشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي صاحب قيدون، وسيدي الشيخ محيي الدين بن عربي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ،وابن حجر العسقلاني، وجار الله محمود الزمخشري، والشيخ عبد العزيز الدباغ، والشيخ علي بن عبد الله باراس صاحب الخريبة (بالتصغير) تلميذ سيدي عمر العطاس، والشيخ العارف عمر بن عبد الله بامخرمة صاحب سيون، والشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن بالرباط، وسيدي السيد علي بن الحسن العطاس بالمسهد، وابن ابنه السيد

العارف هارون بن هود العطاس، وسيدي أحمد بن عمر بن سميط الشبامي، وسيدي الحسن بن صالح البحر الجفري، وسيدي عبد الله بن الحسن بن طاهر، وسيدي عبد الله هو صاحب الصلاة التي ألهمها في المواجهة المدرجة في سعادة الدارين ابن عمر بن يحيى العلويين نفعنا الله بهم وأمدنا بمددهم في الدين والدنيا والآخرة آمين، أجزت الشيخ يوسف النبهاني بجميع ما أجازوني وأمروني وأذنوا إلي به إجازة عامة شاملة وأذنت له أن يجيز ويروي عني إذناً مطلقاً، وأجزته أيضاً بما أجازني به مشايخي الذين أدركتهم وانتفعت بهم وأخذت عنهم، ومن أجلهم سيدي العارف بالله الإمام صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس العمدي بلداً، وسيدي السيد الإمام أبو بكر بن عبد الله بن طالب العطاس بحريضة، وسيدي أحمد بن المحضار بدوعن، وسيدي أحمد ابن زيني دحلان المكي، وسيدي السيد محمد بن عبد الباري الأهدل المراوغي، وأخوه السيد حسن، وسيدي محمد بن إبراهيم بلفقيه بتريم وسيدي عيدروس بن عمر الحبشي بالغرفة وسيدي محمد بن علي السقاف وسيدي محسن بن علوي وسيد شيخ بن عمر وسيدي عبد الرحمن بن علي آل السقاف بسيون وسيدي عمر بن محمد بن سميط وسيدي عمر بن عبد الله الجفري وسيدي هاشم بن شيخ الحبشي والشيخ محمد بن محمد العزب الثلاثة مدنيون وبمصر شيخ الإسلام الشيخ محمد الأنبابي والشيخ حسين المرصفي وكثيرين سواهم وكل هؤلاء تتصل أسانيدهم بمنى مضى قبلهم من السلف الصالح ومن أراد بيان ذلك فعليه بالإثبات والمسانيد كثبت الشيخ الأمير الكبير والنفس اليماني للسيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل والضوابط الجلية في الأسانيد العلية للشيخ فتح الفرغلي وثبت الشيخ محمد عابد الأنصاري السندي والرقة المشيقة في لبس الخرقة الأنيقة للسيد الإمام علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمٰن السقاف باعلوي والجزء اللطيف في عقد التحكيم الشريف لابن أخيه أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني ووصلة السالكين بأسانيد البيعة والتلقين للسيد العلامة عبد الله بن أحمد بلفقيه باعلوي وعقد اليواقيت الجوهرية في طرائق السادة العلوية لشيخنا السيد عيدروس بن عمر الحبشي وأبواب السعادة وسلاسل السيادة للسيد محمد مرتضى الزبيدي الذي ألفه بإشارة شيخه السيد عبد الرحمٰن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر وجمع فيه طرائق الصوفية بأسرها مرتبة على الحروف وثبت الشيخ عبد الله بن سالم البصري وثبت الشيخ حسن بن علي العجيمي المكي والشيخ إبراهيم الكوراني المدني والشيخ محمد حياه السندي والشيخ أحمد بن محمد القشاش المدني وغيرها.

وبالجملة فقد أجزتكم إجازة عامة بكل ما تجوز لي روايته ودرايته من تفسير وحديث وأصول وفقه وتصوف وآلات دلك وكل مباح يرجع إلى ذلك وفيما لدي ولديكم من الإذكار والأحزاب والأوراد والإقراء والنفع والانتفاع والإفادة والإستفادة وأذنت لكنم أن ترووا ذلك

وتجيزوا عني من شئتم كيف شئتم والقصد أن يصح الارتباط لنا بيننا وبين من قد ثبت إقدامهم وعلت هممهم وصلحت نياتهم من السلف الصالح الذين صلحت أحوالهم مع الله ومع خلقه.

وطلبتم مني سابقاً أن أبين لكم شيئاً من شرح حالي وأنا أقل من أن أذكر ولكن أقول إسعافاً لكم وإجابة لحسن ظنكم ومبادرة لامتثال أمركم كان مولدي ببلد حريضة في شهر رمضان سنة ١٢٥٧ وابتدأت في قراءة القرآن على جدي عبد الله بن علي بن عبد الله العطاس لقنني فيه من سورة الناس إلى لإيلاف قريش وهو قرأ أيضاً من القرآن على الشيخ الجليل العلامة عبد الله بن أحمد باسودان بالخريبة وقرأ باقية على الشيخ المعلم عمر بن حيدر بحريضة وتربي بابيه علي بن عبد الله وهو بوالده عبد الله بن محمد بن محسن وهو بجديه محسن والحسين بن عمر والحسين بأبيه سيدي القطب عمر العطاس وهكذا تربيتهم في عقد نسبهم بآبائهم إلى متبوعهم الأعظم ﷺ وتردد جدي عبد الله المذكور على السيد عيدروس بن عبد الرحمٰن البار باعلوي وانتفع به انتفاعاً تاماً وله منه عناية تامة وكان كثير الأوراد والأذكار حافظاً لسيرة السلف كثير الورع في أفعاله وأحواله وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٧٨ وذهب بي إلى المعلم الحافظ لكتاب الله تعالى فرح بن سباخ وهذا الشيخ قرأ القرآن على الشيخ سليمان بن عبد الله باسليمان إمام جامع حريضة وتربى وتأدب بالسيد العارف بالله هارون بن هود العطاس ومكث عنده في المشهد نحو ثمان سنين وبحريضة يعلم القرآن ستاً وخمسين سنة.

وكان آية من آيات الله في الزهد والتقشف والإعراض عن الدنيا ولذاتها ومن غريب حاله أنه إذا أخذه النوم مع التلاوة وقطع قراءة فعاد إلى اليقظة قرأ من حيث وقف وكنت أتدارس القرآن أنا وإياه.

وقد أصلي الوتر معه جماعة في رمضان وغيره ونقرأ في الصلاة الثلث والربع والأجزاء ونحو ذلك ولما كنت بمكة وقت اشتغالي بالطلب إذا غفلت عن التلاوة أراه في المنام يأمرني بها ويتهددني بالعصا وحفظت عليه القرآن وكان يحبسني للتكرير بعد خروج المتعلمين من عنده ويأمرني بقراءة كل درس أربعين مرة فإذا أكملتها أخرجني توفي رحمه الله سنة ١٢٩٥ وفي تلك المدة جاء إلى حريضة السيد الشريف العلامة محمد بن علي بن عبد الله السقاف من سيون للدعوة إلى الله ونشر العلم وانتفعت بمذاكرته وتلقينه وتقريره في دروسه خصوصاً في علم الفقه وحفظت عليه بعض المتون والرسائل وتردد إلى حريضة نحو خمس مرات وحصل به نفع كثير وكان بمرتبة رفيعة من سعة العلم والحفظ والنقل والاتباع للسلف والورع والاحتياط والأخلاق الحسنة وتولى القضاء بسيون مرات ولم ينقم عليه في شيء من أحكامه وربما سأله السلطان الموافقة في بعض القضايا فيمتنع ويعزل نفسه وكفاه شاهداً على كماله

وصلاحه أنه توفي ساجداً في صلاة الضحى بمسجد سيدي عمر المحضار بتريم لما أتى إليها زائراً.

وكان وصوله وتردده إلى حريضة بواسطة السيد محسن بن حسين بن جعفر العطاس والسيد محسن هذا كان عالماً فاضلاً ورعاً تقياً محتاطاً في أخذه وعطائه احتياطاً لم نسمع بمثله إلا عن الأولين وكان من شدة ورعه أنه لا يعرف المال إلا حيث أذن الشارع فيه ومن غريب ما وقع له وهو بالشحر أن أحد المجاذيب أتى إليه وطلب منه شيئاً حقيراً فلم يعطه شيئاً فلما علم بذلك سيدي العارف بالله أبو بكر بن عبد الله العطاس دعاه وسأله لم حرمت هذا السائل فقال لأنه مجذوب وأعطاه مثله إضاعة مال فقال له سيدي أبو بكر معاتباً إضاعة مال إضاعة مال. وكررها وإن كان مالك يرمي الآن في البحر ففطن لذلك وعرف أن سؤال المجذوب لحكمة خفية فرجع إليه وعرض عليه ماشاء فلم يقبل فرجع إلى سيدي أبي بكر واستشفع به فقبل المجذوب عطاءه واتفق وقت سؤال المجذوب إياه أنه رُمي من ماله في البحر من السفينة مبلغ عظيم من الفلفل فقال له سيدي أبو بكر: يا محسن أتقول إذا أتاك سائل ثانياً إضاعة مال؟ قال: لا، واستغفر الله واسترهن بحريضة أرضاً بنحو ٢٠٠ ريال.

ثم أتاه الراهن ليأخذ أرضه ودفع إليه الدراهم وكانت وردت عليه من الهند فأخذها السيد محسن وانفقها كلها في سبيل الله.

وقال: إن مال الهند لا يطمئن به القلب وتربى بعمه السيد العارف بالله علي بن جعفر العطاس وبالسيدين العارفين عبد الله بن الحسين بن طاهر وعبد الله بن عمر بن يحيى رحمة الله عليهم أجمعين، وتوجهت إلى مكة المشرفة في سن البلوغ للحج وتجويد القرآن فتلقاني سيدي السيد أحمد زيني دحلان وفرح بي كثيراً وحط نظره السعيد علي وسألني عن قصدي فقلت له جئت لأداء فرض الحج ولتجويد القرآن.

فقال: أما تطلب العلم؟ فقلت له: يكفيني تجويد القرآن وأرجع إلى جهتي وأطلب العلم هناك ولم يكن هذا مني رغبة عن المجاورة بمكة، بل خوفاً من مخالطة الأضداد والتضييع لسيرة أهلي وسلفي، ولما أجده من الانشراح والاسترواح وعندي في ذلك الوقت صفاء تام في الباطن ولم يزل يلاطفني حتى حصلت ما ندر الله تحصيله وأرسل بي إلى الشيخ المقرئ علي بن إبراهيم السمانودي.

وكان هذا الشيخ يحفظ القرآن والشاطبية في القراءات السبع المسماة حرز الأماني والدرة في القراءات الثلاث والطيبة في القراءات العشر والجزرية في التجويد ومختصر أبي شجاع في الفقه ودلائل الخيرات في الصلاة على النبي ﷺ وكانٌ يقرأ الدلائل في طوافه ويكملها في نحو سبعة أسابيع كما أخبرني بذلك وكان يقرأ للقراء العشرة ورواتهم والطرق التي

تلقيت عنهم ومجموعها كما أخبرني هو نحو تسعمائة وتسع وتسعين طريقاً واتفقت له غريبة وهو أنه قرأ [بحضرة][1] جمع من الفضلاء وفيهم عالم مشهور ورد من مصر قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ويخرج له يوم القيامة كتاباً فتح الياء من يخرج وضم الراء ونصب كتاباً فقال المصري يا سيدنا هذه القراءة لا تصح لا تلاوة ولا عربية فقال له هكذا تلقينا فقال المصري: لا تصح عربية.

فقال له: وهل أحطت علماً بالعربية ومضى في قراءته أخبرني بهذا سيدي السيد أحمد وكان ممن حضر .

وقال: إني راجعتها في كتب القراءات ووجدتها قراءة لأبي جعفر وكتاباً حال من طائره فلذلك وثقت بهذا الشيخ ورضيته لك لتقرأ عليه وحفظت عليه الشاطبية كلها وقرإت عليه للسبعة بالإفراد والجمع ولما أكملت الختمة عليه.

قال لسيدي السيد أحمد أن السيد أحمد العطاس: أكمل الختمة. فقال: سنفعل له ختماً يجمع العلماء والمشايخ والرؤساء وغيرهم فاجتمعا بالرباط وأرسل السيد أحمد لشيخ السادة محمد بن إسحٰق بن عقيل وأمره أن يخبر الفراشين والعلماء ونائب الحرم والمشايخ وأهل التدريس في المجد وأهل البلد بالختم وواعدوهم بالاجتماع في الحرم بعد صلاة [ ][2] الصبح واجتمعوا بحصوة باب الصفا وعطلت المدارس كلها ذلك اليوم وأحضروا جميع القراء الذين بمكة وابتدأت في ذلك الجمع الحافل بقراءة هل هو الله أحد والمعوذتين ثم الفاتحة وألم إلى المفلحون وأتيت بما للقراء السبعة من القرآت والأوجه والتكبير والتهليل والحمد مع تكرير ذلك كما هو معلوم عند من جمع القراءات في مجلس واحد ولم يكمل الختم إلا بعدما أثر حر الشمس في الحاضرين وقرأ كل من حضر من القراء آيات بالقرآت مناسبة للمجلس وألبسوا سيدي الشيخ عليا السمانودي خلعة فاخرة تعظيماً للقرآن وله وقسم على أهل الجمع نحو قنطارين ونصف من الحلواء ثم خطب الشيخ عبد الله فقيه بخطبة بليغة تتضمن ذكر سور القرآن وهي مذكورة في تاريخ المغرب المسمى نفح الطيب:

أولها: الحمد لله الذي افتتح كتابه العزيز بفاتحة الكتاب، ثم قال لي سيدي السيد أحمد: ما أطلب منك إلا خصلة واحدة أن تحفظ ألفية ابن مالك وأسمعني شيئاً منها من أبواب متفرقة وحل لي بعض معانيها فقلت له: أحفظها إن شاء الله، فحفظتها عليه وحضرت عليه

---

(١) غير واضحة في الأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) بياض في الأصل.

القراءة في كثير من الكتب في التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والاستعارة والمنطق وغير ذلك مما بيديه ويلقيه وكنت رفيقة وجليسه سفراً وحضراً من خمس سنين وتدارست القرآن أنا وإياه وتذاكرنا في علومه الباطنة وأخذته غيبة عن إحساسه الظاهر ورأيت كثيراً من سلفنا العلويين اجتمعوا عنده ليلة دهشته تلك الحالة.

وقلت للشيخ محمد سعيد بابصيل وقت الانتظار للدرس: اليوم ما يخرج الشيخ فكان الأمر كذلك وسألت أحد أكابر الأولياء من السادة أهل المغرب عن الشيخ وما دهمه.

فقال: لابأس عليه يمكث في غيبته هذه عشرين يوماً، ثم يفيق فلما أفاق بعد مضي تلك المدة سألته عن بعض ما جرى له في غيبته من الكشوفات ومن جملة ما أخبرني به قال: تجسدت لي معاني القرآن ورأيت الآيات مكتوبة على الجدران وخاطبتني كل آية بمعناها إلى آخر ما قال.

وكان لا يفارقني في أوقاته كلها إلا ما ليس لي به تعلق كاجتماعاته الخاصة مع أهله ومع الشريف والباشا ونحوه، وكنا نفرق الأيام والليالي وقت تعطيل المدارس على المشاهد والمآثر في مكة والمدينة ونتلو فيها القرآن وإذا منعه عذر عن الخروج إلى المسجد لصلاة التراويح أمرني أن أصلي نائباً عنه وكنت راكباً عديله في طريق المدينة وقد نخرج إلى أماكن البادية القريبة من مكة الدعوة إلى الله ويستعد بما يحتاج إليه من الزاد وما يتألف به الناس وحفظت من البهجة الوردية عليه إلى باب الزكاة وكنت أراجع وأطالع على ما أحفظه منها شرح العراقي عليها وشرحي: شيخ الإسلام الصغير والكبير، وتيسير الفتاوي للبارزي، وبعض شروح الإرشاد والحاوي الصغير وشرحه وحضرت عليه المحلي على المنهاج، وشرحه على الألفية والسيرة له، والشمائل، والشفا، وبعض الإحياء، وشيئاً من سنن أبي داود، وشيئاً من الترغيب والترهيب، والنصائح والدعوة التامة لسيدي عبد الله بن علوي الحداد والكفراري، وحاشية الجوهرة للبيجوري، وحاشية السلم في المنطق له، والسمر قندية في الاستعارة له، ومن أثناء سورة آل عمران إلى سورة سبأ من تفسير الإشارة.

وكنت إذا ذكرت الخروج إلى حضرموت شق عليه ذلك ويقول: ما أريدك تخرج إلى حضرموت لتكون خليفتي في مكة وكل ما تطلبه أعطيكه ولم أطلب منه شيئاً في تلك المدة ولما علم ببعض حاجتي عاتبني في ذلك.

فقلت له: عادة السلف الصبر وانتظار الفرج والفتح، فاستحسن ذلك ودعا لي ولما أراد الله توجهي إلى حضرموت رأيت كثيراً من أكابر السلف العلويين ترددوا عليَّ في المنام والزموني أن أخرج إلى حضرموت فلم أدر كيف أفعل مع الشيخ، وكيف أدخل عليه لما أعلمه من شدة محبته لي وحرصه على استيطاني بمكة فطلبت من أحد السلف الذين أمروني بالخروج

أن يخاطب الشيخ في ذلك ففي صحبة تلك الليلة صلينا الفجر مع الشيخ وأتينا لنصافحه ونتلو القرآن معه فأخبرني بما رآه وأذن لي بالخروج، وقال: إني رضيت الآن، ودعا لي وأجازني ولقنني وألبسني وكتب لي بذلك وأذن لي أن أجيز وألقن وألبس وخرجت إلى حضرموت سنة ١٢٨١، ولم يزل نظره في أحوالي كلها ومكانته ترد إلي إلى أن توفاه الله تعالى بالمدينة الشريفة في شهر صفر سنة ١٣٠٤ وفي آخر مكتوب أرسله لي من المدينة شرح لي جميع أحواله وما ألفه من الكتب ما قد تبيض وما بقي في مسودته، وما في بيته وما عند طلبته وهو كالوصية والاستيداع رحمة الله تعالى عليه آمين.

وممن انتفعت أيضاً بتربيته ونظره ولازمته سيدي ووالد روحي وواسط فتوحي السيد العارف بالله صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس ترددت في صغري إلى بلده عمد وانتفعت به انتفاعاً تاماً وحضرت مجالسه وراعاني ولاحظني بأنظاره الشريفة وألبسني وأجازني ولقنني وهو اتصل بكثير من المشايخ بالحرمين واليمن وحضرموت .

وأما شيخ تربيته الخاصة فهو النبي ﷺ كما أخبر هو بذلك رضي الله عنه توفي ببلده عمد في شهر جمادي سنة ١٢٧٩ .

وانتفعت الانتفاع التام أيضاً بسيدي العارف بالله أبي بكر بن عبد الله بن طالب العطاس وحل نظره الميمون علي في سائر أحوالي وأجازني ولقنني وألبسني وكان آية من آيات الله في إلقاء العلوم الفيضية وفي المكاشفات والمجاهدات قال لي يوماً: لو تكلمت في ذرة من علم الإيمان لأعجزت كتبة الدنيا كلهم وأخبرني أنه صاحب الوقت وأن النبوة عنده وأبدى لي كثيراً مما لديه من العلوم والمعارف الخاصة والعامة وأخبرني بوقت انتقاله وشق عليَّ يوماً واحد من أهل الأحوال فخفت منه أن يتصرف فيه بحاله فأخبرت سيدي أبا بكر فقال: لا تخف من حي ولا ميت فالمفاتيح كلها بيدي ولو شرحنا لكم شيئاً مما سمعناه ورأيناه منه ومن غيره لاستدعى بسطاً كثيراً، ولكن في القليل دلالة على الكثير توفي نفع الله به في ذي العقدة سنة ١٢٨١ .

وممن انتفعت به أيضاً وحل نظره الكريم علي سيدي العارف بالله السيد أحمد بن محمد بن علوي المحضار باعلوي كان يلاطفني ويكاشفني وترددت عليه إلى دون وكاتبني واجتمع لديَّ من مكاتبته لي نحو سبعة كراريس وهو عظيم الحال أجازني وألبسني ولقنني وهو يروي عن جملة من المشايخ بالحرمين واليمن وحضرموت ويجيز ويلقن عن سيد المرسلين ﷺ بلا واسطة توفي في شهر صفر سنة ١٣٠٤ .

وفي ما ذكر كفاية وكان اتصالنا بهؤلاء تاماً عاماً وسمعنا مذاكرتهم في العلوم الباطنة والظاهرة وما لا ينبغي إفشاؤه كما لا يخفاكم والله يحقق لنا ولكم لارتباطهم في الدارين آمين، هذا ولم تزل الأوقات معمورة بالذكر والتذكير والتردد إلى الصلحاء والتماس بركتهم وإصلاح

ذات البين في هذه الجهات الحضرمية والقيام باكرام الوافدين وإينامهم على عادة سلفنا ومطالعة كتب العلوم النافعة من كل فن مأذون فيه من العلوم الشرعية وآلاتها وقد قرئ علينا وسمعنا منها ما يتعذر حصره فنذكر لكم بعض ذلك فمن التفاسير التي أكملناها قراءة تفسير الفخر الرازي، وتفسير ابن جرير الطبري، والدر المنثور للسيوطي، وفي الحديث الأمهات الست :البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وأبو داود، والموطأ، وشرح مسلم، ومسند الإمام أحمد، ومسند الشافعي، ونيل الأوطار للشوكاني، والملتقى لابن الجارود، والأسماء والصفات للبيهقي، وكنز العمال للمتقي، ومنتخبه، والخصائص الكبرى، والإتقان للسيوطي، واليواقيت، والجواهر للشعراني، وتيسير الوصول للديبغي، وزاد المعاد لابن القيم، والإحياء، والرسالة، والعوارف، وقوت القلوب ،والأذكار، والإيضاح، والمناهج، والمهذب، والتنبيه، والوجيز، ونور الأبصار، ومختصر الأنوار، ومن الروضة، والمحرر إلى البيوع، والأم، ومختصر المزني، والبلغة في وسائل الوصول ،وشواهد الحق، والأساليب البديعة والمجموعة، ومختصر المواهب، وأفضل الصلوات، وباقي الرسائل، وغيرها مما لا يحضرني ذكره والقراءة مستمرة في الكتب المتداولة في فن الفقه والنحو وكذا المراجعة.

وأما كتب المناقب والتراجم للسلف فشيء كثير وكل هذه الكتب موجودة عندي بحمد الله تعالى مع كتب جمة غيرها من التفاسير وكتب الحديث والتصوف والفقه واللغة والأدب ونأمر من يمتثل أمرنا أن يقتصر من علم الأدب على النظر في المجموعة النبهانية وشرح ديوان ابن الفارض ومقامات الحريري والعقد الفريد ونحوها مما لا محذور فيه.

وأما غيرها فالسلف الصالح يعرضون عنه ولا يأخذون من علم الآية إلا ما يقوم اللسان ويرفع سماجة الطبع من الإنسان هذا ما يسر الله ذكره مع تبلبل البال والاشتغال بإصلاح الحال والمحال وفي شريف علمكم ما يغنيكم عن الاعتذار من الزمان وأهل الزمان ونسأل الله حفظ الإسلام والإيمان وحسن الختام وأن يجمعنا بسيد الأنام في اليقظة والمنام وفي دار السلام في خير وعافية آمين.

واستروا ما رأيتم من خلل وزلل وما رأيتم إصلاحه أو عدم ذكره فأذنت لكم في ذلك والدعاء لكم مبذول ومنكم مسؤول ونسأل الله القبول وصدر إليكم جبة اللباس وهي التي كانت ملبوسي بمكة المشرفة في العام الماضي وقت ورودي إليها للحج وجعلناها مع هذا الكتاب بيد محبنا الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد بن عمر باذيب الشبامي وهو مسافر إلى عدن ألزمناه يرسلها إليكم وليكن الجواب بوصولها عن طريقه ونحن لكم داعون وذاكرون والسلام عليكم وعلى حاضري حضرتكم ومن شملته دائرة ودكم وعنايتكم منا وممن لدينا من الأولاد وذوي الوداد

حرر في ٢٧ شوال سنة ١٣٢٦ قال ذلك وأملاه الفقير إلى عفو الله السيد أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي بن عبد الله العطاس المقيم ببلد حريضة. انتهى مكتوبه المشتمل على إجازته الفريدة رضي الله عنه وتحت اسمه الشريف حتمه الكبير وهذه عبارته(الواثق برب الناس المنصب أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس سنة ١٣٢٥).

يقول جامعه قد اجتمعت في بيروت منذ أيام بالعالم الفاضل السيد الشريف سيدي السيد حسن بن صدقة دحلان وأبوه صدقة أخو السيد أحمد دحلان شيخ شيخنا صاحب الإجازة السابقة وجرى ذكر شيخنا المذكور وإنه أرسل إليَّ من حضرموت إجازته المذكورة مع شيء من ملبوسه وهو جبته للبركة فذكر السيد حسن دحلان المذكور كرامات لشيخنا المذكور شاهدها منه في مكة المشرفة عام ١٣٢٥ .

قال السيد حسن وقد أمرني باستكتاب ختم له فاستكتبته ولم يذكر فيه لفظ المنصب فأرجعني به ليكتب فيه هذا اللفظ وقال لي فائدته إنا في بلادنا حضرموت نختم به أوراقاً نعطيها لبعض المسافرين فإذا رآها قطاع الطريق مختومة بختمنا ألا يتعرضون لأذيتهم ولا يعتبرونه إلا إذا كان فيه لفظ المنصب وليس لكل أحد من السادات آل باعلوي وغيرهم أن يكتب ذلك في ختمه بل هو مخصوص ببعض أكابرهم رضي الله عنهم.

الفائدة الثانية وهي أول مكتوب شرفني من شيخنا المذكور رضي الله عنه قد تفضل علي بالمكتوب الآتي قبل معرفتي به ومكتبتي له وهو هذا بحروفه قال رضي الله عنه

[الفائدة الثانية]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي جعل في هذه الأمة، من يكشف عنها الغمة، ويخرجها من الظلمة، ويعرفهم بما لك الطريق، ويحقق لهم غاية التحقيق، وصلى الله على هادي كل هادي، وحادي كل حادي، من كل حاضر وبادي، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى من تابعه ووالاه، فيما فعله ونواه، وعلى الشيخ الفاضل العالم العامل، الذي أبرزه الله نوراً في هذا الزمان، يوسف بن إسماعيل النبيه البهان، سلام الله يغشاه، وعين الله ترعاه، ومن والاه في الله، وجعلنا له هذا المحرر من اليمن من حضرموت من بلدنا حريضة حوطة السيد الشريف عمر بن عبد الرحمن العطاس إلى بلده بيروت والموجب لتحريره وتسطيره السؤال عن الحال وإعلامكم بأنا لكم داعون ولكم ذاكرون ولكم شاكرون ومن لدينا من إخواننا السادة العلويين وجميع المحبين الساكنين بتلك الديار من تريم وسيون وشبام يشكرون جنابكم الكريم .

وقد وصلت إلينا كتبكم الكرام وتأليفكم العظام التي فيها شفاء الأسقام منها الأنوار المحمدية وقد مررنا عليها وأفضل الصلوات وقد مررنا عليها ووسائل الوصول إلى شمائل الرسول وقد مررنا عليها والهمزية كذلك وقصيدتكم الموازنة لبانت سعاد وما أضيف إليها وصورة النعل الشريف وحال التاريخ القراءة في كتابكم حجة الله على العالمين بلغنا فيه إلى أخلاقه ﷺ المعنوية المنقولة من مقدمة شرح البردة والقراءة في كتابكم حجة الله على العالمين بلغنا فيه إلى أخلاقه ﷺ المعنوية المنقولة من مقدمة شرح البردة والقراءة مستمرة فيه ولما بلغ إلينا ذلك الكتاب ورأينا ما احتوى عليه من العجب العجاب قلنا لمن لدينا من الأحباب هذا الكتاب جدير بأن يسمى هدية الله إلى العالمين وجعلنا لكم كتابنا هذا شكراً لجنابكم الفخيم ولطلب الدعاء منكم وحررناه على لسان العوام وقصدنا المعنى لا الصورة وإن سمحتم وتفضلتم بجواب لنا أو إرسال شيء من مؤلفاتكم يكون ذلك من طريق جدة إلى عند محبنا أحمد بن أبي بكر بن عمر باعشر أو أخيه سالم لأن المذكورين لهما اتصال ببعض أهل السبب

من أهالي بيروت وهذا المسطور من طريقهم وعفوكم أوسع ودمتم فوق ما رمتم والسلام عليكم وعلى أولادكم ومن حواه مقامكم ومن شئتم وكيف شئتم منا ومن أولادنا ومن إخواننا العلويين ومن جميع المحبين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وإن عثرنا على شيء من ديوان العارف بالله الثمل من محبة الله عائشة رضي الله عنها مريام خرمة فيه تنويه بكم وبذكركم نعرفكم بذلك إن شاء الله لأن الشيخ المذكور يتكلم على كثير ممن يأتي بعده قال في بعض قصائده:

أهل وقتي ومن بعدي وذي من زمن عاد أعرف أنسابهم وألقابهم يا ابن حماد

ساعة أجمع وساعة جيك باسمائهم أفراد

وكثيراً ما يقول في قصائده ياابن نبهان ولما وصل كتابكم حجة الله على العالمين وقراءتنا في الدر المنثور مستمرة بلغنا فيه إلى سورة الأحزاب إلى قوله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً الآية ووقفنا القراءة على تلك الآية لمناسبات لا تخفى عليكم وبعدما نكمل قراءة كتابكم نرجع إلى تكملة الدر المنثور وقراءتنا للجميع قراءة تحصيل لا تفصيل، المستمد للدعاء منكم وباذله لكم السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي بن عبد الله العطاس العلوي الحسيني عفا الله عنه حرر في ٢٣ في شهر رجب الأصب عام ١٣١٩ انتهى بحروفه فلما قرأت مكتوبه حصل لي والله من السرور والأنس وانشراح الصدر ما لم يحصل لي بقراءة مكتوب قط ورد لي في سابق الزمان من أي شخص كان بأي سبب كان فعلمت أن صاحب هذا المكتوب لاشك أنه رجل من أولياء الله تعالى وكان من كرامته ما حصل لي من ذلك بقراءة مكتوبة رضي الله عنه فكتبت إليه مكتوباً شكرته فيه على ما تفصل عليَّ به في مكتوبه هذا وطلبت منه أن يديم عليَّ أنظاره الشريفة ودعواته المنيفة ويتفضل بإجازة يجعلني فيها من جملة تلاميذه ومر يديه فإن ذلك من أعظم النعم عليَّ وأكبر الفوائد التي انتفع بها في الدنيا والآخرة فتفضل عليَّ بذلك ولله الحمد فصرت من جملة تلاميذ هذا السيد الجليل ومريديه وهو أفضل مشايخي فيما أعلم لأنه من السلالة الطاهرة وأئمة العلماء وأكابر الأولياء الذين يجتمعون يقظة بالنبي ﷺ كما سمعت ذلك من الثقات رضي الله عنه.

الفائدة الثالثة مكتوب آخر تفضل عليَّ به قبل الإجازتين رضي الله عنه أرسلت إليه مكتوبين فأجابني رضي الله عنه بالمكتوب الآتي وهو هذا بحروفه قال رضي الله عنه

[الفائدة الثالثة]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وأسأله الفتح المبين، واليقين والتمكين، وصلاح الدنيا والدين، وأن يصلي ويسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد والتابعين له بإحسان إلى يوم العرض على رب العالمين، وأن يحفظ بما حفظ به الأولين والآخرين، من العباد الصالحين، الشيخ الفاضل، العالم العامل، يوسف بن إسماعيل النبهاني شكر الله مسعاه، وبلغه ما يتمناه، في دنياه وأخراه، وسلام الله يغشاه، وعين الله ترعاه، فيصورته ومعناه، ومن والاه في الله، والمسطور من حوطة الحبيب عمر العطاس حريضة بعد وصول كتبكم الكرام المؤرخة في ٢٢ جمادي الأول والمؤرخة في ٢٠ جمادي الأولى.

وكان وصول الجميع في يوم واحد الإثنين ٢٤ شعبان وحمدنا الله على عافيتكم وعرفتم وصول كتابنا إليكم وفرحكم بذلك وسروركم فهنيئاً لكم بما هناك من قوة الرابطة بينكم وبين المتبوع الأعظم ﷺ وبين المنتسبين إليه صورة ومعنى من أهل الإسلام وشكواكم ما تحملتم من الديون في طبع الكتب وأرسالها إلى الآفاق إن شاء الله يحصل الفرج بلا حرج وقد أويتم إلى ركن شديد وفي حسن الرجاء في ذلك الجناب ما يغنيكم ويكفيكم.

وإن تحركت البشرية وضاق الصدر، فقولوا: يا معطي لا تبطئ وما هناك إلا السلامة إن شاء الله والكتب من طريق جده وصندوق الكتب الذي من طريق عدن وصل ونعتمد ما عرفتم في تفرقتها في مظانها مع طلب الدعاء لكم ولحضرة عبد الغني باشا بيضون البيروتي (وهو الذي دفع ثمن تلك الكتب) بأن الله يبلغكم ويبلغه جميع الآمال في جميع الأحوال في لطف وعافية وإيانا آمين.

وقد وصل إلينا من طريق السيد أحمد شطا نسخة من تأليفكم سعادة الدارين و∴ مررنا على جميع ذلك وابتدأنا في قراءة القصائد التي في آخرها والدعاء لم يزل لكم في الأوقات

الشريفة ونسألكم أن لا تنسونا من صالح دعاكم وعرفتما إن قصدكم إجازة وحملكم على ذلك حسن الظن ونعم المطية وأما الفقير فما عنده شيء مما تظنون والله لا يخيب الجميع مما لديه وأن يجعلنا في حماه وحمى أنبيائه وأوليائه ومن في رضاه وإن قدر الله نسعفكم بما طلبتم لأجل الارتباط ودمتم فوق ما رمتم وصلى الله على سيدنا محمد وكل عبد مصطفى قال ذلك الفقير إلى عفو الله أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس باعلوي حرر في ٢٤ شعبان ١٣٢٠ .

الفائدة الرابعة مكتوب يشتمل على قصيدة نبوية للسيد علي الحبشي رضي الله عنه

[الفائدة الرابعة]

قد ذكره سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس في مكتوب إجازته المطول السابق وأنه جرى ذكري بينهما فناسب التنويه به عنا وذكر مكتوب كان شرفني منه يشتمل على قصيدة نبوية فأقول هو الولي الكبير الشهير المرشد الكامل الأكمل الأفضل العارف بالله سيدي الحبيب السيد علي بن محمد بن حسين الحبشي أحد أكابر أولياء ساداتنا آل باعلوي المقيم الآن في حضرموت وهو شقيق مولانا العارف بالله الإمام الهمام قدوة الخاص والعام سيدي السيد حسين الحبشي المقيم الآن في مكة المشرفة وقد كان السيد حسين حضر إلى بيروت منذ سنوات واجتمعت به وحصلت لي بركته وبيتهم من أفضل وأكمل بيوت السلالة النبوية الطاهرة، أصحاب الأسرار الباهرة والأنوار الظاهرة، نفعني الله والمسلمين ببركاتهم وبركات أسلافهم في الدنيا والآخرة وقد شرفني منه رضي الله عنه مكتوب بديع.

قد رصعه بجواهر العرفان أحسن ترصيع، ولتأخر وصوله إلي لم يمكني وضعه في كتابي أسباب التأليف من العبد العاجز الضعيف الذي أرسلته إلى مصر ليطبع على هامش كتابي جامع كرامات الأولياء ولم يطبعا إلى الآن يسر الله طبعها والنفع بهما وقد ذكرته فيه بأحسن الذكر مع أبياته الثلاثة نقلاً عن مكتوب بعض تلاميذه بعد ذكر سيدي الأستاذ الأكمل العارف بالله السيد الحبيب أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه وهذا نص مكتوبه رضي الله عنه.

[درة الكمالات الإنسانية]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أبرز من صدفة كن درة الكمالات الإنسانية فأشرقت في الوجود سواطع أنوارها فأخذ المقبل يستضيء بنورها والمدبر يحترق بنارها وما هي إلا قدرة باهرة انتجتها القوة القاهرة، فاستمدت العقول منها بلطائف الاستبصار، وانتفعت القلوب بها في مجاري التذكر والاعتبار، حضر شريفه، حضرتها القلوب العامرة، ومنزلة منيفة، نزلتها الأفئدة الذاكرة الشاكرة، ولا عجب إن ظهر على أربابها طوفح الوجدان، فما ثم الأحسن وإحسان، وفضل وامتنان، تلقت ذلك القلوب بأسماع واعية، والألباب بحضور دائم وقلوب صافية، ومن

عجيب ما يظهر في هذه المراتب الفضلية، والمشاهد الروحية، والمعاقل العقلية، من انبساط على البساط والتقاط من نثار ذلك السماط، توارد الشهود في مجلى واحد وتداخل الأرواح في مستوى افيح ولا تحيط الأقلام، بشرح حالات ذلك المقام، اقرأ مني على أهله السلام، وعند هذا الخطاب تنازعت الروح والنفس، على السبق إلى حضور هذا الدرس، فسبقت الروح إلى استخراج العلم من موطنه، وسبقت النفس إلى شهود النور من معدنه، وغايات المتعلقين بدايات الواصلين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، وعن هذا التنزل حدث ولا حرج.

وفي معارج هذا الترقي فأعرج من عرج، وقد تناوحت الألباب بخطاباتها، فخرجت ليوث الأرواح عند سماع مناوحها من غاباتها، طرباً بما سمعت من لذيذ النغمات، وشوقاً غلبها إلى التطلع إلى شريف المقامات، وما كان عطاء ربك محظوراً، وأين لنظر البصيرة أن يعرب عن مشهوداته؟ أو يصف بعض تجلياته في ترقياته؟

ومن سبق سبق إلى خير عظيم، وحضر في حظائر القدس مجمعاً فخيم، أمامه الرب الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم، الرؤوف الرحيم، الذي يستمد منه السقيم، فيصبح وهو سليم، ويتعرف إليه الجاهل، فيمسي وهو عليم، ترجمان الحضرة الحقية في مشاهد التبليغ والإبلاغ، ولسان الحضرة القريبة في إبطال مالها من العلوم مما للعقول في إدراكه مساغ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة اصطبغت بها قلوب المتهتكين في حبه، والمتربعين على آرائك قربه، دعا وهو ﷺ الداعي المطلق، وأنطقه الله بتعليم منه في التشريع والتبليغ بما أنطق، ولقد خرقت دعوته الأسماع، واخمدت براهين حجه الباهرة نيران التخالف والنزاع، فأمته المرحومة بهمته الصادقة لا تزال في جميع الأوقات على اجتماع، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، ومن وصله خير أو شر فمنها وإليها، ودائرته ﷺ المحيطة اكتنفت محبته، فطوتهم فيه، وهو ظاهر فيهم، وفي سرائرهم يناجيهم، وممن بسق غرسه في هذا الشأن، وأفرت لصديق محبته القلوب والأذهان، المحب الذي صدق في المحبة فسرت في عصره أنوارها المشرقة، فلهذا ترى الأسماع إلى كلامه مصغية والعيون إليه محدقة، وقد جمعتنا به هذه العلاقة، حبيب جاء على فاقه، في زمان تنكرت فيه الأذراق، وانطمست فيه محاسن الأخلاق، وأعلن فيه أرباب النفاق بالنفاق، ولكن الرعاية المراعية لهذا الأخ الجليل، التي أنطقته بأقوى حجة ودليل، اطمأنت بها أنفسنا أن يخالط اعتقاداتنا تحويل أو تبديل.

ألا وإني أصرح باسم هذا المحب، وأرقم اسمه على صفحات قلبي محبة له فإني له أحب، الشيخ الجليل، العالم العامل النبيل، والمخصوص في الزمن الأخير بمسامرات

التنزيل، ومشاهدات الحبيب الجليل، محبنا وأخينا يوسف بن إسماعيل النبهاني، الباني في نصرة الحبيب الأعظم أرفع المباني، والمستقيم على حبه في الصور والمغاني، يشهد بذلك لساني، ويقرره جناني، والله يعلم أني منطو له على المحبة، وأني أشتاق مجالسته وقربه، فقد أطربتني نغمات كتبه المؤلفة، في الحضرة الكريمة المشرفة، فما لي سرور إلا بسماعها، ولا انشراح إلا بصوت يراعها، وقد اطلعت منها على كثير، وكلها تعرب عن اتصال كبير، بالحبيب البشير النذير، وفي ظهر منظومتك الهمزية ثلاثة أبيات، وظننتها تبلغك على يد الواصلين إليك من أهل هذه الجهات وهي:

لـك بـالسبـق أذعـن الشعـراء	يـا محبـاً قـد صـح منـه الـولاء
شـاقنـي فـي المـديـح مـا حـررتـه	منـك فـي المصطفـى اليـد البيضـاء
أنـت تـرو والعـاشقـون ظمـاء	ليـت شعـري بـالشـرب زاد الظمـاء

فإن أحببت أن ترقمها على ظهر تلك القصيدة الفريدة، فارقمها فإنها برزت مني في ساعة سعيدة، وكتابك من طريق أخي العلامة علوي بن أحمد السقاف وصل، فخالطني عند مطالعته وقراءته ما خالطني من الحبور والجذل، وبه استدليت على صدق محبتك في أهل البيت ورجائي في الله أن يكتبك في ديوانهم، وأن يحضرك على موائد إحسانهم، ويغمرك بغوامر امتنانهم، وجهة حضرموت فيها من الأسرار بقايا، وكم في الزوايا من خبايا، فبشراك حيث أعلنت في كتبك بتعظيم أهل هذا الوادي من السادة العلويين الذين أحكموا الخواتم بعد ما أحكموا المبادي، فهم يتفيأون في ظل دوحة جدهم النبي الهادي، فإن وصفتهم بوصف حسن، نصفهم فإنهم غارقون في جزيل النعم وجليل المنن، والمجموعة النبهانية لا أزال اتصفح قصائدها، وأجتني فوائدها، فلك المنة علينا حيث أوصلت إلينا، من مديح المصطفى ما كاد أن لا يصل إلينا، فإن عنّ لك أن تثبت ما للمتأخرين، من مدائح سيد المرسلين فلي قصيدة مدبجة فيه، أحب أن تثبتني بها في ديوان مادحيه، وهذه كلمات إليك وجهتها، وعلى عقلك السليم عرضتها، فإن قابلتها بالقبول، فذلك المأمول، وإلا فأسبل عليها ذيل الستر فستر الله على خلقه مسبول، وقد اطلعت منك على كتب محررة، وعلوم مقررة، أهدتها قريحتك المطهرة.

إلى أخي الشجرة المثمرة، أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس فأطربني سماع تلك العبارات، وفرحت لك بشدة تعلقك بأهل الولايات، من صالحي البريات، والله يزيدك من التأييد، ويكتبك في ديوان الخواص من العبيد، ويكتب معك أهلك وأولادك، ومن أخلص معك من أهل ودادك، من أهل بلادك ومن غير أهل بلادك، والسلام يغشاك، ومن حضر مغناك، واستطيب مرعاك، مني ومن أولادي وأهل ودادي، وهذا آخر ما

خطته الأقلام، ولسان القرآن يقول تحيتهم يوم يلقونه سلام، من الفقير إلى الله علي بن محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي باعلوي عفا الله عنه آمين، حرر في ١٥ شوال سنة ١٣٢٤، وهذه القصيدة المشار إليها، قال رضي الله عنه يخاطب جده الأعظم ﷺ:

بك قد صفت من دهرنا الأيام ... وتشرفت بوجودك الأعوام
ولك المحامد كلها أوتيتها ... فاطرب فقد نشرت لك الأعلام
أوتيت من فضل المهيمن منحة ... ما تستطيع تخطها الأقلام
فلك التقدم في الفضائل كلها ... فاقدم فأنت لمن سواك إمام
والفخر فيك تجمعت أوطانه ... فلك العلا والمجد والإعظام
أنت الذي حزت الجمال بأسره ... وبنور وجهك يضمحل ظلام
أنت الذي حار النهى في وصفه ... وتولهت في حسنه الأحلام
يا أولاً قد قدمتك إرادة ... سبقت وفضل الله والأنعام
فلئن برزت إلى الشهادة آخرا ... فوجود روحك للورى قدام
فاضت من المولى عليك مواهب ... نفذت بها الأقدار والأحكام
ما نال ذو شرف وقدر مثلها ... ولكل راق في الدنو مقام
الله أكبر ما بلغت لرتبة ... إلا ونادتك المرام إمام
فلك الترقي والتلقي لم يزل ... ولك الملائك في العلا خدام
إختارك المولى نجياً بعد ما ... جاوزت ما لا للعقول يرام
ودنوت منه دنو حق أمره ... فينا على أفكارنا الإبهام
وبلغت أو أدنى وتلك مزية ... عظمى وأسرار الحبيب عظام
فليهنك السر الذي أوتيته ... والقرب والإجلال والإكرام
من حضرة علوية قدسية ... قد واجهتك تحية وسلام
فسمعت ما لا يستطاع سماعه ... وعقلت ما عنه الورى قد ناموا
ما للعقول تصور لحقيقة ... يأتيك منها الوحي والإلهام
ياسيد الكونين ياخير الورى ... وافاك ممن يرتجيك نظام
عبد بحبك لا يزال مولعاً ... وله إليك تشوق وهيام
حب تمكن في الحشا فلناره ... بين الأضالع والجنوب ضرام
فأغثه يا غوث اللهيف بنفحة ... تشفى بها الأمراض والأسقام
وامنن عليه بنظرة يمحى بها ... من قلبه الأدران والإظلام

يمتـد منهـا سـره بلطـائـف   يقـوى بهـا الإيمـان والإسـلام
وعلـى صـراطـك يستقيـم بشـاهـد   مـن علمـه ثبتـت بـه الأقـدام
يـا مـن عليـه معـولـي فـي كـل مـا   أرجـو ومنـه الفضـل والأنعـام
مـا أمـك الـراعـون إلا أدركـوا   مـن فيـض جـودك والعطـامـا رامـوا
بالباب قمت وأنت أعظم مطلب   تشتـاقـه الأرواح والأجسـام
فاسمح وجد لي بالوصال ففي الحشا   شـوق إليـك ولـوعـة وغـرام
وعليـك صلـى الله يـا علـم الهـدى   مـا غـردت فـوق الغصـون حمـام
والآل والأصحـاب يـا نعـم الألـى   سبقـوا وأصحـاب الكـريـم كـرام

الفائدة الخامسة تتعلق بالصلاة الفيضية لسيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه

[الفائدة الخامسة]

وهي التي ذكرها في اجازته الكبرى السابقة سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس وذكر أنه قبل إجازتي له بها وأجاز غيره بها لأني كنت أجزته بمكتوبي من قبيل إجازة الصغير للكبير وأخبرته بروايتها الآتية وللشيخ الأكبر سيدي محيي الدين صلوات كثيرة ذكرتها في كثير من كتبي ومن أجلها صلاته الفيضية وهي أللهم أفض صلة صلواتك إلى آخرها وإني كما أرويها كسائر مؤلفاته بأسانيدي إليه أورويها أيضاً بواسطة رجل صالح من أهل دمشق الشام رواها عنه في المنام، وهو سيدي السيد الشريف أحد فروع السلالة الطاهرة النبوية عبد الرحمٰن ابن السيد شاكر ابن السيد محمد الشويكي الدمشقي.

فقد أخبرني ونحن في بيروت في منزل الحاج خضر بك السجعان شقيق زوجتي صفية الواقع على ساحل البحر في جوار جامع مع رأس بيروت،وهو في سن الخامسة والأربعين بأنه قبل ثلاثين سنة وكان إذ ذاك في أول بلوغه وعمره خمس عشرة سنة رأى وهو في بلده دمشق الشام في منامه الشيخ الأكبر سيدنا محيي الدين بن العربي رضي الله عنه يصلي الفجر في المحراب الموجود في الحجرة الي فيها ضريحه المبارك في سفح جبل الصالحية من دمشق وهو بقيافة رجل مغربي بإزاره ورداء من الصوف الأبيض ولحية بيضاء ووجهه مشرب بحمرة وهو لابس خفاً أصفر إزاره إلى نضف ساقه ولحمه المكشوف من ساقه له بريق ولمعان.

قال السيد عبد الرحمٰن فاقتديت به وهو بهذه الصفة مع جماعة وبعد تمام الصلاة وانصراف الناس بقيت عنده وحدي بنية أن أسأله عن كيفية تسبيح الحصا في كف رسول الله ﷺ فاستدبر الشيخ الأكبر المحراب ونادى عليّ أن تعالى فجئت وجلست أمامه، وقال لي قبل أن أسأله: أتريد أن تعرف كيفية تسبيح الحصا في كف رسول الله ﷺ؟

فقلت له: نعم، فمد كفيه وفيهما مقدار من الحصى، فقال لي: أقلب عينيك وانظر، قال: فنظرت فوجدت الحصا في يديه قد صار بلوراً أبيض شفافاً لا يحجب ما في جوفه. فقال الشيخ الأكبر لي مرة أخرى: أقلب عينيك وانظر، فنظرت إلى الحصا مرة أخرى فوجدته زاد صفاء وفي داخل كل حصاة عروق كالشرايين التي في الإنسان وفي كل واحدة قلب كقلب

الإنسان وفي ذلك القلب لسان كلسان الإنسان وهو ينطق بذكر الله تعالى بلفظ: الله الله وأنا أسمعه بأذني سماعاً محققاً لا أشك فيه. فقال لي سيدي محيي الدين: هكذا سبح الحصا في كف رسول الله ﷺ، ثم قال لي: أتريد أن أعلمك صلاة على النبي ﷺ ثوابها بمائة ألف صلاة؟ قلت: نعم، فقال: اسمع.

اللهم أفض صلة صلواتك إلى آخر صلاته المذكورة فكان كلماتكا بشيء منها أحس به قد انطبع في قلبي وحفظته فلما فرغ منها قال لي أسمعني إياها فأسمعته إياها من أولها إلى آخرها فردني في لفظتين لحنت فيهما فقرأتها عليه مرة ثانية من أولها إلى آخرها.

فقال لي كفى ثم أنتبهت من النوم فوجدت أبي نائماً في جانبي فأيقظته وأخبرته بهذه الرؤيا المباركة ففرح بذلك وطلب مني أن أقرأ عليه صيغة الصلاة وأجيزه بها ففعلت وفي تلك الأيام سمع بذلك جارنا العلامة الشيخ علاء الدين بن الإمام الكبير السيد محمد عابدين صاحب حاشية الدر المشهورة، والشيخ محمد الطنطاوي أحد مشاهير علماء الشام فطلب كل منهما مني أن أقرأها عليه وأجيزه بها ففعلت ولم أكن قبل هذه الرؤيا سمعت بهذه الصلاة أصلاً وما حفظتها إلا من لسان سيدي محيي الدين مشافهة في تلك الرؤيا رضي الله عنه ونفعنا ببركاته.

يقول الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: وقد أجازني صاحب هذه الرؤيا السيد عبد الرحمٰن المذكور بالصلاة الفيضية المذكورة وقرأها عليّ مرتين في مجلسين مختلفين أولهما في إحدى ليالي التشريق كما ذكرت أولاً، وثانيهما في بيتي في بيروت في الثالث والعشرين من ذي الحجة المذكور أي بعد ذاك المجلس بنحو عشرة أيام وأجاز بها أيضاً ولدي محمداً شمس الدين ووالدته صفية وبناتي تقية وفاطمة وعائشة انبتهم الله نباتاً حسناً وأجاز بهم أيضاً صاحبيّ سليم أفندي السروجي ومحيي الدين أفندي علم الدين البيروتيين وكانا جالسين عندي حينما قرأها عليّ في المرة الثانية وأنا أقابلها حين قراءته على نسختها في كتابي أفضل الصلوات وهو موافق لها ولما وجدته في النسخة التي شرح عليها سيدي عبد الغني النابلسي ولم يخالف إلاَّ في بعض كلمات قليلة جداً وربما كان ذلك من طول العهد، وإني أجيز بها كل من قبل الإجازة من المسلمين والله الهادي وعليه اعتمادي قال ذلك الفقير يوسف بن إسماعيل النبهاني في يوم الخميس العشرين من شهر صفر الخير سنة ١٣٢٧ ولكوني ذكرت الصلاة الفيضية المذكورة في كتبي أفضل الصلوات وجامع الصلوات وصلوات الأخيار مضبوطة بالحركات فلا حاجة إلى ذكرها هنا ومن شاءها فليراجعها هناك وقد اشتملت من كمالات سيد المخلوقات على ما لم يشاركها فيه غيرها من الصلوات ولا يعلمه إلا مثل سيدي محي الدين من أكابر العارفين الذين أطلعهم الله على ما لم يطلع عليه غيرهم من علو قدر سيد المرسلين ﷺ.

الفائدة السادسة وهي تتعلق أيضاً بإجازة شيخنا المذكور رضي الله عنه

[الفائدة السادسة]

قد حضر إلى بيروت في شهر رمضان سنة ١٢٢٦ سيدي الإمام العلامة الكبير السيد الشريف الشيخ محمد بن الإمام العلامة الشهير سيدي الشيخ جعفر الكتاني الفاسي قادماً من المدينة المنورة بعد حجة في العام السابق وإقامته في جوار جده الأعظم ﷺ عدة شهور يقرأ العلم وينفع الجمهور.

وكان حضر إلى بيروت قبل ذاك بثلاث سنوات مع جملة من أولاده وتلاميذه وشرفني بزيارته لي في منزلي مع جماعته وحصلت لي بركته وبركتهم.

فلما بلغني قدومه إلى بيروت في هذه المرة زرته في محل إقامته وفزت بتقبيل يده ودعوته إلى منزلي فأجاب دعوتي واستفدت من علمه وبركته فوائد جمة أجلها أنه عانقني.

وقال لي: أعانقك كما عانقني سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس باعلوي في المسجد الحرام في العام الماضي.

وقال لي: أعانقك كما عانقني رسول الله ﷺ. ثم صافحني سيدي السيد محمد بن جعفر الكتاني.

وقال لي: أصافحك كما صافحني رسول الله ﷺ. ثم شابكني بأصابع يده اليمنى مع أصابع يدي اليمنى سيدي السيد محمد بن جعفر الكتاني.

وقال لي: أشابكك كما شابكني السيد أحمد بن حسن العطاس وقال لي: أشابكك كما شابكني رسول الله ﷺ.

ثم ناولني سيدي السيد محمد بن جعفر الكتاني سبحته وقال لي: أناولك السبحة كما ناولتها سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس.

وقال لي: أناولك السبحة كما ناولنيها رسول الله ﷺ. ثم أن سيدي محمد ابن جعفر الكتاني أجازني إجازة تامة بمؤلفاته ومروياته.

وكان قد سبق إجازته لي بذلك في الاجتماع السابق ومؤلفاته رضي الله عنه كثيرة نافعة جداً وهو ممن سمعت منهم أن شيخنا المذكور السيد أحمد بن حسن العطاس يجتمع بالنبي ﷺ يقظة، رضي الله عن الجميع.

الفائدة السابعة في إجازة الشيخ المبارك بروح القدس

وقصيدة محمد البكري

[الفائدة السابعة]

قد أجازني سيدي الأخ الفاضل العالم العامل السيد الشريف الشيخ محمد المبارك الحسني الجزائري بكتاب روح القدس في محاسبة النفس بحق إجازة أخيه العارف بالله سيدي الشيخ محمد الطيب له به بحق قراءته هذا الكتاب من أوله إلى آخره في المنام على مؤلفه إمام العارفين سيدي محيي الدين بن العربي وهو يذاكره فيه مذاكرة تأخذ بالألباب هذه عبارة الشيخ المبارك في كتابه الذي أجازني به بذلك.

قال: ولما قصها على الأمير عبد القادر الجزائري الشهير تلقاه منه كذلك، ثم قال الشيخ المبارك في مكتوبه لي:

وبعد أن ختمت الكتاب تذكرت أن الأخ قدس الله سره تلقى عن أحد الأرواح الروحانية ما أرسل الرحمن إلى آخر القصيدة وحضني على تلاوتها وأخبرني أنه ما تلاها في أمر إلا وحصل المطلوب حالاً بحوله تعالى وقوته.

وقد أجازني بها الشيخ المبارك أيضاً بحق إجازة أخيه له بها، وقد أجزت بها وبروح القدس وبالصلاة الفيضية التي رواها السيد شاكر عن الشيخ الأكبر في المنام وبكل ما أجازني به العارف بالله السيد أحمد العطاس وغيره من هذا القبيل وغيره وجميع مروياتي ومؤلفاتي كل من قبل الإجازة من أهل عصري بشرط أهليته ولو بعد حين وكتبت هذا في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ وقصيدة ما أرسل الرحمٰن لسيدي محمد البكري وقد ذكرتها في المجموعة النبهانية وشواهد الحق.

الفائدة الثامنة عدة مبشرات رأيتها ورويت لي

[الفائدة الثامنة]

مبشرة: أخبرني صاحبي سليم أفندي السروجي وهو من الصالحين الصادقين أن عمته عنبرة بنت عبد القادر السروجي وهي من الصالحات المحافظات على الصلوات أخبرته أنها في ليلة الأحد تاسع عشر صفر الخير من سنة ١٣٢٦ قرأت عند نومها سورة الفاتحة وقل هو الله أحد سبعاً والمعوذتين وصلت على النبي ﷺ مائة مرة على نية أن تراه ﷺ في منامها وكانت فعلت مثل ذلك من القراءة بهذه النية في ليال أخر فلم تره عليه الصلاة والسلام ففي هذه الليلة نامت بعد أن قرأت ما قرأته على الوجه المذكور فرأت نفسها خرجت من البلدة إلى سهل واسع جداً لا يرى له طرف من سائر جهاته ورأيت فيه قصراً عالياً فسألت زوجته وأخته وكانتا حاضرتين معها عن ذلك القصر لمن هو فقالتا لها هو للنبهاني وبعد هذا رأت رجلاً طويلاً ضخماً نير الوجه أسود اللحية طويلها فقالتا لها هذا هو النبهاني فأقبلن عليه وقبلن يده وتأخرت هي ثم أقبلت وحدها فقبلت يده فرفع قدمه عن الأرض وأراها أثره ثم وضع قدمه على الأثر ثم رفعه وأراها محله وإذا الماء ينبع من تحته ثم انتبهت والله أعلم.

مبشرة: قد رأيت في العشر الأواخر من صفر الخير سنة ١٣٢٦ في منامي كأن سائلاً سألني عن أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ فأجبته بأن أفضلها الصلاة الرسمية وهي الصلاة الإبراهيمية وعبرت عنها بالرسمية كما يعبر في الأمور المنسوبة للدولة الثابتة التي لا تحتاج لإثباتها إلى دلائل أخرى وهذه الصلاة هي الواردة عن النبي ﷺ في جواب من سأله عن كيفية الصلاة عليه ﷺ الواردة في آية أن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ولذلك اختصت بالصلاة في التشهد فقولي الرسمية يعني الثابتة عن رسول الله ﷺ المقررة في الصلاة فهي أثبت من جميع الصيغ مثل الأمور الرسمية الثابتة لدى الدولة ولم يخطر في بالي في اليقظة هذا اللفظ ولا سمعته من أحد وقد ذهب كثير من الأئمة إلى أنها أفضل الصيغ وهذا المنام يؤيد ذلك.

مبشرة: قد أخبرني الحاج عمر حمور الدمشقي المقيم في بيروت لأجل التجارة وهو شيخ صالح يبلغ الستين أو نحوها بأنه قد كرب كرباً عظيماً لسبب من الأسباب فصلى على النبي ﷺ كثيراً بنية تفريج كربه ودعا الله تعالى بذلك ونام في أواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٦ فرأى

نفسه في المسجد النبوي ورأى النبي ﷺ وشكا له كربه وأغضى طرفه عن النظر إليه ﷺ فسمع قائلاً يقول له: أنظر فنظر فرآني في المسجد النبوي قريباً منه وانتبه من نومه ففهم من هذا المنام أن تفريج كربه يكون على يدي فجاءني وأخبرني بذلك وقال لي أنا مرسل إليك وحكى لي هذا المنام وقص لي قصة كربه فلم أجد لي قدرة على تفريجه بوجه من الوجوه ولكوني استبعدت تفريجاً شككت في صدقه ومع ذلك قلت له أنا ليس لي عمل في تفريج كربك سوى إني أشور عليك بكثرة الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ في أكثر أوقاتك فإذا فعلت ذلك لا أشك بأن الله يفرج عنك وخصصت له صيغة اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد قلت حيلتي أدركني يارسول الله المنسوبة لحامد أفندي العمادي مفتي الشام في عصره المذكورة في كتابي أفضل الصلوات المجربة لتفريج الكروب وقد كنت جربتها أنا بنفسي فرأيتها مثل فلق الصبح وكتبتها له فأخذها وذهب فلم يمض مدة يسيرة حتى فرج الله كربه والحمد لله رب العالمين.

مبشرة: قد رأيت في منامي ليلة الأحد الرابع عشر من شهر جمادي الأولى سنة ١٣٢٦ كأني اطلعت على شرح لصيغة الصلاة على النبي ﷺ المسماة جوهرة الكمال للولي الشهير سيدي أبي العباس التجاني الفاسي والشرح المذكور لسيدي شمس الدين الحنفي خليفة السيد مصطفى البكري وكذلك التجاني خليفة البكري ولم أر في هذا الشرح لفظ الأسقم الموجود في صيغتها المتداولة الآن بين الناس التي ذكرت في بعض كتبي إن وجود لفظاً لأسقم فيها يحتمل أنه ليس من لفظ القطب التجاني لأنه ذم صريح لا يحتمل التأويل ولو فرضنا أنه رضي الله عنه نطق بهذا اللفظ فيكون عن غلبة حال ولا يجوز النطق به بوجه وهو لفظا الأسقم في قوله صراطك التام الأسقم يعني النبي ﷺ على ما في النسخ المتداولة الآن فسرتني هذه الرؤيا فإنها رؤيا حق والحفني هو إمام الطريقة الخلوتية وإمام العلماء في عصره وهو عصر التجاني وهما إخوان في الأخذ عن السيد البكري رضي الله عنهم أجمعين.

مبشرة: رأتها بنتي عائشة زوّجة السيد الشريف العالم الفاضل السيد محمد الجبانلي التونسي المقيم الآن في بيروت الذي صاهرته فحمدت مصاهرته من كل الوجوه ووجدته على جانب عظيم من الفضل والتقوى ومكارم الأخلاق زوجتها إياه في نصف شعبان سنة ١٣٢٦ فقد أخبرتني في يوم السبت الواقع في الخامس عشر من رمضان من السنة المذكورة بأنها في ليلة السبت المذكور رأت في منامها رجلاً درويشاً فقال لها قولي لأبيك أن رسول الله ﷺ يحبه كثيراً ويزوره في كل يوم ويحميه من كل من عاداه انتهت رؤياها فالحمد لله رب العالمين.

مبشرة: اخبرتني بنتي عائشة أيضاً أنها رأت النبي ﷺ في منامها في أول ربيع الأول من هذه السنة ١٣٢٧ بصورة شيخ جليل وهو حاسر عن زنديه كأنه يريد أن يتوضأ فحين رآها عليه الصلاة والسلام قال لها: «أنا محمد سيد ولد عدنان» فحصل لها حال عظيم من شدة هيبته ﷺ

ولم تستطع النظر إليه بعد قوله لها ذلك واستيقظت من منامها فأخبرت زوجها السيد المذكور بذلك فحينما وصلت إلى قولها قال لي أنا محمد سيد ولد عدنان رأيا شعلة المصباح قد اضطربت اضطراباً ظاهراً ثم سكنت ولم يكن في المحل أدنى شيء من الهواء وتحققا إن سبب اضطرابها التأثر المعنوي لذكر اسمه الشريف ﷺ وأخبرني بذلك زوجها أيضاً. وقد رأته أيضاً ﷺ منذ سنوات مرتين فالحمد لله رب العالمين.

مبشرة: قد رأيت في منامي بعد فجر يوم السبت غرة رمضان سنة ١٣٢٦ وكنت نمت بعد السحور أن إنساناً جاءني إلى بيتي وأخبرني بأن الإمام تقي الدين بن تيّمية الحنبلي المشهور قادم لزيارتي الآن ففرحت بزيارته واستقبلته إلى خارج باب بيتي فأدركته في ساحة داري وقد وصل إلى قرب باب البيت ورأيته في حالة سيئة جداً من حيث الصحة فإنه بمنزلة المقعد الزمن لا يستطيع الوقوف ولا المشي وحده وقد لزمه إنسان يمشي به والشيخ مستند بكليته إليه فساءتني حالته هذه وأخذت يده وقبلتها وفرح بي وبش في وجهي وصار يدعو لي وأنا أيضاً صرت أدعو له بالشفاء وهو يؤمن على دعائي واستيقظت من النوم رحمه الله واسعة وقصصت هذه الرؤيا على صهري السيد محمد الجبالي فقال لي هذا الرجل الذي استند إليه هو عمله الصالح فوافق ما كان خطر لي فإن ابن تيمية هو من أكابر الصالحين لولا بدعه الشديدة التي كادت تهلكه وقد أهلكت كثيرين بعده إلى عصرنا هذا.

مبشرة: قد منّ الله عليَّ وله الحمد والمنة بنظم القصيدة الرائية الكبرى في الثناء على الله تعالى ورسوله ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى وقد طبعت في مصر. وهي ٧٢٥ بيتاً ثم منّ عليَّ بنظم القصيدة الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء في نحو ثلاثمائة بيت وهذا ختامها:

وما سيد حقا سوي الله إنه	له الحكم في الدنيا له الحكم في الأخرى
غنيّ على الإطلاق عن كل كائن	وكل له بالفقر قد أحرز الفخرا
هم الكل مقهورون من تحت حكمه	ولن يقدروا أن يدفعوا عنهم القهرا
لأحسانه كلٌ الورى كلٌ لمحة	محاويج لولا لطفه انعدموا فورا
وسيلتنا العظمى إليه حبيبهُ	أجل الورى عنهم غنى وله فقرا
أحب جميع العالمين لربه	وأعظمهم خوفاً له وله شكرا
وما لجميع الخلق عنهُ كربّه	غنىّ فلقد ولاه خالقه الأمرا
حباه العطا والمنع في كل كائن	ومن غير تشبيه حجابته الكبرى
فليس لكل الخلق في كل حاجة	إلى الله في الدارين واسطة أخرى
ومهما يكن للصالحين شفاعة	فمرجع كل الشافعين أبو الزهرا

وأعظم كل المؤمنين فضيلة أشدهم حبّاً له وبه برا
وأعظم كل الكافرين عقوبة أشدهم بغضاً له وبه كفرا
ووالله لو خيرتُ في خير جنة على أن أرى من غير ملته الفراغ
لما اخترت إلا نسبتي لمحمد وإن كنت أدنى المؤمنين به قدرا
كما أنني لو نلت خدمة نعله وعند جميع الرسل سلطنة كبرى
لما اخترت إلا خدمتي لنعاله وذلك فخر لا أرى مثله فخرا
رضيت به كلَّ الرضى لست أبتني بديلاً به في هذه دار والأخرى
فيا رب زدني فيه حباً وزده بي وفي طيبة إختم لي على دينه العمرا

وكنت نظمت هذه الأبيات الستة الأخيرة بعد صلاة الصبح من اليوم الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول من هذه السنة ١٣٢٧ ثم تمت على أثر نظمها بعد طلوع الشمس نحو ساعة وانتبهت وأنا أردد قول ابن الفارض رضي الله عنه.

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشى بلظى هواك تسعرا

ولم يخطر في بالي هذا البيت من أعوام قبل هذه الرؤيا فالحمد لله رب العالمين.

أسماء الكتب المنقول منها هذا الكتاب جواهر البحار ومؤلفيها الأخيار

[بيان الكتب المنقول منها]

هذا المجموع نقلته من تسعين كتاباً لاثنين وسبعين مؤلفاً منها ستة وعشرون كتاباً نقلتها بتمامها ونقلت من سواها ما وقع عليه اختياري وقد يكون منها عدة كتب لمؤلف واحد في مكان أو أمكنة متفرقة وقد جمعتها هنا في مكان واحد وهي:

الشفا: للقاضي عياض، نوادر الأصول: للحكيم الترمذي، دلائل النبوة: للحافظ أبي نعيم، أعلام النبوة: للماوردي، الفتوحات المكية: للشيخ الأكبر، التفسير الكبير: للفخر الرازي، التائية: لابن الفارض مع شرحها للكاشاني، بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ: للعز بن عبد السلام وهي رسالة مذكورة بتمامها، تهذيب الأسماء واللغات: للنووي، طهارة القلوب: لعبد العزيز الديريني، نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون: لابن سيد الناس مذكور بتمامه، كتاب المدخل: لابن الحاج كتاب، الإنسان الكامل، وكتاب الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، وكتاب قاب قوسين ،وملتقى الناموسين بتمامه، وكتاب النور المتمكن في معنى قوله المؤمن مرآة المؤمن، وكتاب لسان القدر بكتاب نسيم السحر: جميعها لعبد الكريم الجيلي، والثلاثة الأخيرة هي ثلاثة أجزاءً من أربعين جزأ من كتابه الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ.

كتاب الروض: لابن المقرى الشافعي مع شرحه لشيخ الإسلام زكريا، وحاشية الشهاب الرملي، كتاب الخصائص الكبرى، ورسالة القول المحرر على قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: كلاهما للسيوطي، رسالة التعظيم والمنه في تفسير قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾: للسبكي وهي مذكورة بتمامها، عقيدة المسايرة، للكمال بن الهمام.

شرح الشفا، لملا على القارئ، شرح الأربعين: لصدر الدين القونوي، المواهب اللدنية: للقسطلاني، اليواقيت ،والجواهر، ودرة الغواص، والمنن الكبرى، وكشف الغمة: جميعها للشعراني، شرح الهمزية، وشرح الشمائل، والفتاوى الحديثة، والمولد النبوي: جميعها لابن حجر الهيثمي، والمولد مذكور بتمامه، كتاب تعريف أهل الإسلام والإيمان بأن

سيدنا محمداً لا يخلو منه زمان ولا مكان: للشيخ علي الحلبي، أو لابن علان وهو مذكور بتمامه، الشرح الكبير على الجامع الصغير: للمناوي، المكتوبات: للإمام الرباني النقشبندي، شرح دلائل الخيرات: للفاسي، شرح الشفا: للشهاب الخفاجي، تفسير روح البيان: لإسماعيل حقي، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ: لابن المبارك، شرح المواهب اللدنية: للزرقاني، شرح الصلوات المشيشية، وشرح ديوان ابن الفارض، والرحلة الحجازية، والرد المتين على منتقص العارف محيي الدين، والمولد النبوي: جميعها لسيدي عبد الغني النابلسي، والمولد مذكور بتمامه، شرح الصلوات المشيشية، ورسالة الثغر الدري البسام :كلاهما لسيدي مصطفى البكري، شرح صلاة سيدي أحمد البدوي: للسيد عبد الرحمٰن العيدروس، شرح دلائل الخيرات :للشيخ سليمان الجمل، شرح الإحياء: للسيد مرتضى الزبيدي، شرح الصلاة المشيشية، وكتاب الأسئلة النفسية والأجوبة القدسية: كلاهما للسيد عبد الله المير غني.

رسالة في حكمة شدة سكرات الموت على رسول الله ﷺ: لسيدي محمد البكري الكبير وهي مذكورة بتمامها، إحياء علوم الدين: للغزالي، حاشية تفسير الجلالين وشرح صلوات الدردير :كلاهما للعارف الصاوي، العقد النفيس من كلام السيد أحمد بن إدريس، جواهر المعاني من كلام سيدي أحمد التجاني، كتاب تحقيق البرهان في رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الجان: لأبي عباس بن قدامه مذكور بتمامه، مع كتاب القول الحق في أن سيدنا محمد ﷺ أفضل الخلق :لنور الدين بن الجزار وهو مذكور بتمامه، كتاب النجم الثاقب في أشرف المناقب :لبدر الدين بن حبيب وهو مذكور بتمامه، كتاب فتح المتعال في مدح النعال الشريفة النبوية، وكتاب نفح الطيب: للشهاب المقري، الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ: لابن تيمية، السيف المسلول على من سب الرسول: للسبكي، تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام ﷺ :لابن عابدين، كتاب المواقف: للأمير عبد القادر الجزائري، تاريخ وفيات الأعيان: لابن خلكان، المولد النبوي: لسيد أحمد عابدين، المعراج الكبير: للحافظ الشامي، معراج الشيخ علي الأجهوري، معراج السيد زين العابدين البرزنجي وهو مذكور بتمامه، مولد السيد جعفر البرزنجي وهو مذكور بتمامه، النظم البديع في مولد الشفيع ﷺ: لجامع هذا الكتاب يوسف النبهاني عفا الله عنه وهو مذكور بتمامه، مولد الدردير وهو مذكور بتمامه، خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى ﷺ: للسمهودي، شرح أسماء النبي ﷺ: للشيخ قاسم الرصاع التونسي، عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب: لابن الزملكاني وهو مذكور هنا بتمامه، فتاوى الشهاب الرملي، رسالة في التوجه الروحي له ﷺ: للشيخ محمد بن عبد الكريم السمان المدني وهي مذكورة بتمامها، أربعون حديثاً في فضل الصلاة على

النبي ﷺ: للشيخ يوسف الأرميوني وهي مذكورة بتمامها، محاضرة الأوائل، وكتاب خواتم الحكم: كلاهما للشيخ علي دده، رسالة في فضل الصلاة على النبي ﷺ: للشيخ عمر العرضي الحلبي وهي مذكورة بتمامها، كتاب نشر المحاسن: لليافعي، رسالة تعظيم الاتفاق في آية أخذ الميثاق: للشيخ أحمد بن ناصر السلاوي وهي مذكورة بتمامها، كتاب مطالع النور السنيّ المنبي عن طهارة نسب النبي العربي ﷺ: للشيخ عبد الله البوسنوي وهو مذكور بتمامه، وبعده الخاتمة.

واعلم أن سبب جمعي لهذا المجموع العظيم: «جواهر البحار، في فضائل النبي المختار ﷺ» إني لما فرغت من طبع المجموعة النبهانية في المدائح النبوية فكانت في هذا العصر أعظم هدية للأمة المحمدية وشهد لها جميع من اطلع عليها من الأخيار بأنها لم يسبق لها نظير في عصر من الأعصار رأيت أن أتحف الأمة المحمدية بهذا المجموع الجليل الذي ليس في بابه مثيل، فقد جمعت فيه شيئاً كثيراً من الكتاب والسنة وكلام الأئمة من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والصوفية المحققين كسيدي محيي الدين رضي الله عنهم أجمعين مما يتعلق بالحقيقة المحمدية والسيرة النبوية معجزاته ودلائله وخصائصه وفضائله وأخلاقه وشمائله وكل ما يتعلق بتصديقه وتفضيله وتعظيمه وتبجيله والصلاة عليه والاستغاثة به وزيارته ووصف بلده ومعاهده ومولده ومعراجه وغير ذلك مما يتعلق بشأنه الشريفة ﷺ.

فقد جمع هذا المجموع من ذلك ما لم يجمعه قبله كتاب والحمد لله المنعم الوهاب، وقد تم بحمد الله وحسن توفيقه جمعاً وطبعاً في بيروت في المطبعة الأدبية بتصحيح جامعه الفقير يوسف النبهاني غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة في الشهر الذي جلس في سابعه سلطاننا الأعظم السلطان محمد الخامس على سرير الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية نصره الله ووفقهُ لما يحبهُ ويرضاه وهو شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ والحمد لله رب العالمين.

[تم الكتاب بأجزائه الأربعة]

فهرس الجزء الرابع

من كتاب

جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ

فهرس المحتويات